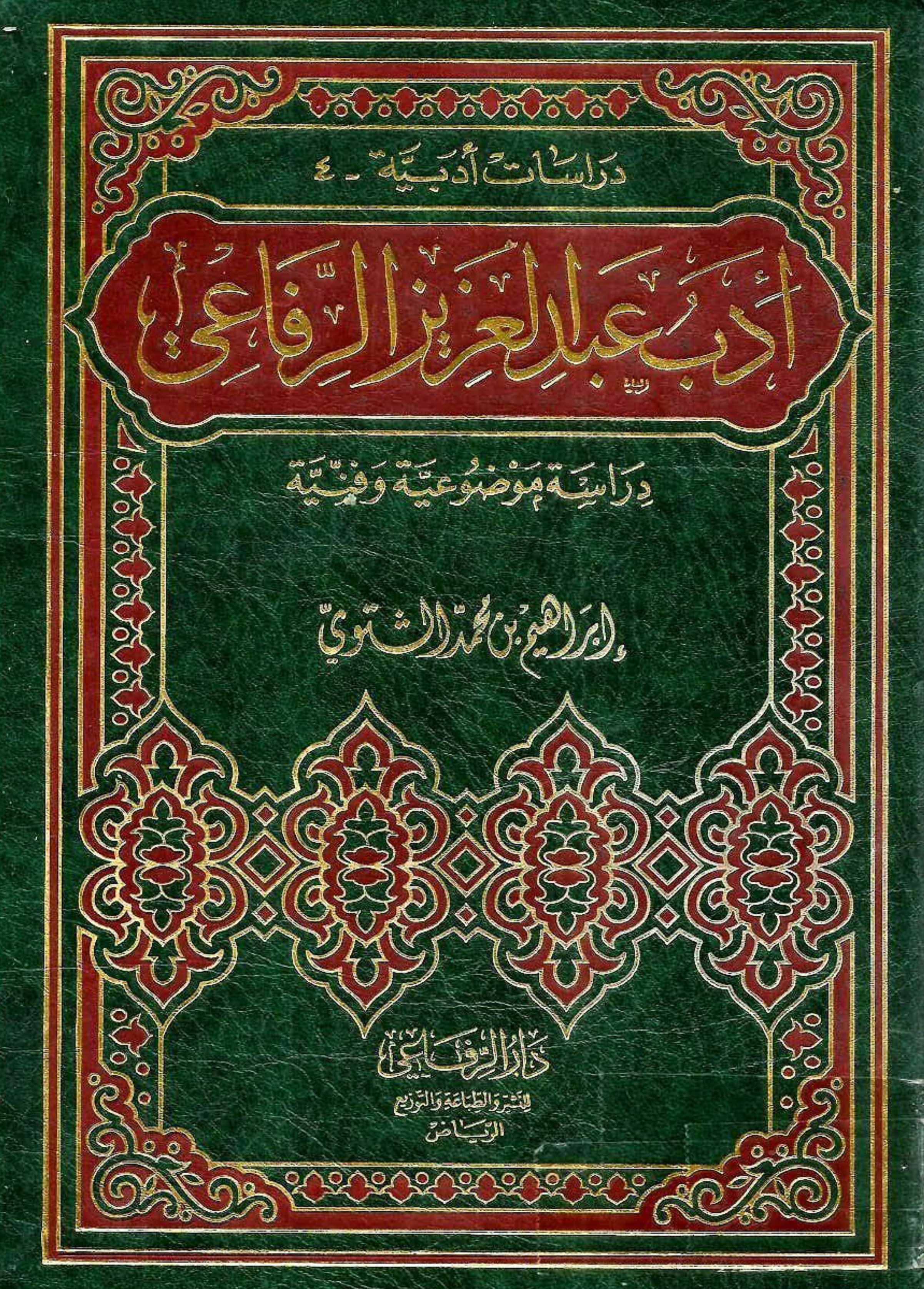
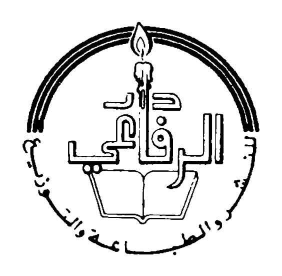


دراسات أدبية - ٤
أدب عبد العزيز الرفاعي
دراسة موضوعية وفنية
إبراهيم بن محمد الشتوي
دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض


أدب عبد العزيز الرفاعي
دراسة موضوعية وفنية

الطّبعَة الأولى
١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م





دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
ص . ب : ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١
تليفون : ٤٧٨٨٨٣٣ - ناسوخ - فاكس : ٤٧٩٤٣٢١
المملكة العربية السعودية

دراسات أدبية (٤)

أدب عبد العزيز الرفاعي

دراسة موضوعية وفنية

ابراهيم بن محمد الشتوي



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشتوي، إبراهيم بن محمد

أدب عبدالعزيز الرفاعي : دراسة موضوعية وفنية - الرياض.

٥١٧ ص ؛ ١٧×٢٤ سم .ـ (سلسلة دراسات أدبيـــة ؛)

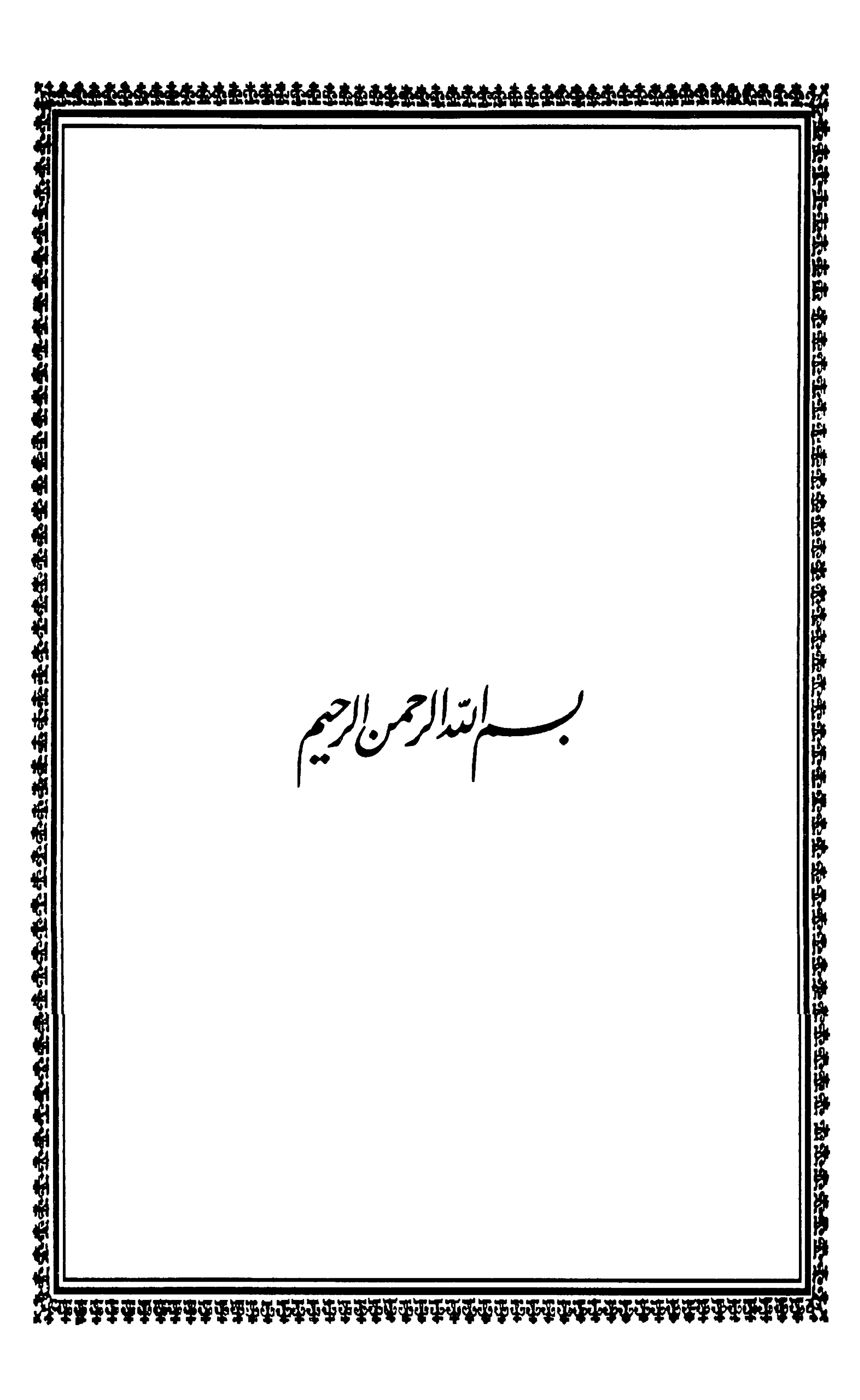
ردمك ١-٧-٠-٦٦٢-٩٩٦٠

١ - الرفاعي ، عبدالعزيز بن أحمد ، ت ١٤١٤هـ ٢ - الأدب العربي - نقد- السعودية أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ١٥٣١ ,٩٢٨ ١٩/٠٢٤٨

رقم الإيداع: ١٩/٠٢٤٨

ردمك: ١-٧-٠-٦٦٢-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أستاذي ..

الذي تعلمت منه طريقة التفكير

العلمي المنظم

وإلى كل قارئ ..

أهدي هذا الجهد المتواضع

إبراهيم

تقـــدِيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وجعلنا منهم ...آمين .

وبعد :

فإن خدمة فكر أي واحدٍ من هذه الأمة تحمل ضمناً خدمة فكر هذه الأمة عن طريق اشتمالها على الإشارات والإيحاءات المباشرة وغير المباشرة ؛ وذلك لكون الأديب واحداً من هذه الجماعة التي تربطه بها روابط غير محدودة ، فتجعل مشكلاتها مشكلاته . ومن هذا المنطلق تأتي دراسة أدب الرفاعي الذي حمل كثيراً جداً من خصائص هذه الأمة ، وكثيراً جداً من منطلقات مكوناتها التاريخية والفكرية ، والأدبية ، والاجتماعية بوجه عام ، وبخاصة أن (الرفاعي) لم يكن شخصاً عادياً ، بل ولا مثقفاً عادياً ، وإنما كان أنموذجاً متميزاً ، تلمس هذا التميز منبثاً في تضاعيف أدبه الذي شمل هذا البحث كثيراً منه على نحو لا يحوجك الوصول إليه إلى مزيد من تأمل ، ومزيد من تفكير ، وتلك سمة أعمال الأصلاء من أهل الفكر والإبداع في كل ميدان من ميادين الحياة الرحبة .

وحين طلب مني الابن (إبراهيم) صاحب هذا العمل الطيب أن أكتب له تقريظاً .. سرّني أن أنبأني بقرب نشره ؛ إذ ما فائدة كتاب يُبذل في تأليفه ما يبذل من جهد ثم يظل حبيس القمطر إلا لفئة محدودة من الباحثين .

وحين أخذتُ في إمِلاء ما طَلب (إبراهيم) وجدتني متردداً بين أمرين : الكتابة عن الكتاب ، أو الكتابة عن موضوعه (الرفاعي) - رحمه الله - ولم يكن ليعوزني التحدث عن هذا الكتاب ، كيف وقد صحبته مُذْ كان فكرة إلى أن بات أطروحة تُقَلّبها أيدي المحَكّمين .

لكن ما دام الكتاب سوف يتحدث إلى القارئ بنفسه . فما الداعي إلى أن أكون واسطة بينهما ؟ .

عليَّ إذن أن أولّيَ وجهة حديثي إلى شيء من ذكرياتي مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي - رحمه الله - ولتكن البداية من البداية .

فلقد عرفتُ (الرفاعي) - رحمه الله - منذ بَدَأتُ أقرأ له ما كان يكتبه منذ ما يزيد على أربعين عاماً ، ولكني لم ألتقِ به إلا بعدما انتقل إلى الرياض ، وأحسب أن أول لقاء مباشر كان يوم أن استزارته الرئاسة العامة للكليات والمعاهد - نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ، وذلك منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً .

وفي ذلك اليوم طُلب مني التعليق على ما قدمه من أحاديث فذكرت في تعليقي ما يشير إلى أنه كان من الرواد الأوائل ، وأنه من أتراب(الصبّان) و(آشي) و(محمد سعيد عبدالمقصود خوجة) ، فلم يُرضه ذلك وعاتبني علناً في ذلك الحفل قائلاً في الرد على التعليقات : «إنه أقل من أولئك سناً ، وأنهم يكبرونه بكثير» ، فأبديت له أسفي علناً قائلاً : «إن الذنْب ذنب سمْعَته الأدبية» .

أما أول ارتيادي ندوته فكان في عام ١٣٩٣هـ تقريباً ، ولم أكن من المواظبين على حضورها ، على الرغم من كونه - رحمه الله - كان يحلّني من مجلسه محل العناية .

وأول ما علمت بما عنده من المرض كان في عام ١٤٠١هـ حين قال ، وكأنه يريد التنفيس عن نفسه : "إن طعام الإفطار بالنسبة إليَّ تمرة مغموسة في عسل"، ثم ذكر لي مرضه .

وكان - رحمه الله - دقيق الملاحظة ، مرهف الحس والشعور، شديد الحرص على الاحتفاظ بأصدقائه . أذكر أني أتيت يوماً إلى الندوة وفي آخرها دعا الحاضرين إلى العشاء وكان لديَّ ارتباط فطلبته للاعتذار ، ولما لم يكن قريباً ... خرجتُ ومضيتُ إلى شأني .

وفي صباح اليوم التالي اتصل بي مُقسماً أنه عشاء لم يُرتَّب له ، وكان قد ظنَّ أني خرجت لأني لم أُدع إليه ، فأقسمت له كما أقسمَ لي أن شيئاً من هذا لم يخطر ببالي ، وأن ما بيني وبينه أسمى من مثل هذه ، فقال : "الحمد لله".

وفي إحدى زياراتي للأستاذ سألني عن البحث الذي كتبته عن شعر (حافظ إبراهيم) فقلت :" إني أعطيته الجمعية العربية للثقافة والفنون حين طلبوا مني الإسهام معهم فيما ينشرون" ، فاستحسنوه وطبعوه على الآلة ، وبعد فترة تغيرت نظرتهم إلى هذا البحث فأعادوه إليَّ بلا تعليل ، فقال : "أيصلح للمكتبة الصغيرة" ؟ قلت :"لست أدري"، قال : "أعطنيه"، فاشترطتُ عليه ألا يجاملني ، وأعطيته إياه ، ثم نسيته .

وفي أحد الأيام اتصل بي - رحمه الله - قائلاً : " الكتاب خرج من المطبعة ، فاطلب ما تشاء من نُسَخه "، ولست أدري كيف كان جوابي ، وهل كان صالحاً فقال : "أنا لا أجامل في مثل هذا ".

ولم أكن شاكاً في صلاح هذا الكتيب للنشر لكني كنت أجامله ، وإلا فأنا أعرف بعملي ، وأعرف أيضاً سبب إعادة الجمعية له .

وآخر لقاء جمعنا قبل اشتداد المرض عليه كان في ذلك الحفل الذي أقامه له نادي جدة الأدبي ، وكنت قد دُعيت إلى الإسهام فيه من قِبل النادي ، وجُعل مقعدي في المنصَّة عن يمينه .

وعلى الرغم من تحامل الرجل على نفسه وتجلده فإن اكتئاباً لم أعهده عنده كان يخيم على حديثه ، وهو ما أعلنَتْه قصيدته (السبعون) .

وتُوفيَ (الرفاعي) - رحمه الله - فكانت لوفاته ضجة فى الساحة الأدبية والفكرية ، وبكاه أصدقاؤه في الداخل والخارج ، وصدرت عنه كتب أشملها وأوفاها هذا الذي بين يديك أيها القارئ .

واعلم أني لم أتحدث إليك بكل ما أعرفه عن (الرفاعي) وندوته وأعماله الفكرية والوظيفيه لكونك سوف تجد في هذا الكتاب ما يغني . والذكريات مع الأستاذ عبدالعزيز - رحمه الله - أكثر من أن تتسع لها مثل هذه الوقفة التي أقدم بها هذا العمل العلمي الذي أراد به مؤلفه خدمة سيرة هذا الرجل وأدبه ، وهو واجب أدبي علينا جميعاً ، قام به المؤلف نيابة عنا جميعاً .

والواقع أنه عندما أحال إلي قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الإشراف على هذا البحث كان سروري

غامراً ، لأن هذا سوف يتيح لي المشاركة في قضاء شيء من حق هذا الرجل .

ولقد وفق الله الباحث إلى أن يقوم بهذا الواجب ، فجدَّ في البحث والتنقيب حتى جمع ما أمكن ويمكن جمعه من تراث الرفاعي شعراً ونثراً .

وما من شك في أن صعوبات قامت في طريقه ، لكنه ذللها بالعزم والجلد والاقتناع بأن لهذا الرجل من التراث الأدبي الوافر ما لا يكون من اليسير جمعه بيسر وسهولة .

ونتيجة لهذه العزيمة الجادة استطاع الباحث أن يجمع كثيراً جداً مما تفرق في الصحف والمجلات ، وما ضمته أضابير دار الرفاعي ، أو حوته خزائن أصدقائه ومحبيه ، حتى تكوّن له ما استطاع به أن يقدم هذا العمل الجيد الذي لا أحسب أن من حقي مد النفس في إبراز محاسنه والثناء عليه ؛ إذ قد يقال في ذلك ما يقال لكوني كنت المشرف عليه . إن البحث شاهد نفسه بنفسه .

لكني أقول : إنه كان ثمرة معاناة لا يعرفها ويقدرها حق قدرها إلا من خبر هذا السبيل .

وإذا كنا نتيقّن أن حق الأستاذ عبد العزيز الرفاعي على جمهور المثقفين بخاصة ومجتمعه بعامة أكبر من أن ندّعي قيام هذا البحث بكل ما نتمناه ، إلا أننا نستطيع الزعم بأنه أفضل ما كُتب . وما أحسب أنه سوف يأتي ما هو أفضل منه ؛ لا استهانة بأعمال الآخرين فذلك ليس من طبعي ، وإنما لأن هذا البحث قد جمع فأوعى كما يقولون .

ويبقى معنا هذا السؤال الذي طالما تردد دون أن نجد له جواباً ، وهو : لماذا لا نتذكر حق أدبائنا إلا بعدما يرحلون ؟ وهذه قضية لم يولها المتحدثون شيئاً من اهتمام .

إن للراحلين حقاً ؛ ولكن الأحياء بذلك أحق لأسباب أيسرها: إشاعة السرور في أنفسهم ، والحفز على المزيد من العطاء . وأحسب أن الأديب أحوج ما يكون إلى كلمة الاستحسان والتشجيع . وأبخل الناس من بخل بالكلمة الطيبة .

أ. د. محمد بن سعد بن حسين

المقـــدّمَة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

فيعد الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي أحد الرواد الذين أسهموا في النهضة الفكرية والأدبية لهذه البلاد بأعماله المتنوعة الرائدة التي منها المكتبة الصغيرة ، وندوته الأسبوعية ، ومجلة عالم الكتب ، وما خطه يراعه من نثر وشعر .

ودراسة أدب رائد أفنى عمره في المشاركة بالنهوض بالأمة ، من خدمة الأمة نفسها ، وهي أيسر حقوق هؤلاء الرواد على طلبة العلم .

وتعود صلتي بالأستاذ عبدالعزيز الرفاعي إلى أيام المرحلة الجامعية حين وقع في يدي أحد كتب المكتبة الصغيرة ، إذ شدني هذا العنوان ، وما يقصد به وكان تصوري بادئ ذي بدء أنها كُتبت للصغار ، ولكن ما لبث هذا الوهم أن تبدد بعد أن قرأت ذلك الكتاب ، ورأيت موضوعه ، وطريقة عرضه ، وأسلوبه .

ولم يدر في خلدي إلا أن هذه السلسلة تصدر في بلد اشتهر بصناعة الكتاب كمصر مثلاً ، ولما علمت أنها تصدر عن أحد الأدباء في الرياض ، أحسست بميل نحو هذا الأديب ، وتقدير له ؛ لسعيه إلى نشر الفكر الأصيل ، والثقافة الجادة بأسلوب ميسر محبب .

وقد وافقت وفاة (الرفاعي) إنهائي السنة التحضيرية للماجستير ، وكنت

في تلك الأيام أبحث عن موضوع لإعداد رسالة الماجستير ، فعقدت العزم على جعل هذه الشخصية موضوعاً لبحثي في الماجستير، وكان لأساتذتي أعضاء قسم الأدب في كلية اللغة العربية بالرياض أثر كبير في تسجيل هذا الموضوع .

وقد سلك البحث منهج المسح والاستقراء ، مما دفع الباحث إلى جمع أكبر عدد ممكن من النصوص ، الأمر الذي أدى به إلى مسح الصحف والمجلات السعودية منذ بدايات الرفاعي الكتابية ، وبعضٍ من المجلات العربية .

وإذا كانت العادة قد جرت إلى أن يذكر الكاتب الصعوبات التي واجهته في إعداد بحثه ، فإنني سأعرض عن هذا ؛ لأنني أرى أن مشكلات البحث ، وصعوباته خاصة بالباحث وحده ، الذي قبل هذا الأمر منذ البداية . وأما القارئ فليس عليه أن يبكي للكاتب ، أو يرثي له ؛ بل هو ناقد حصيف ، قد يلقي باللائمة على الكاتب الذي لم يهذب ما كتب ، ووضعه أمام الناس ، ومن ألف فقد عرض عقله فإن شاء أحسن ، وإن شاء أساء .

ولم يسبق هذا البحث من البحوث ما قام بمهمة إعطاء فكر هذا الرجل حقه إلا ما كان من أمر المؤلفات الآتية التي على الرغم من إحسانها فإنها تظل غير كافية ولا مستوفية . وهذه البحوث :

١ - كتاب الدكتور محمد بن مريسي الحارثي (الرفاعي أديباً) ، وهو جهد جيد قصره مؤلفه على دراسة كتب الرفاعي وشعره المنشور في ديوان (ظلال ولا أغصان) وهي أقل جهود الرفاعي . وكان للمناسبة التي قدم فيها الكتاب أثر على المنهج الذي سلكه المؤلف فيه . وقد تناول الباحث هذا الكتاب بالنقاش والدرس في بعض جوانب هذه الدراسة .

٢ - كتاب الدكتور عائض بن بنيه الردادي (ندوة الرفاعي) ، وتناول فيه الندوة بدايتها ، وتطورها ، وانتهاءها . وقد استفاد الباحث من هذا الكتاب

وأحال إليه في تلك المواضع .

يضاف إلى هذا إشارات بعض الباحثين في مؤلفاتهم ، وعدد لا بأس به من المقالات ، والأحاديث الإذاعية التي كتبت عن جهود الرفاعي التأليفية ، ويغلب فيها الوصف والعرض . فهي تفيد في إعطاء فكرة عن تلك الأعمال لمن لم يطلع عليها مباشرة ، ويستثنى من هذا عدد من المقالات أحال إليها الباحث فيما استفاده منها .

هذا ، وقد بني البحث على خطة مكونة من مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول وخاتمة ، كان الحديث في التمهيد عن حياته ، وندوته ، وكان الفصل الأول عن مؤلفاته عرضاً ودراسة وتقويماً .

وخصص الفصل الثاني للمقالات التي قسمت إلى أنواع هي :

المقالة الأدبية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والدينية ، ومقالات أخرى دار الحديث فيها عن المقالة السياسية ، ومقالة السيرة الذاتية ، والوصفية .

أما الفصل الثالث فكان عن السمات الفنية في نثره ، المعنوية واللفظية . وتناول الفصل الرابع توثيق شعره وموضوعاته التي جاءت في سبعة أقسام هي : الإسلاميات ، والوجدانيات ، والإخوانيات ، والوصف والمناسبات ، والاجتماعيات ، والرثاء .

واعتمد الترتيب على الكثرة عدا الإسلاميات التي قدمت لشرفها ، ولاتصالها بكثير من الموضوعات .

ودرس الشعر في الفصل الخامس دراسة فنية انقسمت إلى قسمين :

الأول : تناول المضمون : التجربة الشعرية ، والأفكار .

الثاني : تناول الشكل : بناء القصيدة ، والأسلوب ، والصورة الشعرية ، والموسيقى .

وفي الخاتمة تلخيص للبحث ، وذكر لأهم النتائج ، والتوصيات التي بدت للباحث .

وقد التزم الباحث بتخريج الآيات ، والأحاديث ، والأشعار الواردة في الدراسة ، كما وثق الأقوال الواردة في اقتباسات الرفاعي في هذه الدراسة . وتجنب إثقال حواشي الدراسة بما يمكن أن يستغنى عنه ، فقصر تعريف الأعلام على ذوي الصلة المباشرة بالرفاعي كأساتذته ، وأصدقائه ، ورواد ندوته ممن وردت أسماؤهم في حديث المؤلف أو الرفاعي .

وقد رتب المصادر والمراجع على الترتيب الألفبائي لها ، واقتصر في ذكر الجرائد والمجلات على ذكر العناوين وحدها ، مغفلاً ذكر العدد والتاريخ ؛ لأنه كان ينص على كل عدد وتاريخه عند الاقتباس الأول من المقالة .

وإذا كان هذا هو المنهج الخارجي الذي سار عليه الباحث في إعداد البحث ، فإن هناك منهجاً داخلاً في إعداد البناء الداخلي للبحث ، لم يكن الباحث منفرداً في إعداده واختياره ، وإنما كانت هناك مؤثرات خارجية لها تأثير كبير على البحث وصاحبه أتركها لذكاء القارئ ، أرجو أن يضعها في ذهنه حال قراءة هذه السطور أو الاطلاع عليها .

وقد يكون مما يحسن الوقوف عنده مدى استحقاق أدب الرفاعي للدراسة ؛ إذ لاقيت عند تسجيل هذا البحث عدداً من المعترضين المشككين في قيمة الأدب ، والأديب .

وظهور مثل هؤلاء في تصوري عائد إلى أمرين :

الأول : الجهل بهذا الأدب ، وعدم الاطلاع عليه . وقديماً قيل : الناس أعداء ما جهلوا .

الثاني : الخلل المنهجي في النظرة إلى أدب الرواد الذين خدموا أمتهم في

حدود الظروف الزمانية والمكانية المتاحة لهم .

وتقويم هذا الأدب بمعايير الفكر والنقد اليوم ، أو مقارنة الرواد برواد الأدب في البلاد العربية الذين نالوا حظاً من التعليم واسعاً ، أو تناسي أثرهم على جيلهم ، وما قاموا به من تجديد وتحديث في بيئتهم ، ظلم كبير لهم ولأدبهم .

على أن هذا الخلل المنهجي لم يقتصر على النظرة وحدها بل تجاوزها ليشمل الأداة النقدية المستخدمة في مقاربة تلك الأعمال . وهي أداة وضعت لتناول نماذج محدودة من الأدب ، وألوان معروفة من التعبير قد انتهت طاقتها عند ذاك الحد. وليست بقادرة على تخطي تلك النماذج والأشكال إلى اكتشاف بلاغيات جديدة تتواءم مع ما يمر به المتلقي والكاتب وأداة النشر من تغير كبير.

وأما الذين يرون أن النقد مدح أو قدح وينتظرون أحكاماً تصدر على هذا الأدب فأقول لهم : إن هذا البحث ابتعد عن هذا المنهج السطحي ليعتمد الوصف والتحليل اللذين هما ركنا التقويم السليم .

ولا أدعي هنا أنني أخرجت الرسالة كما هي ، وإن كان التغيير الذي استحدثته فيها يسيراً جداً ، كما لا أدعي أنني راض تمام الرضا عما كتبته في هذه السطور ، فالإنسان متغير بطبعه ، وإنما كل الذي أرجوه أن يجد القارئ في هذه السطور شيئاً يستحق العناء الذي بذل فيه من لدن الكاتب ، ويوازن الوقت الذي أنفقه القارئ في الاطلاع عليه .

كما لا أدعي أن هذا البحث هو الأول والآخر بالنسبة للرفاعي وأدبه ، ولا أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فهناك عدد كبير من الآثار الأدبية والعلمية التي لم تظهر إلا بعد الانتهاء من طباعة الكتاب ؛ إضافة إلى أنه بحث مسحي مستكشف يسعى لدراسة الأدب بوجه عام وتقديمه للدارسين الذين

يتناولون كل وجه من وجوه الرفاعي المتعددة على حدة . فهناك الرفاعي المفكر، والرفاعي السياسي ، والرفاعي الصحفي ، والرفاعي العالم ، وتحتاج إلى دراسات تقصر اهتمامها على كل واحد منها .

ولا أريد أن أطيل الحديث في هذه المقدمة فأكشف كل الأوراق : فجمال الأشياء مرتبط - أحياناً - باستتارها .

وفي الختام أود ألا أنسى أفضال الذين ساعدوني في إعداد هذه السطور وهم ولله الحمد كثيرون ، وأولهم وأولاهم شيخي الأستاذ الدكتور/ محمد بن سعد بن حسين ، المشرف على هذا البحث ، فأسأل الله أن يوفقه لما يحب ويرضى ، وأن يجعل ذلك في موازين عمله .

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إبراهيم بن محمد الشتوي

١٤١٧/٧/٢٢ هـ

التمهيد

الرّافعي وندوته

- حياة الرّافعي
- ندوة الرّافعي

حياة الرِّفاعي

اسمه ونسبه :

عبدالعزيز بن أحمد بن عبدالكريم الرفاعي ، يقف العلم الآن على هذا الحدّ من نسبه ٠

أسرته :

ينحدر عبدالعزيز الرفاعي من أسرة حسينية من جهتي الأب والأم كما يذكر[1] ٠

والدته نفيسة بنت عبدالفتاح الرشيدي[2] من عائلة كبيرة من عوائل جدة .

والده أحمد بن عبدالكريم الرفاعي . عمل بحكومة الأشراف مديراً لجمارك أملج ، ووكيل المالية ، ومدير بواخر الحكومة وظل في عمله بالجمارك في العهد السعودي ٠ وفي عام ١٣٥١ هـ أو ما يقاربه ترك الأعمال الحكومية ، وقد توفي سنة ١٣٩٥ هـ[3].

وقد أصهر عبدالعزيز الرفاعي إلى محيى الدين خوجة سنة ١٣٧٤ هـ ، وله أربعة أولاد أكبرهم (عزة)، ثم (عمار)، ثم (علاء)، ثم (عبير)[4]٠

مولده :

وُلِد عبدالعزيز الرفاعي في ليلة ١٣٤٢/٩/١٣ هـ ، حين كان يعمل والده في أملج . ولما جاء اليوم السابع لولادته نحر أبوه ناقة وُزعت على أهل القرية ،

---

(١) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، السلام عليك ، من ديواني ، ٢ .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م) ، ص ٥٧ .

(٢) انظر : " أمي : أيام حزينة ٢ " ، المجلة العربية ، العدد ١٧٨ ، (ذو القعدة ١٤١٢ هـ)

(٣) من حديث شفهي لـ علاء بن عبدالعزيز الرفاعي في لقاء للباحث معه ٠

(٤) المصدر نفسه .

وأقام حفلة كبيرة ذبح فيها ثمانية رؤوس من الضأن ، واثنا عشر رأساً من الماعز ، وحضرها أعيان تلك البلدة والمأمورون فيها ، كما حضرها رجال من البادية المجاورة لأملج من قبيلة الحمدة ، وقبيلة جهنة[1]. ولعل ذلك لسرورهم به ، خشية أن يصيبه ما أصاب إخوته من قبله الذين توفوا صغاراً .

ثقافته :

استقرت أسرة عبدالعزيز الرفاعي في مكة سنة ١٣٥٢ هـ ، وكان قد بلغ العاشرة من عمره ، فدخل مدرسة الصفا التحضيرية[2]، وانتقل إلى المدرسة الابتدائية العزيزية[3]، وكان والده يرغب أن يكون طبيبا[4] إلا أن الظروف العائلية التي أدت إلى انفصال أبيه عن أمه دفعته إلى اختصار الدراسة[5] بعد أن أصبح العائل الوحيد لأهل بيته ، فدخل المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٨هـ ، واتجه بدراسته نحو الدراسات الأدبية ، والتراثية ، وقد تخرج في سنة ١٣٦١هـ[6].

ولم يزد الرفاعي في دراسته النظامية على هذه المرحلة ، ولكنه لم يتوقف في طلب العلم عند هذا الحد ، فكان يحضر دروس التفسير في الحرم المكي (للسيد علوي مالكي)[7] ويحضر دروس النحو في الحرم (لمحمد أمين

---

(١) انظر : ورقة قديمة بخط والد عبد العزيز الرفاعي ، في دار الرفاعي .

(٢) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، رحلتي مع المكتبات ، من دفاتري ٢ .- الطبعة الأولى.- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣ هـ./١٩٩٢ م) ، ص ٣٤ .

(٣) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، " الله جابك " ، الأربعاء ، ١٤١٣/٩/٣ هـ .

(٤) انظر : مقابلة مع عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٢٤٤٢ ، (١٤٠٢/٤/١١هـ).

(٥) انظر المصدر السابق .

(٦) انظر : بطاقة ترشيح بخط الرفاعي نفسه في دار الرفاعي .

(٧) علوي عباس مالكي (١٣٢٥ - ١٣٩١ هـ) ولد في مكة المكرمة ، وكان من علماء الحرم المكي. له نفثات شعرية وبعض الكتب الفقهية منها : (فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التفسير ، نيل المرام شرح عمدة الأحكام .انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١٣٢) .

كتبي[1]. كما كان كثير القراءة والنظر والاطلاع ، وكانت بدايته مع الأدب والثقافة عن طريق المطالعة المدرسية ، ثم عن طريق القصص الشعبي ألف ليلة وليلة ، وسيرة عنترة ، والأميرة ذات الهمة ، ثم اتصل بالقصص المترجم ، فقرأ لشكسبير ، وبلزاك ، وأناتول وغيرهم[2].

ثم تعرف على مجلة الرسالة ، وكان أول ما جذبه إليها زكي مبارك حين كان يكتب (ليلى المريضة في العراق) فقد أعجب بها "فهي مزيج من القصة والأدب والشعر"[3]، وبعد زكي مبارك تعرف عن طريق الرسالة أيضاً إلى مصطفى صادق الرافعي حين كان ينشر بعض القصص ، ثم عرف الزيات ، وسائر كتاب الرسالة[4].

بعد ذلك قرأ مجلتي الرسالة والثقافة المصريتين ، وكان لهاتين المجلتين أثر كبير في اتساع ثقافته ، واطلاعه على الأدباء العرب في مصر ، والعراق والشام[5]. ظل الرفاعي بعد أن علق الثقافة والأدب ملازماً الكتاب ، وقد ذكر سكرتيره الخاص أن الرفاعي كان يقرأ ويعلق وهو في المستشفى التخصصي بالرياض قبل وفاته بأيام[6] .

أعماله الوظيفية :

بعد أن تخرج الرفاعي في المعهد العلمي السعودي عُيّن مدرساً في المدرسة الابتدائية العزيزية التي درس فيها لعام واحد ، ثم انتقل برغبته إلى مديرية المعارف

---

(١) المصدر السابق نفسه . محمد أمين كتبي (١٣٢٧ - ١٤٠٤ هـ) عالم باللغة والقراءات .تولى التدريس في الحرم المكي الشريف ، وله شعر رقيق (انظر : رحلتي مع المكتبات ، ص ٣٥ ، وجريدة المدينة ١٤٠٤/١/٢٦هـ) .

(٢) انظر : لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، قافلة الزيت ، الظهران ، العدد ٧ ، مج ٢٩ ، (رجب ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١م) .

(٣) المصدر السابق نفسه .

(٤) انظر : حوار مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، مجلة أهلاً وسهلاً .- الرياض : العدد ٥ ، س ٢٦ ، (ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٢م) .

(٥) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، " مشوار أدبي : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد .- جدة .- العدد ١٤٠٣ ، (١٣٨٣/٤/٢٣ هـ) .

(٦) هو الأستاذ (عبده السيد أبوالمكارم) ، في حديث شفهي له مع الباحث .

وعمل بها أربع سنوات ، ثم انتقل إلى مديرية الأمن العام حيث عمل سكرتيراً لمديرها ، وبعد عام واحد تحوّل إلى ديوان نائب[1] جلالة الملك في الحجاز وظل فيه إلى أن أصبح الملك فيصل ملكاً ، فانتقل إلى ديوان رئاسة مجلس الوزراء مديراً عاماً للشعبة السياسية[2] ، وبعد وفاة الملك فيصل سنة ١٣٩٥هـ ، عين مستشاراً بالديوان الملكي في المرتبة الممتازة إلى عام١٤٠١ هـ[3].

المجالس واللجان والمجامع التي اشترك بها :

اشترك عبدالعزيز الرفاعي في كثير من اللجان والمجالس والمجامع وهي:

١ - عضو اللجنة العليا لسياسة التعليم .

٢ - عضو لجنة دراسة نظام المقاطعات سنة ١٣٨٣ هـ .

٣ - عضو مجلس إدارة مؤسسة اليمامة الصحفية ، وأول مدير عام لها.

٤ - عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي .

٥ - عضو هيئة الإشراف على المجلة العربية .

٦ - عضو هيئة الإشراف على مجلة التضامن الإسلامي .

٧ - عضو إدارة دارة الملك عبدالعزيز .

٨ - عضو المجلس الأعلى للإعلام .

٩ - عضو اللجنة التأسيسية لجمعية الثقافة والفنون .

١٠- عضو لجنة النهوض بالكتاب .

١١- رئيس لجنة جمعية الناشرين السعوديين .

١٢- عضو المجلس الاستشاري الدولي ، ولجنة الخبراء لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن .

---

(١) الحياة الوظيفية من بطاقة الترشيح ، مصدر سابق .

(٢) من حديث للباحث مع علاء عبدالعزيز الرفاعي .

(٣) انظر : بطاقة الترشيح ، مصدرسابق ، وانظر : " لقاء مع عبدالعزيز الرفاعي " ، مجلة أقلام واعدة .- الرياض : العدد ٢ ، (ربيعا الأول والآخر ١٤٠٥ هـ) .

١٣- عضو مراسل في المجمع اللغوي في مصر .

١٤- عضو مراسل في المجمع العلمي في دمشق .

١٥- عضو اللجنة الشعبية لمجاهدي فلسطين .

١٦- عضو مجلس الشورى الذي تأسس عام ١٤١٤ هـ .

مشاركاته الثقافية :

كان عبدالعزيز الرفاعي أديباً ثر الإنتاج ، لم يدع مجالاً من مجالات الإسهام الثقافي إلا وطرقه ، فكان يكتب المقالات ، ويؤلف الكتب ، ويلقي المحاضرات ، ويقيم اللقاءات الأدبية ، ويحضر المؤتمرات الأدبية ، إضافة إلى إقامة العلاقات بالمثقفين والعلماء في أنحاء المعمورة كافة .

وقد بلغت المحاضرات التي ألقاها ثماني محاضرات هي :

١ - توثيق الارتباط بالتراث .

٢ - ضرار بن الأزور الصحابي الفارس .

٣ - الحج في الأدب العربي .

٤ - زكي مبارك .

٥ - عناية الملك عبدالعزيز بالكتب العلمية ، والتاريخية .

٦ - ابن جبير في الحرمين .

٧ - الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع .

٨ - نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي .

وأما اللقاءات التي أقامها فهي :

١ - عدة لقاءات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠١ هـ .

٢ - لقاء أدبي في جامعة الملك سعود في العام نفسه .

٣ - لقاء أدبي في نادي مكة الثقافي في العام نفسه .

٤ - لقاء أدبي في جامعة الملك فيصل في العام نفسه .

٥ - لقاء أدبي في نادي جازان الأدبي سنة ١٤٠٢ هـ .

وبلغ عدد المؤتمرات والمناسبات الثقافية المحلية والدولية التي حضرها ، عشرة مؤتمرات هي :

١ - مؤتمر الأدباء العرب الخامس في لبنان سنة ١٣٧٦ هـ .
٢ - مؤتمر الأدباء العرب السادس في الكويت سنة ١٣٧٨ هـ .
٣ - مؤتمر الأدباء العرب السابع في العراق سنة ١٣٨٩ هـ .
٤ - مؤ تمرالأدباء العرب الثامن في تونس سنة ١٣٩٠ هـ.
٥ - مؤ تمر الأدباء العرب التاسع في الجزائر سنة ١٣٩١ هـ .
٦ - مؤتمر الأدباء السعوديين في مكة المكرمة سنة ١٣٩٤ هـ .
٧ - مؤتمر الأدب الإسلامي الأول في لكنو بالهند سنة ١٤٠٠ هـ .
٨ - مؤتمر الأدب الإسلامي الثاني في المدينة المنورة سنة ١٤٠١ هـ .
٩ - الملتقى الثقافي الإسلامي في تطوان بالمغرب سنة ١٤٠١ هـ .
١٠- افتتاح معهد الدراسات العربية والإسلامية في ألمانيا سنة ١٤٠٤ هـ

وقد نال الرفاعي عدداً من الدروع والأوسمة وكُرِّم في حفلات هي:

١ - براءة تكريم الأدباء السعوديين مع ميدالية الاستحقاق سنة ١٣٩٤ هـ .
٢ - وسام الاستحقاق الثقافي من تونس سنة ١٣٩٠ هـ .
٣ - وثيقة التقدير الذهبية احتفالاً بالذكرى الذهبية للشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم في ١٤٠٢ هـ من رابطة الأدب الحديث في مصر .
٤ - درع جامعة الملك سعود في ١٤٠١ هـ .
٥ - حفل التكريم الذي أقيم له في إثنينية عبدالمقصود خوجة سنة ١٤٠٣ هـ .
٦ - وسام التكريم في مؤتمر القمة الخليجي العاشر المنعقد في مسقط في عام ١٤١٠هـ ، من قبل قادة مجلس التعاون الخليجي .
٧ - حفل التكريم الذي أقيم له في نادي جدة الأدبي في شوال ١٤١٣ هـ .

شخصيته :

عبدالعزيز الرفاعي ذو شخصيَّة نادرة ، لفتت أنظار المثقفين والأدباء . والحديث عن هذه الشخصيَّة بجوانبها المختلفة حديث طويل ؛ إذ كان في أخلاقه مثالاً يحتذى . يتحدث عنه أبناؤه ، وأصدقاؤه ، والعاملون عنده فيجمعون على مثاليته وروعة أدبه .

لقد كان الرفاعي رحمه الله يضم جماع الأدب فكان جواداً كريماً ، ينفق بسخاء على أصدقائه ، وزائريه ، يتتبع الضعفاء من الناس ويحسن إليهم في السرّ.

وكان يسهم في الجمعيات الخيرية ، وفي المراكز الإسلامية في العالم ، ويكفل عدداً من الأيتام في الدول الإسلامية ، ولم يكن هذا الجود والإنفاق في آخر حياته ، وإنما هو خلق قديم ؛ إذ يذكر أحد أصدقاء الرفاعي أنه قد اشترى منزلاً لإحدى الأسر المعوزة التي لا تملك منزلاً يؤويها ، وقد رُوي الخبر عن أحد أحفاد تلك الأسرة [1].

وكان متواضعاً ، سمح النفس ، بعيداً عن الاعتداد بنفسه ، وعمله ، يعامل الناس بكل طبقاتهم الاجتماعية بأسلوب حسن ، فللكبير الاحترام والتقدير ، وللصغير العطف والمساعدة .

كما كان وفياً كل الوفاء لأصدقائه ومشائخه ، فكان يكثر السؤال عنهم ، وزيارتهم ، والثناء عليهم مهما بعدت الأيام بينهم ، ومن صور هذا الوفاء أن خصص صباح يوم الإثنين من كل أسبوع للسلام على الشيخ حمد الجاسر[2] في مكتبه في دار اليمامة[3].

---

(١) انظر : عبدالعزيز عمر صيرفي ، " الرفاعي .. في سجل العمالقة" ، جريدة البلاد .- جدة .- العدد ١٠٦٥١ ، (١٤١٤/٣/٢٥ هـ) .

(٢) حمد بن محمد الجاسر (١٣٢٨ هـ -) رائد من رواد العلم والأدب في هذه البلاد . أنشأ صحيفة اليمامة ، ومجلة العرب . عضو في المجامع اللغوية . نال جائزة الملك فيصل للأدب العربي سنة ١٤١٦ هـ . له عدد كبير من الدراسات في الأنساب ، واللغة ، والجغرافيا .

(٣) من حديث سكرتيره عبده أبو المكارم .

ومع هذا الكرم والوفاء كان بعيداً كل البعد عن الشكوى إلى الناس ، وعما في أيديهم ، فلم يكن يشكو لأحد حاله في أيام الفقر والحاجة ، ولم يك يشكو مرضه وآلامه ؛ بل لما كان في المستشفى التخصصي ، وقد اشتد به المرض حتى أحس بدنو أجله كان يُلهي زائريه عن صحته ، ويتحدث وإياهم عن أحوال الثقافة ، وقد يهديهم نسخاً من كتبه . وحين يكون الزوار من العاملين عنده يستقبلهم بالحلوى ليخرج الجميع بانطباع حسن[1].

وقد جمع إلى هذه الصفات ، الحلم الذي هو سيد الأخلاق ، حتى قال فيه (المعمر) : «لم أكن أصدق بأخبار الأحنف بن قيس حتى لقيت الرفاعي»[2].

وكان يعتمد في التعامل مع أصدقائه اللين والتسامح والمجاملة في المعاملة ، فلا ينقدهم أو يصرّح بعيوب أعمالهم إلا بأسلوب رقيق يسير[3] إذا ضمن سعة صدر صاحبه وتحمُّله للنقد ، أما هو فكان يقبل النقد ولو كان حادا[4]، وإذا أحس بتحول الحوار إلى صراع ومعارك ..ترك صاحبه وشأنه[5].

وقد نتج عن هذه الصفات حب الناس له واحترامه ، فكان كثير من الأدباء والمثقفين في هذه البلاد وخارجها أصدقاءه ، وأهل مودته .

ولم تكن تلك الخلال لتجعله ضعيفاً ، سهلاً فقد كان قوياً حازماً مع نفسه يأخذها بالعزائم ، ويجنبها الترخص ، والوهن ، فهو كثيراً ما يقلل من شأنه ، ومن

---

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) من حديث شفهي للأستاذ عبدالرحمن المعمر في لقاء للباحث معه .

(٣) انظر : " القاضي عياض لعبدالسلام شقور " ، مجلة عالم الكتب .- الرياض : مج ١٢ ، العدد ٤، (ربيع الأخر ١٤١٢ هـ) و " الحركة الأدبية في المملكة " ، مجلة قافلة الزيت .- الظهران : مج٢٣، العدد ٧ ، (رجب ١٣٩٥ هـ) حيث تناول أصحاب هذه الكتب بالنقد .

(٤) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، " في القفص الغليظ : سوق عكاظ " ، جريدة عكاظ .- جدة : العدد ٥٣٤ ، (١٣٨٦/٤/٢٤ هـ) وانظر : أبو عبدالرحمن بن عقيل ، " أبو عمار الحلم والأناة " جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٧٦٦٠ (١٤١٤/٤/٢هـ) .

(٥) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، " بين همنجواي والحريقي : يوميات قصيرة "، مجلة اليمامة .- الرياض : العدد ٤٠ (١٣٨٨/٤/٢١ هـ) .

عمله ، وما يقوم به ؛ وذلك لعظم همته ، ولأجل أن يدفع نفسه للمزيد من العمل .

كان قوياً حين يصل الأمر " إلى الافتئات أو التعدي أو الظلم أو مساس الكرامة ، فقد تعلم أن يقول : لا .. وكلا ، وجميع أدوات النفي .. والحزم والجزم .. وتدرب على استعمال هذه الأدوات بداهة .. كلما رأى أن المبادرة بها واجب لا هوادة فيه" [1].

كما كان (الرفاعي) قوياً في حمل الأمانة التي يؤتمن عليها ، فكان يحفظ الأسرار التي يطلع عليها ، فما أسر إليه أحد بسر فأفشاه "حتى ولو كان هذا الإفشاء يمثل انتصاراً على خصم لا يتورع في خصومته عن استعمال شتى الأسلحة وقد لمس بعض أصدقائه هذا الحرص . فأطلقوا عليه اسم (أبو الهول)" [2].

وفاته :

كان الرفاعي قد أصيب بمرض عضال في السنين الأخيرة من عمره ، فكان يتردد على المستشفيات في ألمانيا وأمريكا . وفي آخر سنة ١٤١٣ هـ ازدادت صحة الرفاعي سوءاً ، مما جعله يقضي بقية ذلك العام بين أمريكا وألمانيا طلباً للعلاج .

ولما لم يظهر خلال ذلك تحسن في صحته ، أحس بدنوّ أجله ، فرأى أن يعود إلى بلده كي يقضي فيها أيامه الأخيرة ، فنُقل الرفاعي إلى الرياض وأدخل مستشفى الملك فيصل التخصصي ، فأنشد[3]:

أيا وطني لقيتك بعد يأس كأني قد لقيت بك الشبابا[4]

ولبث في المستشفى عدة أيام ، ثم انتقل إلى منزله في جدة وتوفي هناك يوم الخميس ١٤١٤/٣/١٣هـ ، وصلّي عليه في المسجد الحرام ،

---

(١) عبدالعزيز الرفاعي، " أنا والجائزة "، مجلة المنهل .- جدة .- مج ٥٣ ، العدد ٤٩٠ ، (صفر١٤١٢هـ) ، بتحويل ضمير المتكلم إلى غائب .

(٢) المصدر السابق بتصرف .

(٣) انظر : عائض بن بنيه الردادي ، " الرفاعي ذلك النسيم : عبق الحرف " ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٧٦٦٨ ، (١٤١٤/٤/١٠هـ) .

(٤) انظر : أحمد شوقي ، الشوقيات ، الطبعة العاشرة ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج١ ، ص ٦٦ ، من قصيدة بعنوان (بعد المنفى) .

وقُبِر فـي مقبرة المعـلاة بمكـة المكـرمـة .

وكان يوم الخميس يومـاً محبباً لدى الرفاعي ، فيـه وُلد ، وفيـه كـان يلتقي بأصحابه ، ثم توفي فيه .

مصادر أدبه :

للرفاعي إنتاج أدبي غزير ، كتبه خلال ما يقارب نصف قرن من الزمان .وكانت الصحف والمجلات ، والإذاعة السبيل لنشره .

ولم يتوجه الرفاعي إلى جمع أدبه إلا في مرحلة متأخرة من حياته حيث جمع أجزاء يسيرة من إنتاجه الغزير ، وحين يضاف إلى هذا ما لم ينشر من أدبه تصبح مصادر أدب الرفاعي ثلاثة أقسام هي :

١ - المنشـور في الصحف والمجلات ، مما لم يظهر في مجموعات ، وهو أكبر مصادر أدب الرفاعي ، وقد سعى الباحث لِلَمّ شتات هذا القسم ، وأعد مسرداً بتلك المقالات .

٢ - المجموع في كتب أو دواوين .

٣- المخطوط وينقسم إلى قسمين :- ترتب في كثرتها على النحو التالي:

(١) أحاديث إذاعية وتلفزيونية .

(٢) مقالات وقصائد لم تنشر .

وقد نشر الرفاعي في أغلب الصحف والمجلات السعودية ، وفي مجلة الهلال المصرية .

وذكر الرفاعي[1] أنه نشر في مجلة الرسالة والثقافة المصريتين ، كما ذكر غيره[2] أنه نشر في مجلة الكاتب المصرية . وقد قام الباحث بالبحث في هذه المجلات فلم يجد له سوى مقالة واحدة قصيرة في بريد القراء في مجلة الرسالة لا تتجاوز نصف عمود ، جاءت تعقيباً على أحد الكُتّاب .

---

(١) انظر : لقاء مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، قافلة الزيت ، مصدر سابق .

(٢) انظر : أدباء سعوديون ، ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديباً ، دراسات أدبية ، ٣ .- الطبعة الأولى.- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص ٢٤٦ .

ندوته

تعد ندوة الرفاعي من أقدم الندوات الأدبية ، حيث بدأت عام ١٣٧٩هـ في الرياض ، على خلاف في هذا التحديد ؛ ذلك أن الرفاعي لا يجزم بتاريخ البداية ، فيذكر في لقاء معه أنها ابتدأت في ١٣٨٢ هـ[١]، ويذكر في لقاء آخر أنها ابتدأت في السبعينيات[٢]، وإن كان يجزم بأنها ابتدأت عند انتقاله إلى الرياض[٣] وقد انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٩هـ[٤] كما يذكر أن الذي أعلن عن الندوة وأذاع أمرها (علي العمير)[٥] وكان ذلك في عام ١٣٨٠هـ ، كما يذكر العمير نفسه[٦]، ولعل مما يقضي بترجيح بدايتها في عام ١٣٧٩ هـ حضور العمير لها قبل عام ١٣٨٢ هـ ، وإشارة الرفاعي إلى السبعين ، إضافة إلى أن الدكتور أحمد البدلي[٧]يذكر أنه حضرها سنة ١٣٧٩ هـ ، ولعل الرفاعي تناسى ما كان قبل عام ١٣٨٢هـ أو نسيه

---

(١) انظر : أجوبة لقاء مخطوط ، في دار الرفاعي .

(٢) انظر : مقابلة مع الرفاعي ، مجلة الوطن العربي ، الكويت ، س ٦ ، العدد ٢٨٧ ،(١٣- ١٩ أغسطس ١٩٨٢ م) .

(٣) انظر : مقابلة مع عبدالعزيز الرفاعي ، لم تنشر ، وقد علق عليها في الهامش " للشك أن هناك مجلة أخرى وجهت أسئلة مماثلة فقد جرى تغيير الإجابات ، وأعد إجابات جديدة " أرخ في ١٤٠٢/٩/٢١هـ .

(٤) انظر : لقاء مع عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة ، مصدر سابق .

(٥) انظر : مقابلة مع عبدالعزيز الرفاعي لم تنشر ، المصدر السابق . علي بن محمد العمير، (١٣٥٧ -) ولد في منطقة جيزان ، حصل على الثانوية العامة من المعهد العلمي بصبيا ، كاتب صحفي ، له عدة آثار منها : معركتان أدبيتان مع العقيلي ، وطبانة ، على الماشي، (انظر: موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ، ج٢ ، ص ٣٦٦) .

(٦) انظر : "ذكرياتي عن ندوة الرفاعي" ، مجلة الفيصل .- الرياض : العدد ١٩١ ، (ذو الحجة ١٤١٣هـ).

(٧) انظر : " أبو عمار فقيد العلم والأدب "، جريدة الرياض : العدد ٩٢١١ ، (١٤١٤/٣/٢٦هـ. (الدكتورأحمد بن خالد البدلي ، أستاذ الأدب الفارسي في جامعة الملك سعود) .

لعدم عنايته بتسجيل بدايتها. وكان آخر ما عقدت الندوة فيه شهر رمضان ١٤١٣هـ[١] ، وفيه بلغ عمرها أربعاً وثلاثين سنة .وكانت بداية الندوة في منزله بالملز "في حي البحر الأحمر في غريفة لا تزيد مساحتها على ٤ × ٥ أمتار وكان يوم الخميس ليلة الجمعة من كل أسبوع هو اليوم الذي يخصصه لاستقبال أصدقائه ومعارفه . وحينما قدم إلى الرياض من جدة لم يكن يعرف بها إلا القليل ، فكان في حاجة إلى أن يأنس بأصدقائه ويجتمع بمعارفه"[٢].

وقد تنقلت الندوة مع الرفاعي في جميع منازله . فبعد منزله السابق انتقلت إلى منزله "في شارع جرير ، ثم انتقلت إلى الدار التي بها (الآن) دار الرفاعي للنشر في الملز،ثم في عام ١٤٠٣هـ انتقلت إلى حي الروضة"[٣].

وهذا يعني أنها "نشأت بطريقة عفوية محضة - كما يستقبل أي شخص ضيوفه في يوم معين للزيارة"[٤]، وقد تحولت هذه الجلسة إلى ندوة أدبية "لأن روادها غالباً ما يكونون من المعنيين بالفكر ، والأدب ، والشعر"[٥]، وكان تخصيص يوم الخميس"لأن العطلة الأسبوعية كانت مختصة بيوم الجمعة فقط"[٦].

ويتفق كل من حضر الندوة على أنها تسير بعفوية تامة دون أن يكون هناك نظام محدد لهذا السير ، ولا أن يكون لها "موضوعات مسبقة يجري طرحها أو مناقشتها[٧]. وتنداح دائرة الحديث حتى تتسع لكل الموضوعات المطروحة في ذلك المجلس . يقول أحد رواد الندوة في عرض إحدى الجلسات في مقالة له : وباعتبار أن مجلس معالي الشيخ عبدالعزيز الرفاعي الأدبي .. لا يربط الموضوعات

---

(١) انظر : الدكتور عائض بن بنيه الردادي ، ندوة الرفاعي .- الطبعة الأولى :(الرياض : ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ، ص ٣٩ .

(٢) عبدالعزيز الرفاعي ، مقابلة لم تنشر ، مصدر سابق ، بتحويل ضمير المتكلم إلى غائب .

(٣) ندوة الرفاعي ، ص ٣٥ .

(٤) حوار مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، مجلة أهلاً وسهلاً ، مصدر سابق .

(٥) أجوبة لقاء مخطوط ، في دار الرفاعي .

(٦) المصدر السابق .

(٧) حوار مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، مجلة أهلاً وسهلاً ، مصدر سابق .

التي يتناولها بترتيب جدولي ؛ فقد سارت ندوة هذه الليلة التي نحن بصدد الحديث عنها على نفس المنوال الذي درج عليه المجلس . فكان من بين الموضوعات التي دارت فيه دراسة ظاهرة (التنقيح) لدى بعض الشعراء والمؤلفين الذين بلغ طلب الكمال لدى بعضهم أن وصل الأمر إلى عدم نشر نتاجهم الأدبي .

وفي معرض ذكر اهتمام بعض علماء الهند بالعربية وعلومها ، ذكر الدكتور أحمد حسن عن بعض علماء الهند تخريجات على مستوى عال من الأهمية ، ومآخذ على بعض علماء اللغة . وكان لشعر المهجر وأدبه نصيب كبير في المجلس .

وباعتبار أن الشاعر فوزي العطوي ، والذي قلت إنه ضيف شرف الندوة لهذه الليلة ، من بين أبرز كتاب مجلة الأديب فقد أثنى أعضاء المجلس ثناء عاطراً على جهود الأديب ألبير أديب ، ومواصلة الكفاح في سبيل الحفاظ على الطابع الأدبي والتراثي لهذه المجلة مع ضعف الإمكانات وتقلب الأحوال في بيروت التي تصدر فيها المجلة . وقبل انفضاض المجلس جرى استعراض مجموعة من الكلمات ، والعبارات العربية الموجودة في عدد من اللغات الأوربية . هذا وقد دارت في المجلس أحاديث وموضوعات أخرى"[1].

وتعد هذه المقالة صورة دقيقة لندوة الرفاعي بكل ما فيها من عفوية .

وكانت الندوة تعقد بعد صلاة العشاء ، ومن له حاجة خاصة بصاحبها يأتي قبل العشاء أو يتأخر عن المنتدين . وكانت تنتقل في الصيف إلى الطائف قبل تقاعد الرفاعي ، وبعد أن تقاعد أصبحت تعقد في الرياض شتاء ، وفي جدة في شهر رمضان وقبيله بقليل ، وفي أسبانيا حيث كان يقضي الصيف[2].

وإذا كانت الندوة قد سارت في أمرها على غير نظام ؛ فإنها التزمت أن تختتم بالشعر ، بأن يلقي الشعراء ما عندهم من جديد . ويكاد يكون هذا هو

---

(١) عبدالرحمن الأنصاري ، "في مجلس عبدالعزيز الرفاعي الأدبي بالرياض" ، جريدة المدينة .- جدة العدد ٤٧٧٨ ،(١٤٠٠/٢/٧ هـ) .

(٢) انظر : ندوة الرفاعي ، ص ٣٥ - ٣٦ .

الأمر الوحيد الذي التزمته الندوة[١].

ولم يكن الرفاعي يرى تسميتها ندوة ؛ إذ كان يردد في كثير من أحاديثه أنها "ليست ندوة بالمعنى المعروف ، وليس لها ترتيب الندوات ، ولا تنظيمها..."[٢] إنها "جلسة عفوية يجتمع فيها زواري في اليوم المخصص للزيارة وهو مساء الخميس"[٣].

وتكاد تكون هذه العفوية هي سبب الاختلاف في النظرة إلى هذه الندوة . فيرى بعض مرتاديها أنها لا تعدو أن تكون جلسة أخوية[٤]. بينما يرى آخرون أنها ندوة من أروع الندوات[٥]. كما تكاد هذه العفوية والبعد عن الرسمية من أهم ما يدعو إلى إقبال الرواد عليها ؛ ذلك أن كثيراً من الرواد لا يريد الاجتماع العلمي ، الذي يأخذ جد العلم ، وجفافه .

ولم يكن الرفاعي بمعزل عن هذا الهدف فكان يقصد هذا الطابع ويرى أن "التخطيط والتنسيق من شأن الأندية الأدبية الرسمية[٦]، وقد يكون هذا التخطيط والتنسيق "كأداة التسجيل التي قد تحرج المتحدث ، فيتحفظ في حديثه . أو قد ينكمش فلا ينطلق"[٧] ، وهذا ما جعل الرفاعي يتجنبها . وإذا ما تم ذلك التسجيل فيكون مقصوراً على من يرغب ، أوفي جلسات محدودة تحوي ضيفاً زائراً ، أو علماً مشهوراً في تخصص معين[٨].

ويبدو أن الرفاعي على حق في التفريق بين الندوات الرسمية ، والجلسات أو الصالونات الأدبية ، وتواطؤ الناس على تسمية (ندوة الرفاعي) بهذا

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

(٢) انظر : أجوبة لقاء مخطوط ، في دار الرفاعي.

(٣) حوار مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، مجلة أهلاً وسهلاً ، مصدر سابق .

(٤) قال هذا الأستاذ مطيع النونو (أحد رواد الندوة) في حديث هاتفي له مع الباحث .

(٥) قال هذا الأستاذ مؤيد الغلامي (أحد رواد الندوة) في لقاء مع الباحث .

(٦) أجوبة لقاء مخطوط ، مصدر سابق .

(٧) عبدالعزيز الرفاعي ، " الشاعر القروي .. في الرياض " ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٤٤١٤ ، (٥/٢/١٤٠٥ هـ) .

(٨) ذكر علاء الرفاعي أن هناك تسجيلات غير واضحة لعدد قليل من الندوات ، وهي بحاجة إلى بحث وتنقيب .

الاسم يثبت لها وصف الندوة .

وبترك التسجيل أصبح من العسير دراسة الموضوعات التي نوقشت في الندوة وتبيان أثرها على أدب الرفاعي بخاصة وعلى إصدارات الدار بعامة . وإن كان يعلم من الحاضرين للندوة أنها كانت تسير في الاتجاه المحافظ . فهي صورة من صور جهود الرفاعي التي ينهض بها لخدمة هذه الأمة ، وتتواءم مع سائر جهوده الأدبية ، والثقافية .

وكان صاحب الندوة "رباناً بارعاً في إدارة حوارها بالرغم من أنه يذكر أنه واحد من حضورها . وقد يطلب من غيره إدارة الحوار ، لكنه هو المدير الفعلي للحوار ؛ ولذا يندر أن يحصل شد أو احتداد . ومتى ما رأى أن الحوار قد استوى نقاشاً ، وبدأ يخرج إلى التعصب للرأي ، تدخل بشكل هادىء وخرج به إلى موضوع آخر ، يفهم منه أنه رغب نقل الحوار إلى جانب آخر"[1].

وقد كان للندوة أثر كبير في إثراء الساحة الفكرية ، والأدبية خاصة في الثمانينيات والتسعينيات الهجرية التي كانت فيها وسائل الاتصال محدودة . ويتمثل أكبر الأثر في جانبين :

١ - الجانب الأول في حضور الشباب وناشئة الأدب ؛ فيجدون فيها طريقة واضحة للتعلم والتأدب على أيدي أدباء علماء ، يمدون من تجاربهم وعلمهم بالشيء الكثير. وقد كان للندوة أثر في صقل موهبة بعض الشعراء كالشاعر أحمد سالم باعطب[2] والشاعر عصام الغزالي[3] [4].

٢ - الجانب الثاني : في حضور كثير من الأدباء ، والمثقفين ، والعلماء من

---

(١) ندوة الرفاعي ، ص ٣٦ .

(٢) أحمد سالم باعطب (١٣٥٥هـ -) شاعر سعودي . ولد بحضرموت من آثاره : الروض الملتهب ، قلب على الرصيف.(انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ج ١، ص ٣٢٧).

(٣) أحمد عصام الدين الغزالي خليل (١٩٤٥ م -) شاعرمصري كان يعمل منهدساً في الحرس الوطني في الرياض . صدر له ديوانان : الإنسان والحرمان ، لو نقرأ أحداق الناس، (انظر : ترجمته في الديوان الثاني) .

(٤) ذكر ذلك الدكتور عبدالرحمن بن صالح العشماوي في حديث هاتفي له مع الباحث .

أنحاء العالم العربي والإسلامي من مثل : أبو الحسن الندوي[1]، وفؤاد سزكين[2] ، وحمد الجاسر ، ومحمد عبدالمنعم خفاجي[3]، ومحمد بن سعد بن حسين[4]، محمد محمد حسين[5]، وشوقي ضيف[6] ، ومحمد أسد[7]، والشاعر القروي[8] ، ومحمود محمد شاكر[9] ، وبدوي طبانة[10]، وعبدالقدوس

---

(١) علي بن عبدالحي الحسني الندوي ، (١٩١٤م -) عالم شهير، ورئيس ندوة العلماء بالهند ، ومن الدعاة المصلحين في هذا العصر ، وأحد الأعضاء المؤسسين لرابطة العالم الإسلامي . له مؤلفات كثيرة منها - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الإسلام والغرب ، الإسلام والمستشرقون . (انظر : في مسيرة حياة . ترجمة ذاتية) .

(٢) فؤاد محمد سزكين ، (١٩٢٤ م -) عالم تركي حاصل على جائزة الملك فيصل . له عدد من المؤلفات منها : دراسات حول مصادر الجامع الصحيح ، تاريخ التراث العربي . (انظر : جائزة الملك فيصل في خمس سنوات) .

(٣) الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، أستاذ أكاديمي في جامعة الأزهر ، نيف على الثمانين . عمل أستاذاً في جامعة الإمام . له دراسات كثيرة منها : الحياة الأدبية في عصر بني أمية ، وقصة الأدب في الحجاز (بالاشتراك) .

(٤) الدكتور محمد بن سعد بن حسين ،(١٣٥٢هـ -) ولد ببلدة العودة . نال الدكتوراه من جامعة الأزهر. يعمل أستاذاً في جامعة الإمام بالرياض ، له مؤلفات كثيرة منها : أصداء وأنداء (شعر)، المعارضات في الشعر العربي .(انظر: موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، ج١، ص ٢٢٨) .

(٥) الدكتور محمد محمد حسين ، (١٩١٢م - ١٩٨٢م) كاتب إسلامي معاصر . نافح عن القضايا الإسلامية . تخرج في الجامعة المصرية ، وحصل على الدكتوراه منها . عمل أستاذاً في جامعة الإمام . له عدد من المؤلفات منها : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، حصوننا مهددة ، (انظر : ترجمته بخط يده في كتابه المتنبي والقرامطة ، دار الرفاعي) .

(٦) الدكتور شوقي ضيف . بحاثة مصري ألف عدداً كبيراً من الكتب الأدبية من أهمها سلسلة تاريخ الأدب العربي التي اتخذت منهجاً لطلاب الجامعات .

(٧) محمد أسد (١٩٠٠ - ١٩٩٣م) صحفي نمساوي تجول في الشرق الأوسط ، اعتنق الإسلام في عام ١٩٢٦م . له عدة مؤلفات من أهمها: الطريق إلى الإسلام ، والإسلام على مفترق الطرق . (انظر : رجال ونساء أسلموا ، ج ٢ ، ص ٥٤) .

(٨) رشيد سليم الخوري (١٨٨٧ - ١٩٨٤م)، شاعر لبناني . هاجر إلى البرازيل في مطلع حياته . التزم الدفاع عن قضايا أمته العربية . حاربه الاستعمار. اشترك في تأليف العصبة الأندلسية ، وتولى رئاستها . من آثاره : الأعاصير،الغرويات .(انظر:تاريخ الشعرالعربي الحديث ، ص ٣٠٤).

(٩) محمود محمد شاكر . أديب مصري شهير . حاز على جائزة الملك فيصل للأدب . اشتهر بصلابته ، له مؤلفات عدة منها : المتنبي ، أسمار وأباطيل .

(١٠) الدكتور بدوي أحمد طبانة ، (١٩١٤م -) ، أستاذ مصري . عمل أستاذاً في جامعة الإمام . له عدد من المؤلفات منها : معجم البلاغة العربية ، (انظر ترجمته في كتابه : في أصول الأدب و النقد) .

أبوصالح [1]، وأنور العطار [2]، وأحمد عبدالغفور عطار [3]، وأحمد السباعي [4]، وعبدالوهاب آشي[5] ، وعبدالعزيز السالم [6]، ومحمد عبده يماني [7]، وغيرهم كثير .

ويتيح هذا الحضور فرصة اللقاء بين هؤلاء العلماء ، والتحاور فيما بينهم . كما يتيح فرصة الترابط فيما بينهم ، مما يعود أثره على الساحة العلمية ، والفكرية الإسلامية ، والعربية على حد سواء .

وقد دفع الرفاعي إلى إقامة الندوة اعتياده على اللقاءات ، والاجتماعات في مكة وجدة ، فأراد أن يصنع جواً يقابل ذلك الذي اعتاد عليه في مكة حين كان يجتمع في مكتبة الثقافة مع صالح محمد جمال[8] وأحمد محمد جمال [9]، عبدالرزاق

---

(١) الدكتور عبدالقدوس ناجي أبو صالح (١٩٣٢م -) ، ولد في مدينة حلب . نائب رئيس رابطة العالم الإسلامي . له عدد من المؤلفات منها : ديوان ذي الرمة (تحقيق) .

(٢) أنور العطار (١٩٠٨م - ١٩٧٢م) شاعر سوري . نشأ إبان الحرب العالمية الأولى ، ودرس في جامعة الإمام . له عدد من الآثار منها: الأشواق (شعر) ودراسة عن خير الدين الزركلي . (انظر : تاريخ الشعر العربي الحديث ، ص ٢٠٤) .

(٣) أحمد عبدالغفور العطار (١٣٣٧ - ١٤١١هـ) ، باحث كبير . عمل في الوظائف الحكومية ثم تفرغ للأدب . نال جائزة الدولة التقديرية . له من المؤلفات : الكعبة والكسوة . محمد ابن عبدالوهاب (انظر : موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ، ج٢ ، ص ٣٠) .

(٤) أحمد السباعي (١٣٢٣ - ١٤٠٤هـ) ولد بمكة ،كان علماً من أعلام الأدب الحجازي حصل على جائزة الدولة التقديرية . كاتب مقالة ، وقصة . له من القصص، فكرة ،خالتي كدرجان . من مؤلفاته تاريخ مكة . (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج٢ ، ص ٣٠)

(٥) عبدالوهاب آشي(١٣٢٣ هـ - ١٤٠٥هـ)ولد بمكة . أحد رواد الأدب الحجازي . شاعر وناثر. صدر له أعمال الآشي الشعرية الكاملة .(انظر:موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين، ج٢، ص ٨) .

(٦) عبدالعزيز السالم (١٣٥١ هـ -). ولد في الدرعية . أديب وكاتب سعودي . له مشاركات أدبية في الصحف . ويعمل الآن أمين عام مجلس الوزراء . وصدر له كتاب مأزق القيم .

(٧) الدكتور محمد عبده يماني (١٣٥٩ هـ -). ولد بمكة ، وتنقل في عدد من الوظائف كان آخرها وزيراً للإعلام . له مؤلفات وبعض القصص ، منها : غزو جديد ، اليد السفلى . انظر : موسوعة الأدباء والكتّاب السعوديين ، ج٣ ، ث . ٣١) .

(٨) صالح بن محمد جمال (١٣٣٨ - ١٤١٢هـ) كاتب صحفي . أسس جريدة حراء وترأس تحريرها، كما أسس مكتبة الثقافة في مكة . له من الآثار من أجل بلدي . المرأة المسلمة بين نظرتين .(انظر : موسوعة الأدباء السعوديين ، ج٢ ص ١٦٣ .

(٩) أحمد بن محمد جمال (١٣٤٣ - ١٤١٣ هـ) كاتب إسلامي . أحد مؤسسي مكتبة الثقافة في مكة . عمل عدة أعمال آخرها أستاذ الثقافة الإسلامية في جامعة الملك عبدالعزيز . له نفثات شعرية ، من مؤلفاته : مكانك تحمدي ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٣٠) .

بليلة[1]؛ وحين كان يجتمع ببعض أصدقائه في جلستهم الثلوثية بحضور شيخهم محمد أمين كتبي[2]، وحيث كان يجتمع مع بعض الثلة في حديقة محمد عبدالقادر فقيه[3]، أو في مركاز المسفلة[4].

ويرى الدكتور عائض الردادي أن هذه الندوة امتداد لتلك الاجتماعات[5] وفي هذا شيء من التجوز لما بين هذه وتلك الجلسات من اختلاف ؛ فتلك الاجتماعات كانت بين جيل واحد قد يشركون معهم شيخاً أشربوا حب قربه ، والجلوس إليه ، ثم هي ثلة واحدة تآلفوا فيما بينهم ، وليست الجلسة مفتوحة لكل من أراد الحضور . وقد كان هذا النوع من الاجتماعات كثيراً حيث عدّد الرفاعي بعضاً مما كان يعقد في (البلاد السعودية) ، أو في (المنهل) ، أو في المسفلة من المراكيز[6].

ولا تتوقف الدوافع على اعتياده على هذه الاجتماعات ، ولكن لأهمية مثل هذه اللقاءات التي يرى الرفاعي أنها بمثابة "كتاب حي مفتوح يشترك فيه أكثر من مؤلف ، ويدخل النقد فيه عن طريق الحوار ليكون ملازما"[7]. ومن هنا أراد الرفاعي أن يثري الساحة الفكرية والأدبية بهذا الكتاب المفتوح الذي يقوم عليه ، إضافة إلى ما يقوم به هذا اللقاء المفتوح من لقاء بين المثقفين ، ولقاء بين الأجيال وربطهم بعضهم ببعض . وقد كان الرفاعي "يعتقد بفائدة اللقاء بين القديم والجديد ،

---

(١) عبدالرزاق محمد صالح بليلة (١٣٣٩ هـ -) ولد بمكة . أشرف على بعض الصفحات في جريدة البلاد السعودية، وكان من مؤسسي مكتبة الثقافة ، وهو أستاذ لعدد كبيرمن صحفيي اليوم .

(٢) انظر :عبدالعزيز الرفاعي ،" بين الحين والحين " ، جريدة المدينة ، جدة ، العدد ٦٠٦٢ ، (١٤٠٤/١/٢٦هـ).

(٣) محمد عبدالقادر فقيه (١٣٣٨ هـ -) شاعر مطبوع وطني الاتجاه صدر ديوانه مطبوعاً، (انظر : الموجز في تاريخ الأدب السعودي ، ص ١٦٧ . ومعجم الكتاب والمؤلفين ص ٥٦٤).

(٤) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ،" ذكريات مع الشاعر فقيه " ، مجلة الفيصل ، الرياض ، العدد ١٨٧ ، (شعبان ١٤١٣هـ) .

(٥) انظر : ندوة الرفاعي ، ص ٣١ .

(٦) انظر : " العطار الرائد " ، جريدة عكاظ ، العدد ٩٠٠٥ ، (١٤١١/٨/٢٩هـ) .

(٧) حوار مع عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة الأسبوعية ، العدد ٦٧٦٦، (١٤٠٦/٢/٤هـ) .

والحيوية والأناة ، والبداهة والتجربة"[1].

ومع أن النشاط الغالب للندوة هو الاجتماع الأسبوعي في مقرها ، فقد كانت لها أنشطة أخرى قليلة كقيام صاحب الندوة باستضافة زكي قنصل[2] وتهيئة اللقاء به للمثقفين والأدباء[3]. وكالرحلة التي قامت بها الندوة إلى مدينة المجمعة ، ليشهدوا فيها الربيع ، وأمواه السيل ، وكان ذلك على إثر مناقشة حول معلقة امرىء القيس . فقد ذكر بعض المنتدين أن المعلقة تصف صحارى نجد التي لا يمكن أن يكون فيها ما ذكر الشاعر ، فنظمت الندوة رحلة إلى تلك المدينة للتحقق من الحال [4].

ومع كثرة المنتدين ، وتنوع ثقافاتهم ، وبلدانهم وتعارف كثير منهم في الندوة ، فإن الرابط الأخوي الحميم هو الذي يربط بينهم . وقد كان لخلق صاحب الندوة الرائع والعفوية التي تسير بها الندوة أثر في تحاب المنتدين وتآلفهم ؛ ولذا وجدنا من المنتدين من يداوم على حضورها عشرين عاماً لا يكاد ينقطع[5] ؛ بل قد ذكر بعضهم أن الندوة تشكل له زاداً أسبوعياً لا يمكن أن يتخلى عنه[6].



---

(١) أجوبة مخطوطة معدة لجريدة الشرق الأوسط ، بتحويل الفعل (أعتقد) إلى (يعتقد) .

(٢) زكي قنصل (١٩١٦ - ١٩٩٤م) شاعر سوري ولد في الأرجنتين . انتقل إلى سوريا وهو في السابعة من عمره . له آثار نثرية وشعرية مخطوطة ، ومما نشر له : أشواك .. خماسيات من المهجر (انظر : ترجمته على ظهر كتابه السابق) .

(٣) ذكر ذلك سكرتير الرفاعي الخاص .

(٤) ذكر ذلك حيدر الغدير في لقائه مع الباحث .

(٥) من أولئك الدكتور البراء الأميري . وقد ذكر الأميري ذلك في حديث له مع الباحث .

(٦) روى ذلك عن بعضهم للباحث الدكتور عبدالرحمن بن صالح العشماوي في حديث هاتفي معه .

الفصل الأوّل

المؤلّفات الأدبيّة والعلميّة

أولًا : المؤلّفات الأدبيّة .

ثانيًا : المؤلّفات التّاريخيّة والعلميّة .

المؤلّفات الأدبيّة والعلميّة

لقد كان لنشأة الرفاعي الصحفية أثر كبير على اتجاهه الأدبي ؛ إذ دفعته هذه النشأة إلى فن المقالة فأولاه عنايته واهتمامه . وبقدر هذا الاتجاه كان ابتعاده عن التأليف الذي لم يبدأ به إلا فى عام ١٣٨٩هـ ، وكان ذلك حين عقد العزم على طبع إحدى محاضراته ، وما لديه من مقالات مما يحسن ضمها في كتاب واحد .

وتنقسم كتب الرفاعي إلى قسمين :

١ - كتب أدبية .

٢ - كتب تاريخية ، علمية .

أولاً : الكتب الأدبية :

وهي التي تعالج موضوعاً أدبياً ، أو موضوعاً ذاتياً ، ولا تعتمد في أغلبها منهج البحث العلمي ، وقواعده . فهي أحاديث ذاتية ، وخواطر ذهنية ، تعتمد الصياغة الفنية . وأما سوى الغالب فكتاب (من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين) حيث درس موضوعاً علمياً بحسب التقاليد العلمية المعروفة ، وعدد الكتب الأدبية ستة هي :

١ - توثيق الارتباط بالتراث

أول إصدارات الرفاعي التأليفية ، وكان في الأصل محاضرة كتبت لمؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد ببغداد في اليوم الثاني من صفر عام ١٣٨٩هـ ، ثم رأى طبعها ونشرها . وكان المؤتمر قد طبعها من قبل طبعة "محدودة جداً تستهدف التوزيع

المحدود على أعضائه ، والمحافل الأدبية المعنية"[1]، كما نشر مقالة طويلة في صحيفة البلاد[2]، ثم طبعها الرفاعي طبعة أخرى .

وكان الداعي لكتابة هذه الرسالة أن وُجهت للرفاعي دعوة للمشاركة في مؤتمر الأدباء السابع في بغداد ، وكان من الموضوعات المقترحة (توثيق الارتباط بالتراث) فاختار الرفاعي الكتابة بهذا الموضوع لأنه موضوع - كما يقول : "يروق لي" [3].

طبع الكتاب عدة طبعات كانت الأولى التي قام بها المؤتمر ، ثم طبع بعدها ست طبعات أولها عام ١٣٨٩ هـ وآخرها عام ١٤٠٨ هـ ، ويقع الكتيب في طبعته الأخيرة في ثمانٍ وعشرين صفحة من القطع الصغير .

يبدأ الرفاعي كتابه بمقدمة يوضح فيها سبب إنشاء هذه المحاضرة ، ويشير إلى أهمية موضوعها في وقت تكالب على الأمة كل أعدائها . ينتقل إلى التمهيد فيتحدث فيه عن العدو الإسرائيلي الذي اتخذ من تراثه قاعدة ينطلق منها للعمل على إقامة دولته ، ويتحدث عن موقف الإسرائيليين من تراثنا الذي بدأ بالإسرائيليات وانتظم بسلسلة من الدس "يعرف أحياناً الفاعل الحقيقي أو يختفي أحياناً أخرى خلف أبطال آخرين" [4] ، ولا يحمِّل الرفاعي الإسرائيلين وحدهم تبعة ما لحق بالتراث من انحراف ، فالعرب يتحملون جزءاً كبيراً إذ لو لم يغفلوا "لما وصل الأمر إلى ما وصل إليه اليوم" [5].

ثم ينتقل إلى اللغة والتراث فيتحدث عن مشكلة انتشار العبارات الأجنبية والصيغ الغربية . ويوازنها باختلاف البيان العربي حين التقت اللغة العربية بالثقافتين الفارسية واليونانية في القرن الرابع الهجري الذي دب الضعف فيه إلى اللغة العربية ، ووصل قمته في العصر العثماني .

---

(١) عبدالعزيز الرفاعي ، توثيق الارتباط بالتراث ، المكتبة الصغيرة ، ١.- الطبعة السادسة.- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٨ هـ) ، ص ٧ .

(٢) انظر : جريدة البلاد ، جدة ،(١٣٨٩/٢/٢١ هـ) .

(٣) توثيق الارتباط بالتراث ، ص ٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٥ .

ويجعل البارودي وشوقي وغيرهما من مشاهير الأدب ، هم الذين رفعوا اللغة والأدب من ذلك الضعف ، حيث زاوج هؤلاء الأدباء بين الثقافتين العربية الأصيلة ، والغربية الحديثة ، فلم تؤثر عليهم ثقافتهم الحديثة كما أثرت على الجيل الجديد الذي تضلع بالثقافة الغربية قبل أن يعرف لغته وثقافته ، مما جعل هذه الأساليب والتراكيب تطفو على كل سطح، وتقيم عازلاً بين المثقف والقارىء العربي " الذي لا يستطيع أن يلاحق الكاتب الحديث الذي تشيع العجمة الجديدة في أسلوبه"[1].

وقصر هذا البعث على المشاهير من أدباء العصر الحديث ليس بسديد ؛ لأن هناك من العلماء من كان له الفضل الأول على البارودي نفسه من أمثال الشيخ المرصفي الذي كان له أثر في رفع الشعر خاصة والأدب والنقد بعامة .

ثم ينتقل إلى الحديث عن المثقفين والتراث ، فيرى أن المثقفين أصبحوا بتأثير ثقافتهم الغربية يتحدثون بالحرف العربي ولكنهم يفكرون بعقول غير عربية ، وهؤلاء المثقفون لا يعرفون شيئاً عن التراث العربي ، ولا عن الأمجاد العربية ، ولا عن البطولات العربية [2].

يتبع ذلك بحديث عن إيجابية التراث العربي فيذكر أنه تراث إيجابي مؤثر . ففي القديم أطل على تراث الإنسانية كلها فتجاوب معه ، وأثر فيه ، وفي العصر الحديث جاءت تجربة الأدب المهجري الأمريكي دليلاً رائعاً على أصالة التراث الفكرية ، وقدرته على التطور حيث أضاف هؤلاء القوم إلى تراثنا ثروة رائعة لانطلاقهم من التراث العربي أولاً . ومثل هذا الحكم إن صح في أدباء المهجر الجنوبي ، فإنه لا يصح في أدب المهجر الشمالي الذين حاربوا اللغة والدين والأخلاق .

بعد ذلك انتقل إلى توثيق صلة الأديب بتراثه حيث يرى أن يتم ذلك عن طريق تعريفهم إليه ، وتحبيبه إلى النفوس ، والتمكين للغة العربية لتكون لغة العلوم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

لتحل محلها من جامعاتنا ومعاهدنا ، والعمل على إبراز بطولاتنا والمثل العليا من أبطالنا ، وتسخير وسائل الإعلام لخدمة التراث العربي عن طريق الصحيفة والمجلة والكتاب ، والإذاعة وغيرها .

ثم انتقل إلى التراث والمعركة ، وطرح سؤالاً مفاده : كيف نستطيع أن نسخر التراث الأدبي والفكري للمعركة مع إسرائيل ؟ . ورأى أن روح البطولة الكامنة في النفس العربية القديمة لاتزال موجودة إلى الآن ، ولكنها تحتاج إلى إيقاظ ، وتعبئة ، وتحميس ؛ وذلك بتغذية هذا الاتجاه البطولي بقصص الفروسية والبطولة التي يمتلىء بها الأدب العربي[1].

ويظهر في كتابه هذا أثر الحرب مع إسرائيل ، ففي أول الكتاب نراه يذكر أن الحرب هي التي أملت عليه هذا الموضوع ، وحين عد الإسرائيليات بداية الدس في التراث العربي ، ثم في آخر الكتاب حيث دعا إلى تسخير التراث للمعركة .

وقد أشار الرفاعي إلى أن واقع الأمة العصيب إثر حوادث سنة ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م ، كان له الأثر الكبير في كتابة هذه الرسالة ، واختيار موضوعها ؛ "ذلك لأن أية أمة تحرص على أن يكون لها كيان خاص بها ، وشخصية بارزة المعالم ، لا بد أن تركز على تراث تستمد منه عزيمتها ، وتلتف حوله ، وتنطلق من مركزه ، وتبلور مستقبلها على قواعده"[2]. فكان أن كتب الرفاعي هذه الرسالة محاولة منه لترسية القواعد التي نبني عليها المستقبل .

ويعد هذا الكتاب القاعدة الأصلية لكتب الرفاعي التي انطلق منها . وفيه أوضح منهجه الذي يسير فيه للعمل بالتراث[3]. ويرى الحارثي أن الرفاعي "حشد في إصداره هذا مادة علمية قيمة تزاحمت فيها الأفكار العديدة التي جاءت في صورة مجملة غير مفصلة ، وهذا الاقتصاد في عرض مادة الكتاب والإيجاز الدقيق لتلك

---

(١) انظر المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٣) انظر : ص من هذ الكتاب .

المادة لم يؤثر على سلامة الأداء ووضـــوح الرؤية"[١].

ويعد الرفاعي من خلال هذا الإصدار من التوفيقيين الذين ينطلقون من التراث ويأخذون من الغرب ما يتناسب مع المعطيات الحضارية الإسلامية[٢].

٢ - خمسة أيام في ماليزيا

هذا هو الكتاب الثاني من الكتب الأدبية ، ويقع في اثنتين وثمانين صفحة ، وطبع ثلاث طبعات : الأولى في رجب عام ١٣٩٠ هـ ، والأخيرة في شعبان١٤٠٣هـ وهو ثالث كتاب يصدره الرفاعي . ويدخل الكتاب في أدب الرحلات حيث كتبه الرفاعي إثر عودته من رحلة إلى الشرق الأقصى دامت ثلاثين يوماً قضى منها خمسة أيام في ماليزيا . وكان في الأصل مقالات نشرها في جريدة البلاد[٣] ثم جمعها وأصدرها في هذا الكتيب .

وكان في صحبته في هذه الرحلة الأستاذ علي فدعق[٤] والتقيا هناك بمحمد سرور الصبان[٥]، وقد ذكر الدكتورمصطفى حسين[٦] أن أحمد قنديل[٧] كان في معيتهما ، والصواب أن الذي كان في معيتهما هو(المركاز) كتاب أحمد قنديل ، وما قول الرفاعي أنه يلتقي بأحمد قنديل ليلياً إلا من باب التلوين في الأسلوب ، وإلا فإن

---

(١) الدكتور محمد مريسي الحارثي (الرفاعي أديبا) كتاب النادي ٩٣ .- الطبعة الأولى .- (جدة : النادي الأدبي الثقافي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ، ص ٨٣ - ٨٤ بتصرف يسير .

(٢) انظر : المصدرنفسه ، ص ٧٤ .

(٣) انظر:جريدة البلاد، جدة ، العدد ٢٠٥٥ (١٢/٧/١٣٨٥هـ)، العدد ٢٠٧٤، (٦/٨/١٣٨٥هـ).

(٤) علي حسن فدعق (١٣٤٩ هـ -) شاعر وكاتب ، من أعماله : نفثات من أقلام شباب الحجاز (مشترك).أيام في الشرق الأقصى. (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١١٦) .

(٥) محمد سرور الصبان (١٣١٦ هـ - ١٣٩٢ هـ) ، أسس أول مكتبة للطبع والنشر في البلاد . أول أمين عام لرابطة العالم الإسلامي . له آثار منها : المعرض ، أدب الحجاز . (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٨٩) .

(٦) انظر : أدباء سعوديون ، ص ٢٥٦ .

(٧) أحمد بن صالح قنديل (١٣٢٩ - ١٣٩٩ هـ) شاعر مجيد ، وكاتب مقالة . ترأس تحرير صوت الحجاز عام ١٣٥٥ هـ كان يخلط بين الفصحى والعامية في خنفشياته . له عدد من الآثار منها : كما رأيتها ، الأصداء (شعر)، (انظر: الموجز في تاريخ الأدب السعودي ص ٩٣) .

الرفاعي قد نص على ذلك بعد مقولته السابقة بعدة أسطر حيث يقول :

"والعجيب أنني وزميلي الأستاذ السيد علي اقتسمنا الأستاذ (قنديل) بل لقد كان الفضل يعود للسيد علي الذي رأى أن يعطيني جزءاً من (المركاز) ويحتفظ هو بالجزء الآخر"(١).

ابتدأ الرفاعي هذا الكتاب بمقدمة ذكر فيها سبب هذه الرحلة المفاجئة التي قام بها . فقد كانت إجابة لدعوة تلقاها من حكومة ماليزيا قدمها سفيرها في المملكة ؛ وذلك لأن ماليزيا "مقبلة على أسبوع من الأفراح والليالي الملاح" (٢) وذكر أيضاً أيام الرحلة والطريق الذى تمت معه وزميل الرحلة . وتحدث عن حقيقة الكتاب الذي وصفه قائلاً : "إنها مجرد انطباعات شخصية لا تعدو أن تكون تذكاراً متواضعاً للأيام الجميلة التي أمضيتها في تلك البقاع الخضراء الناهضة .." (٣).

ولم ينشر الكتاب إلا بعد الرحلة بسنوات ، وكان من الممكن أن ينشر بعد الرحلة مباشرة ، إلا أن الرفاعي يرى أن الزمن لا يؤثر على أدب الرحلات الذي لا يأكله الزمن ، فنحن نرى "رحلة ابن بطوطة زادها الزمن رونقاً . وزادنا بها إعجاباً ، وتوقاً إلى استطلاع ما كان عليه العالم على أيامه" (٤).

ثم قسم الرفاعي الكتيب إلى أقسام بحسب الأيام ، فيذكر اليوم والأحداث التي تمت فيه . فاليوم الأول يوم السبت هو اليوم الذى وصلوا فيه وكان ذلك مساءً حيث تذكر (شعب علي) الذي يمتلىء بالجاويين في الحج وذلك حين وجد نفسه بين هؤلاء في بداية زيارته لها .

ولقلة الأحداث التي جرت في هذا اليوم كان أغلب حديثه إن لم يكن كله وصفاً للمدينة ، مناخها ، وأشجارها ، وأهلها بأخلاقهم ، وطباعهم .

---

(١) خمسة أيام في ماليزيا ، المكتبة الصغيرة ، ٣ .- الطبعة الثالثة .- (الرياض : دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م) ، ص ٣٨ .

(٢) المصدرالسابق ، ص ٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .

(٤)المصدر نفسه ، ص ٦ - ٧ .

أما اليوم الثاني فقد بدأ الحديث فيه بوصف النظام الهادىء الذي يصل في هدوئه حد الإزعاج ، والذي يذكّره بنظائره في ألمانيا وانجلترا ، ثم تحدث عن أحداث هذا اليوم الذي ابتدأه بزيارة مسجد نيقارا وقدم وصفاً سريعاً لبناء المسجد وتصميمه وأجزائه .

ثم تحدث عن الشاي اللازوردي الذي ذهبوا يلتمسونه في مكان قصي من المدينة فشربوا "مقلباً طريفاً" [1] حيث دخلوا مطعماً صينياً وطلبوا الشاي فجاء أسود وقد طلبوه أخضر ، وبعد لأيٍ ومشقة أتى الشاي شيئاً جديداً لا هو بالأخضر ولا بالأسود ولا بالصيني .

أما اليوم الثالث من أيام الرحلة وهو يوم الإثنين فقد قاموا فيه بزيارة جبل (بريزر) الذي قيل فيه إن على أي زائر لماليزيا أن يصعده لما فيه من جمال وخضرة ، وانطلقت إليه أكثر من سيارة من الفندق متوجهة إلى الجبل ، ثم أخذ بوصف الطريق المتعرج إلى الجبل الذي تحفه أشجار المطاط في سهله وأشجار الخيزران في جبله ، وبوصف الجبل الذي انفرشت قمته ببساط أخضر سندسي . وفي عصر ذلك اليوم ذهبوا إلى المطار لحضور حفل افتتاحه ، وفي مساء اليوم نفسه ذهبوا لحفلة رئيس وزراء الاتحاد الملايوي للوفود .

أما في اليوم الرابع يوم الثلاثاء فقد افتتحوا نشاطه بحضور حفل مدارس كوالالمبور في استاد الحرية . وقد كان حريصاً في حديثه عن هذا الحفل على ذكر الفتيات ، فلم يذكر الأطفال إلا وأشار أنهم بنون وبنات فقال: « كان الأطفال من الجنسين قد أخذوا زينتهم » ، وقال : عدا طلبة المدارس وطالباتها ، فقد كانوا وكنّ . . » وقال :«كان منظر صغار التلاميذ والتلميذات رائعاً» وقال : «كان الطلبة والطالبات يقدمون . . » «من صغار التلاميذ من الجنسين» ، وهذا النص على الفتيات أو الإشارة إلى الجنسين التي بلغت خمس مرات في صفحة واحدة يشي بأن الرفاعي يريد أن ينبه الناس في بلده أن هذا الأمر طبيعي ليس فيه ما يستنكر

---

(١) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

حيث إن الأطفال قد اختلطوا وليس في ذلك ما يعيب، فلماذا لا نخطو هذه الخطوة ؟ .

ثم تحدث الرفاعي عن زيارتهم لميناء «بينانج» الذي تناولوا فيه إحدى الوجبات، ووصف الميناء الجميل والطريق المؤدي إليه ، وذكر بعض الأحداث ، والأحاديث الجميلة ، والطريفة التي وقعت فيه ، كقصة صاحبهم الذي لا يحب البحر[1] ثم توجهوا إلى البرلمان حيث كانت فيه حفلتان الأولى استعراض عسكري لم يشاهدوه ، والأخرى حفلة نائب رئيس الوزراء وذلك في بناية البرلمان .

أما في اليوم الخامس يوم الأربعاء فقد كان ختام الأيام وكانت الأعمال فيه قليلة ، وقد تحدث الرفاعي فيه عن أمرين الأول : حلاق كوالالمبور الذي ذهب الرفاعي إليه ليحلق رأسه وذقنه . وقد قص الرفاعي قصته مع الحلاق بأسلوب طريف صوّر فيه الحلاقة بصورة معركة ، يقول : «وإلى هنا والأمور فيما يبدو كانت محتملة .. وربما التمست لها سراً بيني وبين نفسي ما يبررها . أما ما تم بعد ذلك ، فلم أجد له مبرراً بعد ... إلا أن يكون غرام تلك المناطق بالتدليك . باختصار لقد أخذ الحلاق المحترم (وهو لا يبعد في شكله العام عن كبار الملاكمين) يكيل لي ضربات متتاليات بما يملك من قوة . كان ينهال بها على كتفي وعلى ظهري .. فوجئت أول الأمر . ثم أدكرت أنه نوع من الكبوس . وحينما وقفت مترنحاً كان هناك من يوالي عملية اللكم الفني . إنه صبي الحلاق الذي يبدو أنه سيكون ملاكماً بارعاً ذات يوم ... »[2]. أما الأمر الآخر الذي تحدث عنه فزيارتهم للكلية الإسلامية ، وما قاموا به في هذه الزيارة من مرور ببعض الفصول الدراسية ، وحضور حفل التكريم الذي أعد لهم ، وفيه خطب علي فدعق ثم الخروج للغداء في فندق الضاحية . ثم ختم الرفاعي الكتيب ، بسجل الذكريات أودع فيه ، انطباعاته عن حفاوة الأوساط الرسمية ، والشعبية بالوفد السعودي ، وانطباعاته

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

عن سفير السعودية الذي احتفى بهم خير احتفاء .

ويظهر في هذه الرحلة قدرة الرفاعي على الوصف ؛ إذ كان أكثر حديثه وصفاً للأماكن أو الأحداث أو الأشخاص ، وقد كان وصفه جميلاً دقيقاً . وظهرت في هذا الكتيب قدرته على تنويع أسلوبه إذ جاء أسلوباً خفيفاً يميل إلى السخرية والدعابة في بعض الأحيان كما في حديثه عن الشاي اللازوردي ، أو عن صاحبهم الذي لا يحب البحر ، أو عن حلاق كوالا لمبور . كما يظهر عنده في هذا الكتيب استعمال الكلمات الأجنبية كقوله : (تريماكاسي) و(منيس وبقوس) و(أتيل) . وقد يكون هذا أثراً من آثار السفر الذي يحسن فيه التخفيف والترويح عن النفس ، والخروج عن الوقار الشديد ، فخروج الرفاعي عن أسلوبه المحافظ واستعمال بعض الألفاظ الأجنبية مما يدل على الدعابة في الأسلوب، والخفة في الروح .

ويرى مصطفى حسين " أن الرحلة لا تعدو أن تكون مجرد انطباعات شخصية ، وتصويراً لملامح خاطفة عن مظاهر الحياة والنهضة في ماليزيا . فهي نظرات عابرة هنا وهناك ، سجلها قلم عجل" [1].

٣ - من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين

يقع هذا الكتاب في إحدى وتسعين صفحة دون المصادر والمراجع والفهرس ، وموضوعه بادٍ من عنوانه . فهومعني برسالة عبد الحميد الكاتب الموجهة للكتاب دراسة وشرحاً .

وقد قدم للرسالة فضيلة الشيخ (ناصر بن حمد الراشد)[2] بكلمة أثنى فيها على البحث ومعده .

---

(١) أدباء سعوديون ، ص ٢٢٥ .

(٢) الشيخ ناصر بن حمد الراشد . عمل رئيساً لتعليم البنات مدة ، ثم تقاعد ، ويعمل الآن رئيساً لديوان المظالم في الرياض .

وطبعت الرسالة مرتين : الأولى عام ١٣٩٢هـ ، والثانية ١٣٩٣هـ .

أما سبب التأليف فقد أوضحه الرفاعي في التمهيد إذ يقول : " فكرة إخراج هذه الرسالة ، تعود إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ (ناصر بن حمد الراشد) الرئيس العام لتعليم البنات ، فقد اقترح علي فضيلته إخراجها ضمن سلسلة (المكتبة الصغيرة) لما ضمته من إشارات قيمة بالنسبة للموظفين ، عدا كونها قطعة بيانية جميلة لإمام من أئمة البلاغة ..." [١].

وكان الرفاعي حريصاً على ألا يكرر الجهد إذا كانت الرسالة قد طبعت من قبل فذكر أنه بحث قبل أن يبدأ العمل بها . فلما علم أنها قد طبعت من قبل بذل جهده حتى اطلع على ما كتب ، فإذا هو جهد يسير لا يمنع إعادة العمل بها .

وأوضح الرفاعي عمله في الرسالة بقوله : "رأيت أن أنشر الرسالة بما وسعني من تحقيق وشرح لغريبها ، وأن أترجم لعبد الحميد"[٢] الذي لم يجد من ترجم له من القدماء والمحدثين ، وتحدث عن جهود من سبقوه في العمل بهذه الرسالة .

وليس في الرسالة غريب كثير يحتاج إلى توضيح وشرح كالذي قام به الرفاعي ؛ فهناك كثير من الألفاظ الواضحة شرحها الرفاعي وملأ الهوامش بها من مثل (تزكية النفوس) ، (الكفؤ) ، (تولانا) ، (الألباب) ، (التبذير)، (يحاوره) (وحفظه)، وهذه الألفاظ تكاد تكون من فصيح العامي لانتشارها ، ومع هذا فقد وافقه الحارثي وتساءل عما " إذا كان هذا الغريب يعد أساساً من أسس الرسائل الأدبية يهدف من ورائه إلى تحقيق غايات تعليمية شأنهم في ذلك شأن كتاب المقامات" [٣]، مع أن الأمر لا يعدو أن يكون تضخيماً من الرفاعي .

وتحدث الرفاعي عن صلته بهذه الرسالة فهو موظف من فئة هؤلاء الكتاب الذين عناهم عبدالحميد ، ويعرف أدواءهم ، وما يلاقيه المراجعون من بعضهم ، ولذا فقد

---

(١) من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، المكتبة الصغيرة - ٢٩.- الطبعة الأولى.- (الرياض : شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧١م) ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٣) الرفاعي أديباً ، ص ٩٥ .

ازدادت حماسته لإخراج هذه الرسالة التي يظهر فيها الهدف الإصلاحي الذي تبناه الرفاعي منذ أول أعماله . وهي تحقق جانباً من التوعية يطمح إليه الرفاعي .

وقد أعطى الرسالة إيحاءً معاصراً يعيد لها قيمتها حين عطف (الموظفين) على (الكتاب) ، ويذكر الموظفين بأنهم المقصودون بهذه الرسالة " ويربط بين الصفتين القديمة والحديثة لما ينبغي أن يكون عليه موظفو الدولة من الأخذ بكل علم" [1].

وإن كان الأمر قد اختلف بعد أن اتسعت دوائر الأعمال الحكومية ، وأصبح عمل كثير منهم عملاً آلياً يقوم على تعبئة نماذج جاهزة ، أو قريباً من ذلك .

واهتمام الرفاعي بهذه الرسالة منصب على الجانب النفعي أكثر من الجانب الأدبي وهذا مانبه عليه الحارثي[2]. كما يظهر في هذه الرسالة ميول الرفاعي إلى تتبع رغبات المتلقي ؛ إذ نراه يشير إلى أن هذه الرسالة تفي بحاجة الكتاب والموظفين ، والمثقفين ، وشداة الأدب المعنيين بأدب التراجم[3].

وبعد التمهيد قسم الكتاب إلى بابين :

الأول : ترجم فيه لعبد الحميد الكاتب فتحدث عن نسبه ، ونشأته ، وعن روافد ثقافته التي تمثلت في حفظه القرآن الكريم ، واطلاعه على اللغة العربية ، وألفاظها ، وتتلمذه على سالم بن عبدالله مولى هشام- بن عبدالملك ، وإجادته للغة الفارسية ، مستشهداً على ذلك بقول أبي هلال العسكرى : أن عبدالحميد "استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي"[4] ولا يقبل الرفاعي قول أبي هلال في نقل أمثلة الكتابة ، بل يرى أنه "أرسله إرسالاً ، ولم يقم عليه دليلاً ، وكان في إمكانه أن يفعل ، لصلته بالثقافة الفارسية"[5]، ويرى أن الذين يلحقون

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٢) انظر :المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

(٣) انظر : من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، ص ١٤ .

(٤) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر .- الطبعة الثانية ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبوالفضل إبراهيم . (دار الفكر العربي ، د.ت) ، ص ٦٤ .

(٥) من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، ص ٢٩ .

طريقة عبدالحميد في رسائله ، أو أسلوبه الأدبي إلى غيره كأنما يريدون أن يجردوه من قدرته على الابتكار .

أما الحارثي فيرى أن "الريادة لا تعني الأسبقية زماناً ، ولا تعني الأولية ممارسة للكتابة ، كما لا يعني أن الثقافة الفارسية البحتة أو العربية هي التي أهلته لممارسة هواياته الكتابية ، إنها مجموعة من العوامل والأسباب ساعدت عبدالحميد أن يؤسس قواعد كتابية لم تكن مألوفة في طرائق الكتاب ..."[1] فالمسألة في نظره ريادة وليست أولية . ويظهر أن هناك من يرغب في جعل كل حادث عند العرب المسلمين في لغتهم وثقافتهم إنما هو منقول عن غيرهم من الفرس ، واليونان، والهنود ، والروم .

ثم تحدث عن علاقته بمروان بن محمد الذي ارتبطت الوشائج به منذ أن كان مروان والياً على أرمينية إلى أن قتلا معاً في مصر ، وعن صداقته من ابن المقفع المبنية على الود والتقدير . ثم تحدث عن عقبه ، وآثاره الشعرية والنثرية ، وعن مدرسته الأدبية مفيضاً الحديث في هذا الجانب بذكر أقوال النقاد القدماء والمحدثين عنه وعن أثره في الكتابة الفنية في النثر العربي .

أما الباب الثاني فأورد الرسالة في أوله ، ثم حللها وتحدث عن موضوعها وأهميته ، وأثرها في الدراسات التي جاءت بعدها حيث أخرجت منها عدة كتب (كأدب الكاتب) و(نهاية الأرب في فنون الأدب) و(صبح الأعشى في صناعة الإنشاء) ؛ بل إن هذا الكتاب الأخير ليعود أصله إلى تلك الرسالة .

وتحدث عن أسلوب عبدالحميد بعامة وأسلوبه بهذه الرسالة خاصة ، وعن الأفكار التي ناقشها عبدالحميد وعرضها بأسلوب ميسر . ثم قسم الرسالة في مواد بلغت خمساً وسبعين مادة ، وأضاف إلى كل مادة توضيحاً لها ، تسهيلاً للقارىء العادي الذي قد لا يستطيع استيعاب كل ما اشتملت عليه ؛ ولذا فهي تلائم مستويات القراء المتباينة الذين سيطلعون على هذه الرسالة ومنهم موظفون مختلفو المراتب .

---

(١) الرفاعي أديباً ، ص ٩٧ .

والأقسام هي :

١ - الصفات التي ينبغي أن تتوافر في الكاتب (١ - ١٤) .

٢ - ثقافة الكاتب (١٥ - ٢٣) .

٣ - ما ينبغي أن يكون عليه الكتاب (٢٤ - ٣٠) .

٤ - واجب الكتاب حيال زملائهم ورؤسائهم. (٣١ - ٣٨).

٥ - تعليمات عامة للكتاب (٣٩ - ٥٤) .

٦ - معاملة الرؤساء (٥٥ - ٥٩) .

٧ - توصيات مسلكية ومعاشية (٦٠ - ٧٥) .

وقد اقتصرت دراسة الرفاعي لأسلوب عبدالحميد على بعض اللمحات ؛ إذ أشار إلى ابتداعه طريقة الترسل ، واستعمال التحميدات ، ونقل بعض النقولات عن المسعودي ، ومحمد كرد علي عن أسلوب عبدالحميد بعامة . واكتفى في حديثه عن أسلوبه في الرسالة بالقول : بأنه لم يعن بالتحميدات ، ولم يفك فيها الشعر ، وكانت الجمل فيها قصيرة متتابعة . وهذه الإشارات لا تكفي لدراسة أدب رائد من الرواد ، ولدراسة رسالة لها هذه الشهرة ، لم تقُم حولها دراسات من قبل كما ذكر الرفاعي ، وهي تؤكد عنايته الخاصة بالدراسات النثرية كما سيمر فيما بعد .

وليست هذه الرسالة أولى اهتمامات الرفاعي بالموظفين فقد سبقتها مسرحية (بالمفتشري أحسن)[1] التي كانت تسعى لعلاج داء الغيبة وإصلاح أحوال المدرسين الوظيفية ، وسبقها أيضاً مقال بعنوان (مضايقات موظف)[2] أشار فيه إلى الهموم التي يحملها الموظف ، فمظهره أنيق بالبشت الجميل والحذاء الرائع اللذين لم يسدد ثمنهما بعد . وهذه العناية من الرفاعي تظهر الهم الإصلاحي الذي تحمله في أدبه .

---

(١) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، رحلتي مع التأليف ، من دفاتري ، ٣ .- الطبعة الأولى - (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٧ .

(٢) انظر : مخطوط بيده أرخ في عام ١٣٦٩ هـ في دار الرفاعي .

٤ - الحج في الأدب العربي

يقع كتاب « الحج في الأدب العربي » في سبع وستين صفحة من القطع الصغير ، وهو سابع كتاب يصدره الرفاعي ، وقد طبع طبعتين : الأولى في عام ١٣٩٥ هـ ، والثانية في عام ١٤٠٦ هـ

"وأصل هذا الكتاب محاضرة أُلقيت في مؤتمر الأدباء السعوديين الذي انعقد بمكة المكرمة بدعوة من جامعة الملك عبدالعزيز في أوائل شهر ربيع الأول عام ١٣٩٤هـ"[١]، ثم أضاف إليها إضافات يسيرة قبل طبعها .

ابتدأ الكتاب بمقدمة أوضح فيها سبب كتابة الكتاب ، وأصله ثم انتقل إلى صلب الكتاب ، فأوضح فيه معنى الحج اللغوي ومشتقاته ، ثم تحدث عن (الحج في القرآن) مكتفياً بإيراد الآيات القرآنية التي ذُكر فيها الحج صراحة وهي اثنتا عشرة آية .

ثم تحدث عن أثر الحج في اللغة العربية ، ورأى أن نشوء اللغة العدنانية مرتبط بتاريخ الحج ، وأن هذه اللغة أخذت تتطور مع الزمن ، حتى استقرت على لهجة قريش ؛ فاللغة العربية مدينة لذلك الاستقرار الحضاري، وهذا الاستقرار ثمرة من ثمار الحج .

والحج سبب قيام الأسواق العربية التي كانت القبائل تلتقي بها بلهجاتها ، وشعرائها ، ومفاخرها ؛ لأنها قامت على الطريق المؤدية للحج . وقد عملت هذه الأسواق " في بطء ، وأناة ، وخفاء على تجميع العرب ، وتقريب مجتمعاتهم ، ولهجاتهم ، وتوشيج أواصرهم"[٢].

ويرى الرفاعي أن العرب الذين يلتقون في الأسواق لا يذهبون حتى يربطوا إبداعهم الفني بالمحور الزمني ، فينتقون قصائدهم الجياد ، ويعلقونها بجوف الكعبة رمز الحج ، ويستوي بهذا التعليق الأدب الشعري كالمعلقات والأدب النثري ،

---

(١) الحج في الأدب العربي ، المكتبة الصغيرة ، ١٦ .- الطبعة الثانية - (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦ .

مستشهداً على الأخير بصحيفة مقاطعة قريش لبني هاشم[1].

ويذكر أن "للحج وما يتصل به من مشاعر ، ومعان ،مكانة رفيعة في شعر قريش"[2].

وفي حديث الرفاعي هذا كثير من التعميم والمبالغة ، وتعليله تعليق الشعر في الكعبة تعليل فني جميل لكنه لا يمكن أن يتخذ دليلاً على صدق الواقعة . ومثله حديثه عن تعليق النثر ؛ إذ من المعلوم أنه ليس للعرب أدب نثري سوى الخطب ، والأمثال ولم يذكر أحد من العلماء أن هناك خطباً قد عُلقت على الكعبة . ثم إن سعيه لاستخدام تعليق المعاهدة دليلاً على تعليق النثر ليس بسديد ، فالمعاهدات ليست أدباً . وسبب تعليقها كما قال ليس الإعجاب بما فيها من صياغة ؛ ولذا لا يمكن أن تؤخذ هذه الحالة وتعمم على الأدب النثري .

ومثل هذه حديثه عن شعر قريش ، وما فيه من معان ، ومواطن ؛ إذ من المتفق عليه أن ليس لقريش في الجاهلية شعر يذكر . وكل ما يذكر لها البيت والبيتان حتى جاء عمر بن أبي ربيعة الذي رفع لواء الشعر في قريش[3].

على أن حديثه هذا عن الشعر ، وقيمته استطراد خرج إليه الرفاعي وأورده في حديثه عن الحج وأثره في اللغة وموضعه الطبيعي في أثر الحج في الأدب .

ثم انتقل إلى الحديث عن أثر الحج في الشعر فجعله ثلاثة أقسام ، الأول: الحج في الشعر الجاهلي ، وقصر الأثر فيه على حرص الشعراء على حضور منتدى عكاظ وعلى عرض القبائل أشعارها على قريش ، " فما قبلوه منها كان مقبولاً وماردوه كان مردوداً "[4] ، واستشهد على ذلك بما روي عن علقمة بن عبدة أنّه عرض على قريش قصيدتيه المشهورتين "هل ما علمت وما استودعت

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٣) انظر : أبو الفرج الأصفهاني . الأغاني .- الطبعة الأولى ؛ شرحه وكتب هوامشه عبد أ. علي مهنا وسمير جابر ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٤) الحج في الأدب العربي ، ص ٢٤ .

مكتوم"[1] و"طحا بك قلب في الحسان طروب"[2]. كما قصره أيضاً على ذكر أماكن الحج في شعر الجاهليين .

القسم الثاني : أثر الحج في الشعر بعد الجاهلية ، ويظهر هذا الأثر في رأي الرفاعي في شعر الغزليين كعمر بن أبي ربيعة والعرجي اللذين كانا يصفان الحج "والوافدات إليه ممن امتزن بالجمال والرفاه"[3].

كما يظهر في وصف رحلة الحج ومشاهده و" النداءات التي تنبعث في منى أو عرفات عن أحدهم أو إحداهن"[4]. وفي الحنين إلى مناطق الحج ممن حج ورجع إلى أهله ، أو إلى الأهل والأصحاب من الحجاج . وفي بعض شعر التوبة والتلبية التى ينظمها الشعراء في حجهم . وقد استشهد الرفاعي بشواهد على هذه المظاهر .

أما القسم الثالث: فهو أثر الحج في شعر العصر الحديث . وقد جعل ذلك يتضح في أشعار شوقي في الحج ، وبالحوليات التي تلقى عند الملك عبدالعزيز والتى ينشدها شعراء مختلفون من هذا البلد ومن غيره .

ثم ينتقل الرفاعي إلى أثر الحج في النثر فيرى أن أثره يظهر في الخطابة في الجاهلية وصدر الإسلام ، وفي الأمثال التي ظهر فيها أثر الحج ، وأدب الرحلات التي انطلق بعض أصحابها قاصداً الحج كابن بطوطة ، وابن جبير ، وفي الأدب الجغرافي الذي كتب بعضه مستشرقون ، وفي الأدب الحديث حين " كسب أدب الحج ، مجموعة من الكتب الجيدة لبعض مشاهير الكتاب والأدباء كالأستاذ (محمد حسين هيكل) صاحب (في منزل الوحي)"[5]. ويدخل في أثر الحج عند الرفاعي

---

(1) وتمامه : أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم ، (انظر : المفضل الضبي ، المفضليات ، ديوان العرب مجموعات من عيون الشعر ، ١ .- الطبعة السابعة ؛ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، (مصر : دار المعارف ، د.ت ،ص ٣٩١) .

(2) وتمامه : بعيد الشباب عصر حان مشيب ، (انظر المصدر نفسه ، ص ٣٩٧) .

(3) الحج في الأدب العربي ، ص ٣٥ .

(4) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(5) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

المؤلفات التي كتبت عن تاريخ الأماكن المقدسة أو تاريخ علمائها ، وما أذاعته "الإذاعات والتلفزة مما يتصل بشئون الحج من الأحاديث والقصص والتمثيليات"[1].

ثم تحدث عن أثر الحج في حفظ التراث وذلك بنسخ العلماء الحجاج من مكة المكرمة ما يطيب لهم من نفائس ، ويذهبون بها إلى بلادهم في المشرق أو المغرب ؛ فإذا ضاعت الأصول وجدت النسخ المنتشرة في الأرض، وفي هذا أثر من آثار الحج في حفظ التراث .

وهذا الكتيب للرفاعي وإن كان فيه بعض الإحالات والتخريجات فهو يعتمد على الأسلوب الإنشائي في إعداد المادة العلمية ، وفي عرضها . ولا أدل على ذلك من حديثه عن أثر الحج في اللغة ؛ إذ جاء حديثاً إنشائياً حاكه في ذهنه بعيداً عن الحقائق العلمية ، معتمداً على المبالغة ، وعلى خياله في تركيب الأحداث ، كما مر في حديثه عن الأدب النثري ، وفي شعر قريش .

فحين تحدث عن أثر الحج في اللغة قصره على قيام الأسواق في الجاهلية ، وعلى قيام التجمع الحضاري في مكة المكرمة . وهذا القول وإن كان صحيحاً فهو أمر يسير واضح لا يدل على طول بحث ، ثم إن هذه الأمور وإن كانت من آثار الحج في اللغة فإنها ليست آثاراً مباشرة يقضى بأنها من آثاره في اللغة . فهي من العوامل التي أثرت في اللغة ، أما الآثار فهي ما نتج عن هذه الأسباب كالظواهر اللغوية التي استفادتها اللهجة القرشية من القبائل الأخرى ، والتي كانت خطوات في تطور اللهجة القرشية ، وشمولها الجزيرة كلها . ومثل هذه الحقائق العلمية لم يوردها الرفاعي ولم يتعرض لها ، وإنما اكتفى بذكر القضايا إجمالاً .

ومعالجة الرفاعي للموضوع معالجة سطحية اكتفت بعرض الموضوع والوقوف على بعض الجوانب الظاهرة . فحين تحدث عن أثر الحج في الشعر قصره على ظهور أماكن الحج فيه ، أو أوصاف الحجاج ، والحنين للحج أوحوليات الحج . وهذا كله واضح . أين الأثر الثقافي في تشكيل عقول الحجاج حين يلتقون بمكة ؟ وأين تأثر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .

شعراء المغرب بشعراء المشرق في أشعارهم ، وصورهم ؟ ألا يمكن أن يدرس التأثير من هذا الجانب كما يدرس تأثير العلماء وتأثرهم بالمجاورة في الحج ؟ لقد كان هذا ممكناً ، ولكن الرفاعي تعرض للجانب السطحي واكتفى بالإنشاء وإصدار الأحكام العامة ، وذكر الآراء مبتسرة دون ذكر النقاش الطويل الذي دار حول هذه الآراء .

٥ - رحلتي مع المكتبات

يقع نص الكتاب في (٥٤)صفحة من القطع الصغير ، وقد ألحقت به رسالتان شغلتا الصفحات من ٥٥ إلى ٨٣ . الأولى رسالة من صالح بن محمد جمال عن تاريخ مكتبة الثقافة بمكة المكرمة . والثانية رسالة من عبدالغني فدا[١] احتوت على تعليقات عامة على ماكتبه الرفاعي في ذلك.

طبع الكتاب طبعة واحدة في عام ١٤١٣هـ .وكان في الأصل مقالات نشرت في جريدة الجزيرة[٢] ثم ضمها بين دفتي كتاب بعد الحذف والإضافة .

بدأ الرفاعي كتابه بـ(كليمة) حاول أن يسوغ لنفسه إخراج ذكرياته في كتاب ، ثم انتقل منها إلى (مدخل) تحدث فيه عن أصل الكتاب وسبب البداية في نشره . فذكر أن قصة الكتاب تبدأ من مقال قرأه في جريدة الحياة عن (مكتبة المثنى) فعلق عليه ، ثم استطرد إلى علاقته بالمكتبات المكية[٣]. ثم تحدث أيضاً ، عن مصدره في هذا الكتاب وهو الذاكرة وما ذكره من بعض أصدقائه . وقد نشرت مادة الكتاب بعد أن نشرت في صحيفة الجزيرة في حالة أكثر تلخيصاً ، وأكثر ترتيباً في مجلة (عالم الكتب)[٤] .

قسم الرفاعي كتابه إلى قسمين :

الأول : تحدث فيه عن المكتبات التجارية ، وأماكنها ، ما كان منها في باب

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر .

(٢) انظر : جريدة الجزيرة ، الأعداد ٦١٩٢ ، (١٤١٠/٢/١١ هـ) ، ٦٢٢٧ ، (١٤١٠/٣/١٧هـ)، ٦٢٦٢، (١٤١٠/٤/٢٢ هـ) .

(٣) انظر : رحلتي مع المكتبات ، ص ٧ .

(٤) انظر : مجلة عالم الكتب، مج ١١ ، العدد ٤ ، (شوال ١٤١٠ هـ) .

السلام وهي أغلبها ، أو من البرحة المقابلة ، أو في القشاشية وباب الزيارة . وتحدث فيه عن أخلاق البائعين وطرائقهم في البيع ، وعن بداية استيراد الكتب الحديثة التي تستورد على حذر ، ثم استوردها على نطاق واسع أصحاب مكتبة الثقافة .

وذكر أيضاً الأسواق الأخرى كالحراج الذي تباع فيه الكتب القديمة ، أو السماسرة الذين يشترون التركات ، أو يقومون بالسمسرة عليها . ومع أن الرفاعي قد خصص هذا القسم للحديث عن المكتبات فقد ذكر بعض مواقفه مع أصحاب المحلات وشيئاً من رحلته مع المكتبات في هذا الجزء .

أما القسم الثاني : فقد خصصه للحديث عن رحلته مع المكتبات التي ابتدأت من مكتبة (عبدالعزيز مرزا)[١] حيث كان يشتري (فروخ) الورق المسطر ، وقد تعرف من خلال تردده على هذه المكتبة على (علي البوصي)[٢] الذى اشترى منه بعض الملازم الشعبية من قصص ألف ليلة وليلة .

ثم تحدث عن المكتبات التي اشترى منها الكتب كمكتبة (عبد الصمد فدا)[٣] الذى اقتنى منه بعض الكتب التراثية (كمغني اللبيب) ومكتبة (أحمد الباز)[٤] الذي اشترى منه أكثر من غيره من مكتبات باب السلام ، ومكتبة الثقافة التي اقتنى منها أكثر الكتب العصرية .

وقد عرض الرفاعي في حديثه لأخلاق البائعين كما سلف ، فتحدث عن (أحمد الباز) الذي تتسم معاملته بالنزاهة والاستقامة ، و(عبدالصمد فدا) الذي يكرم وفادته ، و(قاسم الميمني)[٥] الذي تتسم معاملته بالصرامة والجفاف ، والتغالي في الأسعار .

---

(١) أحد أصحاب المكتبات في مكة . وهو مؤسس مكتبة مرزا المعروفة .

(٢) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) أحد بائعي الكتب في دار السلام . طالب للعلم . وحافظ للقرآن بقراءاته .

(٤) أحد بائعي الكتب في دار السلام . ورث هذه المهنة عن آبائه الذين اشتغلوا بالكتب .

(٥) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

وقد اعتمد الكتاب على الأسلوب الإنشائي الجميل . ولا غرو في ذلك، فهو مقالات صحفية ضمت في كتاب تكثر فيه الاستطرادات والخروج عن صلب الموضوع . ولا أدل على ذلك من اختلاط القسمين ، ففي الأول الذي خصصه للحديث عن المكتبات وأصحابها تحدث فيه عن شيء من رحلته معها ، وفي الثاني الذي خصص للحديث عن رحلته الخاصة تحدث فيه عن أخلاق البائعين ، وعن أماكن المكتبات . والاستطراد سمة واضحة في الكتاب كاستطراده الحديث عن أصحاب المكتبات وإلى الأسر التي تنسب إلى الكتب[1].

ولا يخلو الكتاب من المبالغات كقوله : " وليس عندي شك أن المكتبات كانت أو بعضها على الأدق مراكز تجمع للمثقفين والأدباء والعلماء وربما تحولت إلى أندية تطرح فيها قضايا الفكر والأدب ، ومسائل العلم "[2].

وواقع الكتاب لا يختلف عن مقالاته التي تعتمد الاستطراد، والذكريات العامة .

٦ - رحلتي مع التأليف

يقع الكتاب في خمسين صفحة من القطع الصغير ، ولم يطبع سوى طبعة واحدة أصدرتها دار الرفاعي (للنشر والطباعة والتوزيع) في عام ١٤١٣هـ . وكان أصل هذا الكتاب مقالاً في مجلة (عالم الكتب) التي تصدر بالرياض ، كتب بطلب من رئيس تحريرها ، وبعض أصدقاء الرفاعي[3] ، ثم نظر الرفاعي فيه بعد نشره في المجلة مضيفاً أو حاذفاً ، وأصدره في كتاب . وتستمر أغلب مادة هذا الكتاب متناثرة في ثنايا هذا الفصل .

ابتدأ الرفاعي كتابه هذا بمقدمة ذكر فيها سبب وضع الكتاب ، ثم انتقل إلى الحديث عن محاولاته الأولى في التأليف التي تعد منها محاكاته لأبي نواس في حكمته ومحاكاته لشوقي في مسرحياته حيث حاول أن يكتب مسرحية عن الزباء

---

(١) انظر : رحلتي مع المكتبات ، ص ٣٥ .

(٢) المصدرنفسه ، ص ٢١ .

(٣) رحلتي مع التأليف ، ص ٤ .

ووزيرها قصير ، ثم عن محاولاته الأولى في كتابة القصة قبيل تخرجه في المعهد ، ثم عرض بعد ذلك لأعماله في التأليف يوم أن كان مدرساً في المدرسة العزيزية .

انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن تأليفه المدرسي فذكر مشاركته الشيخ عمر عبدالجبار[1] في مراجعة سلسلة المطالعة التي ألفها ، ثم تحدث عن محاولته المسرحية التي ظهرت باسم (بالمفتشري أحسن) ، وتحدث عما قام به مع أحمد محمد جمال في مراجعته كتاب (إعلام العلماء الأعلام).

ثم عدد بعد ذلك السلاسل التي أصدرها وتحدث عن الدوافع لإصدار كل سلسلة مؤخراً سلسلة (شعراء مغمورون) إلى آخر الكتاب . ثم ختم موضوعات الكتاب بالحديث عن المحاضرات التى لم تظهر في كتب .

والكتاب في جملته نوع من السيرة الذاتية التي تسجل اتجاها خاصًا من حياته وهو التأليف والكتابة . ويظهر في هذا الكتاب التزام المؤلف بموضوع واحد ، وبعده عن الاستطراد .

ثانياً : الكتب التاريخية والعلمية :

يدخل أغلب كتب الرفاعي تحت هذا القسم، فهي اثنا عشر كتاباً . التزم في أغلبها المنهج العلمي في البحث ، والدراسة . ثمانية منها في التاريخ الأدبي، وثلاثة في التاريخ العام، وواحد منها يضم عدداً من البحوث المتنوعة .

وقد جعل الحارثي سبعة من كتب التاريخ الأدبي كتباً أدبية ؛ لأن الرفاعي في رأيه قصد في تأليفها إلى الأدب أما التاريخ فجاء إضاءات تتطلبها الدراسة الأدبية[2].

---

(1) عمر عبدالجبار (١٣٣٠ - ١٣٩١ هـ) من مواليد مكة المكرمة ، ومن خريجي الكلية العسكرية في عهد الشريف حسين ، كان رائداً في التأليف المدرسي . له عدد من الآثار منها : مجمل تاريخ الجزيرة العربية ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٩٧) .

(2) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ٥٩ - ٦٠ .

وواقع الكتب يثبت أن الرفاعي اتجه نحو الدراسة التاريخية ، وعني بها عناية تامة جاعلاً الدراسة الأدبية مرحلة تالية ؛ وإذن فالهدف الأدبي أتى تبعاً للهدف التاريخي ، وهذا ما أشار إليه الرفاعي في مقال له بعنوان (كتاب زيد الخير ترجمة حياة لا دراسة)[1].

ويرى الحارثي أيضاً أن اهتمام الرفاعي كان متجهاً إلى البعد الخارجي في دراساته على حساب البعد الداخلي ، ولو أنه اتخذ البعد الخارجي مدخلاً إلى الداخلي لكان أولى[2].

١ - جبل طارق والعرب

يقع هذا الكتاب في أربعين صفحة من القطع الصغير . وقد طبع خمس طبعات : الأولى عام ١٣٨٩ هـ والأخيرة عام١٤٠٤ هـ ، وهو ثاني كتب الرفاعي زمناً ؛ فقد أخرجه في العام نفسه الذي أخرج فيه كتابه الأول (توثيق الارتباط بالتراث) .

على أن هذا الكتاب يخرج عن المنهج الذي اختطه الرفاعي لنفسه[3]. وهو جزء من بحث كبير عني به لم يظهر منه سوى هذا الكتيب[4] "يتناول المناطق التي اتخذ منها الفتح الإسلامي نقط دفاع أو انطلاق إلى العالم الواسع .."[5].

وأما سبب عناية الرفاعي بهذا الموضوع فهو ما لم يوضحه . وقد يكون لعمله الوظيفي تأثير عليه في هذا الاتجاه ؛ إذ البحث في المواقع التي انطلق منها المسلمون ، واستراتيجيتها ، وجغرافيتها ، والكشف عن ميزاتها يعد تأصيلاً لعلم السياسة ، وبحثاً لتاريخها عند العرب ، وهذا من مهمات السياسي المعاصر، ولو

---

(١) انظر : المجلة العربية ، العدد ٦٣ ، (ربيع الآخر ١٤٠٣هـ) .

(٢) انظر : الدكتور محمد الحارثي ، المصدر نفسه .

(٣) سيرد الحديث مفصلاً عن منهجه ص ١١١ .

(٤) أشار الرفاعي إلى هذا المعنى في كتاب : رحلتي مع التأليف ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٥) جبل طارق والعرب ، المكتبة الصغيرة ، ٢ .- الطبعة الثالثة .-(الرياض : مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، ص ٣ .

لم يقصد الرفاعي في مثل هذا إلا أنه من الموضوعات التي تهم المسلم أياً كان ، وأن يذكر بتلك البلاد التي فقدت ثم تبعتها فلسطين ، لو لم يكن إلا هذا لكفى .

ابتدأ الرفاعي كتابه بمقدمة قصيرة ذكر فيها تعريفاً موجزاً للمكتبة الصغيرة ، وسبب تأليف الكتاب . ثم تحدث عن قصة الاسم الذي يحمله الجبل في الوقت الحاضر (جبل طارق) وذكر أسماء أخرى أطلقت عليه في القديم والحديث (كجبل الفتح) الذي أطلقه عليه الخليفة الموحدي و(كالبي) الاسم القديم الذي كان يطلق عليه قبل الفتح ، وعلاقته بمظهره الخارجي لكونه يشبه الكلب . كما ذكر اسماً آخر هو (معبرة هرقل ، أو هركول) ثم عرف (بطارق) الذي ينسب إليه الجبل ، وتحدث عن الاستيلاء عليه ، وقصة الفتح التي قام بها طارق بن زياد مولى موسى ابن نصير ، وأشار إلى خطبته في الجيش ويرى الحارثي[1] أن الرفاعي لا يميل إلى تصديق الخطبة مع أن هذا لا يظهر من كلامه ، وقد أوضح الرفاعي في مقال نشر في صحيفة الرياض عن القصة أنه يؤمن بأصل القصة ولكنه لا ينفي الزيادة فيها[2].

ثم ذكر أن جبل طارق قريب من البر الأفريقي قرباً يوحي بما يقوله بعض المؤرخين[3] من أن أوربا كانت مرتبطة بأفريقيا ارتباطاً أرضيًا ، وأن الذي حفرها هو (الإسكندر) ، كما شق المصريون قناة السويس ثم أفاض بالنقول عن قصة الحفر، وما غايرها من روايات ، استغرقت من صفحة (٢٠ - ٢٨) .

ثم تحدث عن جغرافية الجبل ، وتاريخه ، وأطواله ، وسكانه ، وتاريخ المسلمين فيه . وأفرد عهد الموحدين، وما قاموا به من إصلاح وتطوير بحديث خاص اشتمل على نقولات طويلة عن (ابن صاحب الصلاة في كتابه (تاريخ المن بالإمامة) .

---

(١) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ٤٩ .

(٢) انظر : " والبحر خلفكم " ، جريدة الرياض ، العدد ١٩٣٨ ، (١٣٩١/٨/١٢ هـ) .

(٣) انظر : أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي . تحفة الدهر في عجائب البر والبحر ، السلسلة الجغرافية ، ٧ - الطبعة الأولى .- (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) ، ص ١٨٣ وما بعدها .

ثم ختم الكتيب بالحديث عن بعض الآثار التي بقيت هناك كالقلعة الحصينة التي تقوم فوق ربوة عالية ، والآثار التي في متحف جبل طارق ، وهي آثار لا تعطي فكرة واضحة عن الحضارة العربية خلال فترة حكم العرب للجبل[1] .

وقد قام الرفاعي بزيارة ميدانية للجبل . أودع في الكتاب بعض مشاهداته في طبعته الثانية . والكتاب يمثل مرحلة ضعيفة من مراحل التأليف عند الرفاعي فهو كتاب علمي اعتمد فيه على المصادر والمراجع ، وعلى الحقائق العلمية . وقد جاء ت معالجته للموضوع قلقة لا تبحث في دقائق الموضوع ، كما طغى على الكتاب النقل كنقله من الكتب التاريخية عن أصل المضيق أو في أسمائه ، أو عن بعض ما قامت به دولة الموحدين .

٢ - كعب بن مالك الصحابي الأديب

صدر هذا الكتاب في عام ١٣٩١هـ وهو رابع كتاب يصدره الرفاعي . ويقع في مئة وسبع عشرة صفحة من القطع الصغير .

يتميز هذا الكتاب عن الكتب الثلاثة التي سبقته في الإصدار بأنه أول كتاب يقصد تأليفه ؛ فالكتب التي قبله كانت إما محاضرة أو مقالات أو مقالاً . أما هذا الكتاب فقد صدر أول ما صدر كتاباً فلم ينشر مقالات كما هو الحال في غيره من الكتب .

ويعود سبب تأليف هذا الكتاب إلى حديث (الثلاثة الذين خُلِّفُوا)[2] الذي لفت انتباهه في بلاغته وأسلوبه ، فلما لم يجد من عني به عقد العزم على أن يفرغ له فيبحث عن حياة كعب ويلقي بعض الأضواء على نثره .

وقد ابتدأ الرفاعي الكتاب بمقدمة أوضح فيها سبب تأليف الكتاب وما حدث له

---

(١) انظر : جبل طارق والعرب ، ص ٤٠ .

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٢٨ جزءاً ، د. ط ؛ راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرءوف وآخرون ، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٨٧م) ، ج ١٦ ، ص ٢٤٠ ، كتاب المغازي باب غزوة تبوك .

من تردد في الإقدام على تأليفه بعد أن اطلع على دراسة أحد الباحثين ، إلا أنه مضى في عزمه لأنه اتجه إليه " أديباً يجيد صوغ العبارة، ويحسن سرد القصة ... قبل أن يفكر في أمره باعتباره شاعراً جهيراً "[1]، بالإضافة إلى أنه مثل من الأمثلة العالية لبطولة السيف والقلم جنده الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة الإيمان والكفر .

كذلك رغبة الرفاعي في أن يرى "في المكتبة العربية معجماً ، مفصلاً دقيقاً ، شاملاً ، كاملاً لاصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم جميعاً"[2] وهذا الكتاب لبنة في هذا العمل .

بعد المقدمة انتقل إلى التعريف بنسب كعب مثل عشيرته ، وأسرته ، أبيه، وأمه ، وزوجته ، وأولاده ، ثم انتقل الى سيرته رضي الله عنه ، فذكر أنه فتى متعلم ، وأنه ذو يسار وأنه ممن شهد بيعة العقبة الثانية .ثم ذكر قصته في غزوة تبوك ، وقصة هجره ، ومقاطعته ، وقصته مع الرسول الذي جاء برسالة الملك الغساني يدعو فيها كعباً إليه .

وقد سمى الرفاعي المقاطعة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم مقاطعة أدبية ، ولا أدري ما المقصود بالأدبية ؟ أهي مقاطعة في الأدب فقط ؟ أم أنها تتسم بالأدب والرفق ؟ ولعل الرفاعي عنى أنهامقاطعة تأديبية لأن كعب بن مالك كان مسلماً وحسن إسلامه ، وهو ممن دافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ولو سلم من هذه التسمية لكان أولى ، فهي تسمية حديثة لا تنطبق على ذلك العصر .

ثم ذكر بقية قصة كعب بعد أن نزلت الآيات ، وختم هذا الفصل بالحديث عن بعض صفاته كشجاعته ، ووفائه وذكر نماذج لهما .

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن شخصية كعب الأدبية شاعراً ، وناثراً .

---

(١) كعب بن مالك الصحابي الأديب .- الطبعة الثالثة .- (الرياض : مطبعة المدينة ، ١٣٩٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ٨ .

(٢) المصدرنفسه ، ص ١٢ .

فذكر أنه اشتهر بالشعر قبل الإسلام ، وأنه من أوائل الذين اشتركوا في النقائض مع المشركين ، وأنه لم يجد من يعنى به في النثر ، وأشار إلى بعض سمات الفن النثري عنده ، "كالتصوير الشاعري ، واللماحية المتوقدة، والالتفاتة الذكية"[1].

ثم تحدث عن شاعرية كعب التي اشتهرت في بعض مصادر الأدب القديمة وعن منزلته عند النقاد الأقدمين ، وعن بعض ميزات شعره كحضور البديهة الشعرية ، وعن مواقفه الشعرية التي تتمثل في الرد على شتائم شعراء قريش ، وفي الدفاع عن الإسلام ، ودحض مزاعم خصومه ، وامتداح الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثم عرض لحث الرسول صلى الله عليه وسلم لشعراء الأنصار بما فيهم كعب ابن مالك ، كما عرض للمثالب التي عيّر بها كعب قريشاً .

وفي حديثه عن أغراض شعر كعب ذكر الرثاء ، فقد رثى حمزة ، وعثمان رضي الله عنهما ، والفخر الذي يختلط بالنقائض ، والهجاء الذي تغلب عليه العفة ، والوصف ، وقد كان وصّافاً جيداً ، والشعر التاريخي الذي تسجل فيه الأحداث ، والشعر العاطفي الذي يقول فيه الرفاعي : " أكبر الظن أنه لم يبق منه شيء إلا أبيات تتسم بجمالها ، وحسن موقعها"[2]، وذلك لانشغال كعب منذ إسلامه بالمنافحة عن الدين .

أما الفصل الثالث فتحدث فيه عن نقائضه مع ضرار بن الخطاب الفهري ، ومع عمرو بن العاص . وقد عقب الرفاعي على نصوص كعب بنقدات تدل على الذائقة الجيدة وإن كانت تنم عن نقد انطباعي كقوله بعد أن أورد ناقضة لإحدى قصائد ضرار بن الخطاب " ونستطيع أن نلمح بسهولة ، ميل كعب رضي الله عنه في هذه القصيدة إلى التعبيرات الإسلامية كما نرى ظاهرة السرد... ولا نعدم صورة فنية مبدعة[3]، أو قوله بعد نقيضة أخرى لكعب : " وهذه القصيدة سلسة ، ومع

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧٩ ، بتصرف يسير .
(٢) المصدرالسابق ، ص ٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .

قوة أسلوبها، وإن كان التمدح فيها إنما كان بالصبر والجلد، كما أسلفت القول"[1].

وقد أخذ الحارثي[2] على الرفاعي عدم تحرير المفاهيم النقدية التي استخدمها ، على أن الرفاعي ليس من المحررين للمفاهيم النقدية ،وليس هذا من مقاصده .

ولا يقتصر نقد الرفاعي لشعر كعب على هذا الفصل بل نجده في سواه كحديثه عن وصفه الجميل واستشهاده ببعض الشواهد[3].

أما الفصل الرابع وهو نثر كعب ، فقد اكتفى فيه بإيراد نص حديث التوبة ، ووضع الخطوط تحت العبارات الجمالية التي تستحق التأمل .

وقد أخذ بعض النقاد[4] على الرفاعي الإيجاز في فصل النثر، فمع أن دراسة النثر هي السبب الأول في وضع الكتاب، إلا أن المادة الشعرية قد أخذت الجانب الأعظم من الدراسة . وحين يتحدث عن خصائص كعب الفنية يكتفي ببعض الإشارات إلى نثره حيث يقول : "يمتاز نثره ببراعة السرد القصصي ، والتصوير الشاعري ، ولماحية الالتفاتة الفنية الذكية ، كما يتجلى في أحسن صوره في حديث توبته .. وفي نصوص أخرى"[5].

فالحديث عن النثر لم يأخذ من الدراسة التي استغرقت تسعين صفحة إلا اثنتي عشرة صفحة . ولم يرتض كثير من النقاد الطريقة التي أشار فيها إلى المواضع الجمالية من النص، بل عدها الدكتور أحمد الضبيب " إشارات بكماء ، إن أفصحت عن إعجاب الكاتب بالعبارات والألفاظ ولفتت الأنظار إليها ، فإنها لم تفصح

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .

(٢) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ٩١ .

(٣) انظر : كعب بن مالك الصحابي الأديب ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(٤) من هؤلاء الدكتور ، أحمد بن محمد الضبيب . في " كعب بن مالك الصحابي الأديب " ، مجلة كلية الآداب ، مج ٢ س ٢ ، (١٣٩١ هـ / ١٣٩٢ هـ) ، ص ٣٥٠ ، والدكتور أحمد بن حافظ الحكمي ، مجلة اليمامة ، العدد ٤٥٥ ، في (١٣٩٧/٧/١ هـ) ، والدكتور منصور الحازمي ، في البحث عن الواقع .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ١٢٩ .

(٥) كعب بن مالك الصحابي الأديب ، ص ٤٤ - ٤٥ .

لغيره عن أسباب هذا الإعجاب ، ولم تبين أسرار هذا الجمال . وهي لا تعني شيئاً لدى القارئ العادي ، أما القارىء المتخصص فيستطيع الوقوف عند هذه المواقف وتأملها دون الحاجة إلى هذه الوسائل"[1]. ويعد هذا الكتاب مرحلة متطورة في مراحل التأليف عنده[2]، اختلفت عن ذي قبل .

٣ - أم عمارة الصحابية الباسلة

كتاب أم عمارة من أوائل كتب الرفاعي ، فهو سادس كتاب ينشره . ويقع في اثنتين وسبعين صفحة من القطع الصغير . طبع خمس طبعات : الأولى عام ١٣٩٢هـ ، والأخيرة ١٤٠٩ هـ ، وقرر هذا الكتاب في الرئاسة العامة لتعليم البنات عدة سنوات .

ويذكر الرفاعي أن السبب في وضع هذا الكتاب يعود إلى شخصية أم عمارة المثيرة التي تجاوزت حواجز أنوثتها لتدخل بطولة الأبطال من الرجال ، فهذه الشخصية "بكل إثارتها ، وحركتها ، وعظمتها[3] أهابت به أن يجعل للمرأة نصيباً في (المكتبة الصغيرة)، وأن يجعل أم عمارة المثل النبيل للجهاد الذي يسهم فيه الرجال والنساء . فتضافر حرصه على إبراز المثل والقدوات التي تهدي السائرين في الجهاد . وشخصية أم عمارة المثيرة دعته لاختيارها ، وجعلته يمضي في إعداد الدراسة .

بدأ كتابه بمقدمة أوضح فيها سبب وضع الكتاب، ثم المنهج الذي سار عليه في وضعه . ثم قسمه إلى قسمين :

١ - القسم الأول : قصة بطولة أم عمارة في مواقفها يوم العقبة ، ويوم أحد ، ويوم

---

(١) " كعب بن مالك الصحابي الأديب " ، مجلة كلية الآداب ، مصدر سابق .

(٢) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ٨٤ .

(٣) عبدالعزيز الرفاعي ، أم عمارة الصحابية الباسلة ، المكتبة الصغيرة ، ٦.- الطبعة الخامسة.- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩م)، ص ٨ .

اليمامة ؛ جاعلاً هذا القسم خاصاً بالقصة ، أقرب إلى أن يكون عملاً فنياً مستوحى من بعض الأحداث التاريخية وإن لم يلتزم فيها التزاماً كاملاً . وقد قسم هذا الجزء أربعة أقسام بحسب الأحداث التي وردت في القصة مع التزام الوقائع التاريخية ، وهي :

الجزء الأول : تكلم فيه عن أحداث بيعة العقبة ، التي لم يشهدها من نساء الأنصار إلا امرأتان أم عمارة إحداهما . ومع أن هذا الجزء من الكتاب قد وضع لأم عمارة التي شهدت الأحداث ، فقد كان حظها من الذكر قليلاً ، إذ أن الرفاعي قد أمضى الصفحات بذكر تفاصيل البيعة ، وما دار فيها مما هو من باب الاستطراد .

وقد حاول الرفاعي أن يستبطن شعور (أم عمارة) تجاه البيعة ، وأن يستنطق أحداثاً قد لا تتسع لكل ما حملها .

الجزء الثاني : تحدث فيه عن (أم عمارة) في موقعة أحد ، وكانت المادة العلمية في هذا الفصل أكثر من الذي سبقه ؛ إذ إن (أم عمارة) قد عملت في هذا اليوم أعمالاً واضحة ، فقد خرجت مع الجيش لتسقي العطشى ، وتمرض الجرحى ، ولما اشتد الموقف في المعركة ، وانكشف الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسعها إلا أن تدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقاتلت حتى جرحت .

وأفرد الجزء الثالث للحديث عن خروج (أم عمارة) في خيبر، وليس في هذا الجزء إلا ما روته – رضي الله عنها– من ذبحهم فرسين واقتسامها خرزاً لليهود مع صويحبات لها خرجن في الجيش . واستطرد الرفاعي في هذا الجزء إلى الحديث عن التمويل الغذائي الذي يشكل مشكلة بالنسبة للجيش وإلى سبب خروج النساء مع الجيش الإسلامي .

أما الجزء الرابع فقد تحدث فيه عن (أم عمارة) في موقعة اليمامة يحفزها حافز الانتقام لابنها الذي ثكلته هناك كما يقول الرفاعي، فخرجت مع الجيش و" آلت على نفسها أن تقتل مسيلمة أو تستشهد"[1] . وقاتلت مع المسلمين في ذلك اليوم

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

قتال المستميت حتى انتصر المسلمون ، وفي قصر خروجها للجهاد لأجل الانتقام غمط لحقها ، وقد يكون للجهاد والانتقام معاً .

واعتمد الرفاعي في هذا الجزء على الخيال ، والتصوير في إظهار بطولة (أم عمارة) ، وفي إثارة تطلع المتلقي . وقد يقدم في الأحداث ويؤخر لأجل أن يحبك القصة كما في قوله : "وهنا في هذا الموقف الحرج الذي وصل مداه حرجاً وكرباً نرى أم عمارة نسيبة بنت كعب الخزرجية نراها تتخذ موقفاً بطولياً عجيباً ... !

ولكن ما الذي أتى بأم عمارة هنا .. إلى المعركة..؟"[1] .

أو في قوله معتمداً على الإثارة الإنشائية " لقد اشتدت حميتها، وغلت عروقها، وثارت ثائرتها ... فشمرت عن ثيابها وشدتها إلى وسطها وأخذت تقاتل قتال الأبطال .."[2] .

ومثل هذا الوصف يحتاج إلى سند، لأن المرأة لا تشمر عن ثيابها وكلها عورة ، وإذا لم يكن له سند، فهذا تزيد في الوصف غير مقبول .

وقد تصل به الرغبة في الإثارة إلى المبالغة في التصوير كقوله في وصف (أم عمارة) بعد قتل مسيلمة قاتل ابنها حبيب بن زيد " وأحست أم عمارة أن شيئاً كان يغلي في دمائها قد هدأ، وأن حملاً ثقيلاً كان يؤرقها قد انحط"[3] ، وهذا الهدوء أصابها قبل أن تعلم بمقتل مسيلمة .

ولعل هذه المبالغة في التصوير ، والرغبة الجامحة في التشويق صورة من صور النزعة الأدبية عنده التي تقوم - فيما تقوم عليه - على قوة التأثر بالعمل الذي بين يديه .

أما القسم الثاني فقد أفرده الرفاعي لدراسة حياة أم عمارة ، ونسبها ومكانتها وسيرتها ، وهو الجزء الذي جعله للدرس والبحث ، وكان الأولى أن يقدم هذا القسم ويؤخر الحديث عن البطولة في القسم السابق ، وقد يكون

---

(١) المصدرالسابق ، ص ٢٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

خشي إماتة عامل التشويق في القصة .

تحدث الرفاعي عن اسم أم عمارة ونسبها ، وعن قبيلتها بني النجار ، وفضلها . ثم عن مولدها الذي لم يحدد القدماء زمانه ولا مكانه ، وحاول أن يحدده في سنة خمس وثلاثين قبل الهجرة . ثم تحدث عن أسرتها، أبيها الذي لا يعرف عنه شيء ، وأمها التى لم ترد في كتب الصحابة ، وإخوتها.

وعن حياتها الزوجية ذكر زوجها الأول ابن عمها زيد بن عاصم ، ثم زوجها الآخر غزية بن عمرو الذي خلف زيداً عليها . ورجح الرفاعي أن زوجها زيد توفي عنها في الجاهلية ، وأن الذي شهد العقبة وبدراً وأحداً هوغزية بن عمرو . ثم تحدث عن أولادها فذكر أن لها أربعة بنين عبدالله ، وحبيب من زيد بن عاصم وتميا ، وخولة من غزية بن عمرو، ثم أفاض في الحديث عن سبب تكنيها بـ (أم عمارة) .

ثم عرض لسيرتها ، وصلاحها ، والأحاديث التي رويت عنها ، وختم البحث بالحديث عن وفاتها .

والمنهج العلمي لا يتضح في هذا الكتاب اتضاحاً تاماً ؛ إذ مزج فيه بين العلمية والفنية ، مورداً المصادر في متن الكتاب ، فلم يكن القسم الأول فناً صرفاً ، ولا الثاني علماً بحتاً . على أن الرفاعي قصد من هذا التقسيم أن يجعل القسم الأول " للقارىء الذي يلتمس القصة لا البحث"[1] ، والقسم الآخر "للذي يهتم بالبحث والقصة معاً أو قد يكون البحث هو اهتمامه الأول"[2] .

ولم يفت الرفاعي أن يفرق بين الطبعة التجارية والطبعة التعليمية ببعض الفروق التي يراعى فيها حال المتلقي . فقد حذف في نسخة رئاسة تعليم البنات الإحالات ، والخلافات في ضبط الاسم ، وفي أزواجها ، وأبنائها ، كما أضاف بعض الجمل التي تزيد في إيضاح الفكرة .

وليس بين النسختين فرق في الألفاظ أو في التراكيب على أن النسخة كانت مقررة على المرحلة الابتدائية .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه .

ولعل التغيير الوحيد الذي يظهر منه الهدف التربوي من تدريس الكتاب هو تغييره الخطاب في قوله «ما مشاعرهما ، إزاء ذلك الموقف العظيم ، وقد مضى من الليل ثلثه »[1]. فقد جاءت في النسخة المدرسية «ما مشاعر المرأة إزاء ذلك الموقف العظيم »[2].

فقد غير الرفاعي الخطاب من جعله خاصاً بتينك المرأتين إلى جعله عاماً لكل امرأة ليستثير مكامن الشعور عند الطالبة التي تتلقى هذا الخطاب .

كما يضاف إلى هذا التغيير تزويد نسخة رئاسة تعليم البنات ببعض الحواشي الإيضاحية التي تعرف بالأعلام الواردة بالكتاب ، أو ببعض الألفاظ والمواقع التي تحتاج إلى تعريف ، كما تتميز بالأسئلة التي تعقب كل فصل من فصول الكتاب . ويظهر أن هذه الزيادات كلها ليست من وضع الرفاعي وإنما من وضع المصححين في الرئاسة لأن الرفاعي كان يضع أمام تعليقاته لفظة (المؤلف) بين قوسين .

ونتساءل عن سبب اختيار الرفاعي لشخصية أم عمارة قدوة ومثلاً ؟ ألم يكن في نساء المؤمنين من هي أفضل من هذه الصحابية الجليلة ، فيضرب بها مثلاً لفتيات اليوم يحتذينها (كفاطمة بنت محمد) صلى الله عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة ، التي هي بلا شك أفضل من (أم عمارة) والتي ضربت أروع الأمثلة في التفاني في خدمة زوجها أمير المؤمنين - رضي الله عنه - على بن أبي طالب حتى قال علي في وصفها :

« جرت بالرحى حتى أثرت في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها وأوقدت القدر حتى دنست ثيابها »[3]. أو

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(٢) عبدالعزيز الرفاعي . أم عمارة الصحابية الباسلة .- الطبعة الأولى .-(الرياض : رئاسة تعليم البنات ، ١٣٩٢ هـ) ، ص ١٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ، ٨ أجزاء .- الطبعة الأولى .- إعداد محمد إبراهيم سمارة ، علي حسن الطويل ، سمير حسين غزي .- (بيروت) ، المكتب الإسلامي، ١٤١٣ هـ / ١٩٩م)، ج ١ ، ص ٨٨٨ ، رقم الحديث ١٣١١ / ٥٧٠ .

أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وزوجة الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي كانت تعمل في خدمة زوجها فلا تمل ولا تسأم . حدثت عن نفسها فقالت : « تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ، ولا مملوك ، ولا شيء غير فرسه ، قالت : فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته ، وأسوسه ، وأدق النوى لناضحه ، وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه ، وأعجن ... وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ، قالت : فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعا لي ، ثم قال : إخ ، إخ ليحملني خلفه ، وقالت : فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته ، وقد كان من أغير الناس ، فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أني قد استحييت فمضى ، وجئت الزبير فأخبرته[1] فقال : والله لحملك النوى كان أشد عليَّ من ركوبك معه »[2] . فشخصية أم عمارة لم تثر الرفاعي لحركيتها، ولصبرها، وجلدها ، فالنماذج التي وردت فيها من الإثارة ما هو أشد ، ولكن الرفاعي وجد في سيرة أم عمارة ما لم يجده في غيرها.

لقد وجد فيها صدى لما في نفسه من شعور تجاه المرأة في بيئته فحاول أن يتخذ من سيرة هذه الصحابية الجليلة طريقاً يقول معه رأيه ، ولذا رأينا الرفاعي يمارس الإسقاط في سيرة هذه الصحابية وهي إسقاطات لا تناسب الصحابية الجليلة ولا تتفق مع روح ذلك العصر . ومن ذلك قوله : « إنها تأتي في مقدمة رائدات التمريض في التاريخ الإسلامي »[3] وقوله : « وهي ذات حس اجتماعي مرهف تفكر في بنات جنسها ، وتعنى بأمورهن ، وتسعى إلى تحسين أوضاعهن »[4] .

والذي يظهر أن الذي يسعى لتحسين الأوضاع هو الرفاعي ولكنه يسقط نفسه على هذه الصحابية الجليلة ويحمل كلامها لما يريد ، ويلاحظ أنه سمى تطبيب

---

(١) أعادت القصة على الزبير ، وقد استعضت عنها بهذه اللفظة اختصاراً .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ، ج ٦ ، ص ٣٩٠ .

(٣) أم عمارة الصحابية الباسلة ، ص ٦٩ .

(٤) المصدرنفسه .

الجرحى تمريضاً وكأنه يرد على الذين يقفون أمام عمل المرأة في هذا الجانب بهذا النموذج المصنوع .

ولقد كان الرفاعي يحس بما تعانيه المرأة في مجتمعه من ظلم ، وهضم حقوق ، فأراد أن يشارك في العمل لإعادة الحق إلى نصابه ، فوجد هذه الصحابية بسيرتها تمثل الجوانب الفكرية التي يريد أن يقولها ويخشى من المعارضين واتخذ أم عمارة رضي الله عنها رمزاً للمرأة المثالية في نظره ، وانطلق يعبر عن وجهة رأيه متخذها طريقاً لا يريده المتشددون ويرضى عنه الطليعيون .

والذي يؤيد هذا المذهب أن العبارات والألفاظ التي استخدمها الرفاعي والتي أشير إليها تكثر في الحديث عن تحرير المرأة ، وفي كتابات المنادين بهذا الرأي .

وفي تصور الدارس أن هذه الملامح هي التي أشار الرفاعي إليها بأنها لفتت انتباهه ، وهي الجوانب الأخرى التي تزيد من إعجابه بهذا الشخصية .

٤ - ضرار بن الأزور : الشاعر ، الصحابي ، الفارس

يقع الكتاب في إحدى وتسعين صفحة من القطع الصغير وقد طبع ثلاث طبعات : الأولى عام ١٣٩٧ هـ والأخيرة ١٤٠٤هـ .

أما سبب تأليف الكتاب فيعود إلى رجل وإقليم كما يقول الرفاعي . أما الرجل فهو الأمير (فيصل بن فهد) وأما الإقليم فالقصيم حيث تلقى رسالة تدعوه لإلقاء محاضرة في نادي عنيزة ، ولأن عنيزة في القصيم فقد سعى لأن يجد رجلاً قدوة من رجال المنطقة ذاتها ، فكان ضرار بن الأزور الأسدي الذي ينتمي إلى قبيلة بني أسد المقيمة في القصيم وما حوله[1].

بدأ الرفاعي الكتاب بمقدمة أوضح فيها سبب تأليف الكتاب ، ثم أفاض في الحديث عما دفعه إليه الكتاب من الكتابة في موضوعين آخرين

---

(١) انظر : ضرار بن الأزور: الشاعر. الصحابي.الفارس . المكتبة الصغيرة ، ١٩ .- الطبعة الثانية .- (جدة : مطابع الروضة ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، ص ٥ - ٦ .

سيرد الحديث عنهما فيما بعد إن شاء الله[1] .

تلا ذلك الحديث عن حياة ضرار ، فتحدث عن نسبه ، ومولده وعن بعض صفاته كالشجاعة والفروسية ، والكرم ، والشاعرية . ثم تحدث عن إسلامه والأبيات التي أنشدها في حضرة النبي ﷺ التي تفيد تركه أيَّام الجاهلية ، وأهله ، وماله في قومه مهاجراً إلى الله ورسوله ، وذكر قصة اللقحة وحلبها التي أهداها إلى النبي ﷺ .

ثم انتقل للحديث عن أسرته ، فتحدث عن والده الذي لا يعرف عنه إلا أنه أنجب ضراراً ، وعن إخوته الذين لا يعلم عنهم شيء ، وزوجته جميلة ، وأرطأة ابن سهية الذي ينسبه الرفاعي إلى ضرار . وقد أفاض الحديث في قصة أبوة ضرار لأرطأة .

بعد ذلك تحدث الرفاعي عن أخبار ضرار في عهد الرسول ﷺ وذكر أنها أخبار قليلة لا تسعف المتحدث ، ومنها روايته حديثين الأول : مقدمه على رسول الله ﷺ واستئذانه في إلقاء ما أعد من الشعر[2] ، والثاني حديث اللقوح[3] ، ولم يوثق الرفاعي هذين الحديثين من مصادرهما الأصلية . ومن أخباره إرسال الرسول إياه إلى بني الصيداء وبعض بني الدؤل في سرية ، وإلى بني أسد حين ادعى فيهم طليحة الأسدي النبوة . وماعدا هذه الأخبار اليسيرة التي استنبط منها الرفاعي قوة إيمان ضرار ، وثقة النبي ﷺ فيه ، حيث وجهه إلى قومه ، ماعدا ذلك لا نجد شيئاً عن ضرار في عهد الرسول ﷺ .

ثم تحدث عنه في حروب الردة ومواقفه من خالد بن الوليد رضي الله عنه . فقد برز اسمه في مقتل مالك بن نويرة ، وقد قتله ضرار بأمر من خالد بن الوليد[4] ،

---

(١) انظر : ص ٨٠ - ٨٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤ أجزاء ، د . ط ، (بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م) . ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٣) انظر : مسند الإمام أحمد ، ج ٤ ، ص ٤٥٧ ، رقم الحديث ، ١٨٩٣٤ .

(٤) انظر : عبدالقادر بن عمر البغدادي . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ١٣ جزءاً .- د . ط؛ تحقيق عبدالسلام هارون، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،١٣٨٧هـ/١٩٩٧م)، ج٢ ، ص ٢٦ .

ومع خطأ ضرار بقتل مالك فقد اعتذر له الرفاعي[1] بأنه إنما كان مطيعاً لقائد الجيش وليس بعذر .

ثم تحدث عنه في الحروب التي وقعت في اليمامة مع مسيلمة ، وذكر بلاءه العظيم في هذه المعارك ، ثم في حروب الفتوح في العراق التي كان فيها قائداً من قادة خالد بن الوليد ، وحروب الفتوح في الشام التي كان فيها أحد نفر بايعوا عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه على الموت .

ثم انتقل إلى الحديث عن وفاته ، فذكر الروايات المختلفة في ذلك ، ورجح أنه استشهد سنة ١٣ هـ في أجنادين ، وأنه أحد الذين تدافعوا الماء في أجنادين فماتوا ظمأ .

ثم تحدث عن أخبار ضرار في كتاب (فتوح الشام) وذكر أنه كتاب لا يعتمد عليه ، فهو كتاب شعبي لم تصح نسبته للواقدي ، وفيه كثير من القصص التي تدنو في المبالغة من الأساطير ، وأسلوبه قريب من أسلوب القص الشعبي ؛ ولذا فقد أسقط الرفاعي كل ما جاء فيه من القصص والأشعار التي لم ترد في غيره .

وختم الحديث عن شخصية ضرار بتحقيق شبهات ثلاث تنسب لضرار الأولى : شبهة قتل مالك بن نويرة ، وما أثير حولها من أقاويل وروايات ، وقد سماها الرفاعي شبهة وهي صحيحة .

الثانية : قصة المرأة الجميلة التي سبيت من بني أسد فحازها ضرار لنفسه .

الثالثة : قصة النفر الذين شربوا الخمر وكان ضرار معهم .

ولم يزد الرفاعي في تعليقه على القضية الأولى أن قال : " إنما قتل مالك ابن نويرة بأمر من قائده خالد بن الوليد"[2] ، وقد أراد بهذا أن يتلمس له العذر ، فيبعده عن كل نقص ، ليكون قدوة مثلى .

أما الثانية والثالثة فقد نقدهما نقداً علمياً موضوعياً وأثبت تهافتهما من

---

(١) انظر : ضرار بن الأزور: الشاعر . الصحابي . الفارس ، ص ٥٢ .

(٢) المصدرنفسه .

المصادر المختلفة ، وهذا يدل على القدرة البحثية ، والصبر على تتبع الروايات المتعددة ، والنظر فيها وتقليبها على الأوجه المختلفة .

ثم تحدث عن شاعرية ضرار فذكر أنه شاعر مطبوع ، وأن شاعريته تتسم بالقوة حيناً ، وبالرقة حينا"[1] وأن "الشاعرية إحدى صفات ضرار البارزة"[2] ، وعده الشاعرية من الصفات البارزة لا يخلو من ميل ، فشعره قليل لا يدعم هذا الحكم . وقد كان مؤهلاً لأن يكون شاعراً بارزاً لو استثمر موهبته ، وهولم يبرز شاعراً وإنما برز بطلاً مجاهداً .

وأما سمات هذا الشعر فيرى الرفاعي أن أبرزها السلاسة واختيار الألفاظ السهلة السائغة ، والقافية الموحية ، والوزن المطرب[3] .

وقد أخذ الحارثي على الرفاعي صدور موقفه النقدي عن الانطباع الذي لا يقوم على التطبيق . وأرجع ذلك لقلة شعر ضرار الذي لم يجمعه أحد ، مما جعل الرفاعي يعمل لجمع ما وقف عليه من نصوص شعرية خلال تتبعه لترجمة حياة ضرار هنا وهناك . وقد بلغت هذه المجموعات سبعة وعشرين بيتا[4] بعد إسقاط الشعر الذي ورد في كتاب (فتوح الشام)[5] .

وقد حوى عنوان هذا الكتاب ثلاث صفات هي (الشاعر ، الصحابي ، الفارس) ، وفي رأي الحارثي أن المؤلف " لم يلتزم في الحديث عن هذه الصفات حسب ذلك التسلسل" ، وإنما قدم وأخر فيها فتحدث عن الرجل ، ثم الصحابي ثم الفارس ، ثم الشاعر ، وكان بالإمكان أن يرتب العنوان على هذا التقسيم الذي جاء داخل الكتاب فكان منطقياً ، متسلسلاً ، أما في العنوان فليس لتقديم الشاعر أي سبب لا من جهة الشاعرية التي لم تتقدم على الفروسية بالنسبة لضرار، ولا

---

(١) ضرار بن الأزور: الشاعر. الصحابي. الفارس ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧ .

(٤) جعل الحارثي أبيات ضرار التي جمعها الرفاعي ستة وعشرين بيتاً والصواب ما ذكر .

(٥) انظر : الرفاعي أديباً، ص ١١٤ .

بالنسبة للخيرية فالصحبة أفضل وأشد تميزاً من الشاعرية .

ولا يخلو حديث الرفاعي عن ضرار رضي الله عنه من مبالغة كحديثه عن كرمه ، فالشواهد على كرمه لا تظهر ما ذهب إليه .

٥ - خولة بنت الأزور البطلة الأسطورة

يقع الكتاب في ثلاث وخمسين صفحة من القطع الصغير ، وقد طبع طبعتين : الأولى في عام ١٣٩٧ هـ والثانية عام ١٤١٠هـ . افتتح الرفاعي الكتاب بمقدمة أوضح فيها سبب التأليف ، وبداية قصته مع هذه الأسطورة التي ابتدأت في بحثه عن (ضرار بن الأزور) ، ثم بنى الكتاب على قسمين: القسم الأول : جاء على سبيل القص وقد سلك فيه أسلوب القص الأسطوري، والمبالغة في الوصف والثناء؛ عله يثير تساؤل القارئ ، ويلفت انتباهه إلى حقيقة هذه الشخصية ، ويهيؤه للحكم عليها فقال : "إنها فتاة رائعة ... ليست لأنها حسناء فقط ؛ بل هي أيضاً محاربة من طراز عجيب تشق الصفوف . وتجندل الرجال الأبطال . وتهزم الجموع . وتنقذ الأسرى . وتجتاز إلى أهدافها الخنادق والحصون لا يكاد يعوقها عائق ..."[١] .

وكان الرفاعي يقصد الإثارة في أسلوبه هذا ، وفي تصويره للمرأة عل القارئ أن يرفضها قبل أن يبين ذلك حقائق التاريخ .

لقد سعى الرفاعي لأن يظهر جوانب الأسطورة ، وأن يجلوها ليوضح الدافع الذي جعله ينفيها ، فلم يكتف بالتاريخ في نفي الشخصية بل سعى لجعل شخصية خولة شخصية غير منطقية فيكون النفي من الجانبين الجانب العقلي ، والجانب النقلي .

لقد حاول أن يعطي شخصية خولة شيئاً من الحبكة القصصية التي تشتد حتى إذا ما وصلت النهاية جاء سبب عدم عناية كتب التاريخ بهذه الشخصية المثيرة أنها شخصية غير واقعية .

---

(١) خولة بنت الأزور البطلة الأسطورة ، المكتبة الصغيرة ، ٢٤ .- الطبعة الثانية .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م) ، ص ١١ .

أما القسم الثاني وهو قسم خولة الأسطورة فبين فيه كيف صارت خولة أسطورة ، وابتدأه بتمهيد يوضح فيه قيمة خولة لوكانت حقيقة . كما يذكر فيه أن الذي دفعه إلى إبطال هذه القيمة ، ونفي هذه الشخصية هو محبته للحقيقة وأن يكون تاريخنا "مستنداً على الحقائق الناصعة لا على الأساطير"[1] .

ثم تحدث عن مكانتها خاصة في التاريخ الحديث ... حيث احتفي بها الحفاوة كلها في الصحف والمجلات والكتب والمقررات الدراسية ، وفي كتب الملاحم والقصص ، وفي المراجع الحديثة كالأعلام للزركلي ، والموسوعة الميسرة (أعلام النساء) . وقد وجد أن المراجع تعتمد اعتماداً كليًا على مرجعين هما: كتاب (الدر المنثور) ، وكتاب (فتوح الشام) المنسوب للواقدي واعتمادها على هذين الكتابين مباشرة أو بواسطة .

ثم رجع الرفاعي إلى هذين الكتابين فوجد أن زينب العاملية قد اعتمدت على (فتوح الشام) فيما أوردت ، وهو بهذا قد وحد المصدر ثم درس ما في (فتوح الشام) ووجد أنه كتاب شعبي لا يصح أن يعد مرجعاً، فأبطله .

وقد كان الرفاعي قد بحث عن هذه الشخصية في كتب السيرة القديمة ، والطبقات والأدب فلم يجد لها ذكراً فتعين له أن ذكرها إنما هو في كتاب واحد هو(فتوح الشام) الذي قال في عدم صحته بعض العلماء[2].

لقد كان أسلوبه في نقد الشخصية أسلوباً علمياً قائماً على الدرس ، والنظر والتحقيق ، وهذا يدل على طول نفسه في تتبع قضايا البحث .

ولم يبحث الرفاعي عن سبب اختلاقها ؟ ومن الذي اختلقها ؟ وفي أي عصر ؟ ولماذا ألحقت بالأزور ولم تلحق بغيره ؟ فلو أن الرفاعي بذل جهداً في البحث عن

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٢) انظر : خير الدين الزركلي . الأعلام ، ٨ أجزاء .- الطبعة التاسعة .- (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٠ م) ، ج ٦ ، ص ٣١١ . وبرو كلمان . تاريخ الأدب العربي ، ٦ أجزاء .- الطبعة الثالثة ؛ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ، (جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) ، ج ٣ ، ص ١٧ .

جواب هذه الأسئلة بإمكاناته البحثية الجيدة لربما أتحفنا بالجواب وأتم بحثه وأكمله مع كون كثير من القصص المختلقة إنما أريد بها أهداف كثيرة كأن يتفرد الشخص أمام الآخرين برواية القصة ، أو أن يقصد إلى النيل من المجتمع الذي برزت فيه هذه المرأة ، أو للرفع من قيمة المرأة ، والاستدلال على وجود هذه النماذج في ذلك العصر .

يرى الحارثي أن الرفاعي قدم في البحث ما كان يستحق التأخير ، وأخر ما يستحق التقديم ، فأخر شك أحمد عبيد على أنه يجب أن يقدم ، وقدم نتيجة البحث التي ينبغي أن تؤخر إلى آخر الكتاب ، وهذا في رأيه من مظاهر الإثارة[1].

ولعل مما يثير العجب أن يلوم الرفاعي بعض الكتاب الذين استفادوا من بحثه هذا ولم يشيروا إليه ، مع أنه نسب إلى نفسه الأولية في معرفة حقيقة الشخصية مع علمه بأن هناك من سبقه إلى الشك فيها ، أو لأن شكه تحول إلى يقين .

٦ - أرطأة بن سهية

لقد كانت هذه الشخصية امتداداً طبيعياً لشخصية ضرار في نظر الرفاعي ، فقد ساقه البحث في ضرار إلى البحث في شخصيتين أخريين الأولى : (خولة) وتقدمت ، والثانية (أرطأة بن سهية) . وقد يعني هذا أنه قام بالبحوث الثلاثة في وقت واحد ، وكان سبب تأخير هذا الكتاب عن سابقيه في النشر وجود بعض الكتب في المكتبة الصغيرة تسبق هذا الكتاب في الترتيب[2].

يقع الكتاب في مائة صفحة من القطع الصغير وطبع في عام ١٣٩٩هـ ، ولم يطبع سوى طبعة واحدة .

ابتدأ الكتاب بمقدمة تحدث فيها عن سبب تأليف الكتاب ، وألمح فيها إلى قصة أبوة ضرار لأرطاة ، وعن بعض مصادر الموضوع . ثم قسم الكتاب إلى قسمين :

القسم الأول : عن حياته : وتحدث فيه عن أمه سهية ؛ وعن أبيه الذي مال الرفاعي إلى أنه ضرار بن الأزور .

---

(١)انظر : الرفاعي أديباً ، ص ١١٣ .

(٢)انظر : ضرار بن الأزور ، ص ٨ .

وأصل القصة كما ذكر الأغاني[1] أن سهية الكلبية زوج ضرار انتقلت إلى عبدالله ابن زفر وهي حبلى ، فوضعت أرطأة على فراش عبدالله فنسب إليه ، ويستشهد على هذا ببيتين انفرد بروايتهما أبوالفرج يشيران إلى ذهاب ضرار إلى آل زفر يطلب منهم ابنه ، وببيت لأرطاة يذكر تعيير بني مرة إياه بأنه ليس منهم .

وعلى الرغم من انفراد الأغاني بهذه القصة فإنه لم يذكر سبب انتقال سهية إلى عبدالله بن زفر ، ولم يذكر شيئاً من ملابسات القصة سوى هذه اللمحة .

ثم أليس ضرار- رضي الله عنه - فارساً شجاعاً ، مغواراً - كما يقول الرفاعي - أيعجز أن يحمي أهله ، وبنيه ، وماله ؟ ولماذا لم يعاود ضرار الطلب مرة أخرى بعد أن رد في الأولى ؟ .

هذا بالنسبة لضرار، أما أرطأة - رحمه الله - فقد كان شديد الاعتزاز بنسبه إلى بني مرة ، يغضب أشد الغضب حين يرمى بنسبه ، وإذا كانت قصة طلبه وقعت وهو غلام يعي تلك الفترة ، فلماذا لم يذهب إلى أبيه حين اشتد ساعده ، وصلب عوده ؟ والناس مأمونون على أنسابهم .

كل هذا ونحن بمنأى عن قوله ﷺ :" الولد للفراش"[2] الذي يمثل الحكم الفاصل في هذه القضايا .

وقد نسب الحطيئة إلى غير أبيه كما هو معروف فقد كان أوس العبسي عقيماً لا يولد له ومع ذلك لم يأت أحد ليثبت غير ذلك[3].

وقد لا يكون في هذه الأسئلة ما ينفي أصل القصة نفياً مطلقاً ، إذ قد يكون الأصل صحيحاً وهو انتقال السبية ، أما سائر القصة فقد زيد سخرية بعبدالله ابن زفر وسبيته ولكنها - الأسئلة - تنفي قطعية الثبوت التي جعلت الرفاعي يملأ فمه فخراً بهذا الإنجاز العلمي العظيم مع أنه نقل القصة بما فيها من كتاب الأغاني .

---

(١) انظر : الأغاني ، ج ١٣ ، ص ٣٢ ، وما بعدها .
(٢) انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٩، ص ١٣٨ ، كتاب البيوع ، باب تفسير الشبهات .
(٣) انظر : الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٥١ ، وما بعدها .

ثم انتقل الحديث من نسبه إلى سيرته فذكر مولده ، ووفاته ، وولده ثم تحدث عن موطنه فذكر أنه مقيم في ديار قومه بني مرة ، وأنه كثير الافتخار بها ولم يكن يرغب في الحواضر فينتقل إليها ، وإذا ما خرج منها وافداً على خلفاء بني أمية لايلبث أن يعود مشتاقاً لها . ثم تحدث عن ملامح حياته فذكر فخره بكرمه ، وبشجاعته ، وشدة أنفته وقوة عاطفته ، وعن قصته مع وجزة محبوبته التي أحبها في أول حياته ، ففرق الدهر بينهما والتقيا بعد الكبر والمشيب .

وتحدث عن مواقفه من الأحداث السياسية والأدبية التي كانت في عصره حيث عاصر النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، ثم الحسين ويزيد ، ثم ابن الزبير ومروان وبنيه ، فيذكر أنه كان معرضاً عن هذه الأمور، وأنه كان شاعراً متكسباً يمدح للمال ويهجو له ، غير حامل رأياً معيناً يدافع عنه . ويظهر اتجاه أرطأة التكسبي في موقفه من (مسرف بن عقبة المري) الذي مدحه للعطاء ، ولما لم يعطه هجاه[1].

وأما القسم الثاني فتحدث فيه عن شعره ، فذكر قلته ، وضياعه مع الزمن ، ثم تحدث عن أغراض شعره وهي : المدح ، والهجاء والفخر ، والغزل ، والرثاء . وذكر أن نظام القصيدة عنده لا يخرج عن نظام القصيدة في العصر الجاهلي . وعدد بعض ممدوحيه، وذكر أن الهجاء أغلب شعره إذ كان يدخل في نقائض مع بعض شعراء عصره . أسقط الرفاعي بعضه لشدة فحشه .

ثم تحدث عن فخره بقومه ، وبنفسه ، وشجاعته ، وكرمه ، ثم تحدث عن غزله الذي يتصف بالرقة ، وعذوبة اللفظ ، ثم تحدث عن رثائه فهو ذو عاطفة جياشة ، رثى ابنه ، وقتلى قومه ، وبالغ في البكاء على ابنه ، في أبيات "معبرة موحية .. سلسة ليس فيها ألفاظ غريبة" [2].

---

(١) انظر : أرطأة بن سهية ، المكتبة الصغيرة ، ٢٨ .- الطبعة الأولى .- (جدة : مطابع الروضة ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٨ م) ، ص ٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

وقد ظهرت شخصية الرفاعي النقدية في هذا الكتاب بشكل واضح ، فقد تتبع شعره محللاً وناقداً ، مشيراً إلى موضوعات شعره ، وما يظهر عنده من أساليب جميلة .

ثم تحدث عن قصته مع ديوانه الذي قام بتنقيب جيد ، وعمل مشكور في سبيل العثور عليه ، وهو عمل يدل على جهد الرفاعي ، واهتمامه بالبحث العلمي .

وأخيراً تحدث عن نثره فأورد له محاورة بينه وبين عبد الملك بن مروان، وهي النص الوحيد الذي أثر عنه كما يقول الرفاعي[1]، واتخذ هذا النص دليلاً على قدرته النثرية . ووقف عنده مستنبطاً سماته الأسلوبية ، ولا حاجة للقول بأن هذا النص لا يكفي لإظهار سمات أسلوبه .

وكان اعتماد الرفاعي الكبير في تحليل شخصية أرطأة على شعره ، غير مستبعد شعر الفخر الذي قد لا يكون مصدراً موثوقاً عن حياة الشاعر ، ففيه أنه شجاع ، مقدام ، كثير التنكيل بأعدائه مع أن الأخبار التي تروى عنه لا تسعف الباحث لإثبات هذه الصفات سوى موقعة واحدة أشار إليها أرطأة بقوله :

أجليت أهل البرك عن أوطانهم والخمس والشعبا وأهل الشريب[2]

ثم لم يذكر أية موقعة أخرى ، مما حدا بالرفاعي إلى تكرار الحديث والإعادة، وجر القارئ إلى الحكم على كلامه عنه ، ووصفه إياه بالشجاعة والكرم بأنه وصف مبالغ فيه لا يسنده من الأحداث سوى إجلائه أهل البرك الواردة الذكر سلفاً ؛ بل إن الرفاعي ليروي أنه كان معتزلاً الأحداث السياسية والأدبية في عهده التي بلغت شهرتها عنان السماء ، وأنه كان متكسباً بشعره . وفي هذه الصفات ما قد يلغي ما أثبته له الرفاعي من الشجاعة والسيادة .

وفي حديث الرفاعي عن شعر أرطأة وصفه بالفحولة . وقد خالف الحارثي

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

(٢) ياقوت الحموي . معجم البلدان ، ٥ أجزاء .- د .ط .- (بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ج٣ ، ص ٣٣٢ ، مادة شريب .

الرفاعي في حكمه هذا ، مرتئياً أن مصطلح الفحولة مصطلح ثبت منذ القديم ولا ينطبق على شعر أرطاة الذي لا يوجد فيه ما يسند هذا الحكم[1]، فهو شعر قليل أغلبه الهجاء المعتمد على الشتم والإقذاع ، مع بعض المقطوعات التي لاترقى إلى جيد الشعر . ولعل أجود مقطوعة له هي التي اختارها أبو الفرج صوتاً لإحدى أغانيه وهي :

أعـــاذلتي ألا لا تعـــذلينـــا   أقلـــي اللـــوم إن لـــم تنفعينـا

فقـد أكـثرت لـو اعتبـت شـيئاً   ولســت بقـابـل مـا تأمــرينـا[2]

٧ - زيد الخـيـر

صدر كتاب زيد الخير في عام ١٤٠٢ هـ عن مؤسسة تهامة للطباعة والنشر. ويكاد يكون هذا الكتاب هو الإصدار الوحيد الذي ينشر خارج دار الرفاعي بعد تأسيسها. ويأخذ الترتيب الحادي عشر في مؤلفات الرفاعي .

وأما سبب التأليف فيعود إلى اهتمام الرفاعي بغير المشهورين من الشعراء أو الذين لم يجدوا إنصافاً كبيراً من الدارسين مع ما لهم من روائع قد لا تقل عن المعلقات . وزيد الخير في نظره من هذه الفئة[3].

وقد قسم الرفاعي الكتاب إلى تسعة أقسام ، جعل عنوان القسم الأول (كلمة عامة) تحدث فيه عن سبب التأليف ، وعن صفاته ، ووفاته بإيجاز .

ثم انتقل إلى القسم الثاني الذي أفرده للحديث عن مولد زيد ، ونسبه، وقبيلته ووالده ووالدته وإخوته ، وزوجته ، وبحث عن سبب لإضافة (زيد) للخيل فرأى أن هناك أسباباً أخرى تذكر مع كثرة أفراسه ، وهي شغف زيد بالخيل وكثرة الطراد عليها[4] .

---

(١) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ١٢٦ - ١٢٩ .

(٢) الأغاني ، ج ١٣ ، ص ٣١ - ٤٨ .

(٣) انظر : زيد الخير .- الطبعة الأولى .- (جدة : مؤسسة تهامة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م) ، ص ٩ .

(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٩ .

وفي القسم الثالث تحدث الرفاعي عن صفات زيد الجسمية كالطول والجمال ، والوسامة ، والمعنوية كالكرم ، والمروءة ، والشجاعة ، وتمام العقل، والحمية ، والذكاء .

واستشهد الرفاعي على بطولة زيد بقصته في الحرب التي دارت بين بني نصر ، وبني مالك من نبهان وفزارة وكان زيد قائدهم ، حيث هجم بنو نبهان على فزارة واستاقوا النعم ، فطلب منهم زيد حق الرئاسة فأعطاه ذلك بنو نصر وأبى بنو مالك، فغضب زيد واعتزلهم ، ثم كرت قبيلة فزارة على بني مالك وأخذوا ما معهم من الإبل، فاستنجد بنومالك بزيد ، فأبى إلا إذا أعطوه حق الرئاسة، فلما رضوا كرّ زيد على بني فزارة واستاق النعم[1].

ومثل هذه القصة تتكرر كثيراً في كتب الأقدمين إذا ما أرادوا الحديث عن أحد الفرسان ، ولعل أقرب مثال قصة عنترة العبسي الذي أبى قومه أن يعدوه حراً فاعتزلهم إلا بالحرية ، فلما أغار عليهم قوم طلبوا منه أن يحمل على العدو. فقال: « العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلب والصر »، فقال (أبوه):«كر وأنت حر»[2].

ومع هذا فقد أورد الرفاعي القصة غير فطن لما قد يلحقها من شك ورد ، متخذها مثالاً صادقاً لبطولة زيد ورئاسته . كما أورد قول النبي صلى الله عليه وسلم :«إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة »[3]، جاعلاً هذا الحديث موجها (لزيد الخير) معتمداً بذلك على الأغاني دون كتب الحديث التي لم تروه إلا لأشج عبد القيس رضي الله عنه وليست رواية صاحب الأغاني كرواية أولئك .

ثم تحدث في القسم الرابع عن (الخيل في حياة زيد الخير) ، فذكر ولعه بها واهتمامه الذي يتساوى واهتمامه بأولاده ، وأفرد أسماء خيل زيد

---

(١) انظر أصل القصة في الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٢٤٦ ، وفيه القصة مطولة .

(٣) المنذري : مختصر صحيح مسلم .- الطبعة السادسة ؛ تحقيق ناصر الدين الألباني .- (دمشق: المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م) ، ص ٧ ، رقم الحديث ١ ، كتاب الإيمان ، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله .

والمعـاني الـتي تـدل عليهـا بالحـديث .

بعد ذلك انتقل إلى القسم الخامس وأفرده للحديث عن أبناء زيد، فذكر مكنف ، وحريث ، وعروة ، وحنظلة ومهلهل . وكان حديثه في هـذا القسم مفصلاً ، ويظهر أن الرفاعي أخرج أولاد زيد من قسم أسرته وأفردهم بهذا القسم لهذا التفصيل .

ثم انتقل إلى القسم السادس الذي تحدث فيه عن (وقائعه)، فذكر وقائعه مع بني عـامر ، وتغلب ، وبني مـرة ، وفـزارة . وجـميع مـواقع زيد في الجاهليـة إلا معـركتـه مع تغلب، فـقد روي أنهـا بعـد إسلامـه . ويرى الرفـاعي عـدم صحـة هذه الموقعة لأنه يرجح أن تكون وفاته إثر قفوله من المدينة . ويحمل الشعر الذي قيل فـيهـا على أنه في الجـاهليـة ، وقد انتـصر زيد في جمـيع هذه المواقع التي أوردها الرفاعي ، وختم هذا القسم بالحديث عـن أسره ، فذكر أنه أُسر مرتين .

وفي القـسـم السـابـع تحدث عن (وفـادته ، ووفـاته)، فـذكـر أنه وفـد على النبي ﷺ سنة تسع للهجرة ، وذكر لقاءه بالنبي وحفاوة النبي ﷺ به وإكرامه له ، ثم ذكر قفوله إلى أهله ووفاتـه فـي الطريق .

ثم أورد حديث النبي ﷺ الآنف الذكر الذي قـال فيــه :« إن فيك خصلتين » ، وقد أورده هذه المرة بصيغة الشك[1]، مع أنه جزم به في الأولى .

كما أورد قـصة الرجل الذي سأل النبي ﷺ عن صـيـد الكلاب ، وجعل هذا الرجل زيد الخيـر ، مع أن كتب الحديث تجعله عدي بن حاتم[2] - رضي الله عنه - وكان اعتماده في ذلك على الأغاني-أيضاً-[3].

وختم هذا القسم بالحديث عن الأخبار التي تدرج اسم زيد ضمن المؤلفة قلوبهم ، فـيحاول في هذا القسم إخراج زيد الخير منهم لأن ورود اسم زيد مع هذه الفئة يعد

---

(١) انظر : زيد الخير ، ص ٦٩ .

(٢) انظر : مختصر صحيح مسلم ، ص ٣٨٦ . كتاب الصيد والذبائح ، باب الصيد بالسهام والتسمية عند الرمي .

(٣) انظر : زيد الخير ، ص ٢٨ .

منقصة في نظر الرفاعي ؛ لذا فقد بذل جهده لإخراجه من هذه الفئة لأنها لابد أن تكون ضعيفة الإيمان . وليس في دخول زيد مع المؤلفة قلوبهم أي منقصة لأن هؤلاء الفئة ليسوا على درجة واحدة من الإيمان ، فمنهم ضعيف الإيمان ومنهم قويه ؛ فلبيد ابن ربيعة الذي ترك الشعر لأن الله عوضه عنه بالبقرة كان من المؤلفة قلوبهم[1]، إضافة إلى مكانتهم الخاصة المتميزة التي حملت النبي صلوات الله وسلامه عليه على أن يعاملهم معاملة خاصة ، ويكفي المؤلفة أنهم من صحابة رسول الله الذين هم أفضل هذه الأمة .

ثم ختم هذا القسم بالحديث عن وفاته وقد رجح الرفاعي الرواية التي تقول : إنه توفي بعد مغادرته المدينة مباشرة على الروايات التي تقول إنه شهد خلافة أبي بكر رضي الله عنه[2].

ثم انتقل إلى القسم الثامن وتحدث فيه عن زيد مع معاصريه فتحدث عن صلته بجبير، وكعب بن زهير ، والحطيئة ، والطفيل الغنوي ، وعامر بن الطفيل ، والحارث بن ظالم ، وحاتم الطائي ، وقيس بن عاصم ، والمكشر العجلي ، وابن الشيماء ، وبجير بن أوس .

وكانت هذه الصلات كلها تقوم على العداء والمهاجاة إلا صلته بحاتم حيث أورد الرفاعي نصاً لزيد يثني فيه على حاتم . ومثله قيس بن عاصم ، فقد كان صديقاً لزيد نزل عنده حيث قامت حروب بين أخلاط طيء.

وتكاد المادة العلمية في هذا القسم أن تكون تكراراً لبعض ماورد في الأقسام السابقة فمثلاً وقائعه في بني مرة هي نفسها صلته بالحارث بن ظالم ؛ وصلته بعامر بن الطفيل مأخوذة من وقائعه في بني عامر؛ وذلك لأن زيداً

---

(١) انظر القصة : في خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، وابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٨ أجزاء - د. ط .- (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م) ، ج ٦ ، ص ٣٣ .

(٢) انظر : الروايات في : ابن كثير . السيرة النبوية ، ٤ أجزاء ، د . ط ؛ تحقيق مصطفى عبدالواحد ، (مطبعة عيسى البابي الحلبي ، د . ت) ،ج ٤ ، ص ١٢١ وما بعدها ، والإصابة في تمييز الصحابة ، ج ١ ، ص ٥٧٢ .

مع معاصريه من الأشخاص أما الوقائع ففي القبيلة .

وكان يمكنه تلخيص هذه العلاقة في حديث يكون تتمة لأحد الأقسام كالحديث عن صفة الشجاعة ، مع الإشارة إلى ورود خبر صلته بهم في الحديث عن الوقائع ، أو أن يعرض عن ذكر التفاصيل في قسم الوقائع ويشير إلى ورودها في قسم الحديث عن المعاصرين .

ويلاحظ أن الرفاعي لم يذكر من معاصري زيد إلا من لقيهم في صورة ما من اللقاءات ، وكان من الحسن أن يوازن بين زيد والمشهورين من أهل زمانه ممن لم يرد خبر عن التقائه بهم كعمرو بن معد يكرب الذي قيل فيه : "عمرو بن معد يكرب فارس اليمن ، وهو مقدم على زيد الخيل في الشدة والبأس"[1]، وعنترة العبسي الذي جرى ذكره في حديث زيد عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد افتخر زيد بأن الذي قتله من قبيلته . فليس في الكتاب أي ذكرللذين يفضلونه من الفرسان ، فهل يعني هذا أن الرفاعي لا يريد إظهار زيد في محل المتقدم عليه ؟

ويرى الحارثي أن" حق هذا المبحث أن يتقدم على مبحث (وفادته، ووفاته)، لأهمية تسلسل الأحداث التي شكلت شخصية زيد"[2]وهذاصحيح.

أما القسم التاسع وهو آخر الأقسام فقد أفرده للحديث عن (فصاحته ونثره) وتحدث فيه عن نص طويل دار الحوار فيه بين زيد وعمر بن الخطاب تحدث فيه زيد عن قبيلته وزعمائها .

وبعد أن أورد الرفاعي النص شك فيه وأجمل سبب الشك في خمس نقاط :

١ - "أن الرواية منقولة عن ابن الكلبي ، وفيما يرويه ابن الكلبي نظر".

٢ - "أن الرواية تنقطع عند ابن الكلبي ، فالسند غير متصل" .

٣ - "أن النص طويل مسجوع ، واستيعابه على طوله وسجعاته أمر يدعو للتأمل" .

٤ - "أن أسلوب السجع يبدو أسلوباً مفتعلاً ، وكأنما صيغ ليناسب القصص

---

(١) الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢٠٠ .

(٢) الرفاعي أديباً ، ص ١٤٤ .

والحكايات".

٥ - "أنه يبدو من الإسراف في المديح لبعض رجالات طيء ،أن في النص تزيداً"[١].

ثم خلص الرفاعي إلى أن هذا الشك لا ينسحب على أساس القصة ولكنه يقصد المبالغة بها . فهناك رواية أخرى للنص مختصرة أوردها الرفاعي وهي قريبة من النص الأول .

ومع سلامة هذا المنهج الذي سلكه الرفاعي بالتثبت من هذه القصة إلا أنه منهج صارم ، لو طبقه الرفاعي في سائر الروايات التي يتقبلها لما سلم له شيء ، على أن الحارثي يرى صحة هذا الخبر وإمكانه ، ولا يرى أن أسباب الشك لا تقوى على رد النص[٢].

ولم يتجاوز حديث الرفاعي عن فصاحة زيد ونشره الشك في النص وإثبات غيره ، فلم يتحدث عن الخصائص الفنية والأسلوبية لزيد بل حتى الخطوط التي كان يضعها تحت الجمل الجميلة في كتاب (كعب بن مالك) اختفت هنا .

ويتضح اهتمام الرفاعي في هذه الدراسة بالأحداث دون إعطاء الجوانب الفنية شيئاً من الاهتمام الذي ظهر شيء منه في كتابه (أرطأة بن سهية) .

٨ - الرسول كأنك تراه (حديث أم معبد)

لقد كان للرفاعي عناية قديمة بالسيرة النبوية منذ أن درس مادة السيرة في المدرسة العزيزية الابتدائية . وكان من آثار هذه العناية أن حرص على أن يضع كتاباً عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فجاء هذا الكتاب بعد كتبه عن الصحابة تاجاً لها .

ويبدو أن هذا الكتاب صورة من صور اهتمامه بالسيرة نشراً وقراءة . وقد دفعه إلى وضع هذا الكتاب ، بالإضافة إلى ذلك طلب أحد أصحابه أن يكتب عن سيرة

---

(١) زيد الخير ، ص ٩٩ .

(٢) انظر الرفاعي أديباً ، ص ١٤٧ ، وما بعدها .

النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا الكتاب . على أنه لا يحقق الغرض من المراد لأن الكتاب في الشمائل وليس في السيرة .

صدر هذا الكتاب عام ١٤٠٣ هـ ، حيث كانت طبعته الأولى في خمس وثمانين صفحة من القطع الصغير .

ابتدأ الكتاب بمقدمة ، تحدث فيها عن سبب وضع الكتاب ، ثم قسم الكتاب بعد ذلك إلى تسعة أقسام : أورد في القسم الأول نص حديث أم معبد كما هو في مستدرك الحاكم . ويشتمل النص على الحوار الذي دار بين أم معبد والنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وصف أم مبعد للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قصة الصوت الذي صاح بمكة ينشد الشعر ، ثم رد حسان عليه .

وفي القسم الثاني شرح مفردات الحديث ، وتراكيبه شرحاً لغوياً . وفي القسم الثالث خرج عن النص ونقل أقوال كثير من العلماء عن السند وصحته ، وضعفه فأورد تعليق الذهبي على الحاكم وتعليق البيهقي على الحديث ، وابن حجر . وقد خلص الرفاعي في الأخير إلى قول الحافظ ابن كثير أن للقصة طرقاً يشد بعضها بعضا[1].

وفي القسم الرابع وقف مع المتن وقسمه إلى ثلاث فقرات :

١ - الفقرة الأولى : بلد راوي الحديث (حزام بن هشام الخزاعي) قديد ، ولم ير فيه ما يستلفت النظر .

٢ - الفقرة الثانية : وهو الشعر الذي ردده الهاتف ولم يكن مكانه قديد بلد الراوي وكان مكان المنشد مكة ، ويرى الرفاعي أن الأبيات لا تسلم من النقد لأن أصل رواية الهاتف منقولة عن (أسماء بنت أبي بكر) ؛ ولأن صاحب السيرة النبوية (ابن هشام) أوردها بالبناء للمجهول ؛ ولأنها نسبت لأكثر من واحد . ورواية الأبيات في الأخير ترجع لحزام بن هشام راوي قصة الخيمة فقد تكون القصة قصتين واختلط الأمر على الراوي وأدخل قصة الخيمة في قصة أخرى ليست من أحداث

---

(١) انظر : السير النبوية ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .

الهجرة ، بقصة الاعتذار التي رواها حزام وقيلت فيها الأبيات .

الفقرة الثالثة : وهي شعر حسان ، فيرى أنه من الطبيعي أن لا يجاوبه حسان في وقتها وإنما فيما بعد .

ويرى الرفاعي "أن ما كان مروياً في هذه القصة عن الخزاعيين مختصاً ببلدهم، والحدث المهم الذي وقع بها من معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كان حرياً أن نقبله بالدرجة الأولى .أما ما عدا ذلك ، فأجدر أن نخضعه لكثير من التأمل والفحص"[1].

ثم تحدث عن قدرة أم معبد رضي الله عنها في حفظ صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، فذكر أن شدة حرص قريش على النبي جعلها تدقق النظر ، وأن كثرة سؤالهم عنه ووصفهم له أمكنها من اكتمال صفته في مخيلتها[2].

وليس في سؤال قريش ما يساندها على الحفظ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد مر بالخيمة قبل قريش ، وأم معبد لا تعلم من أمره وأمرهم شيئاً ، وقد وصفته لأبي معبد قبل مجيء قريش ، ولذا فلا يمكن أن يكون لقريش أدنى أثر على حفظ أم معبد ، ثم إن وصف أم معبد وصف المعجب ، وهذا ما لا ترضاه قريش ولا تبحث عنه .

أما السبب في حفظ أم معبد للرسول صلى الله عليه وسلم وصفته فتلك المعجزة التي تمت على يديه في هذه الرحلة ، وإنها حادثة خارقة تدعو الإنسان إلى حب من قامت بيديه وتدقيق النظر فيه ، وماذا يكون الأمر إذا كان المتأمل امرأة برزة يكثر ورود الرجال عليها، قد عودت نفسها النظر إلى الرجال وحفظ صفاتهم ، كما "أن نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل إلى الرجل"[3].

---

(١) الرسول كأنك تراه حديث أم معبد ، من دفاتري - ١ .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٠ .

(٣) على بن برهان الدين الحلبي . إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون.- الطبعة الأولى.- (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر:١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤م) ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، وانظر : الرسول كأنك تراه حديث أم معبد ، ص ٥٠ .

وفي القسم الخامس وقف وقفة فنية موجزة عند النص ؛ وإذا كان الرفاعي لم يسلم من اللوم في حديثه عن فنية نص كعب بن مالك فالأمر هنا قريب من ذلك لأن الرفاعي ألف الكتاب كله لأجل هذا النص ، ولكنه لم يكن لبلاغته وحدها فقد كان لولعه بالسيرة النبوية أثر في ذلك . فبين الحالين شيء من الاختلاف .

وفي القسم السادس تحدث عن ملحقات القصة وذكر فيه أن أم معبد كانت تسمي الرسول الرجل المبارك ، وأن آل أبي معبد كانوا يعظمون هذا اليوم ويؤرخون به فيقولون : "فعلنا كيت وكيت قبل أن يأتينا الرجل المبارك أو بعد ما جاء الرجل المبارك"[1] "وكأنهم ألهموا عظم يوم الهجرة وأنه جدير بأن يكون تاريخاً للمسلمين أجمعين"[2].

وذكر بعض القصص التي تتصل بهذه الحادثة ، ووازن بينها وبين هذه القصة ، وقبل بعضها ورد بعضها الآخر .

وفي القسم السابع تحدث عن أم معبد فعرف باسمها وأسرتها ، وزوجها وابنها معبد ، وقد أفاض في الحديث عن معبد وبعض ما قيل حوله حتى طغى الحديث عن معبد على هذا القسم .

ثم تحدث في القسم الثامن عن (قديد) مكان الحادثة ، فذكر ما في كتب اللغة والجغرافيا ، وبعض مشاهداته في المكان . وقد وضع هذه المشاهدات في الهوامش .

ويظهر في هذا الكتاب الجهد البحثي الذي بذله الرفاعي في إخراج مادة الكتاب حيث قام بتخريج الحديث ، وجمع طرقه ومناقشته ، وفي الحديث عن معبد حيث جمع الأقوال فيه ورجح أن معبد بن أم معبد كان فتى يافعاً يقري الضيف وهو الذي ثنى أبا سفيان يوم وقعة حمراء الأسد[3] .

---

(١) ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي . الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، د . ط (دار الفكر ، د . ت) ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) الرسول كأنك تراه حديث أم معبد ، ص ٥٦ .

(٣) موضع على ثمانية أميال من المدينة، خرج إليه الرسول ﷺ بعد أحد بأيام لما علم عن عزم المشركين على الرجوع إلى المدينة ، ولم يحصل فيه قتال لرجوع المشركين إلى مكة لما علموا بذلك . =

٩ - عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني

أصدر الرفاعي هذا الكتاب في عام ١٤١١ هـ ، وهو كتاب صغير الحجم يقع في ست وثمانين صفحة .

وسبب تأليفه يعود إلى اهتمامه بالبحث عن الشعراء الأغفال وإنصافهم ، كما ذكر[(١)]. وحين وجهت إليه الدعوة في مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والخمسين رأى الكتابة عن هذا الشاعر الغفل .

ابتدأ الرفاعي الكتيب بالمقدمة التي تحدث فيها عن سبب تأليف الكتاب ، ثم قسمه إلى فصلين : الأول تحدث فيه عن ترجمته وأخباره ، فذكر أن مصادر ترجمته قليلة جداً أو محدودة . ويكاد يكون (الزبير بن بكار) في كتابه (جمهرة نسب قريش) هو المصدر الوحيد لهذا الشاعر وشعره ؛ وذلك أن ما ورد في غيره من المصادر قليل جداً وهي (أبوعلي هارون بن ذكريا الهَجَريّ) في كتابه (التعليقات والنوادر) و(ابن الجراح) في كتابه (الورقة) و (النديم) في (الفهرست) . وقد قسم الرفاعي الكتاب إلى فصلين ، تحدث في الأول عن حياته وأسرته . فذكر أن له ابنين يفخر بهما هما عمرو وعدي ، وأن اسم زوجته شميسة . وذكر أن نصوص شعره لا تعين على تحديد مولده ولا وفاته ، ولكن يظهر منها أنه من شعراء القرن الثاني ، وأنه يلتزم الولاء لآل الزبير .

وفي الفصل الثاني أورد ما جمع من شعره ، وقد جمعه من ثلاثة مصادر. فمن التعليقات والنوادر مقطوعتان ومن الورقة لابن الجراح مقطوعة واحدة ، والبقية من جمهرة نسب قريش لابن بكار ، وقد بلغ مجموع شعره واحداً وثمانين بيتاً بعد المائة .

اقتصر عمل الرفاعي في الشعر على جمعه ، وتخريجه من مصادره ، وشرح

= انظر : ابن قيم الجوزية . زاد المعاد في هدي خير العباد ؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط .- الطبعة الرابعة عشرة .- (بيروت ، الكويت : مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ج ٣ ، ص ٢٤٢ . ومعجم البلدان ج ٢ ، ص ٣٠١ ، مادة حمراء الأسد .

(١) انظر : عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني ، شعراء مغمورون - ١ .- الطبعة الأولى.- (الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م) ، ص ٣ ، وما بعدها .

بعض الكلمات . ولم يتعرض له بشيء من الدراسة والتقويم إلا قوله في أثناء ترجمته أنه يتميز بشيء من الطلاوة[1]، وقوله أيضاً تعليقاً على قول النديم إنه مقل: "ولكن النصوص التي رأيتها فيما نشر من (جمهرة نسب قريش) تدل على خصب إنتاجه وشاعريته"[2].

أما في غير هذا فقد اكتفى الرفاعي بالجمع فقط ولعل اتجاهه إلى التاريخ هو ما دفعه لهذا الأمر مع ما في شعره من خلل عروضي واضح كزيادة بعض الكلمات في بعض الأبيات أو نقصها نقصاً واضحاً . ولم يشر إليه ، مع أننا لا نستطيع أن نجزم أن هذه الزيادة من الشاعر .

١٠ - خارجة بن فليح المللي

هذا الكتاب هو آخر كتاب أصدره الرفاعي . وقد طبع في العام نفسه الذي طبع فيه كتاب (عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني) أي في عام ١٤١١ هـ وهو يشاركه في الحجم ، والسبب .

وقد بدأ الكتاب بمقدمة أوضح فيها اختفاء هذا الشاعر من كتب تراجم الشعراء وطبقاتهم ، كما أوضح فيها سبب تأليف الكتاب .

ثم قسم الكتاب إلى فصلين الأول تحدث فيه عن ترجمته ، وأخباره فتحدث عن نسبه ؛ ووالده ، وعن تصحيف نسبته في بعض المصادر حيث يطلقون عليه (المكي) بدلاً من (المللي) ثم تحدث عن عصره وأخباره ، واستنتج من مدائحه لمشاهير عصره أنه عاش في القرن الثاني ، وأنه كان وثيق الصلة بآل الزبير. وذكر أن له حبيبة تدعى (ليلى) . ثم تحدث عن مكانته الشعرية وأورد أقوال النقاد في شعره ، وثناءهم عليه .

الفصل الثاني جعله لشعره الذي بلغ تسع مقطوعات ، وقصيدتين ، وثلاثة

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

أبيات مفردة . ومجموع شعره مائة بيت وقد جمع من عدة مصادر فمن (الورقة) مقطوعة وثلاثة أبيات مفردة ، ومن (التعليقات والنوادر) قصيدة ومقطوعة ، ومن (الأمالي) مقطوعتان ومن (جمهرة نسب قريش) ثلاث قصائد ومقطوعة ، ومن (الحماسة البصرية) مقطوعة واحدة ، ومن (التذكرة السعدية) مقطوعة .

واقتصر عمل الرفاعي أيضاً على الجمع وشرح بعض الغريب . وأشار في أثناء ترجمته إلى جودة شعر الشاعر ، فيقول : "وقد رأيت في شعر هذا الشاعر سمات من الجودة"[1]، وألمح إلى أنه شاعر عبقري حيث يقول : " فنازعتني رغبة جامحة إلى إنصافه ، وجمع أخباره وأشعاره ، وهي رغبة كثيراً ما تستبد كلما وجدت عبقرية يتكاثر عليها الظلام ليغطي من لمعانها ويحجب من شعاعها"[2]. وهذه الإشارات تقف أمام الحارثي الذي يرى أن شعر (خارجة) لم يثر الرفاعي حتي يحكم عليه فاستعان بحكم غيره عليه[3].

ولا شك أن الرفاعي قد بالغ في حكمه على الشاعر بالعبقرية ، إذ حال الشعر الذي جعل الرفاعي لا يستطيع أن يتحدث عنه لقلته ، بل إن ندرته توضح أن الشاعر لا يصل إلى حد العبقرية التي ألمح إليها الرفاعي .

١١ - كناشة الرفاعي

صدر هذا الكتاب عام ١٤١٦ هـ في ٢٩٣ صفحة من القطع المتوسط ، وكان أصله مقالات نشرت في المجلة العربية في خمسة وثلاثين مقالاً ما بين العدد ٧٨ الصادر في شهر رجب سنة ١٤٠٤هـ ، والعدد ١٣٦ الصادر في شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠٩هـ . ويحوي كل مقال عدة عناوين صنفها الرفاعي بحسب العناوين فجاءت ثمانية وأربعين مقالاً . وضم فيه

---

(١) خارجة بن فليح المللي . شعراء مغمورون ، ٢ .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠م) ، ص ٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .

(٣) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ١٣٧ .

كل مقال إلى ما يناسبه ، فقسم الكتاب خمسة أقسام :

الأول : على هامش السيرة : حوى ثماني مقالات ، تحدث فيها عن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن أم عمارة في خيبر ، وعن حراسة النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ، وعن حلف عبد المطلب الذي نادى به الخزاعيون ، وعن المهاجرين والأنصار وعن قصة يستعذب النبي فيها الماء ، وعن بئر رومة .

وواضح من هذا العرض أن المقالات الأربع الأولى كانت إعادة لبعض ما كتبه الرفاعي في غير هذا الموضع . فوصف الرسول تحدث عنه بالتفصيل في كتابه (الرسول كأنك تراه)، وفي مجموعة مقالات بعنوان (الرسول كأنك تراه حديث بن أبي هالة)، والحديث عن أم عمارة في خيبر ورد في كتابه (أم عمارة الصحابية الباسلة) ، والحديث عن حراسة النبي ورد مفصلاً في سلسلة مقالاته (في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم)[1]، والحديث عن كعب بن مالك يتصل بحديثه في كتابه (كعب ابن مالك) .

الثاني : بعنوان (مدن) ، وتحدث فيه عن ثلاث مدن هي المكلا ، ومالقا ، وسهيل ، الأولى يمانية ، والثانية والثالثة أندلسيتان .

وجعل القسم الثالث عن الأعلام وهو أكبر الأقسام ، وترجم فيه لسبعة وثلاثين علماً تتفاوت فيما بينها كثرة وقلة .

الرابع : تحدث فيه عن الكتب ، وكان عدد الكتب التي تحدث عنها ثمانية كتب .

الخامس : وقد جعله بعنوان (أنابيش تراثية)، وحوى ست مقالات كانت الأولى جواباً لسؤال أورده عن فائدة مثل تلك الأبحاث ، والثانية عن معنى الرشام ، والثالثة عن الرقاص وتسميته عند القدماء ، والرابعة عن الأطنوزة ومعناها العامي ، والخامسة عن البسط ، وفي السادسة طرفة عن حكماء كرمان .

---

(١) نشرت هذه السلسلة في مجلة الحرس الوطني ، من العدد ٤ ، السنة الأولى، (ربيع الآخر ١٤٠١هـ) إلى العدد ٣١ ، (رمضان ١٤٠٥هـ) .

ومع أن الكتاب صدر في العام الثاني من وفاة الرفاعي إلا أنه قد أعده قبل وفاته ، وصنفه ، وراجعه ، وكان ينوي في أول أمره أن يخرج الكتاب بالصورة التي خرج عليها ، فأعده على ذلك العزم ، ثم عدل عن هذه الفكرة إلى إخراج القسم الخاص بالأعلام ، وأرجأ الباقي . وحين اخترمته يد المنون ، أخذ القائمون على الأمر بالعزم الأول وأخرجوا الكتاب كاملاً .

ويغلب على هذا الكتاب النقول ، حتى إن القارئ ليجد في بعض الأحيان المقالة كاملة منقولة لو لا بعض الأجزاء التي يربط بها بين النقولات[1]. كما أنها تقوم على الجمع ، ويقل فيها الإبداع والابتكار ، وقد أشار الرفاعي إلى هذا بقوله : "ومثل هذه التقييدات تخلو من الإبداع الفكري ، كما تخلو من طرافة الخيال ، فهي في غالب أحوالها تتسم بالجفاف الذي لا يصبر على مثله إلا الأقلون"[2]، وهو جهد مضن بلا شك يحتاج طول متابعة وقراءة ، وتمحيصاً وإلى دقة الملاحظة التي اتسم بها الكاتب في بحوثه هذه .

وقد ضم الكتاب عدة مقالات ليست للرفاعي ولكن تجاوب أصحابها مع ما كتبه الرفاعي مثل مقالة (بئر رومة .. بئر عربية أرضاً واسماً)[3] لمحمد محمد شراب ومقالة (الكرماني وكتابه)[4] لمحمود السيد الدغيم .

ولم يختلف الكتاب عن المقالات المنشورة اختلافاً كبيرا؛ إذ كان أغلب الاختلاف يقتصر على تحويل بعض الجمل إلى ما يناسب المقام ، أو في حذف جمل وزيادة أخرى ، وعلى التغيير في علامات الترقيم . إلا في مقالين : نشر أحدهما في جزءين فضمهما الرفاعي في جزء واحد[5]، والآخر طرح فيه سؤالاً ، وأجاب عنه

---

(١) انظر مثلاً : كناشة الرفاعي ، من دفاتري ، ٤ .- الطبعة الأولى .-(الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م) ، ص ٢١ ، ص ٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

(٥) المصدر نفسه ، ٧٢ .

في الكتاب بعد حذف جملة السؤال[1]، إضافة إلى حذف بعض الفقرات اليسيرة أو إضافة أخرى . وكانت إحالة الرفاعي في المقالات ، والكتاب في متن النص دون ذكر الطبعات المختارة .

وقد درس الكتاب ضمن المقالات قبل أن ينشر وعرض هنا لأنه أصبح كتاباً .

١٢ - ابن المولى

كتب الرفاعي عن عدد من الشعراء المغمورين ، مر الحديث عنهم ، وكان آخر هذه الجهود عن الشاعر (ابن المولى) الذي لا يزال مخطوطاً .

ابتدأ الرفاعي الكتاب (بكليمة) و(خلاصة) و(بطاقة) تحدث في (الكليمة) عن السنة التي سلكها في العناية بالشعراء المغمورين ، وأهم المصادر التي تحدثت عنه باختصار وهو الأغاني ، وفي (الخلاصة) قدم زبدة البحث ، وفي (بطاقة) تعريف مختصر باسمه وشاعريته لا يتعدى أربعة أسطر .

ثم قسم الكتاب إلى قسمين جعل الأول عن ابن المولى ، وجمع في الثاني ما وقف عليه من شعره .

ثم جعل القسم الأول تسعة أجزاء . تحدث في الأول عن حياته، فذكر أنه لا يعلم مكان ولادته ولا زمانها ، وإن كان يرجح أنه ولد في (قباء) ثم استنبط من أخباره ، التي تروي أنه مدح عبدالملك بن مروان والمهدي الخليفة العباسي أنه قد أسن فبلغ عمره مائة سنة[2].

ثم تحدث عن صفاته الشخصية حيث كان "يعنى بهيئته ، ومظهره . وكان يتصل بطبقة مميزة ، ويحسن علاقاته بالخلفاء والأمراء"[3]، وكان يعد من كبار أهل المدينة " فحينما يتشكل وفد للسفر إلى بغداد من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

(٢) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، ابن المولى ، مخطوط ، ص ٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩ .

لزيارة المهدي فيه جماعة من قريش ومن الأنصار ، يشترك ابن المولى معه[1]، كما كان عفيفاً .

ويذكر الرفاعي أن أخباره قليلة لا تفي بشيء ذي بال من أحواله ، وكذلك الشأن في أشعاره التي جعلها مديحاً يدلف إليه بالغزل ، وقد يضمنه الحكم .

أما شعره الذاتي فقليل لا يمكن أن نستنتج منه شيئاً عن شخصيته إلا أنه "رب أسرة ، زوجة وأولاد"[2]، إذ نجد له قطعة شعرية يذكر فيها أم البنين ، رجح الرفاعي أنها رثاء ؛ إضافة إلى قطعة أخرى حن فيها إلى بلده حين سافر إلى العراق ، مما دل الرفاعي على شدة ارتباطه ببلده .

أما الجزء الثاني فكان عن (بيئته) وقد تناول فيه الأحداث السياسية في عصره التي كان أبرزها انتقال الحكم من الأمويين إلى العباسيين ، وحركة (النفس الزكية)[3] في المدينة ، وخلص إلى أن الشاعر كان معتزلاً للأوضاع السياسية في عصره ، متكسباً في شعره ، يمدح من يعطي أكان عباسياً أم علوياً . ويؤيد رأيه هذا بفعله حين كان يمدح الخليفة المهدي في بغداد ، والحسن بن زيد في المدينة ، وبجوابه للحسن بن زيد الذي عاتبه على التعريض بالعلويين في مدحه للمهدي إذ قال :"إن الشاعريقول ويتقرب بجهده"[4].

وفي الجزء الثالث تحدث عن أصدقائه وهم عبد الملك بن مروان ابن الماجشون ، وأبو السائب بن المخزومي ، وعبدالله بن مسلم بن جندب ، وأصبغ بن عبدالعزيز ابن مروان ، وعرف بهم تعريفاً موجزاً .

وتحدث في الجزء الرابع عن ممدوحيه الذين " كانوا نخبة من الرجال ، كان

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي رضى الله عنه ، ثار على أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ في المدينة فقتل فيها (انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، الطبعة الأولى ؛ تحقيق الدكتور محمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي وعلي عبدالستار .- (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤ م) ، ج ٢ ، ص ٦٨ .

(٤) ابن المولى ، ص ٢٦ .

يتخيرهم تخيراً ، وكان كأنما يمدحهم عن عقيدة جازمة بأنهم أهل للمدح والثناء"[1]، فذكر أنه مدح عبدالملك بن مروان قبل أن يراه ، وأن أخباره الكثيرة معه قد ضاعت ، وأنه مدح يزيد بن حاتم المهلبي الذي استفرغ ابن المولى فيه شعره ، ومدح الخليفة المهدي الذي كان يجزل له العطاء ، ومدح جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ، والحسن بن زيد بن الحسن بن علي ، وقثم بن عبدالله بن عباس مع ذكر أخباره مع كل واحد من هؤلاء .

وأما الجزء الخامس فتناول فيه شعره المغنى وذكر فيه عدة مقطوعات اختيرت للغناء ، وفي السادس عرض أقوال النقاد فيه ، وفي السابع تحدث عن ليلاه التي تغنى بها في شعره ورجح أنها قوسة . وفي الجزء الثامن تحدث عن ثقة علماء اللغة بلغته مما جعلهم يستشهدون ببعض شعره .

وفي آخر الأجزاء تساءل عن ديوانه ، وذكر أن له ديواناً مجموعاً ذكره النديم[2] لكنه فقد ، ولم يبق إلا القليل من شعره الذي حملته كتب التراث .

أما القسم الثاني فقد جمع فيه الرفاعي ما استطاع من شعر ابن المولى من مصادر التراث المختلفة ، وجاء عدد الأبيات (١٧٤) بيتاً .

وقد اكتفى بجمع أخباره ، وتصنيفها ، وجمع أشعاره من الكتب المختلفة ، وكان عمله في الشعر مقتصراً على الجمع واستخراج بعض جوانب شخصية ابن المولى ، حيث أشار إلى أن جل شعره في المديح ، وأن الغزل يأتي عنده بمقدمات القصائد كشعراء عصره ، وأنه قد يُضمن أبياته شيئاً من الحكمة[3].

كما أثنى على مدائحه التي تنم عن صدق ، وبراعة ، وجودة[4]، وعند حديثه عن قوسة ذكر أن له شعراً وجدانياً جميلاً في رثاء زوجته[5].

---

(١) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

(٥) انظر : المصدر نفسه ، ص ٧٨ .

ولأن الكتاب لا يزال مخطوطاً فهو بحاجة إلى مراجعة وتدقيق ؛ إذ يفتقد إلى كثير من الهوامش ، والإحالات ، ولعله كان في نية الكاتب أن يعدل هذه الملاحظ ، كما قد يضيف إليه دراسة مفصلة عن شعره .

وقد ألقى الرفاعي عدداً من المحاضرات انقسمت عند نشرها إلى ثلاثة أقسام :

١ - قسم نشر ضمن مؤلفاته فألحقت بها .

٢ - قسم نشر مقالاً أو مقالات فألحقت بها .

٣ - قسم لم ينشر أو نشر على مجال ضيق ، ويحتوي هذا القسم على ثلاث محاضرات وهي :

١ - عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب

كانت هذه المحاضرة من "بحوث المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفترة من ١٩ حتى ٢٣ ربيع الأول١٤٠٦هـ[١] وقد نشرتها مكتبة الملك فهد الوطنية على نطاق ضيق في عام ١٤٠٨هـ .

بلغت المحاضرة أربعاً وثلاثين صفحة من القطع الصغير ابتدأها بتمهيد تحدث فيه عن اقتران حكم آل سعود بالدعوة الدينية منذ أول أمرها، وما يقتضيه ذلك الاقتران من نصر للعلماء ، وسعي إلى نشر الدعوة .

ثم انتقل إلى عنوان (عبدالعزيز والعلم) تحدث فيه عن تحصيل الملك عبدالعزيز للعلم في صباه ، وما اعتاده في حياته من تخصيص مجلس للاطلاع والمعرفة "وهو مجلس يومي ينعقد في قصره بعد العشاء يقوم فيه .. قارئ مخصوص بالقراءة في كتب علم معينة"[٢].

ثم انتقل إلى فقرة بعنوان (المنشورات الأولى) ذكر فيها أنه من الصعب "أن

---

(١) عبدالعزيز الرفاعي . عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب .- (الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) ، ص ٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩ .

نحدد أول كتاب أمر بطباعته الملك عبدالعزيز وإن كان لهذا الأمر أهميته التاريخية ، ودلالته في اهتمامه ..."[1] ثم ذكر مصادر معرفة الكتب التي نشرها الملك عبدالعزيز وهي (الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز) حيث أفرد مؤلفه الزركلي باباً لعنايته بكتب السلف ، ومساعدته لناشري الكتب ، و(دليل المؤلفات السعودية) وهو كتيب صغير ومقالان نشرا في جريدة أم القرى يسعيان لحصر الكتب التي طبعها الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - منذ أن توجهت عنايته إلى ذلك حتى رمضان سنة ١٣٤٧ هـ ، وهو تاريخ نشر المحاولة ، وقد كتبت المقالات بلا توقيع تحت عنوان : (في سبيل خدمة الدين والعلم) ، أما المصدرالرابع لهذه المعلومات فهو ما تذيل به الكتب المنشورة من الثناء على ناشر هذه الكتب أو ما يكتب على ديباجتها في ذلك .

وفي أثناء ذلك تحدث عن أماكن الطباعة ، فذكر أن أول مكان طبعت فيه الكتب هو (بومباي) وأن من أقدم ما طبع تاريخ ابن غنام (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام) وقد طبع في بومباي سنة ١٣٣٢هـ ، وكان مصدره في هذا الشيخ حمد الجاسر . بعد ذلك تحدث عن الطباعة في القاهرة ، فذكر أنها تمت بالاتفاق مع الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مطبعة المنار منذ سنة ١٣٤٠هـ حتى وفاة الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٣٥٤هـ ، ثم انتقل الطبع إلى مطبعة (أنصار السنة) لدى الشيخ (حامد الفقي) .

أما المكان الثالث الذي طبع فيه فهو الشام في مطبعة الترقي بدمشق وكان المطبوع (روضة المحبين ونزهة المشتاقين) لابن قيم الجوزية وكان بتصحيح أحمد عبيد .

ثم انتقل إلى الحديث عن خطة الملك عبدالعزيز في النشر التي تتمثل باتباع "ما يشير به عليه من كان يثق بهم من العلماء"[2]، ثم ختم المحاضرة بسرد الكتب التي

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

قام الملك عبدالعزيز بنشرها وبلغت ثمانية وتسعين كتاباً.

وتقوم هذه المحاضرة على التأريخ والتوثيق فهي محاضرة توثيقية ، وإن كانت تفتقد الترتيب ؛ إذ لا نجد تنظيماً في عرض المادة . فمصادر معرفة الكتب التي تنشر تختلط مع أماكن الطبع ، مع من كان مسئولاً عن الطبع، فكأن الكاتب حين أراد أن يقيد المحاضرة ترك للصدف العنان للانطلاق بهذا الموضوع دون ترتيب أو تنسيق .

٢ - ابن جبير في الحرمين الشريفين

ألقيت في جدة في قاعة ليلتي في ٢٢ رجب ١٤١١ هـ بدعوة من بنك الرياض بجدة ، وطبعها البنك طبعة محدودة .

وتحتوي هذه المحاضرة على تعريف موجز بابن جبير، وذكر سبب الرحلة التي قام بها ، ثم لخص ماذكره ابن جبير في رحلته من وصوله إلى جدة إلى أن فارق المدينة المنورة حين انتهت رحلته في الحرمين الشريفين .

وقد بنى المحاضرة على ثلاثة أقسام : جعل القسم الأول عن ابن جبير في جدة واستغرق هذا القسم مقدار ثلاث صفحات ، أما القسم الثاني فهو ابن جبير في مكة المكرمة ، واستغرق هذا القسم من الصفحة التاسعة عشرة إلى الخامسة والأربعين وهو أطول الأقسام . أما القسم الثالث فهو ابن جبير في المدينة المنورة ولم يستغرق سوى أربع صفحات .

ويكاد يقتصر عمل الرفاعي في هذه المحاضرة على تلخيص الجزء الخاص بهذه الأقسام من الرحلة وعرضه أمام الحاضرين . وقد يقابل بين ما كان زمن ابن جبير وما أدركه في أول حياته قبل حدوث التوسعات المتكررة .

كقوله بعد أن أورد قول ابن جبير : "يقبل سدنة البيت الشيبيون ، فيبادر منهم من ينقل كرسياً كبيراً شبه المنبر الواسع ، له تسعة أدراج مستطيلة ، قد وضعت له

قوائم من الخشب متطامنة مع الأرض ..."[1].

فقد قال : "وقد كان بالمسجد الحرام إلى جوار مبنى بئر زمزم مدرج أدركته ولعل منكم من شاهده ، وصفته قريبة من الصفة التي ذكرها ابن جبير"[2].

وقد يعلق على قول ابن جبير بما يخالف رأيه كقوله بعد قول ابن جبير " أما الباب الثاني فباب المسفل ، وعليه طريق اليمن ، ومنه كان دخول خالد ابن الوليد"[3] ، فقد قال : "والذي يغلب على ظني أن باب المسفلة كان في الطريق إلى السفلة من جهة طرف الشبيكة الموصل إلى (المجلة) حيث كان ينتهي سوق الصغير، أما الطريق الذي سلكه خالد بن الوليد فهو فيما أظن من جهة حارة الباب"[4]. ولم يذكر تعقيباً غير هذا .

والمقابلات بين ما كان عليه الحرم في زمن ابن جبير وما كان عليه في زمن الرفاعي ليست كثيرة ، وما سوى هذا التعقيب وبعض المقابلات اكتفى بالتلخيص فقط وعرض جوانب الرحلة المتصلة بالمدن الثلاث .

٣ - نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي

وقد أرخ القسم الأول منها في ١/ ١٤١٤/٥هـ وهي مهداة إلى مؤسسة الفرقان .

وقسم الرفاعي المحاضرة إلى قسمين جعل الأول (إيضاحاً) تحدث فيه عن سبب اختيار الموضوع ، وعن قيمة خزانة البغدادي ، وعن مصير هذه الخزانة العظيمة ، وأنواع الكتب التي كانت تحويها. ثم ختم هذا القسم بالحديث عن الجهود التي تبذل لتحقيق المخطوطات . ودعا إلى إقامة روابط بين هذه المؤسسات ، تنسق جهودها ، وتنوع مهماتها ، وتتلافى التكرار ، وتجد وسائل مجدية للتعاون

---

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير.- د.ط.- (بيروت : دارصادر للطباعة والنشر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص ٧٠ .

(٢) ابن جبير في الحرمين الشريفين .- د.ط .- (جدة : بنك الرياض ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م)، ص ٢٤ .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ٨٨ .

(٤) عبدالعزيز الرفاعي ، ص ٢٩ .

الحقيقي المثمر ، لخير التراث العربي والإسلامي[1].

أما القسم الآخر وهو (البيانات) فقد سرد فيه المخطوطات التي في خزانة البغدادي مكتفياً بما لم ينشر بعد ، ومعدداً نسخ هذه المخطوطات ما وجد إلى ذلك سبيلا ، ذاكراً مصدر علمه عن هذه النسخة بعد ذكره النسخة ومكانها . وقد بلغ عدد المخطوطات ثلاثة وعشرين مخطوطاً .

وتدل هذه المحاضرة وهي آخر محاضرات الرفاعي على الاتجاه العلمي التحقيقي الذي سلكه في آخر حياته ، حيث عني بالمخطوطات وتحقيقها ، كما تدل على الجهد الذي بذله في تتبع هذه المخطوطات وإحصائها .

وقد سبقت هذه المؤلفات جهود أخرى تتمثل في أمرين :

الأول : جهوده مع شيخه عمر عبدالجبار الذي أخرج سلسلة القراءة للمرحلة الابتدائية ، فقد قام الرفاعي بمراجعة مناهج دراسية كان شيخه معنياً بتأليفها ، فنسق ، واقترح وأضاف[2] . وظهر اسمه مجاوراً اسم أستاذه في تأليف الكتاب ، وإن كان هذا العمل لا يعد تأليفاً بالمعنى الدقيق ، فلا يعدو المراجعة والتصحيح .

الثاني : وهو عمل مشترك خارج التأليف المدرسي ، فقد اشترك هو وأحمد محمد جمال في إخراج كتاب (إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام) لعبدالكريم القطبي (ت ١٠١٤هـ) ، وقد نشر هذا الكتاب في أول طبعة عام ١٣٦٦ هـ في لجنة النشر والتأليف . وكان توجههما إلى هذا الكتاب بمشورة من الشيخ عبدالوهاب الدهلوي[3] الذي نسخ الكتاب من مكتبة (شيخ الإسلام)[4] بالمدينة المنورة .

وتمثل عمل الرفاعي وصاحبه في تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية ، وإصلاح سُوء الترتيب ، وإيراد كلمات لم تتضح صحتها لهم من المطول ، وبمقابلة النسخة

---

(١) نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي ، مخطوط في دار الرفاعي ، ص ١٠ - ١١.

(٢) انظر : رحلتي مع التأليف ، ص ١٦ .

(٣) أحد العلماء في مكة في القرن الرابع عشر ، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٤) لم يبين الكاتب مَنْ شيخ الإسلام ؟ ويظهر أنه عارف حكمت صاحب المكتبة الشهيرة .

المدنية بنسختين مطبوعتين للمطول طبعت إحداهما في مصر، والأخرى في أوربا ، وبإعادة مباحث من المطول حذفها المختصر لأهميتها في رأيهم وقد وضعوها في هامش الكتاب ، وبتخريج بعض الآيات ، ووضع تعريف للكاتب الأصلي صاحب المطول وللمختصر ، وأسندت كتابة التعريفين للأستاذ عبدالله عبدالجبار[1].

ولم يعن الجهد المشترك بتحقيق النص من الأصول المخطوطة مع علمهم بنسخة خطية للكتاب أخبرهم بوجودها في دار الكتب المصرية الشيخ حمد الجاسر . وأشار الرفاعي إلى أنهم اطلعوا عليها حيث يقول : "أخبرنا الأستاذ حمد الجاسر عن نسخة خطية لهذا الكتاب رآها في دار الكتب المصرية تقع في مائة وعشرين ورقة صغيرة في كل ورقة ستة وعشرون سطراً وهي مكتوبة بخط النسخ الجميل ، وقد جاء في آخرها قال مؤلفه :"فهذا آخر ما لخصته من تاريخ عمي وأستاذي الشيخ قطب الدين مفتي مكة..."، وسيرى القارئ في آخر الكتاب قول مؤلفه :"وهذا آخر ما لخصته ...وذلك في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ...سنة ألف من الهجرة"[2].

ومما يلفت الانتباه أن الرفاعي وصاحبه عنيا بالمطول ، أكثر من عنايتهما بالمختصر ، إذ عارضا بين المختصر والمطول على نسختين من المطول وأعادا بعض النصوص التي رأيا أهميتها ، فلو أخرجا المطول لكان أولى .

ولا يعد ما قاما به تحقيقاً لعدم توافر الشروط الكافية فيه ، فمع عدم حرصهما على إخراج النص الأصلي للمختصر الذي يعد لب التحقيق[3] لم يخرجا الآثار

---

(١) انظر : عبدالكريم بن محب الدين القطبي ، إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام .- الطبعة الثانية ؛ علق عليه :أحمد محمد جمال ، وعبدالعزيز الرفاعي ، وعبدالله الجبوري .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ،١٤٠٧ هـ/١٩٨٧) ، ص ٩ - ١١ .
عبدالله عبدالجبار ، (١٣٣٨ هـ -) ولد في مكة ، أديب وقاص ، وله مؤلفات عدة منها: مرصاد المرصاد ، أمي (قصة) (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٩٧) .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(٣) انظر : عبدالسلام هارون . قطوف أدبية حول تحقيق التراث .- الطبعة الأولى .- (القاهرة : مكتبة السنة الدار السلفية لنشر العلم ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨ م) ، ص ١٣ .

والنصوص التي في الكتاب ، ولم يعرِّفا بالأعلام وقد لحظا هذا المأخذ في جهدهما فكتبا عليه (علق عليه) وبهذا خرجا من ضوابط التحقيق المتبعة ، وإن كان الرفاعي قد سماه محاولة تحقيق[1]، واعتذر الحارثي لهما بأن هذا الكتاب خرج قبل انتشار ضوابط التحقيق العلمي ، واستقرارها[2].

هذه الجهود هي جهود الرفاعي التأليفية في أول حياته ، وهي جهود ضئيلة لا تعد تأليفاً وقد سبقت بمحاولات في كتابة القصة والمسرحية ، كما سبقت بعزمه على وضع كتب لمادة الهندسة ، والحساب ، والسيرة ، تنتهج في الهندسة والحساب طرق التدريس الحديثة ، وفي السيرة أسلوب القص الممتع ، وذلك حين أسند إليه تدريس هذه المواد ، وقد صرفه عن هذا العزم تركه التدريس بعد أن قضى فيه عاماً واحداً .

ويظهر من تتبع الفترات الزمنية لأعمال الرفاعي أنه لا يثبت على عمل فقد كانت بدايته بالشعر ثم تحول إلى القصة ، وبعدها إلى المسرحية ثم إلى المقالة . وفي العقد الخامس من عمره بدأ بالتأليف وإعداد البحوث ، وعلى هذا فالتأليف آخر مرحلة تطور إليها فكر الرفاعي ، وهي مرحلة النضج الذي وصل إليه .

وقد لا نعجب لانتقاله من المقالة إلى التأليف ولكننا نتساءل عن كثرة تنقله وسرعته بين الشعر ، والقصة ، والمسرحية ، والمقالة ، فقد يكون غرور الشباب الذي يصور له أنه قادر على أن يكون ... ويكون ... كما ذكر الرفاعي[3] ، وقد يكون ناتجاً عن ملاله ذلك الملل الذي يجعله لا يستقر على أمر .

وقد يعين هذا الاستنتاج في تعليل صغر حجم كتبه ، وقلة المادة العلمية فيها ، فهو ناتج عن ملله من العمل الدؤوب فيها ، ومحبته للاختصار ، ويؤيد هذا إشاراته في بعض مقالاته إلى أنه راصد فقط وأنه

---

(١) انظر : رحلتي مع التأليف ، ص ١٩ .

(٢) انظر : الرفاعي أديباً ، ص ٤٦ .

(٣) انظر : " أما بعد " جريدة عكاظ .- جدة : العدد ٦١٧١ ، (١٤٠٣/٨/١٠ هـ) .

يشير وحسب ولهذا العمل غيره من المختصين[1].

ويمكن أن تعد جهود الرفاعي السابقة إرهاصات للتأليف الذي ابتدأه بكتابه (توثيق الارتباط بالتراث). وقد بلغت الفترة الزمنية بين جهوده الأولى وكتابه الأول عشرين عاماً ، وهي مدة ليست قصيرة . وقد لا يكون مهماً أن نعرف سبب التوقف بالنسبة لكاتب لما تكتمل أدواته ، ولكن الأمر المهم أن نعرف سبب العودة .

يذكر الرفاعي أنه عقب عودته من مؤتمر الأدباء في بغداد "عقد العزم على أن يبدأ في نشر بعض كتاباته التي يصح أن تصدر في كتيبات صغيرة"[2] ولا يبين بعد ذلك عن سبب هذا العزم ، ولا عن سبب اختيار هذا الموضوع إلا أن مادة الكتاب متوافرة عنده وقريبة إلى يده[3].

والذى يظهر أن بين الفترة الزمنية التي عاد فيها إلى التأليف ، والموضوع الذي طرق ارتباطاً وثيقاً ، فقد كانت الأمة تمر بظروف عصيبة خاصة فيما بعد حزيران ١٩٦٧ م كما يقول الرفاعي ، وهي في هذه الظروف بحاجة إلى "أن ترتكز على تراث تستمد منه عزيمتها ، وتلتف حوله ، وتنطلق من مركزه ، وتبلور مستقبلها على قواعده ..."[4].

فحاجة الظروف الزمنية إلى هذا الموضوع في نظر الرفاعي هي التي دفعته للكتابة فيه ونشره ، ومن هنا كانت البداية .

ويضاف إلى هذا البناء الذي قام عليه الكتاب ، فلم يكن بحثاً علميًا معتمداً على المصادر والمراجع ، وإنما هو خواطر وأفكار اختلجت في ذهن الرفاعي فأودعها هذا الكتاب ؛ موضحاً فيه منهجه في العمل بالتراث ، والطريقة التي يرتضيها ، وهذا الكتاب هو القاعدة لمؤلفات الرفاعي التي انطلق منها في سائر كتبه ويمكن أن

---

(١) انظر : مثلاً - " في الأدب المهجري الجديد " .- المجلة العربية .- الرياض : العدد١٨٣ ، (ربيع الآخر ١٤١٣هـ)، و محطات ، جريدة الجزيرة : العدد ٤١٣٠ ، (١٤٠٤/٤/١٦ هـ)

(٢) رحلتي مع التأليف ، ص ٢٣ ، بتحويل ضمير المتكلم إلى غائب .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

(٤) توثيق الارتباط بالتراث ، ص ٥ .

يرد إليه ؛ ولذا فالبداية في هذا الكتاب بداية موفقة تدل على التخطيط والتنظيم الذي يبعد معه أن يكون البدء فيه أمراً اعتباطيًا ناتجاً عن توافر المادة أو غيره من الأسباب التى تنبئ عن الصدفة في العمل .

بقي أن نعرف لماذا اتجه الرفاعي إلى التراث لحل مشكلات الأمة ، ولم يتجه إلى الغرب أو إلى الشرق ككثير من المفكرين ؟ .

يجعل الحارثي هذا الاختيار "من جنس مخزونه الذهني"[1] الذى قام على التراث وتشبع به ، ومع ما لهذا التعليل من وجاهة فإننا لا نستطيع أن نغفل أثر إسرائيل ، عدوة الرفاعي ، عليه في اتجاهه إلى هذا الأمر ، وذلك لأن الرفاعي قد عقد في ذهنه مقارنة بين أمته التي كانت قوية فضعفت ، وإسرائيل التى لم تكن شيئاً ثم حيت وانتصرت . ورأى أن سبب قوتها هو التراث الذي "صنعته نصنعها"[2] فاستفاد منهم هذه الفكرة ، ونادى بالمشروع ، وسعى به ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

أما المنهج الذي اختطه الرفاعي لنفسه فقسمان : قسم أشار إليه في كتابه توثيق الارتباط بالتراث ، وقسم سار عليه دون الإشارة إليه .

ويتمثل الأول بقوله : " إذا أردنا أن نعمل على توثيق الأديب بتراثه . فإن نقطة الارتكاز الأولى ستكون التعرف على هذا التراث وتحبيبه إلى النفوس ، وتعويد الأجيال الجديدة عليه ، وتقريبه إليهم ، والعناية بالكلمة العربية ... والعمل على إبراز بطولاتنا ، والمثُل الصالحة من أبطالنا وقصص تضحياتنا ، وتسخير كل وسائل إعلامنا لخدمة التراث العربي ، وإحياء ذكرى أعلامنا"[3]، وهذا المنهج عام يقدمه الرفاعي لكل من يريد أن يعمل بالتراث .

وقد سار الرفاعي على هذا المنهج خاصة " العمل على إبراز بطولاتنا والمثل

---

(١) الرفاعي أديباً ، ص ٦٢ .

(٢) توثيق الارتباط بالتراث ، ص ١٣ ، بتصرف يسير .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧ - ٢٨ .

الصالحة من أبطالنا وقصص تضحياتنا"[1] فجاءت كل كتبه التاريخية عن شخصيات تمثل نماذج وأبطالاً من سلفنا الصالح أبرزها الرفاعي لتكون قدوات ومنارات يهتدي بها السائرون في هذا العصر الذي كثرت فيه السبل وعز الدليل .

وقد نعجب لعناية الرفاعي بالأشخاص عناية تفوق اهتمامه بالأفكار؛ إذ لا نجد له كتاباً أفرد قضية بالحديث عنها حديثاً علمياً إلا ما كتبه عن (الحج في الأدب العربي) ، وعن (توثيق الارتباط بالتراث) مع ضعف الطابع العلمي في تأليف هذين الكتابين ، هذا ، مع أن العناية بالشخصيات وتعليق أفكار الناشئة بهم يعد مرحلة أولى في التربية تتبعها مرحلة العناية بالقضايا والأفكار والوقوف عند المرحلة الأولى أمر غير مقبول .

ولا يذكر الرفاعي سبباً للاكتفاء بهذه المرحلة إلا ما ذكره من إبراز القدوات ، وهو سبب غير كاف ، والجمع بين المرحلتين ليس متعذراً ، على أنه - أيضا - لم يعن بإبراز جانب القوة في تأليفه عن الشخصيات إلا في كتاب (أم عمارة) الذي تحدث عن مواقفها البطولية في بيعة العقبة ، وغزوة أحد ،وخيبر ،وحرب المرتدين[2]. وخص هذه المواقف بأحاديث مفصلة توحي باهتمامه بهذه المواقف وبإبرازها للناشئة ، وأما سائر كتبه فقد تحدث فيها عن جوانب عدة ولكنه لم يعط جانب القدوة كبير اهتمام ، ولم يظهر المواقف التي يحسن فيها الاقتداء بهم من عدمه .

وأما القسم الثاني من المنهج فنستشفه من تتبع كتبه وطرائقه في التأليف. ويتمثل باحتفائه بالأعمال المبتكرة ، والطرق المبتدعة ، التي لا يسير فيها على مثال يحتذى ، أو جادة مطروقة كما في كتابه (من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين) فقد تردد في تأليف هذا الكتاب حذراً من أن يكون سبق إلى رسالة عبدالحميد فيتكرر الجهد[3]، وكما في كتبه (كعب بن مالك) و (أرطأة بن سهية)

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر : أم عمارة الصحابية الباسلة ، ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٤١ .

(٣) انظر : من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، ص ٧ .

و (زيد الخير) فقد عدل عن فكرة جمع شعر هؤلاء من بطون كتب السير والمغازي حين علم بما يقوم به بعض الباحثين[1].

وكما يدل هذا الجانب من منهج الرفاعي على إيمانه بوجوب تضافر الجهود ، وتكاملها فإنه يوحي بأحد أمرين : إما بقدرته على استنباط الأفكار الجديدة ، والطرق المبتكرة التي لم يطرقها أحد ، وهو على هذا صاحب فكر مبتكر ، ولا بد أن يكون في الأعمال الجديدة من العيوب ، والخلل ما يغض الطرف عنه ويتسامح فيه . وإما بعدم قدرته على البحث العلمي العميق ، وتتبع ما بحثه الآخرون والمجيء بالجديد فيما سلكوا ، فيكون أمام أحد أمرين : إما أن يكون صوتاً لهم ، يردد ما يقولون ، وإما أن يخرج بطرق جديدة لم يطرقها أحد ليكون أثر قدميه واضحاً جداً ، وهذا ما اختاره الرفاعي وارتضاه .

ويتمثل - أيضاً - بحرصه على إفادة المتلقي وذلك بتتبع رغبته فينظر فيما يرغب به القارئ فيحققه ، كما في كتاب (من عبدالحميد الكاتب) ، إذ يشير في المقدمة إلى أن هذا الكتاب يحقق أكثر من رغبة ، " فكما أنها تستهدف الكتاب والموظفين ، فإنها أيضاً ، تحفة أدبية تستهوي المثقفين وشداة الأدب ...كما أن المعنيين بأدب التراجم ، سيجدون إن شاء الله في ترجمة عبدالحميد ما قد يرضي شوقهم ... "[2].

وقد جعل الرفاعي عمله في (أم عمارة) من تحقيق رغبة القارئ حيث قسمه قسمين ، وتابعه على ذلك الحارثي ، وربط بينه وبين الكتاب القدماء الذين يسعون إلى جعل مؤلفاتهم ملتقى لكثير من الرغبات كالجاحظ وابن قتيبة . ولا يجعل الحارثي هذا التوافق من باب " تقليد المتأخر للمتقدم ، وإنما تفرضه طبيعة المنهج الفكري العربي العام ذي البناء التشاكلي الحر الذى لا يعرف التوقف أو الجمود عند حدود معينة ، وإنما ينتج فرصة التفاعل بين

---

(١) انظر : كعب بن مالك ، ص ٦ . وأرطأة بن سهية ، ص ٦ . وزيد الخير ، ص ١٠ .

(٢) من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين ، ص ٤ .

التليد والجديد عن طريق حركة التأثر والتأثير المستمرة ..."[1].

والأظهر أن عمل الرفاعي في (أم عمارة) لا يعد من تتبع رغبات القارئ ، وإنما من تتبع مستويات القارئ ، لأنه تحدث إلى رغبة واحدة هي الرغبة في السيرة ، ونظر إلى مستويات القراء في هذا الاتجاه فمنهم القارئ المبتدئ الذي يرغب في القصة مجردة من البحث ، ومنهم القارئ المتمكن الذي لا يرضى بالقصة مجردة من الحقائق العلمية .

والفرق بين الرغبة والمستوى ظاهر ، فالرغبة أعم من المستوى وهي ذات مستويات عدة ، فقد تكون الرغبة في السيرة ، أو في الأدب ، أو في الطب . وتظهر متابعة رغبة القارئ جلية في الكتب الجامعة التي صنفت لذلك كالعقد الفريد لابن عبدربه ، والمعارف لابن قتيبة مثلاً .

ومما يختص به هذا المنهج عنايته الشديدة بالنثر ؛ إذ دفعته لوضع دراسة خاصة لرسالة عبدالحميد ، ووضع كتاب عن كعب بن مالك ، وكتاب عن حديث أم معبد . هذا مع حديثه عن نثر بعض الشخصيات التي درسها كأرطأة بن سهية الذى أفرد لنثره فقرة خاصة بالكتاب ، ووقف فيها على بعض خصائصه الأسلوبية[2]، وكزيد الخير حين تحدث عن نص نثري أثر عنه يدل على قدرته النثرية[3]، كما ألمح في كتابه (الحج في الأدب العربي) إلى أثر الحج في النثر[4].

ولعل الرفاعي قد لحظ إعراض الدارسين منذ القديم عن الدراسات النثرية وانصرافهم إلى الشعر ، فأراد بهذه الجهود أن ينبه أقلام النقاد ، وأن يشارك في سد هذه الظاهرة في الأدب العربي ، وهو حين يفعل ذلك إنما ينصف نفسه فهو كاتب يعنيه ما يعني بقية الكتاب .

ومما اختص به منهجه العناية بالشعراء الأغفال ، فيقول : "من هنا اعتقدت أن

---

(١) الرفاعي أديباً ، ص ٥٤ .
(٢) انظر : أرطأة بن سهية ، ص ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) انظر : زيد الخير ، ص ٩٧ .
(٤) انظر : الحج في الأدب العربي ، ص ٥٦ .

التاريخ الأدبي ألحق بهؤلاء الشعراء ظلماً غير يسير..فأخذت على عاتقي أن أحاول إنصاف من أستطيع منهم ، وأن أنقل أسماءهم من ذلك الظل الذي غشيهم إلى ما أقدر عليه من إلقاء الضوء على حيواتهم ، وأشعارهم جمعاً وشرحاً"[1].

وقد عد من الأدباء الأغفال (زيد الخير) و(ضرار بن الأزور) و(أرطأة ابن سهية) على حين يعدهم- في الدراسات التي كتبها عنهم - أبطالاً فرساناً شعراء . ويقارن بين هؤلاء وخاصة (ضرار) و(زيد) و(عبدالله المزني) و(خارجة المللي) مع الفرق الكبير بينهم .

ويقصد الرفاعي بالشعراء الأغفال ، الشعراء الذين كان لهم نصيب من الجودة والتقدم ، ولكن التاريخ لم ينصفهم ، ومن هنا عَدهم من المغمورين ، ولكن هل كانوا ممن لهم حظ من الأدب والذكر فنلوم التاريخ على إغفالهم ؟! إن أخبار هؤلاء الشعراء لا تسعف بالحكم عليهم ، والمصادر التي عاصرتهم لم تعطهم ذكراً واهتماماً . هذا على أن (أغفال) جمع (غفل)، وهو كما يقول صاحب القاموس المحيط : "من لا يرجى خيره ولا يخشى شره ... والمجهول من الشعراء"[2].

وللرفاعي أهداف في وضع كتبه تتعدد وتختلف ، ولكنها تشكل بمجموعها دوائر مختلفة الأحجام بعضها داخل في بعض ، أصغر دائرة فيها دائرة التعريف بالأديب أو الشخصية ، ثم دائرة إبراز مواطن القدوات في هذه الشخصية ؛ وتأتي دائرة خدمة التراث الإسلامي بالكشف عن خزائنه وبتوثيق صلة الأدباء والمثقفين به، ثم تأتي أوسع دائرة وهي إصلاح الأمة الإسلامية في هذا العصر ، وردها إلى مواطن السيادة والقيادة .

وأما عن طريقة الرفاعي في وضع كتبه ، فقد اعتمد في أغلبها على التخطيط، والتنفيذ وفق ضوابط البحث كجمع المادة العلمية وترتيبها وتصنيفها ، والعناية

---

(١) عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني ، ص ٣ .

(٢) الفيروز أبادي . القاموس المحيط .- د، ط .- (بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م)، ج ٤ ، ص٢٥ ، مادة غفل .

بالإحالات والهوامش ، فكان يجمع مادته العلمية ، ويرتبها ، ويحرص على الدقة العلمية في الاقتباس والإحالة ، وكثيراً ما يعنى بالتحقيق والتدقيق وتتبع الموضوع من أصوله ، كما في (خولة بنت الأزور). قد يتساهل في التزام هذا المنهج فيخرقه ببعض التجاوزات كميله مع الشخصية التي يتحدث عنها ، فيسعى لإظهارها بمظهر الكمال مبعداً عنها أي تهمة قد تقلل من قيمتها. من ذلك حديثه عن كعب ابن مالك رضي الله عنه حيث حشد النصوص والشواهد التي تثني عليه ، وتقدمه في الشعر بل ابتعد عن الموازنة بينه وبين حسان بن ثابت لئلا يقدم حساناً عليه ، كما هو رأي دارسي أدب تلك الفترة ، ومن يقرأ ما كتبه عن كعب بن مالك فلن يشك في أن كعباً أشعر الشعراء الثلاثة .

ومثل ذلك ما فعله في كتاب (أرطاة بن سهية) فقد جعله بطلاً شاعراً فحلاً مع أنه لم يذكر في دراسته ما يثبت هذه الصفات ، فلا وقائع تثبت بطولته ، ولا قصائد جياداً تثبت فحولته . وكان اعتماده في ذلك على أشعار الفخر التي يكثر فيها القول وقد لا تدل على فعل بطولي ، كما ذكر بعض الصفات التي تبعده عن البطولة والفحولة كجريه وراء الدينار مادحًا تارة وذاماً تارة أخرى .

وكذلك الشأن في (زيد الخير) فقد اجتهد لإخراج زيد من المؤلفة قلوبهم ورد النصوص في ذلك حتى ولو كانت في البخاري؛ لأن ذلك منقصة في نظر الرفاعي ، وهو يفعل هذا على حين نجده يقبل رواية أخرى غير صحيحة ، لأنها تثني على زيد فتجعله طالب علم يسأل عن الحلال والحرام من الصيد[1] والسائل في الأصل عدي ابن حاتم[2] أو لأن الرواية تثني عليه وتجعله محل إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم لحلمه وأناته وهي موجهة لأشج عبدالقيس[3].

---

(١) اعتمد الرفاعي في هذه الرواية على كتاب الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٥٨ ، ولم يرد زيد سائلاً عن هذا الحكم في كتب الحديث المعتمدة .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) سبق تخريجه .

وقد يكون الرفاعي في هذا متأثراً بقراءاته التي أسس عليها قاعدته الثقافية في أول حياته ، المعتمدة على القصص الشعبي الذي يكون فيها البطل أسطورة لا تهزم ولا تموت ، فجاءت مصطبغة بهذه الصبغة من حيث لا يشعر .

كما يلاحظ عليه الجمع بين الأسلوب العلمي والأدبي في الحديث عن الحقائق العلمية ، وهذا المنهج أقرب إلى طبيعة الرفاعي الأديب، أو لعل الذي اضطره إلى ذلك قلة المادة العلمية فسلك سبيل تشقيق الكلام، وإخراج بعضه من بعض كقوله في الحديث عن ثبات ضرار بن الأزور على الإسلام : " كما نستشف أن ضراراً كان عميق الإيمان بالرسالة ، فلم يتراجع عن إسلامه ، ولم يرتد مع المرتدين من قومه .. ولم ينضم إلى طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة في بني أسد .. وانحاز إليه جماعة منهم ، وممن جاورهم من القبائل .. بل ظل صامداً على إيمانه متمسكاً بعقيدته لم ينحرف عنها قيد شعرة ..."[1].

وقد نشرت أغلب كتب الرفاعي مقالات منجمة في الصحف والمجلات، أشار إلى ذلك بقوله : " وعقب عودتي ، عقدت العزم ، على أن أبدأ في نشر بعض كتاباتي التي يصح أن تصدر في كتيبات صغيرة ، يضم كل كتاب موضوعاً معيناً "[2]. ويستثنى من هذا الأمر ثلاثة كتب لم تخرج مقالات وهي : (كعب بن مالك) و(أم عمارة) و(من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين) .

وعلى هذا يمكن القول بأن كتب الرفاعي مجموعات مقالية أعمل فيها قلمه تنظيماً ، وربطاً بين أجزائها حتى خرجت في صورة مؤلفات علمية . فهي تحوي من فن التأليف بعض السمات ، كما تحوي من فن المقالة سمات أخرى ؛ إذ فيها من التأليف الترتيب ، والتبويب ، والتخطيط المسبق ، والنشر مجموعة في كتاب ، وفيها من المقالات العفوية ، وقلة المادة العلمية . فكعب بن مالك وضع فيه رسائل علمية ، بينما اكتفى الرفاعي بكتيب صغير ، والتكرار كقصة زيد الخير مع

---

(١) ضرار بن الأزور ، ص ٢٨ .

(٢) رحلتي مع التأليف ، ص ٢٣ .

عامر بن الطفيل التي تكررت أكثر من مرة مع عدم الفاصل الطويل ، وبالتفاصيل نفسها ، وعدم التعرض إلى أقوال السابقين ، ودراساتهم مكتفياً بآرائه ، وخواطره حول الموضوع المدروس مع كونها قد نشرت مقالات .

هذا حكم عام .أما من الناحية التفصيلية ، فكتبه ثمانية عشر كتاباً، منها ستة كتب لاتأخذ من المنهج العلمي إلا بأوهى الأسباب . وهي في حقيقتها مقالات مطولة ، أولها (توثيق الارتباط بالتراث) الذي كان محاضرة ثم أخرج في كتاب دون تعديل ويتسم بطابع المقالة في شكله ومضمونه ، ففي شكله لم يراع الترتيب ، ولا التقسيم المنطقي ، وفي المضمون لا يعدو أن يكون خواطر انهالت على الكاتب في فترة خاصة فقيَّدها . وثانيها (جبل طارق والعرب) الذي نشر مقالاً واحداً في مجلة قافلة الزيت ، والبواقي (الحج في الأدب العربي) و(خمسة أيام في ماليزيا) و(رحلتي مع المكتبات) و(رحلتي مع التأليف) وهي كالأول في الشكل والمضمون .

ويقترب من هذا القسم كتابان آخران هما : (خولة بنت الأزور) و(أم عمارة) اللذان لا يظهر فيهما المنهج العلمي تمام الظهور .

بقي بعد ذلك الكتب العشرة التي أخذت حظاً من المنهج العلمي فاعتمدت على التبويب ، والترتيب ، والتخطيط ، والدقة في الاقتباس والإحالة مع ما فيها من سمات المقالة العامة سالفة الذكر .

وهذا يجعلنا نتساءل عن حقيقة هذه الكتب.أكتب أم مقالات مطولة ؟ وعن الرفاعي نفسه أمؤلف باحث ، أم كاتب مقالي ؟ .

والذى يظهر من العرض السابق أن الرفاعي كاتب مقالي وليس مؤلفاً، وأن صحبته للمقالة التي استمرت قبل التأليف أربعاً وعشرين سنة قيدته بقواعد هذا الفن فلا يستطيع الانفلات منه . وحين أراد التمرد على هذا الفن ظل متأثراً بسماته ، فمؤلفاته في واقعها أقرب إلى المقالات المطولة ، منها إلى المؤلفات ، لا سيما المقالات التي تعتمد على المنهج العلمي .

الجدول رقم (١)يوضح أصل الكتاب ومقدار التغيير بين الأصل والكتاب :

الكتاب	نواته	ملحوظات
توثيق الارتباط بالتراث	محاضرة، ونشر مقالاً في جريدة البلاد في ١٣٨٩/٢/٢١ هـ	ذكر الرفاعي أنه أخرج المحاضرة نفسها بلا تغيير يذكر .
جبل طارق والعرب	مقال نشر في (قافلة الزيت) ربيع الأول ١٣٨٩ هـ .	أضاف الرفاعي إليه بعض الزيادات والتفصيلات في مواضع محددة ، مع تغيير بعض الجمل حذفاً وإضافة . وهي إضافات لا تغير في الشكل والمضمون إلا اليسير .
خمسة أيام في ماليزيا	نشرت مقالات في جريدة البلاد في ١٣٨٥/٧/١٢ هـ و١٣٨٥/٨/٦ هـ	لم يتغير الأصل في شكله ولا مضمونه إلا في بعض الفقرات التي حذفها الرفاعي ، وبعض المعلومات الجغرافية التي أضافها.
الحج في الأدب العربي	بحث أعد للمؤتمر الأول للأدباء السعوديين في مكة سنة ١٣٩٤هـ	نشر البحث كما هو مع بعض التعديلات الطفيفة .
ضرار بن الأزور	جزء من محاضرة	أضاف إليها ، وغير في شكلها ومضمونها .
خولة بنت الأزور	جزء من محاضرة ، ونشر مقالاً مرتين : في (الثقافة السورية) تشرين الأول ١٩٧٧م والمجلة العربية رجب ١٣٩٦هـ	أضاف إليها صفحتين في أول الكتاب ، مع بعض التغيير في الجمل ، وفي عرض بعض المادة.

الكتاب	نواته	ملحوظات
أرطأة بن سهية	جزء من محاضرة ،ونشر مقالات في المجلة العربية في عدد شعبان ١٣٩٧، وذي القعدة ١٣٩٧ ، وربيع الآخر ١٣٩٨ هـ .	لم يغير في شكل المقال ولا في مضمونه واكتفى بتغيير يسير في بعض الجمل وبعض الفقرات .
زيد الخير	نشر عدة مقالات : في الفيصل مقالان : ع١ ، رجب، وع٣ ، رمضان ١٣٩٧هـ ، وفي مجلة العرب خمسة مقالات : س ١٢ ص ٤٩٧ ، وس ١٣ ص ٢١٤ ، وس ١٤ ص ١٤٢ ، وس ١٥ ص ١٤٠٠ ، و س١٦ ص١٧	لم يغير في هذه المقالات سوى بعض الجمل ، وبعض الفقرات . وأضاف إليها أجزاء أخرى لم تنشر في هذه المقالات .
الرسول كأنك تراه (حديث أم معبد)	نشر مقالات في مجلة (التضامن الإسلامي) في س ٣٦، ج ١٢ جمادى الآخرة ١٤٠٢هـ ، وس ٣٦، ج ١١ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ ، وس ٣٦ ، ج ١٠ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ وس ٣٦ ج ٩ ربيع الأول ١٤٠٢هـ ، وس ٣٦ ، ج ٨ صفر ١٤٠٢هـ ، وج ٧ المحرم ١٤٠٢هـ .	وقد اكتفى بأصل المقالات مع التفصيل في موضعين أجمل فيهما في المقالة الثانية والثالثة ، والتغيير في بعض الجمل ، وفي عرض بعض المادة .
رحلتي مع المكتبات	نشر ثلاث مقالات في جريدة الجزيرة العدد ٦١٩٢ ، ١٤١٠/٢/١١ هـ والعدد ٦٢٢٧، والعدد :٦٢٦٢، ١٤١٠/٤/٢٢هـ ثم نشر أخرى في مجلة عالم الكتب) مج ١١ العدد ٢ شوال ١٤١٠هـ مع بعض التطوير	لم تختلف عما نشرت في الأصل إلا في ترتيب المادة فقط إذ قدم في الكتاب وأخر وحذف بعض الجمل اليسيرة مع إضافة بعض الهوامش مما استفاده من أصدقائه .

تتمة الجدول رقم (١)

الكتاب	نواته	ملحوظات
رحلتي مع التأليف	نشر مقالاً في مجلة عالم الكتب مج ١١ ، ع ٣ (المحرم ١٤١١هـ)	قصر التغيير في أمرين : ١- تبديل بعض الألفاظ بأخرى ، وحذف جمل ، وزيادة أخرى ٢- زيادة بعض ماجد عن مؤلفاته ، وتغيير ما يلزم لذلك ، وحذف خبرين آخرين.
عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني	بحث ألقي في دورة مجمع اللغة العربية في المؤتمر العام المنعقد في فبراير ١٩٨٩ م ، ونشر مقالاً في مجلة (العرب ج ٩، ١٠ س ٢٤ الربيعان ١٤١٠ هـ	نشر دون تغيير سوى حذف بعض الجمل والفقرات ، وإضافة جمل أخرى وفقرة أو فقرتين مع التغيير في تصنيف المقالات .
خارجة بن فليح المللي	بحث ألقي في دورة مجمع اللغة العربية في فبراير ١٩٩٠ م ، ونشر مقالاً في مجلة (العرب) ج٥ ، ٦ س ٢٥ ذي القعدة وذي الحجة ١٤١٠ هـ .	نشر دون تغيير .
كناشة الرفاعي	بحث ألقي في دورة مجمع اللغة العربية في خمس وثلاثين حلقة بين العدد ٧٨ والعدد ١٠٣ .	ليس هناك تغيير سوى حذف بعض الجمل والفقرات ، وإضافة جمل أخرى وفقرة أو فقرتين مع التغيير في تصنيف المقالات .



الفصل الثاني

فن المقالة

١ - المقالة الأدبية .

٢ - المقالة الاجتماعية.

٣ - المقالة العلمية .

٤ - المقالة الدينية .

٥ - مقالات أخرى :

أ - السياسية .

ب - السيرة الذاتية .

جـ - الوصفية .

فن المقالة

أولى الرفاعي فن المقالة اهتماماً كبيراً حيث شغل الجانب الأعظم من نتاجه الأدبي إذ بلغ عدد المقالات ١٦١٣ مقالة .

وقد كان لطول المدة التي كتب فيها الرفاعي دون توقف ، ولعمله الصحفي ؛ إذ عمل محرراً في جريدة البلاد السعودية ثم محرراً في صحيفة عرفات ثم مديراً عاماً لمؤسسة اليمامة الصحفية ، أثر كبير في غزارة إنتاجه .

وكان أول[١] مقال نشر له في جريدة البلاد السعودية بعنوان (نفوس كريمة) في ١٣٦٥/٩/٢٢ هـ ، وكان آخر مقال نشر له في المجلة العربية في شهر جمادى الآخرة في عام ١٤١٦ هـ .

وقد ذكر الرفاعي أن أول مقالة له بعنوان (مع العرجي)[٢] والصواب أنه قد نشر له مقال قبل ذلك .

ولم تكن هذه السنون على حد سواء من حيث وفرة ما كتب ، فقد مرت المقالة بهذه المدة الزمنية الطويلة بمراحل تفاوت فيها عدد المقالات وموضوعاتها.

ونعني بالمرحلة الفترة الزمنية ذات الظواهر ، والسمات ، والخصائص المتقاربة موضوعيًا وفنيًا ، ومن ثم يكون محور تحديد المراحل الاختلاف الموضوعي في هذه

---

(١) نشر للرفاعي في مجلة الرسالة المصرية في العدد ٥٦٣ ، ١٣٦٣/٤/٢٤ هـ ، تعليق بعنوان " إن الغناء زاد الركب " ،لا يتجاوز بضعة أسطر ، لم يعتد به الباحث .

(٢) انظر : " العطار الرائد "، جريدة عكاظ ، جدة ، العدد ٩٠٠٥ ، (١٤١١/٨/٢٩ هـ) .

الظواهر والسمات والخصائص ، وبقدر هذا الاختلاف يكون تعدد المراحل .

وعلى ضوء هذا يمكن أن نقسم مراحل المقالة عند الرفاعي إلى أربع مراحل :

١ - المرحلة الأولى وتبدأ هذه المرحلة مع بدايته الكتابية في عام١٣٦٥هـ، وتنتهي بنهاية صحافة الأفراد عام ١٣٨٢ هـ ، وتتسم بغزارة الإنتاج وبظهور ملامح بداية الكتابة عند الرفاعي . وقد بلغ عدد المقالات فيها ٤٧٩ مقالة ، وكانت المقالة الأدبية هي اللون المتقدم في هذه المرحلة .

٢ - المرحلة الثانية وتبدأ هذه مع بداية صحافة المؤسسات عام ١٣٨٣هـ ، وتنتهي سنة ١٣٨٦ هـ .

وقد تطورت فيها المقالة كماً وكيفاً ، فبلغ عدد المقالات فيها ٣٨٩ مقالاً، وهو عدد كبير إذا ما قيس بالمدة الوجيزة التي نشر فيها ، وتأخرت فيها المقالة الأدبية .

وقدكان لتشجيع المؤسسات الصحفية ، واستكتابها للكتاب ، وبذل الحوافز أثر كبير في غزارة المقالات في هذه المرحلة ، كما كان لسياسة المؤسسات الصحفية أثر كبير أيضاً على موضوعات هذه المرحلة وعلى أساليب العرض فيها .

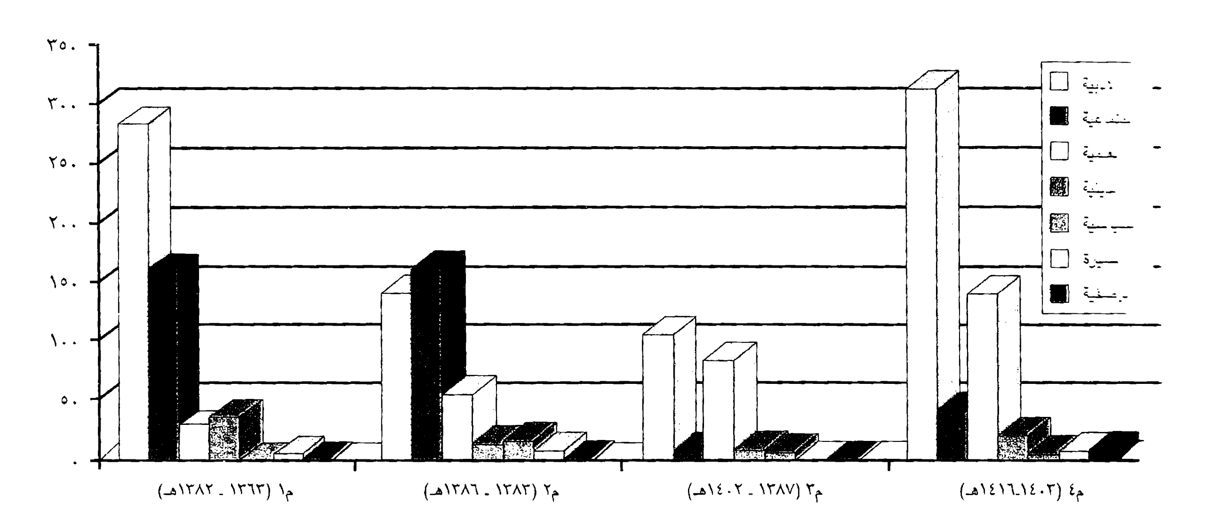
٣ - المرحلة الثالثة وتبدأ سنة ١٣٨٧ هـ ، العام الذي هزم فيه العرب ، إلى عام ١٤٠٢ هـ ، وتتسم هذه المرحلة بانصراف الرفاعي عن فن المقالة إذ كان حصيلة هذه المرحلة ١٨٧ مقالة في خمس سنوات ، ويظهر الفرق إذا ما قورن مجموع مقالات هذه المرحلة بالتي قبلها ، فمع أن مدة المرحلة الزمنية أطول من سابقتها فإن نتاج هذه المرحلة يكاد لا يصل نصف المرحلة التي سبقتها .

وكانت قلة مقالات هذه المرحلة ناتجة عن انصراف الرفاعي إلى لون آخر من ألوان النشاط الأدبي والعلمي ، هو التأليف إذ نجد أن أغلب مؤلفاته ظهرت في هذه المرحلة ابتداء من (توثيق الارتباط بالتراث) إلى (زبد الخير) .

٤ - المرحلة الرابعة تبدأ من عام ١٤٠٣ هـ ، وذلك بإقبال الرفاعي على الكتابة ،

وتنتهي بآخر مقال نشر ، وفيها نضج فن المقالة عنده ، وجاء أسلوبه محكماً قوياً ، كما تعددت فيه أنواع المقالة ، وإن كانت الأدبية قد تفوقت فيها تفوقاً ظاهراً . وهي أكثر المراحل عدداً فكانت مقالاتها ٥٤١ مقالة .

والرسم البياني التالي يوضح تطور فن المقالة عند الرفاعي مقارنة بالمراحل الأربع السابقة :



وغزارة مقالات الرفاعي الكمية لا تعني أنه تحدث في كل مقالة كتبها عن فكرة جديدة ، أو موضوع لم يتعرض له من قبل ؛ ذلك أن في مقالاته كثيراً من التكرار والإعادة .

ولا يقصد بالتكرار مناقشة القضية الواحدة من جوانب متعددة كحديثه – مثلاً – عن الأدب الساخر[1] أو عن الكتاب السعودي[2] ، وإنما يقصد تكرار الفكرة الواحدة في مواضع عدة دون تغيير كموقفه من الحضارة لما أثارته من حروب فقد ترددت

(١) انظر : ص ١٥٨ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : ص ٢١١ من هذا الكتاب .

هذه الفكرة في أكثر من موضع[1] ، وكحديثه عن بعض ذكرياته مع العريف يوم أن كانوا في جريدة البلاد السعودية[2].

وقد ظهر التكرار في أدبه في المراحل المختلفة ، فقد يكرر الفكرة مرتين في مرحلة واحدة كتكرار فكرة الدعوة إلى عدم التساهل في الأمور اليسيرة لأنه قد يدعو إلى التهاون في كل شيء فقد كررها في المرحلة الثانية مرتين ، وفي المرحلة الثالثة[3]. غير أن أغلب التكرار قد ظهر في المرحلة الأخيرة ؛ إذ كان يكرر كثيراً من ذكرياته عن المرحلتين الأولى والثانية وذلك انطلاقاً من وحي المناسبة التي تملي عليه الموضوع .

أما بناء المقالة فليس هناك بناء متفق عليه بين النقاد ، وإذا كان هناك من يشترط في المقالة الترتيب[4]، فإن هناك من يشترط فيها عدم الترتيب ، ويريد "أن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحراش الحوشية منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة"[5]. والذي لا مراء فيه أن مقالات الرفاعي جاءت واضحة وافية بالغرض الذي أنشئت لأجله ، وإن لم تعتمد الترتيب المنطقي الصارم ، ولم تكن قطعة غير مرتبة ، ففيها من هذا وذاك .

---

(١) انظر " بحر بلا سواحل " ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٥٤٠٤ ، (١٤٠٥/٥/٦ هـ) ، و " أين المسير والمصير " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٢٥٧٥ ، (١٤٠٧/٧/٩ هـ) ، و " والناس والكلاب" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣ ، (١٤٠٩/١٠/١٠) ، و " صانع الدماء " ، جريدة عرفات ، العدد ٢٦ ، (١٣٧٧/١٢/٢٧ هـ) .

(٢) انظر : " من أوراقي الخاصة عن أبو ريشة " ، جريدة الأربعاء ، جدة ، (١٤١١/٢/٢ هـ) ، و"العريف كان أستاذاً " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٥٠ ، (١٤٠٩/١٢/٢٨ هـ) .

(٣) انظر : " كلا ليست بسيطة : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/٧/٤ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . "حاربوا معليش : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٢/٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، و " معليش : من يوم ليوم"، جريدة الرياض ، العدد ١٨٦٧ ، (١٣٩١/٥/١٨ هـ) .

(٤) انظر : الدكتور عطاء كفافي ، المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث .- الطبعة الأولى .- (القاهرة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ٥٥ ، وعمر الدسوقي ، في الأدب الحديث .- د.ط .- (دار الفكر العربي ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٤٠٩ .

(٥) الدكتور زكي نجيب محمود . جنة العبيط .- الطبعة الثالثة .- (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص١٠ .

فلم يكن يدخل إلى موضوعه الأصلي في المقال دون تمهيد ، وإنما كان يمهد لموضوعه قبل ذلك وقد يطول التمهيد ، وقد يقصر بحسب المقام . وقد يُطيل فيجورعلى الموضوع الأصل ويهضمه حقه . كالمقالة [1] التي تحدث فيها عن كتاب (أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة) إذ استغرقت المقدمة التي تحدث فيها عن ذكرياته عن الرسالة وصاحبها ثلاثة أرباع المقالة وجاء الحديث عن الكتاب في الربع الأخير مختصراً . وكالمقالة[2] التي تحدث فيها عن ديوان (مشاعري) إذ دار الحديث في أغلبها عن الشاعر ووالده وأسرته ثم جاء الحديث عن الديوان في آخر فقرة .

وقد اختلفت أساليب الرفاعي في التمهيد ، فلم يكن يلتزم فيه أسلوباً خاصاً . فقد يبتدئ بسؤال ثم يجيب عليه ويكون التمهيد هو الجواب مثل قوله : هل يسعني حقاً أن أخصص حديثاً عن مجلة (الأديب) البيروتية ، وصاحبها ألبير أديب؟ ..."[3].

وقد يكون التمهيد في الحديث عن قضية قريبة من الموضوع الأصل كما في (لا لهذا المفهوم) الذي بدأ المقال فيه بالحديث عن المعارك الأدبية في مجلة الرسالة، وكان من بينها معركة عن (الأدب القصصي في القرآن الكريم) ذات الصلة بالموضوع الذي سيتحدث عنه ، ثم يقول منتقلاً إلى موضوعه :"تذكرت كل هذا أو طرفاً من كل هذا بعد أن فرغت من قراءة كتاب (مفاهيم قرآنية). ثم قرأت في نهايته تعريفاً موجزاً بالمؤلف . جاء فيه أنه متخصص في الدراسات القرآنية . من مؤلفاته العديدة في هذا الاتجاه كتاب (الفن القصصي في القرآن). وقد وقفت طويلاً عند هذا العنوان متسائلاً أليس هو ذلك الموضوع الذي دارت حوله تلك المعركة ؟ وأليس مؤلف اليوم هو قطبها بالأمس؟"[4]

ثم يمضي متحدثاً عن شعوره تجاه الكتاب الذي بين يديه حين تيقن أن قطب

---

(١) انظر : المجلة العربية .- الرياض .- العدد ٦٠ ، (المحرم ١٤٠٣هـ) .

(٢) انظر : مجلة الفيصل .- الرياض .- العدد ١٧٣ ، (ذوالقعدة ، ١٤١١ هـ) .

(٣) " وللحديث شجون "، مجلة الفيصل ، العدد ٨٩ ، (ذو القعدة ١٤٠٤هـ) .

(٤) " لا لهذا المفهوم " ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٦١٧٨ ، (١٤١٠/١/٢٧ هـ) .

المعركة أمس هو صاحب كتاب اليوم فقد "تناول الكتاب بشيء من الحذر ... ومضى يقرأه بعناية ... ويستعيد أحياناً بعض فصوله ..."[١] حتى استوقفه فصل بعنوان : (النبوة والملك) ، وهو موضوع مقالته ، فمع اختلاف مقدمته التي تحدث فيها عن المعارك في رسالة الزيات ، عن موضوعه إلا أنه ربط بينها ، واتخذها كالدهليز المناسب لمقالته .

وقد يكون حديثاً عن ذاته كما في (هل أدلكم على تجارة)[٢].

أما إذا كان الموضوع من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تمهيد ، وبحيث يصبح التمهيد ضرباً من الإطالة فإن الرفاعي يضرب صفحاً عنه ، ويدخل لموضوعه دون تمهيد . كما في (فتافيت امرأة) إذ يقول :" فتافيت امرأة "اسم ديوان شعري فرغت من مطالعته أخيراً ، هو للشاعرة الكويتية سعاد الصباح ... "[٣]وفي (للذكريات بحر وأمواج) إذ يقول : " لي رأي في المذكرات والذكريات التي ينشرها بعض الشخصيات في دنيا السياسة والأدب"[٤] وقد يكون إعراضه عن المقدمات رغبة منه في تشويق القارئ وشده إلى المقال .

وفي تصوري أنه لا يمكن أن يقال : إن المقال جاء بلا مقدمة ، ذلك أن مقدمة كل شيء هي أوله ، ومقدمة المقال - أيضاً - أوله ، ولا يمكن أن يبدأ إنسان عاقل حديثه إلا بما يناسب البداية ، فسواء بدأ بأول الموضوع ، أو بآخره ، أو بوسطه فلابد أن هذه البداية مناسبة للمقام ، ولا بد أنه قد رتب حديثه بحيث يتناسب مع هذه البداية ، وعلى هذا فلا معنى لقولهم : إن المقال لا بد له من مقدمة ، لأنه أصلاً لا يمكن أن يكون سوى ذلك .

---

(١) المصدر نفسه بتحويل ضمائر المتكلم إلى غائب .

(٢) جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٥٥٠٦ ، (١٤٠٨/٣/٤هـ) .

(٣) " فتافيت امرأة " ، جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٥٨٢١ ، (١٤٠٩/١/٢٤ هـ) .

(٤) جريدة الجزيرة .- الرياض : العدد ٥٤٥٠ ، (١٤٠٨/١/٧ هـ) .

أما العرض الذي يشترط فيه وحدة الموضوع[1]، فانقسمت كتابات الرفاعي إلى قسمين : ما كتب في المجلات ، واتسم بوحدة الموضوع ، وعدم الخروج عنه كما في (للحديث شجون ...)[2] وفي (في حراسة النبي) .

وما كتب في الصحف واتخذ الاستطراد أسلوباً له كما هو طابع الكتابة الصحفية وهو بهذا اللون قد يطيل في المقدمة أو التمهيد حتى يجور على الموضوع ولا يعطيه حقه كما سلف .

وإذا كان عمر الدسوقي يرى أن الخاتمة أمر لا بد منه ، فإن الرفاعي قد أعرض عنها في أغلب مقالاته ، إلا إذا لم يكن معنى الخاتمة "تجميع عناصر المقال في صورة تتميز بالتركيز والتثبت"[3]، فيكون معناها ما يختم به الموضوع بعد الانتهاء من عرضه وتفصيلاته دون جمع العناصر وتلخيص الأفكار وإعادتها ، فإن هذا يرد عند الرفاعي . ومن غير الغالب في استخدام الخاتمة مقالته (كلمة أخيرة عن أدب العامية)[4] حيث لخص المقالة في خاتمتها .

وتتنوع المقالة عند الرفاعي تنوعاً كبيراً فمن حيث ذاتية الكاتب ظهرت عنده المقالة الذاتية ، والموضوعية ، والذاتية الموضوعية .

فالذاتية هي ما يغلب فيها ذاتية الكاتب على الموضوع من مثل (أنا والجائزة) التي يقول فيها : " كنت في طفولتي أعيش في أسرة ميسورة الحال ذات رياش وخدم وحشم وغلمان وجوار فلم أكد أبدأ مرحلة الصبا ، حتى كان ذلك قد تبدد ذات صباح ، وإذا الأسرة كلها على حصيرة قديمة لا تجد قوت يومها ثم أدركت فيما بعد

---

(١) انظر : الدكتور السيد مرسي أبو ذكري . المقال وتطوره في الأدب المعاصر .- د.ط .- (الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٨١-١٩٨٢ م، ص ٧١ .

(٢) سلسلة كتبها الرفاعي في مجلة الفيصل بلغت خمساً وثلاثين حلقة بدأت في العدد ٨٥ ، (رجب١٤٠٤هـ) ، وتوقفت في العدد ١٣٠ ، (ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ) .

(٣) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث ، ص ٥٦ .

(٤) انظر : " كلمة أخيرة عن أدب العامية " جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨٨ ، (١٤٠٦/٩/١٨ هـ) .

أن رب ضارة نافعة .. وأن الله قد جعل الحدث الجلل سبباً لخروج أسرتي من القرية الصغيرة التي كانت تسكنها التي لا مدرسة بها بل ربما ولا كتاب ، إلى مكة المكرمة ، لكي يذهب بي أبي إلى المدرسة"[١].

والمقالة الموضوعية التي يغلب فيها الموضوع ومنطقيته على ذاتية الكاتب مثل مقالة (الإمام أحمد والشعر) التي يقول فيها "ولا شك أن التضلع في اللغة يسوقه إلى تذوقها وتذوق أدبها ، والإحاطة بشواهد العربية ومناسبة أقوالها وقائليها .- ولكل ذلك صلة وثيقة بالأدب ؛ ولذلك لا نعجب حينما يحدثنا صاحب (المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد) ١ / ١٠ أن الإمام أحمد قال : "كتبت من العربية أكثر مماكتب أبو عمرو بن العلاء"[١] "ومن علم مكانة أبي عمرو بن العلاء ، علم أي شأو بعيد يصله من يكتب أكثر مما يكتب"[٢].

والمقالة الذاتية الموضوعية هي التي اختلطت بها ذات الكاتب في الموضوع الذي يكتب عنه مثل (كلمة أخيرة عن أدب العامية) التي يقول فيها " والسؤال المطروح الآن يتعلق بالحل .. فإن اللغة أو اللهجة العامية موجودة فعلاً بين ظهرانينا .. بل هي لهجات متعددة .. ولها آدابها .. شعراً .. ونثراً .. قصصاً (سوالف) وأمثالاً .. ولا يعني كل ما كتبت حجب هذا الأدب وإنما يعني -وأؤكد- تحجيمه .. أي نتركه في حجمه الطبيعي، الذي كان عليه منذ أن نشأ .. ونشأته عريقة كما نعلم جميعاً .. بمعنى آخر لا ينبغي أن ننفخ البالون .. هذا هو الحل بالنسبة للوقت الحاضر.. "[٣].

---

(١) " أنا والجائزة " ، مجلة المنهل .- جدة : مج ٥٣ العدد ٤٩٠ ، (صفر ١٤١٢ هـ) ، وانظر : كلام عن أسمرا : يوميات البلاد " ، جريدة البلاد ، العدد ١٧٢٧ ، (١٣٨٤/٥/٣ هـ) . و"ذكريات مكتبة"، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥ هـ) .

(٢) أبو اليمن عبدالرحمن بن محمد العليمي . المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، جزءان الطبعة الثانية ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد .-(بيروت : عالم الكتب ١٤٠٤ هـ ١٩٨٢م)، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٣) " الإمام أحمد والشعر " ، مجلة التضامن الإسلامي ، ج ٧ ، (المحرم ١٤٠٤ هـ) ، وانظر : سلسلة " في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم " ، مجلة الحرس الوطني ، مصدر سابق .

وبالنظر إلى مكان النشر يمكن أن نقسم المقالة عند الرفاعي إلى قسمين :

١ - مانشر في الصحف تحت اسم المقالة الصحفية .

٢ - ما نشر في الدوريات تحت اسم المقالة الأدبية .

ولا يعني هذا التقسيم إخراج المقالة الصحفية من إطار الأدب ، وإنما هو تقسيم يراد منه إظهار خصائص كل واحد من هذين النوعين الكتابة في المجلات ، والكتابة في الصحف .

فقراء الدوريات في غالبهم ممن يعنون بالأدب والثقافة ، وراحوا يبحثون عنها في المجلات المتخصصة ، فلابد أن تكون المقالات تناسب اطلاعهم ونهمهم إلى المعرفة . ومن هنا صار ما ينشر في الدوريات المتخصصة للثقافة يتميز عما ينشر في المقالات الصحفية بقوة العبارة وإحكام الصنعة ، وعمق الفكرة ، وقوة الموضوعات مع فنية الطرح وتنوعه . وهذا ما لا يتوافرللصحف السيارة السريعة . وقد كتب الرفاعي في هذه الدوريات مقالات كثيرة ووضح فيها الفرق بينها وبين المقالات الصحفية ، مما يدل على تفهمه لهذه الفروق علاوة على أن الكتابة في الدورية لا تلتزم شروطاً ، وليس لها قواعد يلتزمها الكاتب إلا قواعد الكتابة الأدبية الجيدة كصحة العبارة ، وقوة السبك ، وجمال التشبيه ، وعمق الفكرة ، والإحاطة بجوانبها ، وباختصار أن تكون ذات قابلية للبقاء .

أما ما ينشر في الصحافة فيختلف عما ينشر في المجلات من حيث النظر إلى قارئ كل نوع من أنواع النشر . فقراء الصحافة ذوو ثقافات متفاوتة ، فيهم من هو من ذوي الاختصاص ، ومنهم من مطلبه الفائدة المعجلة التي لا تكلفهم في الفهم والتفكير فتكون الصحافة المجال المناسب لهذه الفئة من المثقفين العجالى ؛ ولذا فما يكتب فيها لابد أن يكون مراعياً هذه الظروف من سهولة اللغة ، وسهولة المادة العلمية المطروحة، وعدم عمقها ويسر تناولها ، حتى تكون مناسبة لجميع الأذواق ، علاوة على أن للكتابة الصحفية ضوابط ينبغي للكاتب الصحفي أن يعرفها ، فلكتابة اليوميات طابع يختلف عن كتابة العمود الصحفي الذي يختلف عن المقال

العام ، وهي جميعاً تتسم بسهولة اللغة، ووضوح الفكرة ، وظهور ذاتية الكاتب .

وقد عمل الرفاعي في الصحافة في أوائل حياته الثقافية ومر بها في أغلب أعمال الصحفي . حيث عمل مصححاً وكاتباً متعاوناً ، ثم عمل محرراً ثم عمل كاتباً كبيراً ثم مديراً عاماً لمؤسسة اليمامة الصحفية ؛ لذا فقد أصبحت الأداة الصحفية ظاهرة عنده حتى ليستطيع الباحث أن يجد معالم الرفاعي الصحفي في ثنايا مقالاته ، التي تشكل المقالة الصحفية الجانب الأكبرمنها .

وتنقسم المقالة الصحفية عنده إلى قسمين :

١ - اليوميات .

٢ - العمود الصحفي .

أولاً : اليوميات

وقد أخذت اليوميات الجانب الأكبر من مقالاته ، واتسمت عنده بالتزامها بالمعالم العامة لليوميات من حيث بروز شخصية الكاتب ، وطولها النسبي ، وتعدد الموضوعات المطروحة فيها ، والتزامها بأسلوب النشر المتبع فيها .

وأول اليوميات التي كتبها الرفاعي يوميات (كل أسبوع) في البلاد السعودية ثم (يوميات قصيرة) في جريدة عرفات ، ثم (أكثر من فكرة) في جريدة عكاظ ، ثم (سوق عكاظ) في الجريدة نفسها . ثم يوميات البلاد ، ويوميات الرياض ، ويوميات المدينة ، وقد كانت هذه اليوميات الثلاث تكتب في يوم ووقت واحد ، وقد ينشر في يوم واحد أكثر من يومية . وكان آخر يومية كتبها في جريدة الجزيرة ، وقد استمرت ثماني سنوات .

وفي أثناء هذه الانتقالات أخذت اليوميات أشكالاً مختلفة ، ففي يوميات (كل أسبوع) أخذت منهج التقسيم الزمني على أيام الأسبوع : السبت ، الأحد ، الإثنين ، الثلاثاء ، الأربعاء يذكر في كل واحد منها ما يخصه . وفي يوميات قصيرة سلك أسلوب الفقرتين الطويلة والقصيرة كانت الأولى الطويلة والثانية هي القصيرة ، وقد يسلك طريقة الفقرات المتعددة ويجعل لكل فقرة عنواناً وموضوعاً .

وأما في يوميات الرياض ، والبلاد ، والمدينة فكان ينهج طريقة الفقرات المتعددة التي تجعل لكل فقرة عنواناً وموضوعاً لا يتصل بالآخر . ولم تلتزم يوميات الجزيرة طريقة واحدة فقد يكتبها بطريقة المقالة الواحدة الطويلة التي تستغرق اليومية كلها ، وقد يقسمها إلى فقرات متعددة الموضوعات ، وليس بين هذه الموضوعات صلة ، وقد تكون من فقرتين الأولى طويلة والأخرى قصيرة ، أو من فقرات متعددة ولكل فقرة عنوان خاص بها وتدور حول موضوع واحد .

ولا يمكن أن نجعل هذه اليوميات التي كتبها الرفاعي بمستوى واحد ، فما كتبه في أول حياته يختلف عما كتبه في آخرها ؛ ولذا فإن من الممكن أن تقسم كتابة اليوميات عنده إلى ثلاث مراحل :

١ - مرحلة النشأة .

٢ - مرحلة التطور .

٣ - مرحلة النضج .

ويمثل المرحلة الأولى (كل أسبوع) ، و(يوميات قصيرة) ، فكل أسبوع يغلب عليها سرد المشاهدات والوقائع اليومية ، والحديث عن المطالب الاجتماعية التي تغيب فيها الشخصية الذاتية ، و(يوميات قصيرة) أكثر نضجاً من (كل أسبوع) وإن كانت تشاركها في هذه السمة ويؤخذ عليها قصر اليومية وهذا مخالف لشروط اليوميات .

ويمثل المرحلة الثانية كتاباته لليوميات في الثمانينات ، والتسعينات وتشمل (أكثر من فكرة) ، و(سوق عكاظ) في جريدة عكاظ ، ويوميات البلاد ، والرياض والمدينة ، و(من يوم ليوم) في جريدة الرياض . وقد خطت اليوميات في هذه المرحلة خطوات نحو النضوج ، وتقدمت عن المرحلة الأولى ، إذ أن عامل الشخصية فيها واضح ، وتتصف بالطول وتنوع الموضوعات .

أما المرحلة الثالثة فتمثلها يوميات الجزيرة التي بلغت الذروة في إحكام البناء ، والتزام قواعد اليوميات كطولها ، وتنوع موضوعاتها مع جودة هذه الموضوعات ،

وظهور شخصية الكاتب وسيطرته على المقال .

وقد لا يكون من اليسير تحديد معالم كل مرحلة من هذه المراحل تحديداً دقيقاً ، وتمييز سمات كل واحدة منها تمييزاً واضحاً ؛ إلا أنه والحال هذه ليس من السهولة نكران هذه المراحل ، والفروق بينها ، لأن معنى ذلك إنكار تطور فكر الرفاعي في مدة زمنية تقارب نصف قرن .

ويكاد يجتمع الفرق بين هذه المراحل بالأداة الكتابية للرفاعي ، وبالموضوعات ، فبالإضافة إلى ضعف الأداة النسبي في المرحلة الأولى ، فإن الموضوعات التي كتب فيها تميل نحوالسطحية ، والاستهلاك اليومي - إن صح التعبير - بخلاف المرحلة الثالثة التي تميزت بنضج الأداة الفنية وباتجاه الرفاعي نحو الموضوعات العميقة ذات الصبغة الدائمة التي لا تنتهي مادتها عند نشرها بل تتجاوزها لتكون مادة علمية ، وتاريخية ، وفكرية ، يحسن حفظها والرجوع إليها .

وهذه السمة التي انصبغت فيها مقالات الرفاعي في المرحلة الأخيرة من أهم ما يميز المقالة الصحفية عن الخبر الصحفي .

ويقابل هذه المراحل الثلاث لليوميات مراحل فهم الرفاعي لمعنى اليوميات فقد كتب عن اليوميات في مقالين الأول في عام ١٣٨٦ هـ والثاني في عام ١٤٠٣هـ ، ومن خلالهما يتضح الفرق الكبير بين فهم الرفاعي لليوميات في أول بداياته وقريباً من المرحلة الثانية من مراحل اليوميات ، والثاني صورة للمرحلة الثالثة .

فهو في المقال الأول يحاول أن يعرف اليوميات وأن يجعل لها مفهوماً فيقصرها على المذكرات ، فيقول :« وقد تعتبر اليوميات.. نوعاً من المذكرات.. هذا ما يبدو للوهلة الأولى .. إلا أنه في الواقع فن منفصل .. لأن اليوميات إنما تكتب للنشر .. بعكس المذكرات التي تكتب للذات أو للذكرى »[١].

فهو في هذا المقال يحاول أن يعرف اليوميات أو أن يجعل لها مفهوما فيقصرها على المذكرات بل يجعلها نوعاً من المذكرات ولا فرق بينهما إلا أن اليوميات للنشر

---

(١) " اليوميات فن " ، ١٩٨٦/٥/١٣ م ، مخطوط في دار الرفاعي .

أما المذكرات فليست للنشر ، ثم يعود مرة أخرى فيقول : « واليوميات - كما أسلفت - تأخذ من كل فن شيئاً .. فيها من المقال شيء ... وفيها من البحث شيء .. وفيها من الذكريات شيء .. ومن اللمحات الشعرية شيء .. ومن القصة القصيرة شيء .. الخ »[1] وهذا التردد في مفهوم اليوميات يدل على عدم وضوح المفهوم الصحيح في ذهنه وهو ما يظهر واضحاً من المرحلة الأولى من مراحل كتابته لليوميات .

أما في المقال الثاني فكان الرفاعي أكثر فهماً لمعنى اليوميات ، ومن ثم جاء حديثه عنها أكثر تحديداً ؛ إذ يجعلها الخواطر والأفكار التي تمر في أيام الأسبوع ، فيقول : " ولكن طبيعة كتابة اليوميات وضعت في أساسها ليكتب الكاتب خواطره اليومية ، وهذه الخواطر لا تخلو من الذاتية وإلا لم يصح لها أن تحمل هذا الاسم"[2]، فهو يجعلها ميداناً عاماً للخواطر، والخواطر تشمل المذكرات ، والأفكار، والآراء الخاصة وليست فقط المذكرات، ثم يقيدها بالذاتية أي ظهور شخصية الكاتب ، وهذان الأمران ، كونهما ميداناً للخواطر وبروز شخصية الكاتب ، أبرز الشروط التي وضعت لليوميات ، وهو بهذا التعريف الناضج يقترب من تحديد المتخصصين في الصحافة لليوميات ، وهي مرحلة من الفهم تمثل الصورة الدقيقة للمرحلة الثالثة من مراحل كتابة اليوميات .

وتختلف عناوين الرفاعي من يومية إلى أخرى ، ففي يوميات البلاد السعودية (كل أسبوع)، لم يضع عنواناً لها ، واكتفى بالعنوان الثابت (كل أسبوع) ومثلها في يوميات عرفات ، والبلاد ، والرياض ، والمدينة .

أما في يوميات (أكثر من فكرة) فقد سلك طريقة العنوان العام، بحيث يكون لليومية عنوانان أحدهما العنوان العام ، والآخر عنوان اليومية الجديد . وفي (يوميات الجزيرة) سلك طريقة ثالثة تتمثل بوضع عنوان واحد لليومية يتغير بتغير

---

(١) المصدرنفسه .

(٢) المصدرنفسه .

اليومية ، ويكون شاملاً للفقرات كلها ، أو لفقرة واحدة ، أو لاثنتين من ثلاث .

وغالباً ما تكون هذه العناوين منبثقة من المقالة ، ذات صلة بموضوعها كما في مقالة بعنوان (وذيبة المهل)[1] فقد كانت هذه المقالة تتحدث عن ذيبة المهل[2] . وتختلف صلة هذا العنوان بالموضوع المعالج ، فقد تكون واضحة ، ذات صلة مباشرة محددة كما في العنوان السابق ، وقد تكون ذات صلة مباشرة ولكنها غير محددة تتسع لأشياء كثيرة كما في يومية (أقلام وسطور)[3] ، و(كتب وصحب)[4] ، وقد يكون المعنى ذا صلة بالموضوع المعالج إلا أنه غير واضح الدلالة ، وذلك لاشتماله على فكرة مكملة لموضوع اليومية ، يكون قد صرح بها في آخر المقالة ولكنها ليست هي موضوع المقالة كما في يومية (معنى التكريم)[5] التي تحدث فيها عن تكريمه من قمة مجلس التعاون الخليجي في دورته العاشرة ، حيث أحس مواقف تقديرية في المطار سردها في اليومية هي معنى التكريم في رأيه ، أو يومية (معجون الحب)[6] التي تقوم على تشبيه المسلسلات المصرية التي تبدي وتعيد في الحب ، فهي تشبه في ذلك بالمعجون التمري الذي يضرب مثلاً للشيء الواحد يتكرر مراراً حتى تمله النفوس . وهذه الفكرة وردت في المقالة بوجه عام وكان العنوان بمثابة الإضافة والتخصيص لفكرة المقالة .

على أن الرفاعي قد يجعل عنوان اليومية الرئيس - كما سبق - أحد عناوين أجزاء اليومية فلا يأتي صادقاً على كل أجزاء اليومية ، وإنما يأتي مناسباً للجزء المحدد به كما في يومية (الأدب .. إلى أين ؟)[7] التي يتحدث فيها عن حجب

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٢٠٩١ ، (١٣٨٥/٨/٢٦ هـ) .

(٢) مجموعة من الجزر في المحيط الهندي بين خطي عرض ٧٦ شمالاً و٤٢ جنوباً ، وخطي طول ٧٢ و٧٤ شرقاً .

(٣) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٧٣٧ ، (١٤٠٨/١٠/٢٩ هـ) .

(٤) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٩٩ ، (١٤٠٨/٢/٢٦ هـ) .

(٥) جريدة الجزيرة ، العدد ٦٣٢٥ ، (١٤١٠/٦/٢٥ هـ) .

(٦) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ، (١٤٠٥/٢/٢٦ هـ) .

(٧) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٩٨ ، (١٤٠٥/٤/٣٠ هـ) .

جائزة الملك فيصل للأدب سنة ١٤٠٥هـ ، إذ كانت اليومية مكونة من أكثر من مقالة . وقد يكون هذا اللون من العنوانات هو الغالب في كل يومية التي فيها أكثر من مقالة .

وقد يجعل العنوان شاملاً لكل أجزاء اليومية كما في يومية (محتال جديد وآخر قديم)[1] تحدث فيها عن قصة احتيال وقعت لأحد أصدقائه ، وعن أبي زيد السروجي بطل مقامات الحريري .

وصدق العنوان على موضوع اليومية ليس أمراً لازماً عند الرفاعي ، إذ قد يأتي العنوان غير واضح الصلة بموضوع اليومية كما في يومية (بحر ولا سواحل)[2] التي تحدث فيها عن ضيق الوقت في عمر الإنسان وطموحاته وأعماله لا سيما مع كثرة الملهيات ، وكثرة ماتقدمه المطابع من كتب ومجلات .

ثانياً : العمود الصحفي

ظهرت مقالة العمود الصحفي في الأدب العربي مع ظهور الصحافة في القرن التاسع عشر الميلادي ، وهو يجمع بين الفائدة والاختصار .

وللعمود الصحفي سمات تميزه عن غيره من الفنون الصحفية الأخرى من نحو الاختصار ، ولزوم مكان واحد في الصحيفة ، وعنوان دائم يحسن فيه التشويق ، والإثارة ، والدلالة الصادقة على مضمون المقالة .

وقد كتب عبدالعزيز الرفاعي عدداً من الأعمدة الصحفية في بعض الصحف السعودية ، إلا أنه لا يدخل تحت مسمى (العمود الصحفي) بما قرره المتخصصون في الصحافة من قواعد لهذا المصطلح ، إلا أربعة أعمدة . فقد كانت البواقي لا تلزم زمناً خاصاً للظهور ، ولا مكاناً خاصاً للنشر ، ولا شكلاً محدداً ؛ فهي تنتشر

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٦٥ ، (١٤٠٦/١٢/٥ هـ) .

(٢) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٠٤ ، (١٤٠٥/٥/٦ هـ) .

مرة بشكل عمود ، ومرة أخرى بشكل يومية [1].

والأعمدة التي عدت هنا في العمود الصحفي هي : محطات ، في الوسط ، سبعة أيام ، أما بعد ، وقد قسمت قسمين :

١ - محطات [2] :

٢ - أما بعد ، في الوسط ، سبعة أيام [3] :

١ - المحطات

استغرقت كتابة (محطات) ما يقارب سنة ونصف السنة ، حيث بدأها في ١٤٠٢/١١/٢٤هـ ، وتوقف عن كتابتها في آخر مقالة نشرها في ١٤٠٤/٥/٨هـ ، وقد بلغ عددها ثماني وخمسين مقالة ، منها ثلاث لم تنشر؛ فهي أطول الأعمدة مدة نشر . وكان الرفاعي ملتزماً بنشرها يوم الخميس في صفحة (محليات) من صحيفة (الجزيرة اليومية) ، كما كان ملتزماً بعنوانها الذي لم يتغير طوال مدة نشرها (محطات) ولم يشاركه سواه ؛ إذ كان الرفاعي في هذا سالكاً طريقة العنوان الواحد للعمود .

ومحطات جمع محطة (بفتح الميم وكسرها) وهي مكان حط الرحال ، والنزول[4]، والراحة . وقد اختار الرفاعي يوم الخميس لنشر زاويته ، وهو أحد أيام راحة الأسبوع . وهذه العلاقة بين مكان النشر ، وعنوان الزاوية تشي بالهدف من كتابة الزاوية وهو أن تكون مكان الراحة .

---

(١) انظر : عبدالعزيز الرفاعي . " رسائل إلى الراحلين " .- جريدة البلاد .- جدة : العدد ٦٦٦٥ و٦٦٨٣ ، ١٤٠١/٤/١٢ هـ و ١٤٠١/٥/٣ هـ ؛ جريدة المدينة ، جدة ، العدد ٩٥٠٩ ، ١٤٠٣/٨/١٦ هـ .

(٢) جعلت قسماً خاصاً لطول مدة نشرها ، فهي وحدة واحدة ، متقاربة السمات والخصائص .

(٣) جعلت قسماً واحداً لتقاربها من حيث قصر مدة نشرها ، واختلاف موضوعاتها ، وجعل كل واحدة منها قسماً خاصاً أمر يدعو إلى الإطالة بلا فائدة .

(٤) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ١٥ جزءاً .- د.ط .- (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ج ٧ ، ص ٢٧٣ ، مادة حط .

وللراحة معانٍ متعددة ؛ فمنها الراحة التي يتخذها الإنسان في أثناء العمل يراجع ما قام به من عمل ، وينظر طريقه أصواب أم خطأ . وقد تكون بمعنى الوقفة العامة التي يتخذها الإنسان ليرتاح من عناء عمل ما دون أن يراجع أو يفكر .

قد يبدو لمن يقرأ بعض (المحطات) أن الرفاعي قصد من هذه المقالات المعنى الأول ، أي أن تكون محل تأمل ومراجعة ؛ إذنجده ينص في إحدى مقالاته على كلمة (تأمل فيقول): " أما أولئك الذين يوالون السير دون أي راحة ، ودون أي تأمل .. ودون أي محطات يأوون إليها فإنهم لا يصلون إلى غاياتهم"[1]. فهي كما يظهر هنا راحة مقيدة .

بقي أن نعرف هل كان الكاتب يريد أن يجعل هذه الراحة للأسبوع ؟ أم للشهر؟ أم للعام ؟ أم للعمر كله ؟

لما كانت المقالة أسبوعية أصبح من غير الممكن نفي أن يكون المراد من المقالة أن تكون محطة أسبوعية يرتاح فيها الكاتب من عناء أسبوعه ، كما يرتاح فيها القارئ سواء بسواء ، وقد أشار إلى ذلك الرفاعي بقوله : " أحاول فيها أن أتأمل خلالها الحياة والناس .. والأفكار .. وأن ألتقي عندها ببعض أصدقائي من القراء .. الذين يسافرون عبر الكلمات" [2].

ومع وجاهة هذا التحليل لمعنى العنوان فليس من السديد حصره في هذا المعنى ؛ إذ أن الظروف الزمنية التي اختير فيها العنوان تدعو إلى البحث عن معنى آخر ؛ فالرفاعي في هذه المرحلة كان قد ناف على الستين من عمره ، وتقاعد عن العمل الحكومي ، وتفرغ للعمل الخاص . فهي مرحلة حرجة بالنسبة للرفاعي تفصل بين مرحلتين خطيرتين من حياته ، فمرحلة العمل الحكومي تعد مغايرة لما بعدها إذا ترك الإنسان العمل ، وتجاوز الستين يعد مرحلة مختلفة عما قبلها . وفي الحديث

---

(١) " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٣٣ ، (١٤٠٣/٢/٢٤ هـ) .

(٢) المصدرنفسه .

"أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة"[1]، فالانتقال من هذه المرحلة إلى تلك بحاجة إلى وقفة مع النفس ليحاسبها ، وينظر ما كان عليه فيما خلا من عمره ، أكان قد أحسن فيما مضى ؟ أم أساء ؟ وهل أدرك شيئاً مما كان يطمح إليه ؟ أم ذهب جهده سدى ؟ في هذه الفترة بالذات ، وفي هذه المرحلة الانتقالية من حياة الرفاعي عنت له فكرة المحطات ، وهو وإن لم يصرح بهذا الأمر فقد أومأ إليه بقوله : " بعد أي مشوار طويل تقطعه ، لابد لك من فترة راحة ... قد تطول هذه الفترة ، وقد تقصر ، ولكنها أمر ضروري لابد منه ... أما أولئك الذين يوالون السير دون أي راحة ... ودون أي تأمل .. ودون محطات يأوون إليها ... فإنهم لا يصلون إلى غاياتهم ... كلا بل هم يصلون إلى الغاية الحتمية للبشر ... يصلون إلى الراحة الكبرى من أقصر الطرق ... بل هم يصلون من أطول الطرق ... وإذا أردت أن تمشي على قدميك عشرين كيلومتراً فهذا ممكن طبعاً ...

ولكنك وأنت تمشي مسافة طويلة تساوي العشرين كيلاً أو تزيد لابد أن تلتمس الراحة عبر هذا المشوار ... لتجدد من نشاطك ... وقدرتك على المواصلة ، ولتعرف أين أنت.؟ وما قطعت من طريق .؟ وما بقي منه ؟ ولتتأمل خطتك نحو المسافة الباقية .

أما لو واصل هذا المسافر . إذا واصل المسيرة دون توقف فماذا يحصل ...؟ ستنقطع أنفاسه وسيحظى بلقب (يرحمه الله) أليس هذا هو المنبت الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى"[2] .

فما ذكره من أنه لابد للإنسان بعد المشوار الطويل من راحة يجدد بها نشاطه ، هو بالضبط ما فعله في هذه المحطات ، ولا أجد كلاماً أصدق على حالة الرفاعي هذه من جمله التي استخدمها في محطته هذه ، ولم يترك لنا مجالاً لنشك في

---

(١) الإمام البخاري ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٢٤ ، ص ١٥ ، كتاب الرقاق ، باب من بلغ ستين سنة فقد أعذر الله إليه .

(٢) المصدرنفسه .

كلامه هذا وأنه قد لا ينطبق عليه فأخبر أنه يستوي في هذا الأمر من كان مشواره حسيباً أو فكرياً ، وكأنه بهذا يؤكد ما فهمناه من حديثه .

وسواء قصد الرفاعي المحطة الأسبوعية أو المحطة العمرية ، هل كان لهذا القصد أثر على مقالاته ؟ أو بمعنى آخر هل ظهر تناسب بين مضمون المحطات وما أراد حين بدأها ؟

جاءت أكثر المحطات مناقشة موضوعات عامة [1] كالذكريات ، أو الحديث عن المجلات المتوقفة ، ولم يول قضية المراجعة ، والتأمل إلا عدد قليل من المحطة لا يزيد على ثلاثِ محطات ناقش في واحدة منها المسيرة الثقافية في المملكة ، حيث وجدت أناساً يعرفون من اللغة الأجنبية ما لا يعرفون من لغتهم [2] ، وناقش في محطة أخرى مسيرته ، وحاسب فيها نفسه [3] . وهذا يعني أن الرفاعي لم يعمل على تحقيق ما أنشئت الزاوية من أجله ، وهو المحاسبة ، والتأمل .

لكن معنى الزاوية (محطة) لا يقتصر على كونها للتأمل والمحاسبة إذ يمكن أن تكون لمطلق الراحة ، وهذا ما يتوافر في مضمون الأعمدة الكثيرة ؛ حيث جاءت نماذج موضوعات كثيرة يمكن أن يقرأها الإنسان في أوقات راحته . ولعل هذه المعاني والتفسيرات المختلفة لعنوان الزاوية تظهر مدى التوفيق الذي أحرزه الرفاعي باختيار هذا العنوان .

٢ - أعمدة أخرى

لم تقتصر كتابة الرفاعي للأعمدة الصحفية على عمود محطات ، وإنما كتب أعمدة أخرى لم يكتب لها الاستمرار هي : عمود (أما بعد) في جريدة عكاظ ،

---

(١) انظر مثلاً :" محطات " جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٩٧ ، (١٤٠٣/١٢/١ هـ)؛ والعدد ٤١٢٣ ، (١٤٠٤/٤/٩ هـ)، والعدد ٤١٤٤ ، (١٤٠٤/٤/٣٠ هـ)، والعدد ٣٨٨٧ ، (١٤٠٣/٧/٢٩هـ) .

(٢) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤١٣٠ ، (١٤٠٤/٤/١٦ هـ) .

(٣) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٨٣ ، (١٤٠٣/١١/١٧ هـ) .

وعمود (في الوسط) في جريدة الشرق الأوسط ، وعمود (سبعة أيام) في جريدة الرياض .

أ - أما بعد

بدأ الرفاعي كتابة (أما بعد) في ١٤٠٣/٢/٢٦ هـ عازماً على جعله عموداً أسبوعيا [١]، لكن ذلك لم يتم إذ لم ينشر من هذه السلسلة سوى أربع مقالات .

وكان في هذا العمود يكتفي بعنوان العمود الأصلي، دون أن يضع لما يكتب عنواناً آخر . وقد ظهرت على شكل أعمدة صحفية إلا في مقالة واحدة [٢]، جاءت على شكل يومية ووضع لها عنواناً آخر مع العنوان الثابت.

و(أما بعد) ، عنوان المقالة يحمل نبرة خطابية ظاهرة إذ أن كلمة (أما بعد) مما ينتقل به الخطيب من المقدمة إلى الموضوع ، فهل كان الرفاعي خطيباً في هذا العمود ؟ .

عند قراءة هذه المقالات لا نجده في موضوعاته التي طرق ولا في نبرته الكتابية، خطيباً ، وإنما نجد موضوعاته رسائل إلى أصدقائه ونبرته هادئة متوددة .

ولربما كان الرفاعي متأثراً باسم الصحيفة (عكاظ) الذي هو اسم لسوق عكاظ (مكان اجتماع الشعراء والخطباء العرب) ، فاستعار أدوات الخطيب لاتفاق المكان ، أو أنه أراد أن يجعل نفسه خطيباً في صحيفة عكاظ كما أن هناك خطباء في سوق عكاظ فاستعار أدواتهم .

وإذا أخذنا بهذا التفسير فإن الرفاعي قد ابتعد في موضوعاته عما حدده لنفسه في العنوان ، فلم يناقش موضوعات شعبية تهم الجمهور ، ولا تناولها بنبرة خطابية ، ولكن جاءت ذاتية هادئة أقرب إلى الأحاديث الخاصة . ولربما كان الفرق

---

(١) انظر : جريدة عكاظ ، العدد ٦٠١٩، (١٤٠٣/٢/٧ هـ) الصفحة الأخيرة ، ففيها إشارة من المحرر إلى أن الرفاعي سيواصل هذه الزاوية أسبوعياً .

(٢) انظر : " إلى الصديق عبدالله رجب : أما بعد"، جريدة عكاظ .- جدة : العدد ٦٠٥٢،(١٤٠٣/٣/١٠هـ) .

بين الزمانين والمكانين هو الذي أدى إلى أن يغير موضوعات الخطبة ونبرتها .

ولربما لم يدر في خلده الخطابة حال اختيار العنوان أو شيء من أدواتها وإنما أراد من (أما بعد) الاستخدام العام ، فهي كما تستخدم في الخطب تستخدم في مواضع كثيرة منها الرسائل بين الأصحاب ، وهذا الموضع هو ما أراده الرفاعي في عنوانه ، وعلى هذا يكون قد وفق بين العنوان والموضوعات المطروقة والخطاب أو اللهجة المستعملة في هذه المقالات ، فكأنه يريد أن يقول : انتهيت من المقدمات فإلى الرسالة التي ستتكرر مع أكثر من واحد من الأصدقاء .

ب - في الوسط

بدأ الرفاعي الكتابة في زاوية (في الوسط) في ١٩٨٤/٦/٢٣ م ، وتوقف عن كتابتها في ١٩٨٤/١٠/٢٧ م ، ويظهر أن مشاغله منعته من مواصلة الكتابة فيها ، إذ لم يتجاوز عددها ست مقالات ، فقد كان في عزمه أن يجعلها مقالة أسبوعية [١] .

ولم يلزم الرفاعي في هذه المقالات طريقة واحدة ؛ إذ جاء المقالان الأولان مكتفيين بالعنوان الأصلي للزاوية (في الوسط) بينما أضاف إلى المقالات الأربع الباقية عناوين أخرى .

وقد اختار الرفاعي عنوان الزاوية في الوسط ، وسعى لأن يكون موقع المقالة في وسط الصفحة [٢]. وهذا الاختيار مرتبط باسم الجريدة (الشرق الأوسط) ، وهو - اسم الجريدة - ذو دلالة عريضة ؛ إذ أنه اسم لمنطقة جغرافية كانت ميدان حضارات ونبوات كثيرة ، وهي الآن مجال صراع بين الطوائف الثلاث : الإسلام ، واليهودية ، والنصرانية ؛ إضافة إلى ما تتميز به المنطقة من مقدرات طبيعية هائلة .

---

(١) اطلع الباحث على رسالة للرفاعي يرد فيها على رسالة للكاتب عبدالله بن عبدالرحمن الجفري ، ويذكر في رسالته موافقته على كتابة زاوية أسبوعية ، ورغبته في تحديد وسط الصفحة مكاناً لنشر مقالته .

(٢) المصدر نفسه .

وقد أكسب هذان الأمران المنطقة الجغرافية أهمية كبيرة في العالم ، وجعل الحديث عنها ، أو مجرد ذكر اسمها يشي بشيء من الخطورة والأهمية .

وحين تأتي مقالة بعنوان (في الوسط) أي في وسط الشرق الأوسط فقد يعني هذا أنه يريد أن يتحدث عن صلب القضايا التي تشغل العالم في الشرق الأوسط ، وهذا يعني أن يقصد المشكلات السياسية ، والاقتصادية والدينية ؛ لأنها تشكل صلب الشرق الأوسط أو وسطه ، ووسط الشيء خياره وأفضله ، وفي اللسان "هو من أوسط قومه أي خيارهم[1]، والقضايا السياسية ، والدينية ، والاجتماعية أهم ما يتكلم عنه في هذه المنطقة .

ومع ظهور هذه الدلالة ، فإن العنوان قد يفيد معنى آخر . فالإنسان في حياته العريضة ، ووسط شواغل حياته الكثيرة بحاجة إلى وقت يرتاح فيه ، ويستعيد نشاطه ، فتكون هذه الزاوية (في الوسط) ساعة للراحة والاستجمام يأخذها القارىء ، ويتزود بالطاقة لمواصلة الحياة ، وهي بهذا المعنى تقترب من معنى المحطات السالفة الذكر .

جـ - سبعة أيام

أما العمود الأخير فمشاركته في عمود (سبعة أيام) في جريدة الرياض ، وهو عمود لا يختص به كاتب معين فيكتب فيه أكثر من كاتب يتعاقبون عليه ولكل كاتب أسبوع كامل ينشر فيه يومياً ، فينشر فيه سبع حلقات متتابعة ثم يأتي كاتب آخر ، ويختلف ثبوت الكاتب في هذه الزاوية من كاتب إلى آخر ، فبعض الكتاب يتردد اسمه وبعضهم لا يكتب إلا مرة واحدة ، وذلك مثل مشاركة الرفاعي إذ لم يكتب إلا مرة واحدة ، جاءت من ٥ - ١٤٠٦/٢/١١ هـ .

وبما أن هذا العنوان الثابت (سبعة أيام) ، ليس من اختيار الكاتب وإنما من اختيار الصحيفة فيحسن بالكاتب أن يختار عنواناً خاصاً لمقاله ، وهذا ما فعله

---

(١) لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٤٣٠ ، مادة وسط .

الرفاعي حيث جعل لكل مقالة من هذه المقالات السبع عنواناً خاصاً بها يفصح عن موضوعها ، وقد جعل عنوانات بعضها أسماء أشخاص من مثل : البير أديب ، وشكري فيصل ، ورندة .

ولم يكن الرفاعي يلتزم تخصصاً معيناً في هذه المقالات وإنما كان يتحدث عن أمور مختلفة لا يربط بينها إلا ظهورها في زاوية سبعة أيام .

أما النوع الثالث الذي يمكن أن نقسم مقالاته إليه فهو التقسيم الموضوعي . وقد قسمت المقالات إلى الموضوعات الآتية : الأدبية، والاجتماعية ، والعلمية ، والدينية ، والسياسية ، والسيرة الذاتية ، والوصفية .

وليس بخاف مقدار العناء الذي يلاقيه من يقوم بتصنيف المقالات في هذه الموضوعات ؛ وذلك أن هذا التصنيف تقريبي نسبي ، وليس فيه أمر قاطع ، فالمقالة الاجتماعية قد تكون من وجهة دينية ، وكذلك المقالة العلمية قد تكون أيضاً دينية، وهكذا المقالة الاجتماعية قد تشتبه بالأدبية ، وليس هناك فروق محددة واضحة بين هذه المقالات إلا مقدار مناقشة الكاتب للموضوع ، وطريقة تناوله . فمثلاً المقالة التي تتحدث عن الرشوة وتحذر منها أهي مقالة اجتماعية أم دينية ؟ .

فلو وضعت في الاجتماعية لما أخطأ الواضع فهي مرض اجتماعي خطير ، ولو وضعت في الدينية لما كان مخطئاً أيضاً فهي تصرف غير جائز شرعاً ، ومثلها المقالة عن الأدب العامي فهي بهذا العنوان والموضوع في المقالة الأدبية ولكن حين يتجه الكاتب إلى خطر هذا الأدب على لغة القرآن ومن ثم خطره على الدين نفسه فإنه ينحى بالمقالة إلى اتجاه آخر هو الاتجاه الديني ويقاس على هذا كثير من المقالات . فمشكلة التصنيف مشكلة كبيرة تتجاوز هذا الأمر الذي أشير إليه .

وقد شكا منها كثير من النقاد كالدكتور محمد يوسف نجم حيث يقول "فإن التمييز بين أنواع المقالات مهمة شاقة عسيرة ، إن ارتضيناه لأنفسنا تسهيلاً للبحث، فإن طبيعة هذا الفن الأدبي لا تقره ولا توافق عليه ؛ إذ أن بعض الكتاب يجمعون في مقالاتهم بين طرفي الموضوع والذات ، ويمسكون الحبل من منتصفه

فتطغى الصفة الذاتية على بعض المقالات الموضوعية أو تنعكس الآية فتطغى الصفة الموضوعية على بعض المقالات الذاتية وهذا واضح في أدبنا المقالي الحديث . فإن كتابنا إذا ما عرضوا لمشكلة من مشكلات السياسة أو الاجتماع ، لابد أن يضفوا عليها مسحة ذاتية صريحة وهذا ما نجده في أكثر مقالات العقاد ، والمازني ، وأحمد أمين ، وطه حسين" [1].

وهذا الكلام وإن كان يشير إلى التقسيم بين الذات والموضوع ، ولا يشير إلى التقسيم الموضوعي فحسبه أنه يشير إلى صعوبة التقسيم والتصنيف أياً كان اتجاهه ، وحسبه أن يكون قد عانى من هذه المشكلة ، على أن إشكالية التقسيم الذاتي والموضوعي قد تحل بالمقالة الذاتية الموضوعية التي تدخل تحت لوائها ما يختلط من القسمين .

وأظهر من قول الدكتور نجم قول الدكتور عطاء كفافي الذي لم يخصص تقسيماً بعينه ، وإنما جعل الصعوبة قائمة في كل تقسيم فقال : " وإذا أردنا الفصل الواضح والتحديد الجازم بين أنواع المقالات فلن يتيسر لنا ذلك نظراً للتشابه بين أنواع المقالات على صورة من الصور . والمهم في هذا المجال مراعاة السمات الغالبة على المقالة .." [2].

ولا شك في أنه يترتب على الخطأ في التصنيف أمور كثيرة قد تحرم البحث في المقالة مصداقيته وعلميته ، ودقته ؛ ذلك إنني حين أضع مقالات اجتماعية في الأدبية فأحكم بأن الأدبية أكثر من الاجتماعية ، وهذا يعني أنه اهتم بالمقالة الأدبية وأعرض عن المقالة الاجتماعية ، وهذا يفضي إلى القول بأنه لم يرتبط بالمجتمع ، ولم يعن به ويشئونه ، فالخطأ في الحكم هنا آتٍ من الخطأ في التصنيف . وفي هذا ظلم للأديب ونقص لحقه ، وخيانة للأمانة العلمية . ومع العلم بأهمية هذه القضية ،

---

(١) الدكتور محمد يوسف نجم . فن المقالة ، الفنون الأدبية ، ١.- د.ط .- (بيروت : دار الثقافة ، د.ت)، ص ١٣٤ .

(٢) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث ، ص ٣٨ .

فما تم هنا فهو ثمرة اجتهاد في الاستقراء ، ومحاولة في إدراك المقاصد الأولى للكاتب .

١ - المقالة الأدبية

أخذ الجانب الأدبي من الرفاعي الجزء الأكبر حيث عرف في أول حياته من المشتغلين بالأدب صناعة ، ومتابعة ، فلاعجب - والحال هذه - أن كانت المقالة الأدبية أكثر المقالات عدداً ، وأطولها تاريخاً .

فقد كان أول مقال أدبي للرفاعي بعنوان (مع العرجي) نشر في جريدة البلاد السعودية في ١٣٦٥/١١/٢٦ هـ . ونشر آخر مقال في المجلة العربية في جمادى الأولى ١٤١٦ هـ . وبلغ عدد المقالات الأدبية ٧٨١ مقالة، مرت بمراحل أربع لا تختلف عن المراحل العامة للمقال .

وقد تناول الرفاعي في مقالاته موضوعات كثيرة مختلفة ، يمكن أن تقسم إلى أربعة أقسام :

أ - القضايا الأدبية والنقدية .

ب - الحديث عن الشخصيات الأدبية .

جـ - عرض الدراسات الأدبية ، والمجموعات الشعرية ، والقصصية .

د - موضوعات عامة لا تدخل تحت هذه الموضوعات : كالذكريات ، والأخطاء المطبعية ، ونحوها وسيكون الحديث عن موضوعين .

(١) الذكريات والمذكرات .

(٢) الكتابة ومشكلاتها .

أ - القضايا الأدبية والنقدية

كانت بدايات النقد في هذه البلاد مجالاً خصباً للهجاء والإقذاع تنطلق فيه الألسن بكل أنواع الشتائم والنقائص ؛ إذ كان يعتمد على الهجوم الشخصي أكثر

من اعتماده على الأثر المنقود ذاته [١] .

ولم يرق للرفاعي ما تحول إليه الأدب من سوق للشتم والإقذاع ، فرفع صوته بالشكاية من هذه الظاهرة ، حيث يقول عن النقد أنه :" كثيراً ما ينحرف إلى نوع من المهاترة والتجريح فلا تحمد له مغبة ؛ بل يعطي فكرة سيئة عن الناقد" [٢] ، ويرى أن هذه المهاترة لا تعد نقداً ولا يعد من يزاولها ناقداً إذ يقول : "وهنا يرد السؤال الطبيعي الوجيه ... وهل عندنا نقاد ؟ بل هل لدينا ناقد واحد ؟ والجواب على هذا السؤال أنه لا يوجد عندنا ناقد واحد متخصص ..." [٣].

ولم يقف عند الشكاية فحسب بل نادى بالناقد الذي "يصب نقده على الأثر المنقود فحسب" [٤]، ويعتمد الإنصاف والموضوعية والتجرد ، فيكون"رائده خدمة الأدب فقط وشعاره النزاهة والإخلاص للهدف" [٥] ، فلا يجامل أحداً ويحابيه ، ولا يحمل على أحد فيحسده ويشفي غلاتله فيه ، فيقف "بالمرصاد لمن تسول له نفسه الاستهتار بمكانة القارئ وحقه في الإنتاج السليم السديد" [٦]. أما أهم شروط في هذا الناقد فأن يكون مدرعاً بالصبر والأناة أمام "أقلام الكاتبين التي ستنحط عليه كما تنحط مخالب الذئاب" [٧]، فلا ينطلق معها فيما تريد أن تذهب إليه من تجريح وإقذاء بل يقابل ذلك كله بالصمت ، والهدوء ، والموضوعية .

ويقابل هذه الصورة النظرية للناقد عند الرفاعي صورة أخرى عملية قد تختلف

---

(١) انظر : الدكتور بكري شيخ أمين . الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .- الطبعة الخامسة .- (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م) ، ص ٥٣٦ ، وانظر : الدكتور محمد ابن عبدالرحمن الشامخ . النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية .- الطبعة الثالثة .- (الرياض : دار العلوم للطباعة ،النشر ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨ م) ، ص ١٠٠.

(٢) " إلى الناقدين ، النقد .. رقابة فنية "، جريدة البلاد السعودية .- مكة : العدد ١٦٦١ ، (١٣٧٤/٢/٧ هـ) .

(٣) " البحث عن ناقد : يوميات المدينة ". جريدة المدينة : العدد ٤١٨ ، (١٣٨٥/٣/٢٣ هـ) .

(٤) " إلى الناقدين ، النقد .. رقابة فنية " ، المصدر سابق .

(٥) المصدرنفسه .

(٦) " البحث عن ناقد : يوميات المدينة "، جريدة المدينة ، العدد ٤١٨ ، (١٣٨٥/٣/٢٣ هـ) .

(٧) المصدرنفسه .

في كثير أو في قليل عن الصورة الأولى ، لكنها تظل مرتبطة بها ارتباط النشأة والمرجع . فقد تعاطى الرفاعي النقد في كثير من مقالاته ، فتناول قضايا أدبية ، أو شخصيات أدبية ، أو أعمالاً أدبية فكان يحاول أن يحتذي هذا المنهج ويسير عليه ، ولكن يظل التنظير بمنأى عن التطبيق : ذلك لأن التطبيق تتناوله مؤثرات خارجية تفرض نفسها على الناقد فلا يستطيع أن يتخلص منها .

وقد استطاع الرفاعي أن يبتعد بنقده عن الشتم والإقذاع ، وأن يتصف بالهدوء والإنصاف ، ولعل أظهر ما يكون الإنصاف حين يتناول نفسه بالنقد والتقويم ، فلا تراه يمتدح أو يعتذر ، بل يثنّي عليها بالنقد والتجريح ، إذ يقول محاسباً نفسه حين يكتب شيئاً من ذكرياته :"طرحت على نفسي سؤالاً كان لا بد لي أن أطرحه ، ماذا يستفيد القراء من هذا الحديث ، وأي جدوى تلك التي سترجع إليهم منه ؟ إنه أمر يخصني وحدي ، وذكريات يصح أن أستعيدها بيني وبين نفسي فقط ... أو أن أكتبها لنفسي دون أن أعرضها للزراية أو النقد أو التعليق المر ..." [1]، بل يصل الإنصاف به إلى المجاملة فلا يقابل صاحب النص بأخطائه خشية تقطُّع أواصر الصداقة إذ يقول :"ولعلي لهذا أتجنب أن أدخل في نقاش أدبي مع أصدقائي لأنني لا أحب أن أخسر صداقاتهم . إلا إذا تيقنت أن أعصابهم وصداقاتهم أيضاً في متانة الفولاذ ، ومن لي بهؤلاء [2] ؟. ويقول في موضع آخر: "وقد أسوغ لنفسي ألا أنشر كلمة غاضبة حفاظاً على حبال المودة التي تربطني بأحبائي" [3].

وهذا يدل على أن الرفاعي لم يستطع أن يسير على المنهج النقدي الذي اختطه كما مر من قبل .

وموقف الرفاعي من الساحة الأدبية ظل على حاله ، فلم يتبدل مع التطور الفكري والأدبي في الساحة الثقافية في هذه البلاد . ولعل ذلك راجع إلى فهمه

---

(١) " عندما ترحل الكتب" جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٩ ، (١٤٠٩/٢/٢٢هـ) .

(٢) " الخصومات الأدبية : كل أسبوع"، جريدة البلاد السعودية، العدد ١٥٣٠، (١٣٧٤/٨/٢٠هـ).

(٣) " رسالة .. مهملة : سبعة أيام " ، جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣٣ ، (١٤٠٦/٢/١١هـ)

لوظيفة الناقد التي تصوره شرطيًا يراقب الكاتبين ، أو موجهاً يأخذ بيد الناشئة نحو سواء السبيل وتقصره على ذلك كما في قوله السابق وفي قوله : "وبغياب النقد السليم تغيب عن القراء آثار جيدة لا تجد الناقد الحصيف الذي يلفت إليها الأنظار .. ليقول لقرائه : "ياقوم لقد أخذ فلان من الكبار ينشر ذكرياته أو يكتب مذكراته .. أو يذيع بحثاً جيداً ، فعليكم به وتابعوه .. أو أن فلاناً من أدباء الشباب ، ينتج إنتاجاً جيداً ، ويكتب أفكاراً قيمة ، ويبدع إبداعات جديرة بالمتابعة فإليه نلفت الأنظار ..." [1].

وقد ناقش الرفاعي كثيراً من قضايا النقد والأدب من مثل سبب شهرة شوقي ، والشعر المهجري الجديد ، والاتجاه الجديد عن نزار قباني ، والعروبة والإسلام في شعر شوقي ، والشاعرات العربيات وأثرهن في التاريخ الأدبي ، وقريش والشعر . وغير ذلك من القضايا ، وكان أهم تلك القضايا وأكثرها وروداً عنده ثلاث هي :

١ - الالتـــزام

يقصد بالالتزام حين يطلق "وجوب إحساس الأدباء والفنانين بالمسئولية أمام مجتمعهم ووطنهم ، {ورفضْ} جعل الأدب والفن تسلية يرسل بحرية" [2].

فالالتزام بهذا المفهوم يرفض أن يخرج الأدب عن كونه سبيلاً للإصلاح والتوجيه ، ولا يكتفي بجعل جزء منه في خدمة المجتمع ، والجزء الآخر في خدمة الجمال ، والفن ، والروح .

وقد عالج الرفاعي هذه القضية فيما عالج من قضايا ، فتحدث عنها أحاديث كثيرة في فترات حياته الأدبية الطويلة . وكان حديثه متسقاً فيما بينه يحبذ الالتزام ويدعو إليه ، دون أن يقصر الأدب عليه ، أو يلغي سواه من أهداف الأدب فيرى "أن الأدب صدى الحياة كما أن في هذه الحياة أشياء كثيرة للزينة ، ففي

---

(١) " الضياء .. يشع : سبعة أيام" ، جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣١، (١٤٠٦/٢/٩ هـ) .

(٢) الدكتور محمد التونجي . المعجم المفصل في الأدب - الخزانة اللغوية ، ٧ .- الطبعة الأولى.- (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، ج١ ، ص ١٢٣ .

الالتزام ويدعو إليه ، دون أن يقصر الأدب عليه ، أو يلغي سواه من أهداف الأدب فيرى " أن الأدب صدى الحياة كما أن في هذه الحياة أشياء كثيرة للزينة ، ففي الأدب أشياء للزينة ، كذلك منها شعر الغزل ، وقصص الحب التي لا يمكن أن تكون أكثر من هذه الأشياء ، ويقابل هذه الأشياء في الطرف الآخر بل في الطرف الأول والمهم يقف أدب التوجيه ليؤدي مهمته ليفيد وينفع ويوجه ويرشد .. ومعنى هذا في نظري أنه لا يمكن أن نقول إن الأدب يجب أن يكون للأدب فقط .. كما لا يصلح - حتى لو أردنا - أن يكون الأدب للمجتمع فقط .. بل الصحيح أن نقول إن الأدب حياة للحياة " [1].

فالرفاعي يرفض جعل الأدب اجتماعياً كله ، كما يرفض جعله ذاتياً كله لأن هذا مخالف لطبيعة الفن .

ويضيف إلى هذا اشتراط اجتناب الشاعر الهدم والإفساد بفنه وأدبه .

أما الفكر الذي يرى الرفاعي أن يلتزمه الأديب فهو الفكر الإسلامي الذي يرى أن الالتزام به "مطلب أساس تفرضه عقيدتنا" [2].

على أنه يفرق بين ما ينبغي على الأديب ، وما يحاسب عليه، فبينما يرى أنه ينبغي على الأديب أن يكون هادفاً، بانياً ، ملتزماً بالإسلام ، غير هادم ولامفسد ، يرى أن يخفف من حدة محاسبة الأدباء على هذا الالتزام ، إذ يرى التغاضي عمن حسناته تغطي سيئاته ، وعمن لا يتخذ "من فكره وقلمه معول هدم للأسس الإسلامية بأي شكل من الأشكال" [3] ، ومن التغاضي عن سيئاته ومقدار التزامه قد يحقق مكاسب كبرى تخلد في صفحاته[4]، لأن هذا التغاضي ، والتسامح في

---

(١) " أدب التوجيه " جريدة البلاد ، العدد ٤١٠٧ ، (١٣٩٢/٧/١٢ هـ) .

(٢) " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع " ، الحلقة الثانية ، المجلة العربية ، العدد ١٧١ ، (ربيع الآخر ١٤١٢ هـ) .

(٣) " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع "، الحلقة الأولى ، المجلة العربية .- الرياض : العدد ١٦٥ ، (شوال ١٤١١ هـ) .

(٤) انظر : " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع " ، الحلقة الثانية .

تضييق حدود الالتزام يجنبنا خسارة " أنصاره وأنصارنا" [1].

كما يرى ألا تأخذ الدعوة إلى الالتزام " شكل مذهبية فكرية تستثير المذاهب المضادة ، ويكفي أن نوقظ الوعي العقدي" [2].

وتكاد تخرج هذه النظرة المتسامحة نحو التزام الأديب صاحبها من دائرة دعاة الالتزام إذ خالف في هذه النظرة غيره من النقاد الغربيين والشرقيين .

وقد تحدث الرفاعي - بالإضافة إلى مفهوم الالتزام وحدوده في تصوره -عن الفروق بين الالتزام والإلزام ، حيث يرى أن الالتزام نابع من نفس الأديب " فهو قيد محبب مطلوب" [3]، وعن عدم وجود علاقة بين الالتزام والإخفاق في الشعر[4].

ولعله بهذا الرأي الوسط بين الالتزام وعدمه يريد أن يرضي جميع الأطراف ، ويسلم من عداوتهم على حساب ما يعتقده من رأي وفكر . ولا شك أن هذا المنهج من التنازل عن الرأي والرجوع عما يراه حقاً خوف الخصومات تصرف خاطئ إذ الواجب على المرء أن يصر على رأيه مهما خالفه الآخرون .

وقد نجد في نظرته الأخيرة شيئاً من التناقض ؛ إذ كيف يقوم التزام دون مذهبية فكرية ؟ لأن معنى الالتزام الأدبي هو أن يلزم الأديب اتجاهاً يسير عليه، فإن لزم صارت مذهبية فكرية ، وإن تركه - الاتجاه - لم يك هناك التزام .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المعارضين لن يدعوك توقظ الوعي حتى لو تجنبت إثارتهم لأن معنى اليقظة العقدية ترك ما يسيرون عليه وتجنب طرقهم وهذا ما لا يريدون ، وهذا نوع من الإثارة .

وعلى أي حال فإن الرفاعي في أحاديثه عن الالتزام يحاول أن يكون اتجاهاً وسطاً كما أسلفنا ، انقياداً لمذهبه في التعامل الذي يحرص فيه دائماً على تجنب الإثارة واستقطاب جميع الاتجاهات .

---

(١) انظر : " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع " ، الحلقة الأولى .

(٢) انظر : الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع ، الحلقة الثانية .

(٣) " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع "، الحلقة الأولى .

(٤) انظر : المصدر نفسه .

٢ - الأدب العامي

من القضايا المهمة التي ناقشها الرفاعي قضية الأدب العامي ، حيث عرض لها في عدة مقالات . جاء أغلبها حديثاً وصْفياً يذكر فيه صلته بالأدب العامي[١] ، وشيئاً عنه في مكة وجدة كالشعر الذي ينشده الناس أطفالاً وعمالاً وهو مقطوعات شعرية تختلف معانيه باختلاف أسباب إنشائه ، ومناسبة إنشاده .

وفصل الرفاعي في الذكر الشواهد والأمثلة لذلك ، فذكر شيئاً من محفوظاته من ذلك الأدب ، وعرض بعض الأسماء التي تطلق على أهازيج العمال (كالزومال) أو التي ينشدها باعة مكة ينصحون الحجاج بعد الفراغ من أداء مناسك الحج بالإياب السريع إلى أوطانهم .

كما ذكر بعض الشعراء الذين يكتبون بالعامية والذين نالوا حظاً من الشهرة من أمثال أحمد رامي ، وأحمد قنديل أو الذين يكتبون مقالاتهم بالعامية من أمثال أمين سالم الرويحي[٢].

ولا يخص الرفاعي إقليماً بالحديث دون آخر؛ بل يتحدث عن الأقاليم كلها فيقترح على عبدالكريم الجهيمان[٣] أن يسجل الأدب العامي في نجد ، ويقترح على عبدالكريم الخطيب[٤] أن يسجل الأدب العامي في ينبع[٥].

ويمكن أن نعرض موقف الرفاعي من الأدب العامي فيما يأتي :

---

(١) انظر : مقالة " ثرثرة عن شعر العامية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٩٠ ، (١٤٠٦/٦/٨ هـ) .

(٢) أبو حياة ، أمين سالم الرويحي ، (١٣٤٢ هـ -) من مواليد جدة . كاتب صحفي وقصصي . من إنتاجه القصصي : الأذن تعشق . الأصابع المحترقة ، (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج١ ، ص ٤١٦) .

(٣) عبدالكريم بن عبدالعزيز الجهيمان ، (١٣٣٢ هـ -) . ولد في إحدى قرى الوشم . عمل بالتدريس والصحافة ، وترأس جريدة أخبار الظهران . من أعماله : آراء فرد من الشعب ، (انظر: معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٣٢) .

(٤) عبدالكريم بن محمود الخطيب ، (١٣٥٢هـ -) ، من مواليد ينبع البحر . كاتب مقالي وقصصي. من آثاره : أدب رضوى (قصص) ، شعراء ينبع وجهينة .(انظر : معجم الكتاب والمؤلفين،ص ٥٠).

(٥) انظر :" ثرثرة ثانية .. عن أدب العامية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩١١ ، (٢٩/ ١٤٠٦/٦هـ) .

١ - إنه " يعايشنا معايشة عجيبة ، ويلازمنا ملازمة شديدة ، ويتنفس معنا سواء شئنا ذلك أم أبينا"[١]. فهو يملك القدرة "على النفاذ إلى النفوس"[٢] .

٢ - إنه يمكن الاستفادة من هذا الأدب للرصد الاجتماعي والتاريخي[٣]. ولذا يرى "أن يتصدى للكلام في هذا الموضوع من هو أولى به منه لتدوين هذا النوع من الأدب"[٤]، ودراسته .

ويدعم الرفاعي موقفه هذا بأن تاريخ الأدب العربي لم يتجاهل الأدب العامي ، وإنما سجله في كتبه كظاهرة فرضت نفسها . فذكر الأزجال والمواويل التي اشتهرت في العصر العباسي ، والأيوبي ، والمملوكي ، وبمواقف بعض كبار الأدباء كموقف العقاد الذي كان يستحسن بعض الأبيات من الأدب العامي مع حبه العميق للفصحى . وموقف طه حسين الذي تحمس لفكرة إيجاد كرسي في الجامعة المصرية لتدريس هذا الأدب .

٣ - أن هذا لا يعني "أن ننشره بكل وسائل النشر الممكنة وأن نحتضنه ، ونرعاه ، ونسلط عليه الأضواء ليبدو باهراً ، رائعاً ، أخاذاً ، جذاباً ، تطمح إليه النفوس وتشرئب إليه الأعناق ... فإن هذا لو تحقق يعني أننا نفسح الطريق أمامه لينافس أدب الفصحى"[٥]. ولكن يجب تحجيمه " أي أن نتركه في حجمه الطبيعي الذي كان عليه منذ أن نشأ"[٦].

وموقف الرفاعي هذا لا يخلو من تناقض وغموض ، أما التناقض فيظهر في رغبته بدراسة الأدب العامي وتدوينه وعدم تسليط الضوء عليه ، وهل من أضواء أشد من الدراسة والتدوين ؟ فإنهما يعمقان هذا الأدب ويؤصلانه في المجتمع وبين

---

(١) "كلمة أخيرة عن أدب العامية" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨٨ ، (١٨/٩/١٤٠٦ هـ) .
(٢) " ثرثرة عن شعر العامية " جريدة الجزيرة .
(٣) مقالة " ثرثرة ثانية .. عن أدب العامية " جريدة الجزيرة ، مع تغيير ضمير المتكلم إلى غائب .
(٤) " ثرثرة .. عن شعر العامية " ، جريدة الجزيرة .
(٥) " كلمة أخيرة عن أدب العامية " ، جريدة الجزيرة .
(٦) المصدر نفسه .

الناشئة التي قد تجده متاحاً أمامها بدراساته ومدوناته .

وأما الغموض فيتمثل في عرضه لألوان هذا الأدب ونماذجه في مقالين طويلين عرضاً وصفياً تقريرياً يذكر فيهما من اشتهر من شعرائه ، وشيئاً من أشعارهم يشي باستحسانه لهذا الأدب . مع بعض الإيماءات التي تشير إلى تحبيذه لهذا الأدب من ذلك إشارته إلى أن تاريخ الأدب العربي لم يقتصر على تاريخ أدب الفصحى ؛ بل رصد أدب اللغة العامية "ورصد أنواع هذا الأدب وتقسيماته .. كظاهرة فنيه فرضت نفسها"[1]. وقد جاءت هذه الإيماءات خلواً من أي تعليقات تشير إلى تنفيره من هذا الأدب ، مما ألبس على كثير من القراء فظنوه ممن يؤيد هذا اللون من الأدب . وقد أحس الرفاعي بهذا الغموض فكتب مقالة يوضح فيها موقفه فيقول : " كنت أحس أنه لابد من كلمة ثالثة توضح ما غمض على قرائي ؛ ذلك أن منهم من ظن أنني ميال إلى تحبيذ أدب العامية"[2]. وقد وضح موقفه الذي يتمثل فى (تحجيمه) ، وهل يمكن معرفة حجمه الطبيعي الذي كان عليه منذ نشأ ؟ إن هذا الحد حد إنشائي فضفاض لا ينقاس بحد معين ، فما يراه الرفاعي تحجيماً قد يراه آخر ظلماً وهضماً ، ولو أردنا أن نبحث عن التحجيم المنشود في عمل الرفاعي لما وجدناه ، إذ أين (التحجيم) من أن يعرض هذا الأدب ونماذجه ومحاسنه ومن يؤيده من كبار الكتاب الشعراء في مقالين طويلين دون أية إشارة تفيد التقليل من شأن هذا الأدب .

ومما يلاحظ ابتعاد الرفاعي عن تسمية الأدب العامي بالأدب الشعبي، وتمسكه باسم الأدب العامي فكأنه يفرق بين المسميين ، وإن كان قد يسميه بالأدب المحلي .

ولعل سبب غموض هذا الموقف هو عدم تبلور موقف الرفاعي أصلاً بين الرفض لهذا الأدب وقبوله . فهو حين ينظر إلى الواقع وإلى الجوانب التي يمكن أن يستفاد

---

(١) " ثرثرة عن شعر العامية " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

(٢) " كلمة أخيرة عن أدب العامية " ، جريدة الجزيرة ، المصدر سابق .

بها من هذا الأدب ، وإلى مواقف كبار الأدباء يتسامح مع هذا الأدب ويرى ضرورة الاستفادة منه ، وحين يرى ما يمكن أن ينتج عن السماح له من أضرار أولها التأثير على الفصحى والحد من انتشارها يفزع ويقف موقف الرافض .

٣ - الأدب الساخر

أطلق الرفاعي على هذا اللون من الأدب مسميات عدة (كالأدب الساخر)، و(الأدب الضاحك) ، و(الأدب الخفيف)، وهي تحمل فيما بينها فروقاً دقيقة[١]. وهو يفضل تسمية هذا اللون من الأدب (بالأدب الخفيف) .

ولا يرى أن الأدب الساخر أمر طارئ في هذا العصر ولكنه " نبت طبيعي ينبت في كل زمان ومكان"[٢]. ولا يختص هذا العصر - فيما يرى- إلا أن هذا النوع قد أصبح "ظاهرة طاغية فيه"[٣].

ويبدو أن في هذا الرأي شيئاً من المبالغة لكون الأدب الهازل لم يجار الأدب الجاد فضلاً عن أن يطغى عليه .على أن الرفاعي ليس من مؤيدي هذا اللون من الأدب ، وإن كان يرى انتشاره أهون الشرور على الثقافة العربية[٤] .

ويذكر عدداً ممن كان لهم إسهام ظاهر في هذا اللون كالزيات، والقنديل ، والسرحان ، وحسين شفيق المصري .وسبب انتشار هذا اللون في رأيه يعزى إلى ثلاثة أمور :

١ - "التوتر الذي تخلفه هذه الأحداث المؤلمة المروعة[٥] (الذي) انعكس على نفسية فريق من الكتاب وعلى أقلامهم فمالوا إلى عملية (تنفيس)

---

(١) انظر : " ظاهرة الأدب الخفيف " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٠٧ ، (١٤٠٩/١/١٠ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر : " الثقافة العربية في أزمة " ، مجلة الحج ، العدد ٧ ، (ربيع الأول ، ١٣٧٠ هـ) .

(٥) يعني الأحداث السياسية والاقتصادية التي يمر بها العالم الإسلامي .

عـن أنفسـهم وعـن قرائهـم"[1].

٢ - التقليد ، فحين رأى الأدباء الآخرون ما حازه أولئك الأدباء من توفيق وانتشار طفقوا ينشئون على غرار أولئك الأدباء ويقلدونهم[2].

٣ - "أن هذا العصر لم يعد للكتاب فيه ذلك (الزهو) الذي كان لهم من قبل أربعين أو ثلاثين سنة مضت"[3]. حيث مال كثير من القراء " إلى صفحات معينة ليقرأوا فقط ما يتعلق باهتماماتهم ... سواء في الصفحات الرياضية أو التي تعنى بالفنانين والفنانات (وهم) بهذا يسقطون من حسابهم تلك المقالات المثقفة أو تلك التي تحمل عناصر معينة من التوعية"[4] وحين رأى كتاب هذا الجيل هذه الظاهرة الخطيرة "رأوا أنه لابد من عمليـة (جذب) أو شد انتباه القراء إلى أقلامهم . فكان لابد من استخدام مواهبهم لتحقيق هذا الهدف"[5].

ويطرح الرفاعي تساؤلات عن مصدر هذا الأدب ، هل كان ينبع من ذات الأديب نتيجة مزاجه الشخصي أم هي أساليب متعمدة لهدفٍ ما يقصده الأديب؟ [6]. وفي رأيه "أن الموهبة في هذا تأتي بالدرجة الأولى ، ولكن التدرب على الكتابة الضاحكة أو الساخرة يأخذ مكانه أيضاً بعد الموهبة وإن كان يصل إلى مداها . أما إذا اجتمعا في شخص فإنهما يثمران أدباً مميزاً"[7].

وكأنه هنا يجعل الموهبة ، وحدها قادرة على إظهار الأدب الخفيف دون الدربة والمران ، وهذا أمر مخالف للواقع ، وقد أهمل - أيضاً - أثر الثقافة في إنشاء هذا الأدب مع أنه لابد للمنشئ من ثقافة يتكئ عليها في إنشاء أدبه .

---

(١) " ظاهرة الأدب الخفيف " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

(٢) انظر : المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) انظر : المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

أما الهدف من إنشاء هذا اللون من الأدب فقد يكون هدفاً ذاتياً استجابة لشخصية الكاتب المرحة ، فلا يطلب وراء الضحك هذا الأدب هدفاً آخر ، أو أن يكون رغبة في إيصال رسالة إلى القارئ [1] يسعى فيها لحل مشكلة اجتماعية ، أو اقتصادية ، كالسخرية من المسرفين .

لا يرى الرفاعي أن تكون الفكاهة أو السخرية " هدفاً لذاتها ولا أن نمعن في لذاتها ؛ بل ينبغي أن تخدم الهدف الكبير الذي هو محاولة استنقاذ هذه الأمة العربية من وهدة تمزقها واختلافاتها ، وما يشاع في ساحتها من تدمير ، وسوء تدبير .." [2]، وإلا فسنشغل بالتوافه عن عظائم الأمور، إلا إذا كان هذا الأدب الخفيف راحة لاستئناف المسير تأخذ فيه النفس هدوءها لتستعيد نشاطها للعمل فهو "بمثابة الإغفاءة لاستجمام الجسم والفكر فذلك حسن إن لم يكن مطلوباً" [3] وهكذا يحاول أن يجعل هذا الأدب سلاحاً في يد الأمة يعينها على التقدم والازدهار بدلاً من أن يكون سلاحاً في يد أعدائها تضرب به الأمة فتتفرق ، وتقعد عن مواصلة السير نحو الهدف .

وهو في هذه الكتابات لا يكتب بحوثاً علمية ، أو مقالات موضوعية ، وإنما يكتب مقالات إبداعية ذاتية ؛ ولذا لا نعجب إذا جاء حديثه معتمداً على الخواطر وتداعيها ، مبتعداً عن العلم وقيوده الصارمة ، ومبتعداً عن التقسيمات المنطقية للموضوع ، وعن التفسيرات والتحليلات ومكتفياً بالعرض ، والوصف ، والسرد ، وإذا ما علل فإن تعليله وليد الخاطر .

وقد جعله الاعتماد على الخواطر قليل الاحتفاء بالشواهد والأمثلة . وإذا ما أورد شيئاً من ذلك ، فيكون دون رابط بينها ولا ترتيب .

وقد كان يعلم أن ما يكتبه ليس علماً وبحثاً ، وإنما أدب تغلب فيه الذات

---

(١) انظر : المصدر نفسه .

(٢) " مع التحيات ... للأستاذ الخياط " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٨٧ ،(٢٢/١٠/١٤٠٩هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

وطبيعتها على الموضوع ، فكان يقدم لأول الموضوع بأن ما يكتبه ليس بحثاً ولا دراسة تعتمد على المتابعة والإحصاء وإنما هي خواطر تتفق مع طبيعة الإبداع الذي ينساب فيه الكاتب مع الفكر . ومن ذلك قوله في مطلع حديثه عن الأدب الخفيف: "ولست بصدد رصد جميع ظواهر الأدب الحديث ، ولا تعدادها ، فلهذا الموضوع رجاله المتخصصون من النقاد الراصدين للحركة الأدبية ، والمتابعين لها والمراقبين لتطورها ... ولكني هنا إنما أطرح فقط تساؤلات عن هذه الظاهرة ..."[1].

وإذا كنا نقبل هذا الأمر في الكتابة الصحفية ، فإننا لا نقبله في المحاضرة العلمية التي يجب أن تعتمد على الأسلوب العلمي في الطرح ، والدقة في ترتيب الأفكار. وهذا مالم نجده في بعض محاضراته كمحاضرته التي بعنوان (الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع)، ومحاضرته عن (زكي مبارك) التي ألقاها في نادي جدة الأدبي .

ومما يعاب عليه تأرجحه في بعض المواقف التي يتخذها، إذ لا نجد له موقفاً حازماً صارماً كموقفه من الالتزام الإسلامي في الأدب .

ب - الحديث عن الشخصيات

أكثر عبدالعزيز الرفاعي في مقالاته من الحديث عن الشخصيات ، لنظره إلى الشخصية من خلال ما أدته من أعمال ، وما يمكن أن تقوم به من التأثير على الناشئة في حياتهم . ويمكن أن تقسم الشخصيات التي تحدث عنها إلى ثلاثة أقسام ، ويتكيف تبعاً لذلك حديثه عن هذه الشخصيات ، ولكل قسم خصوصيته التي يتصف بها دون غيره ، وهذه الأقسام هي :

١ - الحديث عن رواد الأدب في العصر الحديث

يقصد بالرواد الأدباء الكبار الذين ظهروا في عصر النهضة ، سواء كانوا في

---

(١) ظاهرة " الأدب الخفيف " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٠٧ ، (١٤٠٩/١/١٠ هـ) .

مصر أم العراق والشام أم المهجر ، وإن كان أغلب من تحدث عنهم في مصر والمهجر.

وكان حديثه عن هؤلاء الرواد حديث المعجب بعبقرياتهم ، المظهر لحسناتهم ، والذي لايدع فرصة إلا أثنى بها عليهم . فتحدث عن الرافعي[١] والزيات[٢] ومبارك ، وهيكل[٣]، والعقاد ، ومحفوظ[٤]، وتوفيق الحكيم[٥].

وفي رأيه أنه اجتمع في بداية العصر الحديث من العباقرة ما يضن بمثلهم التاريخ في وقت واحد[٦].

وإذا تتبعنا حديث الرفاعي عن هذه الطائفة من جيل الرواد وجدنا أكثره يتعلق بالبحث عن شخصياتهم ، وعن جوانب من حياتهم ، أو عن القضايا التي أثيرت حولهم ، دون العناية الكبيرة بأدبهم . وأكثر هؤلاء الأدباء نصيباً من حديثه ثلاثة هم : عباس بن محمود العقاد ، وطه حسين ، وزكي مبارك .

ومع كثرة حديثه عن هذه الشخصيات نجد حديثه يدور حول محور واحد أو محورين مما يتعلق بهذه الشخصيات على ما سيأتي .

أول هؤلاء الأدباء هو عباس محمود العقاد الذي أحصى الباحث من مواضع ذكره أكثر من ثلاثين مرة ، وقد لفت انتباه الرفاعي في هذه الشخصية ما عرف عن العقاد من اعتداد بنفسه ، وتمسك بآرائه تمسكاً يصل حد العناد ، فكثيراً ما وقف

---

(١) انظر . مثالاً " قطرات من السحاب الأحمر"، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٩٠ ، (١٤٠٩/٤/٥ هـ) .

(٢) انظر ، مثلاً :" أحمد حسن الزيات .. صاحب الرسالة : على هامش الأيام" ، جريدة البلاد ، العدد ٧٥٣ ، (١٣٨١/٢/١٧ هـ) .

(٣) انظر، مثلاً :"رحلة لبنان : كل أسبوع"، جريدة البلاد السعودية، مكة، العدد ١٦٨٥، (١٣٧٤/٢/٣ هـ). و" عن مسيرة السيرة"، جريدة الجزيرة، العدد ٢٥٣٣، (١٤٠٧/٥/٢٦هـ).

(٤) انظر مثلاً :" في مرايا نجيب محفوظ" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٥٤ ، (١٤٠٩/٦/٩ هـ) .

(٥) انظر ، مثلاً : " حسين .. صاحب العصا والحمار " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٣٦ ، (١٤٠٨/١٢/٢٣هـ) .

(٦) انظر : " الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع" ، الحلقة الأولى ، المجلة العربية ، الرياض : العدد ١٦٥ ، (شوال ١٤١١ هـ) .

عند هذا الجانب معجباً حيناً ومتعجباً في حين آخر ومعتذراً في حين آخر كذلك[1].

ولعل سبب عناية الرفاعي في هذا الجانب هو ما عرف عن نفسه من خلق مقابل لهذا الخلق ، كالتواضع ولين الجانب ، وتناسي الذات ، والرجوع إلى الحق ، وعدم العناد والإصرار على الرأي ، فالإنسان كثيراً ما يجذبه ضده فيقف عنده .

وأما الشخصية الثانية من هؤلاء فهو الدكتور طه حسين الذي ضارع ذكره عدد مرات ذكر صاحبه العقاد ، وكان أغلبها عما أثير حول فكره الإسلامي[2].

وقد وقف الرفاعي من هؤلاء موقف المناوئ ، فدافع عن طه حسين بحماسة بالغة ، ورد كل ما يقال في ذلك من شواهد وأدلة ، وما اشتهر عن طه حسين من مواقف ضد الإسلام معتمداً بذلك على كتاب (معي)[3] لزوجة طه حسين ، أو على احتمال أن يكون قد رجع عن هذه الأقوال والمواقف في آخر حياته ، تحدوه بهذا الدفاع عاطفة جياشة يمكن أن تكون حاملة له على عدم الرؤية الموضوعية .

أما الشخصية الثالثة فهو زكي مبارك ، وقد أحصى الباحث ما يزيد على عشرين موضعاً من مواضع ذكره .

وكان حديثه عن مبارك يدور في جانبين :

الجانب الأول عن علاقته بزكي مبارك ، حيث عرف الرفاعي زكي مبارك قبل أن يعرف غيره من كبار الأدباء الرواد ؛ وذلك عن طريق مجلة الرسالة حين كان مبارك يكتب (ليلى المريضة في العراق). حيث أثار هذا العنوان الفضول الثقافي عند الرفاعي ، وبهذا استطاع مبارك أن ينقل الرفاعي من أدب القصص إلى الأدب

---

(1) انظر : " هل يعترف العقاد والآخرون : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد ، العدد ١٣٦١ ، (١٣٨٣/٣/٣هـ) ، و" بين شعر شوقي وشعر العقاد : يوميات الرياض " جريدة الرياض .- العدد ٨٧ ، (١٣٨٥/٤/١٢ هـ) .

(2) انظر مثلاً : " للحديث شجون " ، مجلة الفيصل ، العدد ٨٦ ، (شعبان ١٤٠٤هـ) ، و"محطات" جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٢٩ ، (١٤٠٣/٩/١١ هـ) ، و " شهادة كنون في طه حسين : الطبري والطبريون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٧١ ، (١٤١٠/١/٢٠ هـ) .

(3) كتاب يحكي سيرة سوزان مع زوجها طه حسين . وضعته بالفرنسية بعد وفاة زوجها .

الجاد ،على حد تعبير الرفاعي ، وقد كان هذا في أول حياة الرفاعي الأدبية حين كان مغرماً بالقصص[1].

أما الجانب الآخر فهو أمر يتصل بأدبه ، وهو عن طريقة مبارك في الكتابة ؛ ذلك أن الرفاعي يرى أن زكي مبارك قد ابتكر طريقة جديدة في النثر العربي استطاع أن يراوح فيها بين الشعر والنثر أو كما عبر الرفاعي "الانتقال بالارتعاشات الشعرية إلى النثر"[2] .

أما سوى هذين الجانبين فلم يعرض له إلا قليلاً كحديثه عن أيامه في باريس أو عن ملاكماته الأدبية[3].

وقد يرجع سبب جنوح الرفاعي إلى الاهتمام بالقضايا الخارجية التي تتعلق بصفاتهم ، أو شخصياتهم أو حياتهم إلى أمرين :

١ - ظروف النشر .

٢ - شخصية الرفاعي .

أما ظروف النشر ، فالرفاعي نشر أغلب أحاديثه عن هؤلاء الأدباء في مقالات صحفية طابعها السرعة ، وعدم الدقة والتمحيص . وهذا الجانب يختلف عن الدراسة الأدبية التي تتطلب وقتاً وتركيزاً وجهداً لا تتطلبه المقالة الصحفية . ثم إن الكتابة الصحفية تبحث عما يروق للجمهور القارئ وما يحلو لهم ، وهذا يتوافر في شخصيات الأدباء وحياتهم ، ولا يتوافر في الدراسة الأدبية التي لا تحظى إلا بعناية المختصين .

أما السبب الثاني فيرجع إلى شخصيته هو ؛ وذلك أنه لم يعن من أول حياته بالدراسات الأدبية ، وإنما عني بالمقالات الخفيفة ، السريعة ، والدراسات الأدبية

---

(١) انظر الجانبين في " في صحبة الدكتور زكي مبارك " ، جريدة الأربعاء ، (١٤٠٨/١١/٢٢ هـ) ، و"مشوار أدبي : على هامش الأيام" ، جريدة البلاد ، العدد ١٤٠٣ ، (١٣٨٣/٤/٢٣ هـ) .

(٢) " خواطر منسقة ، مجلة الحج ، ، ج ١ ، (رجب ١٣٧٣ هـ) .

(٣) انظر " كناشة الشهر " المجلة العربية ، الأعداد ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، (شعبان ، ذو القعدة ، ذو الحجة ١٤٠٥ هـ) .

تتطلب الانقطاع ، والجهد المتواصل ، وهذا ما لم يتوافر لكاتب مثل الرفاعي انصرف منذ أول حياته إلى العمل الصحفي .

٢ - الحديث عن الأدباء في حياتهم

القسم الثاني من أقسام الحديث عن الشخصيات هو الحديث عن الأدباء الأحياء المعاصرين له ، وقد تميز حديثه عن هذه الطائفة بالثناء المطلق الذي لا يشوبه مواجهة أو تعريض؛ إذ منطلقه الأساس في هذه المقالات هو المصانعة ، والمداراة . وربما كانت علة ذلك السلوك الأخلاقي له الذي يجنح دائماً للوسطية التي لا تميل إلى استعداء الناس ، ولا ترضى أن ينال منها أحد شيئا من ذلك .

وأغلب الأدباء الذين تحدث عنهم هم من الأدباء السعوديين الذين تربطهم به مودة وصداقة قديمة من أمثال : عزيز ضياء[1] ، ومحمد حسين زيدان[2]، وحمد الجاسر[3]، وعبدالله بن خميس[4].

ومن ذلك حديثه عن عزيز ضياء الذي لا يترك مناسبة صغيرة ولا كبيرة يذكر فيها إلا أثنى عليه بها ومن ثنائه قوله : " لقد جمع الله للأب عزيز بين صفاء الأسلوب ، وصفاء الفكر ، فكتاباته ليست زخرفاً ولا بهرجة ، بل

---

(١) عبدالعزيز ضياء الدين زاهد ، (١٣٣٢ هـ -١٤١٨هـ) ، من مواليد المدينة المنورة ، رأس تحرير بعض الصحف ، له من الآثار : حمزة شحاتة قمة عرفت ولم تكتشف . (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٩٣) .

(٢) محمد حسين زيدان ، (١٣٢٧ هـ - ١٤١٢ هـ) ، شاعر وكاتب ، من مواليد المدينة المنورة ، رأس تحرير بعض الصحف ، كان آخرها رئيس تحرير مجلة دارة الملك عبدالعزيز . من آثاره : ثمرات قلم (شعر) ، كلمة ونصف . (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٦٨) .

(٣) انظر مثلا : " حمد الجاسر : كل أسبوع " جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٠٤، (١٣٧٣/١١/٢٢هـ).

(٤) انظر مثلاً : " بين الحين والحين " ، جريدة الأربعاء ، (١٤٠٤/١/٦ هـ) . عبدالله بن محمد بن خميس ، (١٣٣٩ هـ -) ، شاعر وكاتب ، من مواليد الملقى بالدرعية ، أسس صحيفة الجزيرة ، عضو في مجمع اللغة العربية في بغداد ، ومصر، من آثاره : على ربى اليمامة (شعر) ، (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج١ ، ص ٣١٧) .

هناك عمق الفكر وبروز الهدف"[1].

ويقول عنه في موضع آخر : " فإن الأب عزيز أقدر مني على ذلك ، فهو عندي ملك من ملوك الكلمة يأخذ بناصيتها فلا يدعها إلا وقد بلغت مداها إشراقاً وبياناً ، وبلاغاً ناصعاً يخلب القلوب والألباب"[2]. وما ذكره الرفاعي هنا من الإطراء الزائد يغني عن التعليق ، إذ يكفي دليلاً على جنوح هذا الإطراء لقب (الأب) و(ملك)، ثم مايدل عليه واقع الأعمال الأدبية لعزيز ضياء ، وهي مترجمات بعامة ما خلا كتاباً واحداً .

ومن الأمثلة - أيضاً - ثناؤه العطر على محمد حسين زيدان - رحمه الله - ، حيث يقول في مقال بعنوان (الزيدان الأستاذ) : "ذلك أنني مهما قلت عن أستاذي الكبير ، أظل مقصراً في إيفائه حقه من الثناء .."[3]، ويقول في موضع آخر من المقالة نفسها : " والأستاذ الزيدان يتنفس الأدب فلا يستطيع أن يعيش بدونه .. وهو بهذا الإكسير ظل شاباً بروحه لا يتطرق إليه الهرم .."[4].

ولعل الأمر الذي دفع الرفاعي أن يسلك في هذا اللون من المقالات هذا المسلك أنه عد هذه المقالات رسائل إخوانية كالعلاقات التي بينهم ولم يعدها نقداً ولا دراسة ولا تقويماً ، فهي بث مشاعر وتواصل أقرب إلى الأحاديث العامة منها إلى المقالة النقدية الأدبية .

٣ - الحديث عن الأدباء بعد موتهم

القسم الثالث من الحديث عن الأدباء ما كتبه عن أصدقائه إثر وفاتهم مؤبناً لهم وراثياً ، حيث أملى عليه وفاؤه أن يحييهم بعد وفاتهم ، ويذكّر الناس بهم وبمآثرهم

---

(١) " الضياء يشع : سبعة أيام " ، جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣١ ، (١٤٠٦/٢/٩ هـ) .

(٢) " الزيدان .. الأستاذ ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٢٨ ، (١٤٠٥/٢/١٩ هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدرنفسه .

ويقضي حقهم على الأحياء ، والذي يطالع مقالات الرفاعي يخيل إليه أنه لم يترك أديباً ولا صديقاً إلا وأبّنه بعد موته بمقال أو مقالين ، وقضى حق الوفاء ، وقام بواجب الصداقة حتى أحصى الباحث ما يزيد على خمسين شخصية ممن كتب عنهم بعد وفاتهم .

وممن كتب الرفاعي عنهم : أحمد عمر عباس[1]، وأحمد قنديل ، وبكر قزاز[2]، ومحمد شطا[3]، وعبدالعزيز الربيع[4]، وغيرهم .

وقد التزم في غالب مقالاته هذه منهجاً متقارباً في الأسلوب والطريقة يحشد فيها ذكرياته مع المتوفي ، أين التقى به ؟ وكيف تعرف عليه ؟ وصوراً من تلك الحياة التي قضياها معاً . فمن مقالاته تلك ماكتبه بعد وفاة حمزة بوقري[5] بعنوان (أخي حمزة محمد بوقري) يقول فيها : "هذه الرسالة تختلف عن جميع الرسائل التي وجهتها من قبل إلى أصدقائي الراحلين .. إنها لا تختلف موضوعاً ولا أسلوباً .. وإن كنت أصارحك أنني وددت لو أحتشد لها بقدر ما أستطيع .. لقد أحسست منذ اللحظة التي نعيت فيها إليّ أنني فقدت شيئاً ثميناً .. لا من هذا المتاع الغثاء الذي تأتي به الدنيا فنقيم له في أنفسنا مكاناً علياً .. كلا وإنما هو

---

(١) أحمد عمر عباس (١٣٣٤ هـ - ١٣٩٩ هـ) . من أهالي جدة . يعمل في التجارة . وله عناية بالأدب والثقافة . من آثاره : إيران بلاد الأنفة والأنوف ، (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب ، ج ٢ ، ص ٢٣٨) .

(٢) بكر عثمان قزاز ، توفي عام ١٤٠١ هـ ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) محمد شطا حصل على الشهادة العالية في الأزهر ، في القضاء الشرعي . عمل في عدة مناصب منها مفتش في مديرية المعارف العامة . ومديراً للإذاعة . وكان آخر مناصبه مستشاراً لرابطة العالم الإسلامي .

(٤) عبدالعزيز الربيع ، (١٣٤٣ هـ - ١٤٠٣ هـ) ، كاتب وشاعر ولد في المدينة المنورة . اشترك في تأسيس نادي المدينة الأدبي ورأسه . له من الآثار : ذكريات طفل وديع (شعر) ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٦١) .

(٥) حمزة محمد بوقري ، (١٣٥١ - ١٤٠٣هـ) . ولد بمكة المكرمة . عمل في عدة مناصب ، آخرها وكيلاً لوزارة الإعلام . له من الآثار : القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور ، سقيفة الصفا (رواية). (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج١ ، ص ١٠٩)

من ذات نفسي .. وقلبي.."[1]. ويقول في مقطع آخر : "لئن صح ما أذكره ، فلقد عرفتك لأول مرة في المدرسة العزيزية الابتدائية بحي الشامية".

وإذا كان المنهج السابق هو الغالب على مقالاته ، فإن هناك من المقالات ما يعرض فيه للجوانب الأدبية للشخصية المؤبنة . من ذلك ما كتبه عن إبراهيم بن خليل العلاف [2] إثر وفاته ، حيث أتى على الحديث عن رأيه في إقصاء الشعر العربي عن جائزة نوبل ، ومنحها للقصة ، وعن رأيه في الشعر الحر ، كما تحدث عن موهبته الشعرية ، ووقف بعض الوقفات على نماذج من شعره[3].

وكان موفقاً في هذا الأسلوب الذي سلكه في الحديث عن الأدباء إثر وفاتهم ، إذ لا ينتظر في ذلك المقام إلا ذكر المحاسن .

وبهذا التتبع يتضح أن موقفه من الشخصيات يتراوح في أغلبه بين التمجيد والتقريظ والتأبين ، فيحمله التمجيد على الدفاع ، ويحمله التقريظ على المجاملة ، ويحمله التأبين على ذكر المحاسن وغض النظر عن المساوئ .

جـ - عرض الدراسات الأدبية والمجموعات الشعرية والقصصية

عرض الكتب الأدبية ، ونقدها وسيلة مهمة لتعريف القراء بالكتب الجيدة ليقتنوها ومن ثم يقرأونها وليأخذ القارئ المتعجل الفائدة السريعة .

وهي أداة ناجحة لنشر الكتاب بين الناس ونشر الثقافة . وقد كانت أول صلة للرفاعي بهذا الفن حين كان محرراً في جريدة البلاد السعودية حيث أسند إليه رئيس تحرير تلك الصحيفة عبدالله العريف[4] أن يعرّف بالكتب التي

---

(1) " أخي حمزة محمد بوقري : رسائل إلى الراحلين " ، جريدة المدينة ، العدد ٥٩٠٩ ،(١٤٠٣/٨/٦هـ) .

(2) إبراهيم بن خليل العلاف ، (١٣٥٠ هـ - ١٤١١ هـ) ، شاعر وكاتب . ولد في مكة المكرمة . له آثار منها : ديوان إبراهيم خليل العلاف ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١٠٩) .

(3) انظر : " إبراهيم بن خليل العلاف " ، مجلة الفيصل ، العدد ١٧٧ ، (ربيع الأول ١٤٠٣ هـ) ، و" عبدالسلام الساسي الأديب الراوية " ، الفيصل ، العدد ٧٥ ،(ربيع الأول ١٤٠٣ هـ) ، " وعمر عبدالجبار الشعلة التي انطفأت : من يوم ليوم " جريدة الرياض ، العدد ١٧٨٣ ، (١٣٩١/٢/٨هـ).

(4) عبدالله العريف (١٣٣٦ هـ - ١٣٩٧ هـ). ولد بمكة المكرمة ، وترأس تحرير البلاد السعودية . له =

تصل إلى الجريدة [1]، كانت هذه بدايته مع هذا الفن ، واستمر في عرض الكتب ونقدها حتى في مرحلة نضجه ولكن مع اختلاف الدافع .

وإذا فتشنا عن سبب استمرار الرفاعي في عرض الكتب سنجد أكثر من سبب . فالرفاعي من المعنيين بالحركة الثقافية في العالم العربي وفي المملكة بالذات وبالكتاب خاصة . فهو أحد مؤسسي مجلة عالم الكتب المتخصصة بشئون الكتاب وفي عرض الإنتاج الثقافي ونقده دفع لهذه الحركة وتشجيع للكتاب والناشرين . كما أن عرض الكتب سبيل من سبل نشر العلم والثقافة ؛ إذ يشرك القارئ في العلوم التي تحويها تلك الكتب ويزود ثقافته .

وقد تحدث الرفاعي عن كثير من الكتب العلمية ، والمجموعات القصصية والشعرية ، والمقالية التي تختلف في طريقة عرضها من كتاب لآخر ، فمنها ما يعرض له باختصار لا يتجاوز التعريف اليسير بعنوان الكتاب ، والمؤلف ، وحجم الكتاب ، ومنها ما يفرد له مقالة خاصة يتناول فيها فصوله بالنقد والتقويم .

ويمكن أن نتبين منهجه في ذلك من عدة مقالات سار فيها على طريقة واحدة في تناول الكتب . فلم يكن يلتزم نوعاً خاصاً من الكتب ؛ وذلك ليقينه العميق بأن العلم والثقافة كل لا يتجزأ .

وهذا لا يعني أنه يعرض ما يعرض دون اختيار أو دراسة ، ولكن يعني أنه لا يرد الكتاب متى ما توافرت الأسباب المرشحة لعرضه ونقده كالجدة أو الجودة في تناول الموضوع ؛ هذا بعد أن يكون مناسباً لمنهجه التربوي الهادف . فهو مثلاً حين يعرض كتاب (القاضي عياض الأديب) نراه يذكر الأسباب التي رشحت هذا الكتاب للعرض فيقول : " هناك في الواقع أكثر من سبب . فقد أحببت القاضي عياض في عملية استهوائية .. منذ رأيت الكثيرين من مؤرخينا وعلمائنا أحبوا الرجل فأحببته .. ومن أثر ذلك الحب .. عنيت أن أقرأ له ، وأن أقرأ عنه كلما

= من الآثار : همسة اليوم .(انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج ٢ ، ص ٣٨) .

[1] انظر : " من أوراقي الخاصة عن أبوريشة " ، جريدة الأربعاء ، (١٤١١/٢/٢ هـ) .

وجدت إلى ذلك سبيلاً"[1] فهو هنا يذكر السبب الذي دفعه إلى قراءة الكتاب ونقده ومعلوم أن للرفاعي عناية خاصة بالشخصيات التي يمكن أن تتخذ قدوة للناشئة .

وكان يعتمد على القراءة الواعية للأثر المدروس التي تحيط بجوانبه إحاطة تدل على الوعي التام بالكتاب[2]، وتعرف الأسس التي قام عليها الكتاب ، ومن ثم تدرك النواقص التي تستدرك على المؤلف ، كما تتسم بالنقد الموضوعي الهادف الذي لا يغمط الكاتب حقه ، فيثني على جوانب الجودة كما تقف عند جوانب الرداءة وتوضحها . ففي مقال الرفاعي الذي عرض فيه كتاب (القاضي عياض الأديب) نجده يثني على المؤلف في أول المقال بقوله : "ومنذ اللحظة الأولى أدركنا أن مؤلفه قد بذل جهداً كبيراً في رسالته الجامعية هذه"[3]. ويقول أيضاً عقب إحدى ملاحظات الكاتب:" أقول وهذه الملاحظة جيدة في محلها ، وهي دليل على دقة الباحث وتحريه"[4]، ويقابل هذا الثناء أيضاً الملاحظات والتعقيبات التي رأى الرفاعي توجيهها للكاتب وذلك قوله - بعد أن ذكر الكاتب أبياتاً للقاضي عياض وحكم عليها بالجفاف - أقول : إنني لا أشارك المؤلف رأيه في هذه الأبيات بل أراها على العكس سائغة مقبولة.."[5]. وتتسم بالمنطقية والبعد عن محاولة فرض الرأي ومصادرة رأي الآخر ، كملاحظته على صاحب كتاب (ابن بطوطة في العالم الإسلامي) حين بلغ قول المؤلف : " أفاض عليه النيل فيها (يعني في مصر) من نفحاته ما رفعه إلى مصاف الخالدين .." [6]، وكان ذلك بسبب لقاء ابن بطوطة

---

(١) " القاضي عياض الأديب لعبدالسلام شقور" ، مجلة عالم الكتب ، مج ١٢ ، العدد ٤ (ربيع الآخر ١٤١٢ هـ) .

(٢) انظر : الدكتور محمد الصادق عفيفي ، دراسات في الأدب السعودي .- الطبعة الأولى .- (القاهرة : مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ص ٧ .

(٣) " القاضي عياض الأديب لعبدالسلام شقور" ، وانظر :" النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية : من حصاد الكتب "، مجلة قافلة الزيت / مج ٢٤ ، العدد ١٠، (شوال ١٣٩٦هـ) ،

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الدكتور إبراهيم العدوي . ابن بطوطة في العالم الإسلامي .- الطبعة الثالثة .- (القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٣ م) ص ١٤ - ١٥ .

بعالم مصري حدثه عن إخوان له في الهند والصين ، وطلب منه أن يبلغهم سلامه . وقد دفع ابن بطوطة هذا الحديث إلى الترحال والتجوال ، ولم يكن قد عزم على ذلك من قبل[1].

فقد قال بعد أن أورد ما لفت انتباهه في قول المؤلف : "هذا هو النص أتركه لقرائي كما هو دونما تعليق لعل من بينهم من يوافق المؤلف على ما ذهب إليه"[2]. ومن هذا نقف عند أمرين : الأول أدب الرفاعي في اعتراضه على هذا الرأي ، فلم يهاجمه ولم يغلظ له القول ، وإنما أشار فقط بأن الحديث مبالغ فيه .

أما الثاني : فإنه لم يحاول أن يقنع القارئ ، ويكسبه إلى صفه ، وإنما ترك له حرية الاختيار. وهذا وإن حرم القارئ من معرفة رأيه كاملاً في النص ، إلا أنه قد يوحي بأنه لا يريد أن يكون صريحاً كل الصراحة في النقد ، فكأنه يعرض المشكلة ويترك الحكم عليها للآخرين .

ولا تقف موضوعية الرفاعي عند ذكر الإيجابيات والسلبيات ؛ بل تتجاوزها إلى محاولة الاعتذار لصاحب الأثر عن هفواته ومحاولة إخراجه من هذا الخطأ . ومن ذلك تعليله لتقصير الشاعر البحريني إبراهيم العريض في ملحمة (أرض الشهداء) ، حيث قال : "إذن فقد أدى الشاعر واجبه ما دام نقاد الأدب يريدون أن يفرضوا هذا الواجب فرضاً"[3]. وكان هذا الاعتذار بعد أن حكم على الشاعر بقوله: "هكذا تشعب الموضوع ، فتخاطفته أغراض شتى ، فجاءت القصة خافتة على غير ما كنا نحب في ملحمة فلسطين"[4].

وإذا تناول الرفاعي أثراً أدبياً في الدراسة كالشعر مثلاً فإنه يشرك مع العناصر السابقة التذوق الأدبي للنص أو الأثر[5]، فلا يقف عند النقد الخارجي وإنما يحاول

---

(١) انظر : المصدرنفسه .
(٢) " في صحبة ابن بطوطة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٨١ ، (١٤٠٦/١٢/٢٢ هـ) .
(٣) " أرض الشهداء " ، مجلة المنهل ، العدد ٣ ، (ربيع الأول ١٣٧١ هـ) .
(٤) المصدرنفسه .
(٥) انظر : دراسات في الأدب السعودي ، ص ٩ .

الغوص والوقوف عند مواطن الحسن في النص المنقود دون تعصب أو هوى . من ذلك حديثه عن ديوان (في ظلال السماء) حيث يقول : "وتمتاز المجموعة بجودتها وسلامة أسلوبها الشعري، وحسن اختيار الألفاظ الجميلة المنغمة الموحية إلى حسن اختيار الوزن السهل المطرب"[1].

وقد يلاحظ عليه قلة التعليل للأحكام التي يطلقها على الآثار المدروسة . ولعل أهم ما يؤخذ عليه في هذا الفن هو عدم عرضه للكتاب أو الديوان أو القصة وتلخيصها ، فلا يذكر الأبواب وما اشتملت عليه من موضوعات ؛ وإذا ذكر ذلك فبالاسم فقط ، كقوله في الحديث عن قصص سومرست موم المترجمة : "والقصص الثلاث هي زوجته الشاعرة ، وأمطار ، ورجل سعيد"[2]، ويكتفي بهذا الحديث عن مضمون القصص . والرفاعي لا يعد أحاديثه هذه دراسات عن هذه الكتب وإنما يعدها تنبيهاً وإغراءً بقراءتها.

ومن خلال النظر في المقالات المختلفة التي تناول فيها الكتب ندرك المراحل التي مر بها هذا العمل عند الرفاعي ؛ إذ يختلف أسلوب نقد الكتب عنده في أول حياته عنه في آخر حياته عندما نضج أديباً كبيراً . فقد كان يتسم بالحدة ويبتعد عن الموضوعية المبنية على التعليل . كقوله في نقد مجموعة (أصداء النغم): "ويبدو من أقاصيص الصحراء التي تحتل القسم الأول من المجموعة أنها من تلك "السواليف "التي يتناقلها أبناء الصحراء"[3]، ويقول:"والظاهرة المسيطرة على الأقاصيص هي روح المقال"[4] ثم لا نراه بعد ذلك يعلل هذا الحكم أو حتى يستشهد له بل يرسله إرسالاً. وأما في آخر حياته فقد نضج هذا الفن عنده كما مر من قبل .

---

(1) " في ظلال السماء : أين كانت والقمر" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٧٩٢ ، (١٤٠٦/٢/٢٨ هـ) .

(2) " قصص من سومرست موم : نقلها إلى العربيـة .. عزيز ضيـاء " ، المجلة العربية ، العدد ٦٢ ، (ربيع الأول ١٤٠٣ هـ).

(3) " أصداء النغم ، مجموعة قصصية لشكيب الأموي " ، البلاد السعودية ، العدد ١٤٥٦ ، (١٣٧٤/٥/٢٢ هـ) .

(4) المصدر نفسه .

د - قضايا أدبية عامة

لم يقتصر الرفاعي على الموضوعات التي مرت آنفاً، وإنما تخطاها إلى موضوعات أخرى لا تتفق مع الموضوعات الأولى من حيث اتحاد القضية ، فليست من القضايا النقدية الخاصة ، وليست حديثاً عن شخصية معينة ، ولا حديثاً عن كتاب باسمه .

وقد لا يربط هذه الموضوعات ببعض إلا الرباط الصحفي الخفيف ، ولا شيء بعد هذا كحديثه عن الأخطاء المطبعية ، وحديثه عن الموهبة وأثرها على الأديب ، وحديثه عن الفن وحدوده ، وعن التكريم ومعناه ، وأثر تكريم الأديب في حياته عليه ، وعن بؤس الأدباء وفقرهم ، وإلى غير ذلك من الموضوعات الكثيرة التي طرق .

وقد آثر البحث الوقفة مع الموضوعين الآتيين :[1]

١ - المذكرات والذكريات

لا تعد كتب الذكريات والمذكرات شيئاً جديداً في الأدب العربي الحديث ؛ ذلك أننا لن نعدم أن نجد شيئاً من هذا النوع في الأدب العربي القديم (كالمنقذ من الضلال) (لأبي حامد الغزالي ت ٥٠٥هـ) ، و(الاعتبار) (لأسامة بن منقذ ت ٥٨٧ هـ) .

وقد عني الرفاعي عناية خاصة بالذكريات ، جاءت على ثلاثة أوجه :

١ - تسجيل ذكرياته هو سواء بإفراد مقالات خاصة لذلك نحو مقالة (ذكريات مكتبة[2]، و (مشاهدات من مكة القديمة ويوم التروية)[3] ، أو بإدخال ذكرياته في

---

(١) جاء هذ الإيثار نتيجة لكثرة ورود هذين الموضوعين عند الرفاعي ، ولأهميتهما بالنسبة لغيرهما من الموضوعات الكثيرة المطروقة .

(٢) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥ هـ) .

(٣) نشر في المجلة العربية في ست حلقات في الأعداد ١٧٠، ربيع الأول ١٤١٢ هـ و ١٧٢ في جمادى الأولى ١٤١٢ ، و ٢١٧ في صفر ١٤١٦ هـ و ٢١٨ ربيع الأول ١٤١٦ هـ ، و ٢١٩ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ ، و٢٢٠ جمادى الأولى ١٤١٦ هـ .

بعض مقالاته خاصة التي يؤبن فيها أصدقاءه ؛ إذ نلاحظ فيها عناية خاصة بالذكريات حيث يخصص جزءاً من هذه المقالات لسرد ما يذكره من أحداث جمعت بينهما[1].

٢ - حرصه على كتب المذكرات عرضاً وقراءة إذ يقول : "أنا شخصيًا من هواة قراءة السير الشخصية والمذكرات الأدبية"[2]. وقد قام بعرض مجموعة من هذه الكتب من نحو كتاب (معي[3] و(معك)[4] و(ذكريات)[5].

٣ - الدعوة إلى كتابة المذكرات والحث عليها ، كدعوته للشيخ محمد الحافظ[6] أن يكتب مذكراته[7].

وقد أحس الرفاعي بحرصه الشديد على المذكرات والذكريات ، فحاول أن يجد سبباً منطقيًا لهذا الحرص فقال عنها : " هذا النوع من الكتب لماذا نحتفي به ؟ .

أعني المذكرات والذكريات ؟ ما علينا إن قص أحدهم قصة حياته .. أو جانباً من قصة حياته .. ماذا يعنينا من كل ذلك ؟ .

ربما أجد حوافز كثيرة لكي أقرأ مذكرات تشرشل .. أو أي رجل آخر في وزن تشرشل شهرة وبعد صيت لأعرف دخائل هذا الرجل العظيم ولأقف على ما وراء الأحداث من أسرار . ومع التسليم المطلق بأهمية هذا النوع من الذكريات أو المذكرات التي يكتبها مشاهير الرجال الذين أثروا في تاريخ العالم بأجمعه على نحو

---

(١) انظر مثلاً " مقالته " رسالة إلى لقمان يونس : من يوم ليوم " ، جريدة البلاد ، العدد ٥٨٠١ ، (١٣٩٨/٤/٢٥ هـ) ، و" رشدي العظمة .. أستاذي .. وصديقي " ، جريدة المدينة ، العدد ٨٧١٢، (١٤١١/٩/٧ هـ) .

(٢) " عندما ترحل الكتب" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٩ ،(١٤٠٩/٢/٢٢هـ) .

(٣) انظر : المجلة العربية ، عدد ١٢ ، (جمادى الأولى ، ١٤٠٢ هـ) .

(٤) انظر : المجلة العربية ، العدد ١٠، (ربيع الأول ١٤٠٢هـ) .

(٥) انظر : مجلة الدارة ، العدد ٣ ، (ربيع الآخر ١٤٠٠هـ) .

(٦) محمد الحافظ أحد علماء المدينة ، تولى التدريس في المسجد النبوي ثم انتقل إلى القضاء وظل فيه حتى تقاعد ، أكرمه نادي جدة الأدبي في إحدى مساءاته .

(٧) انظر : " الشيخ محمد الحافظ : كناشة الشهر"، المجلة العربية ، العدد ٨١ ، (شوال ١٤٠٤هـ).

ما .. فإن هناك ألواناً من أدب المذكرات والذكريات له وزنه الكبير ، لا من ناحيته الأدبية فحسب .. بل وحتى من الزاوية التاريخية التي تعد أيضاً ذات أهمية كبيرة خاصة في البيئات المعنية .. لذلك نجد من أدب الذكريات والمذكرات أدباً مميزاً وله عشاقه ومريدوه..."[1].

ويتبين من هذا الاقتباس أن الرفاعي يعلل للحرص على المذكرات والذكريات بثلاثة أسباب :

١ - معرفة سير مشاهير الرجال للاطلاع على دخائلهم ومعرفة ما استكن من أسرار تلك الفترة .

٢ - الفائدة التاريخية التي تجنى من هذه الكتب حيث يسجل صاحبها تاريخ تلك الفترة .

٣ - الإمتاع الذي يجده القارىء في هذه الكتب .

ولكن هذه الأسباب ليست هي الوحيدة التي جعلت الرفاعي يعنى بالذكريات ، بدليل أنه لم يكتف بإيراد الحادثة مرة واحدة وإنما أعادها أكثر من مرة ، كحديثه عن لجنة النشر والتأليف الذي يقول عنه : "وهو حديث قديم حدثت عنه قرائي قبل اليوم"[2] .

بل تجاوز هذا إلى أن دعا بعض الأشخاص غير المعروفين إلى كتابة مذكراتهم من مثل (حسين الفعر)[3]، مع أن هذا الأمر غير مرغوب فيه عند الرفاعي إذ يقول : "ولكننا نضيق ذرعاً بمن يشغلنا ويستحوذ على الثمين من أوقاتنا ، إذا لم يكن له ذلك الرصيد ، إن لسان حالنا يقول له : انتظر لم يحن الوقت بعد ..."[4].

فما الذي جعل الرفاعي يدعو أفراداً من هؤلاء الصنف إلى كتابة مذكراتهم ؟

---

(١) " كتب قرأتها ، ذكريات " ، مجلة الدارة ، (ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ) .

(٢) " خالتي كدرجان .. تخترق الحدود "، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٩، (١٤٠٩/٢/٢٦ هـ) .

(٣) انظر : " للذكريات بحر وأمواج " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٥٠ ، (١٤٠٨/١/٧ هـ).

(٤) " أبحث عن كلمة .. عن مفتاح "، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٦١ ، (١٤٠٧/٢/٢٥ هـ) .

يعاجلنا الرفاعي في الجواب على هذا السؤال فيقول معلقاً على استماعه ذكريات (محمد باحارث)[1] في الإذاعة : " فقد استعدت أيامي في المعهد العلمي السعودي وأحسست أنني أشاركه ذكرياته وكأنما أعيش من جديد تلك الأيام التي يتحدث عنها .."[2] .

إذن الذي جعل الرفاعي يكثر من الذكريات ، والذي جعله يدعو بعض الأشخاص غير المعروفين إلى كتابة مذكراتهم أنها كانت تصور جانباً من حياته ، من طفولته ، من شبابه ، ولذا أعجب بها ولذّ له استماعها ، والإنسان مفطور على حب ما يتصل به .

ويلاحظ على الرفاعي أن العناية بالذكريات والمذكرات لم تخرج إلا في آخر حياته بعد أن دخل في العقد السادس من عمره وهي فترة متقدمة من العمر، وذلك أن طبيعة المرحلة العمرية هي التي دعته إلى العناية بالذكريات والمذكرات ، وكل إنسان يحن إلى أيام طفولته وشبابه ، وإلى أيام جده ونشاطه ، فيكثر الحديث عنها ، ينفس بذلك عما يجده في شيخوخته من ضعف وعجز ومرض ، كما قال لبيد :

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خلت أدب كأني كلما قمت راكع[3]

وحديث أصدقائه ولداته .. عن شبابهم يصور بشكل ما جانباً من حياة الرفاعي وشبابه - كما سبق - ولذا أولع بالحديث عن الذكريات وسماعها في هذه الفترة المتقدمة من سنه .

بالإضافة إلى ما لهزيمة ١٣٨٧ هـ من تأثير واضح على الأدباء كافة والرفاعي خاصة جعلته يتحول عن الموضوعات الجادة إلى الخفيفة التي منها المذكرات .

---

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٢)" الأديب الذي فقدناه .. وحديث الذكريات "، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٦٤ ، (١٤٠٤/٩/١هـ)

(٣) لبيد بن ربيعة العامري ، ديوان شعر ، التراث العربي ، ٨ .- الطبعة الثانية ؛ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، (الكويت ، وزارة الإعلام ، ١٩٨٤ م) ، ص ١٧٠ .

ومن يتتبع ما كتبه الرفاعي عن الذكريات والمذكرات يحس بشيء من التناقض . فبينما هو يحرص على تسجيل ذكرياته وتكرارها ، ويطالب الكتاب بكتابة المذكرات ؛ وذلك للتوثيق التاريخي - بينما هو كذلك - نراه في مقالات أخرى يشكك في مصداقية هذه المذكرات والذكريات ، ويرى أنها "غير جديرة بالثقة . إما لأن صاحبها يميل للتزيد ، أو المبالغة لإضفاء أهمية خاصة على كاتبها أو صاحبها"[1]، وهذا التناقض لا يلبث أن يزول إذا علمنا أنه لا يعم بهذا الرأي كل أصحاب المذكرات "فمنها ما هو جدير بالثقة والقبول"[2]. فالرفاعي لا يقبل جميع المذكرات والذكريات ؛ بل يجعل بعضها تحت محك النقد والاختبار ، حتى يتبين السليم من الزائف ، خاصة ذلك النوع الثمين من المذكرات التي تكشف سراً سياسيًا قد يغير طريقة كتابة التاريخ ، والتي أغلب ما يكون التزييف فيها كما في مذكرات بعض المشاهير من الساسة [3].

٢ - الكتابة وإجراءاتها

تناول الكتّاب منذ القديم العملية الكتابية بالتأمل والتقعيد سواء في ذلك الكتابة الإجرائية ، الإبداعية ، وإن كان النصيب الأوفر من حديثهم قد انحاز نحو الكتابة الإبداعية ، لما لها من صلة مكينة بصفاء النفس ، وخلو الفكر ، وراحة البال ، وإذا لم يكن الكاتب على تلك الحالة فلن يسلس له في الغالب القياد .

وقد تناول الرفاعي هذا الموضوع من جوانب عدة ، فتحدث عن الخواطر وطبعها المراوغ ، حيث تظهر في الطريق ، وفي السيارة . وأما إذا استعد الإنسان لتقييدها فلن يجد منها شيئاً . يقول الرفاعي : " أنا وخواطري مثل هذا الصياد ، فهي

---

(١) " للذكريات بحر وأمواج ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٥٠ ، (١٤٠٨/١/٧ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٢٥ ، (١٤٠٣/١٢/٢٩ هـ) .

تدخل معي في عملية مراوغة متقنة ، مثل لعبة (الشرعت)[1] المعروفة ، أو التي أصبح اسمها الحديث (الاستغماية). فهي تقول لي : شرعت ، إنني هنا ، تستطيع أن (تشرع) فإذا شرعت أنا وبحثت .. لم أجد شيئاً .. إلا ذلك البلقع"[2].

ويتحدث الرفاعي عن أهمية هذه الخواطر ، وأنّنا لو استطعنا تقييد هذه الخواطر وتدوينها فسنحصل على حصيلة مدهشة ، ويذهب إلى أبعد من هذا في تسجيل الخواطر إذ يقول : "لو تهيأ رصد هذه الخواطر بطريقة تكنلوجية لرأينا العجب العجاب ، ولكان هناك الكثير من الخواطر المؤثرة في الحياة ربما لأبعد مما نتصور"[3].

وعرض الرفاعي لقضايا أخرى تتعلق بالكتابة ومشكلاتها ، كمشكلة الإجداب الفكري أو جمود القريحة عن العمل، بمعنى "أن تحرن كما يحرن الجواد فلا يتقدم أية خطوة إلى الأمام كأنما سُمّر إلى الأرض"[4]، ويرى أن الحل لهذه المشكلة يأتي في أمرين "أولهما : أن تكف عن الكتابة .. ريثما يتهيأ لك رصيد من الانفعال ... أما الثاني فأن تحايل الجواد ولو لخطوة واحدة .. حاول أن تسطر سطراً واحداً .. فستجد نفسك تردفه بثانٍ وثالث..."[5].

وقد يحدث خلاف هذه الحالة فيصبح عند الكاتب زحام فكري ، فيحار في أي هذه الموضوعات يبدأ "وأيها أولى بالتقديم ..؟ أيها أكثر إلحاحاً .. وأكثر حيوية ؟ أو أيها ألصق بالجمهور ؟ وأيها أقرب إلى المناسبة الزمنية؟"[6] .

وقد تكون المعاناة في غير هاتين الحالتين أي في غير الأفكار وإنما في الطريقة حين " يجد الكاتب نفسه عاجزاً أن يضع كلمة البداية .. مجرد كلمة واحدة يبدأ بها

---

(١) الشرعت لعبة للصبيان تقوم على اختفاء أغلب أعضائها والبحث عنهم ، انظر : مكة في القرن الرابع عشر الهجرى ، ص ١٠١ .

(٢) " مسائل في الصيد : صائدة الخواطر "، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٢٧ ، (١٤٠٨/٣/٢٥ هـ) .

(٣) " كانوا يصطادون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٧٠ ، (١٤٠٧/٣/٢٢ هـ) .

(٤) " انفعال ولا انفعال : على هامش الأيام"، جريدة البلاد ، العدد ١٣٩٠، (١٣٨٣/٤/٨ هـ)

(٥) المصدر نفسه .

(٦) " أبحث عن كلمة .. عن مفتاح " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٦١ ، (١٤٠٧/٦/٢٥ هـ)

سطوره .. وهذه الكلمة الوحيدة قد تتعسر ولادتها عنده"[1].

ولم يقتصر الرفاعي على هذه القضايا بل تجاوزها إلى الحديث عن غيرها من المشكلات كمشكلة الالتزام في الكتابة في وقت معين ، التي لها مساوئ كثيرة تجعل الأديب والكاتب يواصل الكتابة ، فيضطر لأن يسوِّد الصفحات بالغث الذي لا يفيد القراء . وقد وقع في هذه المشكلة كثيرون من الكتاب الذين التزموا الكتابة من مثل المازني والعقاد وطه حسين . واضطرهم الالتزام إلى أن يكتبوا ما لا يتناسب مع مكانتهم الأدبية والفكرية[2] ، وهذا الأمر هو الذي حدا بالرفاعي إلى الاعتذار عن الكتابة المستمرة لصحيفة معينة فهو لا يريد أن يحطب بالليل[3].

وكما أن للالتزام في نظر الرفاعي مساوئ فله أيضاً محاسن ومن محاسنه أنه كثيراً ما دفعه إلى التثبت والمراجعة واحترام وعي القارئ وكثيراً ما شجعه على الكتابة والعمل[4].

وكما كتب عن مشكلة الالتزام فقد تعرض لمشكلة الإكثار والإقلال في الكتابة وإن كان لها تعلق بالقضية الأولى في وجه من الوجوه . وتحدث عن موقف القراء منهما ، فمن القراء من يريد أن يقرأ لكاتبه كل صباح بغض النظر عما كتب ، ومنهم من يبحث عن (النوعية) حتى لدى كاتبهم المفضل .

وماذا على الكاتب أن يكتب ؟ أيكتب ما يرضي القراء ولو كان رخيصاً أم يكتب ما يرى أنه يحقق الفائدة للقارئ ؟.

ويتحدث عن مشكلة الصحف والمجلات العربية التي تفد اليوم إلى هذه البلاد تمتلئ بالغث من الثقافة ولا تفيد القارئ في شيء[5].

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر: " كلام في الالتزام .. ومتى تصبح الكتابة خانة في الواجبات ...؟: يوميات "، جريدة الرياض ، العدد ٩٥ ، (١٣٨٥/٤/٢١ هـ) .

(٣) انظر : " فلنبحث بين الأصداف " جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٢٦ ، (١٤٠٧/٥/١٩ هـ) ، وانظر : "أخي القرشي : يوميات " جريدة المدينة ، العدد ٤٤٢ ، (١٣٨٥/٤/٢١ هـ) .

(٤) انظر :"عزيزي .. رئيس التحرير : يوميات"، جريدة المدينة ، العدد ٤٣٦ ، (١٣٨٥/٤/١٤هـ) .

(٥) انظر : " فلنبحث بين الأصداف " ، جريدة الجزيرة ، مصدر سابق .

ويتحدث عن كتابة اليوميات التي تكتب على شكل خواطر ذاتية لا تخص القارئ في شيء ، لماذا يكتبها ؟ لا سيما إذا كان الكاتب ممن لم يصل إلى القمة أمثال تشرشل الذي مذكراته" جزء صميمي من التاريخ العام"[1] أو أمثال طه حسين الذي يتطلع فريق كبير من القراء لمعرفة أسرار حياته "مهما كان فيها من التوافه"[2]. أما الكاتب العادي فليس له ذلك من وجهة نظر القارئ - وإنما عليه أن يعطينا "ما يسرنا وما نقر به عيناً ، وأذناً"[3].

ويرى الرفاعي أن الجواب على هذا السؤال هو في طبيعة كتابة اليوميات التي تتطلب من الكاتب أن "يحدث القراء عن معاناته اليومية ، وقد يكون في أحداث يومه تفاهات كثيرة"[4]. ويصور كاتب اليومية بصاحب العدسة الذي يهوى التصوير، يلتقط مرة صورة سياسية ، وأخرى اقتصادية وثالثة شاعرية وقد ينزعج كل طرف من هؤلاء الأطراف من الصور الأخرى التي لا تناسبه[5].

ومن القضايا التي تحدث عنها الرفاعي قضية الدافع للكتابة ، أهو الأجور التي تعطى للكاتبين أم غيرها . ويرى أن للأجور أثراً لا يجحد في تشجيعه على الكتابة وإن كانت ليست الدافع الوحيد ، فهناك دوافع أخرى تدفعه إلى الكتابة ، من أهم هذه الدوافع الهمّ الإصلاحي ، وكذلك دافع الصحبة ، إذ يطلب منه كثير من أصدقائه رؤساء التحرير الكتابة في صحفهم . ويجعل الرفاعي كتابته في الفترة قبل أن تقرر الأجور، ورغبته عن الكتابة والنشر عند من يكثرالعطاء ويجزله إلى صاحب العطاء القليل دليلاً على ذلك[6]، ويتفق الرفاعي بجعل الهّم الإصلاحي دافعاً للكتابة ، مع إحساس الأدباء في العالم الاشتراكي والعالم النامي الذي يرى

---

(١) " أبحث عن كلمة ..عن مفتاح " ، جريدة الجزيرة ، ٥٢٦١ العدد ، (١٤٠٧/٦/٢٥ هـ) .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) انظر : المصدرنفسه .
(٦) انظر : " لماذا أكتب " ، ١٣٨٥/٤/٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

فيه الأديب أن له رسالة يؤديها [1].

وتحدث عن المقدار المطلوب من الكاتب من حيث الجودة والرداءة ، فشبّه كاتب الجريدة السيارة بالجزار الذي ينبغي أن "يعطي شيئاً طريفاً ، وشيئاً سميناً، وقليلاً من الشحم.. وقليلاً من العظم.. فلكل شيء شيء ..

أما الكاتب الذي يعطي عظماً فقط .. أو شحماً فقط فهذا يذكرني بصندوق الزبالة .. أما الكاتب الذي يعطي سميناً .. سميناً فقط .. فهذا أفضل أن ألتقي به في كتاب مستقل .. لكي ألتهمه في تؤدة .. مع قارورة من المهضمات .. أبتلعها مع كتاب سمين .. إن الكاتب الحكيم قد يثرثر .. ولكنه ينثر الحكمة خلال ثرثرته"[2].

وحديث الرفاعي عن هذه القضايا حديث مهم ، فهو حديث المجرب الذي يعرض تجربته أمام الناشئة المبتدئين بصراحة ، ووضوح ، تناسب أهمية الموضوع الذي يمس كثيراً من المثقفين والأدباء .

وقد جرّت عليه صراحته هذه ملامة بعض الكتاب على الكتابة في هذا الموضوع[3].

٢ - المقالة الاجتماعية

كانت البلاد السعودية في بداية نهضتها تشكو كثيراً من الأدواء الاجتماعية كالجهل ، والفقر ، والمرض ، وأدواء اجتماعية أخرى من عادات وتقاليد. وقد أحس أدباء تلك الفترة بما في مجتمعهم من تخلف ، فأخذوا على عواتقهم تبعة الدعوة إلى الإصلاح والتغيير والدفع بالمجتمع إلى سواء السبيل. يقول محمد سرور الصبان :

---

(١) انظر : الدكتور علي شلش ، علامات استفهام ، كتاب النادي ، ٧٩ .- الطبعة الأولى .- (جدة : النادي الأدبي الثقافي ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢ م) .

(٢) " شيء يحير: أكثر من فكرة " ، جريدة عكاظ ، العدد ١٣٧ ، (١٣٨٤/١١/٢٩ هـ) .

(٣) انظر : " كتاب وقراء وحرامية : أكثر من فكرة " ، جريدة عكاظ ، العدد ١٤٧ ، (١٣٨٤/١٢/١٧هـ).

"إن نحن إلا أبناء وطن نريد إصلاحه ، ونسعى لنقيم العدل فننزع إلى مكارم الأخلاق"[1].

ويرى محمد حسن عواد أن " كل نهضة سياسية ، أو علمية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية في العالم ، وكل نهضة عمرانية أو صناعية كان يحركها الأدب"[2] .

"وإذ عد هؤلاء الشباب الأديب رائداً من رواد الإصلاح ، فقد انصرفوا إلى ميدان الكتابة ، واعتبروا الإسهام فيه عملاً من أعمال البناء الاجتماعي"[3].

وقد جاءت الرغبة في الإصلاح واضحة في أدب تلك الفترة ، فمن جهة الموضوعات التي تناولوها كثرت عندهم الموضوعات الاجتماعية بمستوياتها المختلفة كقضية المرأة ، والعمل والعمال ، وكقضايا المهن الشعبية[4].

ولم يكن الرفاعي بمعزل عن هذه النهضة ، ولا هذه الحماسة ، فقد كان يحس بما حمل من مسئولية تجاه هذا البلد وأهله ، إذ يقول : "إنني طالما شعرت أن علي أن أسهم على نحو ما في توجيه المجتمع .. ودفع عجلة التطور .. وبقدر ما يستطيعه قلمي .."[5].

وقد كان ظهور الرفاعي في الفترة التي تلت فترة البداية . حيث جاء بعد أن تبلورت النهضة في أذهان كثير من الأدباء ، وارتفع صوت المصلحين عالياً، وبعد أن خطوا بعض الخطى في الإصلاح . فعبدالعزيز الرفاعي لم يبدأ بالكتابة إلا في عام ١٣٦٥ هـ ، أي بعد ضم الحجاز باثنتين وعشرين سنة، وقد كانت همة الإصلاح عالية ، وازدادت علواً وارتفاعاً بما كانت تقدمه الدولة من إمكانات وتسهيلات خاصة بعد اكتشاف الزيت في المملكة العربية السعودية .

---

(١) محمد سرور الصبان ، مقدمة كتاب خواطر مصرحة لمحمد حسن عواد ، نقلاً عن النثر الأدبي في المملكة ، ص ٩٨ .

(٢) محمد حسن عواد ، خواطر مصرحة ، نقلاً عن المصدر السابق .

(٣) النثر الأدبي في المملكة ، ص ٩٨ .

(٤) انظر : الحركة الأدبية في المملكة ، ص ٢٧٩ .

(٥) " لماذا أكتب " ، ١٣٨٥/٤/٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ويمكن القول بأن مما يميز المقالة الاجتماعية عند الرفاعي عدم حجرها الإصلاح الاجتماعي في بيئة ضيقة ، فقد كان ينادي بالإصلاح الاجتماعي في جميع أنحاء العالم الإسلامي لا يفرق بين بلدٍ وآخر إذ يقول : "يجب أن نتجه إلى تحقيق برنامج واسع للإصلاح الاجتماعي في العالم الإسلامي قاطبة..."[1]

وهذا الشمول في تصور الرفاعي للوطن الإسلامي جعله مهتماً بأوضاع الإسلام والمسلمين في جميع مناطق العالم وجعله شخصية إسلامية بارزة .

وللإصلاح الاجتماعي عند الرفاعي اتجاهان " أحدهما يتجه إلى الأحياء أنفسهم الذين هم مادة الحياة ، والآخر يتجه إلى مرافق الحياة المسخرة لخدمة الأحياء ..."[2].

والرفاعي لا يجعل الاتجاهين متكافئين ، وإنما يجعل الإصلاح المهم هو الذي يتجه إلى الإنسان ذاته ، ليصلحه ويرفع من شأنه . ثم يأتي بعد ذلك الإصلاح الثاني لمرافق الحياة ، لأن إصلاح الذات كفيل أن يدفعها إلى إصلاح الحياة " وإذا أفلت الزمام فكان الإصلاح مظهرياً فقط ، وكان بناء المجتمع نفسه خرباً خالياً من المعاني والقيم ، فلا شك أن هذا نذير انهيار كبير.."[3].

وأول مقالٍ اجتماعي نشر للرفاعي كان بعنوان (نفوس كريمة) في جريدة البلاد السعودية في ١٣٦٥/٩/٢٢ هـ ، وآخر مقال اجتماعي نشر في ١٤١٠/٦/٤هـ بعنوان (الوقت الضائع) ، وقد بلغت مقالات الرفاعي الاجتماعية (٣٦٦) مقالاً .

وعلى ضوء تقسيم مراحل المقالة عنده يمكن أن نجعل مراحل المقالة الاجتماعية أربع مراحل :

١ - **المرحلة الأولى** : من عام ١٣٦٥ هـ -١٣٨٢هـ ، وهي مرحلة بداية الرفاعي الكتابية ، وهي عهد صحافة الأفراد .

وقد تميزت هذه المرحلة بأساليبها وموضوعاتها ، فكانت متميزة بطابع البدايات

---

[1] " الإصلاح الاجتماعي " ، مجلة الحج ، العدد ١ س ٥ ، (رجب ١٣٧٠ هـ) .

[2] "نحو الإصلاح الاجتماعي: يوميات قصيرة"، جريدة عرفات ، العدد ٢٠ ،(١٣٧٧/١٠/٢٤هـ).

[3] المصدر نفسه .

في طريقة العرض والمناقشة ، كما أنها أجرأ على الإصلاح ، وأشد إقداماً ، واتسمت بأهمية الموضوعات المطروحة كالجهل ، والفقر ونحوها، إضافة إلى الوفرة الكمية في عدد المقالات ، فالمقالة الاجتماعية في هذه المرحلة بلغت (١٥٩) مقالة وهي أكثر المراحل عدداً .

٢ - **المرحلة الثانية :** من عام ١٣٨٣ هـ - ١٣٨٦ هـ ، وهي المرحلة التي عقبت نظام المؤسسات مباشرة . وقد تميزت هذه المرحلة بغزارة إنتاج المقال الاجتماعي، وازدهاره حتى تفوق على المقال الأدبي . وكانت الموضوعات فيها متجهة نحو الإصلاح المدني العمراني ، منصرفة عن قضايا الجهل ، والتعليم ، والفقر.، وقد بلغت المقالة الاجتماعية في هذه المرحلة (١٥٤) مقالة ، فإذا قيس هذا العدد بالمدة الزمنية التي أنتج فيها كانت أكثر المراحل عدداً .

٣ - **المرحلة الثالثة :** من عام ١٣٨٧ هـ -١٤٠٢ هـ ، وهي المرحلة التي أعقبت هزيمة ١٣٨٧ هـ التي أصابت أكثر المثقفين العرب بانتكاسة كبيرة جعلت بعضهم يحس بضياع جهودهم السابقة لها ، وبضلال طرقهم التي كانوا يسلكونها . وقد كان الرفاعي ممن تأثر بالهزيمة أشد التأثير وأبلغه . يقول في وصف تأثره بهذه الهزيمة : "لقد كانت حياتي في خواء ، لقد كنت ولا زلت قطرة تافهة في بحر أجاج ، لم أستطع أن أدفع عجلة أمتي خطوة إلى الأمام. لقد حاسبت نفسي في شتى الحقول فلم أجدني أخصبت بالإنماء حتى ولا بذرة واحدة خضراء"[1]. وقد اتسمت بانصرافه عن المقالة الاجتماعية ، وكل ما يؤثر له في هذه المرحلة مقالات يسيرة منتشرة هناوهناك انحصرت في عشر مقالات .

٤ - **المرحلة الرابعة :** من سنة ١٤٠٣هـ إلى وفاته ، وقد زادت فيها المقالة الاجتماعية ، وكانت عودتها بشكل مختلف عما كانت عليه من قبل ، فاعتمدت أسلوب التعريض والإيحاء ، والنبرة الهادئة أكثر من اعتمادها على المباشرة والصوت العالي . وذلك خلاف ما كان عليه أسلوبها من قبل، واتجهت موضوعاتها

---

(١)" خواء " ، مجلة اليمامة ، العدد ٢ ، (١٣٨٨/٢/٢٧ هـ) .

في الغالب ، نحو القضايا الإنسانية بعامة أو التي يلحظها في يومه دون أن يضع أمامه هدفاً خاصاً قريباً يطمح للوصول إليه بالتنظيم والترتيب ، فموضوعاته التي تحدث عنها تأتي بمحض الصدفة ، ومن وحي المناسبة .

وقد كتب الرفاعي المقالة الاجتماعية في موضوعات كثيرة كانت تشكو من أكثرها تلك الفترة ، ويمكن أن نقسمها بحسب الكثرة إلى ثلاثة أقسام :

أ - ما حاز على النصيب الأوفر من اهتمامه .

ب - ما توسط في طرحه ونقاشه .

جـ - ما ظهر عنده بقلة .

أ - الموضوعات التي حازت على النصيب الأوفر من اهتمامه

(١) **العمل والعمال والحرف** : وقد أخذت من مقالاته جزءاً كبيراً تحدث فيها عن جوانب متعددة فتحدث عن بائعي التمور والفوضى التي يعيشونها[١]، وتحدث عن بائعي الكتب وأن المفروض في بائع الكتب أن يكون خبيراً بها إن لم يكن من هواتها أو من الأدباء أو من المثقفين ثقافة عامة ، ثم يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فيرى أن من أسباب ضمور البحث العلمي عدم نجاح مكتبات البيع[٢]. وتحدث عن أخلاق البائعين الغليظة ووضح أثر الأخلاق والعرض والتنظيم للمحل[٣]. وتحدث عن المطاعم ووجوب تطورها والاهتمام بها والعناية بالأكلات الخاصة والتي يكون لها أثر كبير[٤]. وقارن بين مطاعمنا والمطاعم في الخارج ، فالمطاعم في الخارج منظمة ونظيفة تدعونا لأن

---

(١) انظر : " مشاهدات عابر سبيل " ، ١٣٦٩/٢/٢٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) انظر : " بيع الكتب فن: يوميات قصيرة " مجلة اليمامة ، العدد ٤٧ ، (١٣٨٤/١٠/١٨ هـ) .

(٣) انظر : " الطريق إلى جيوب الزبائن : فكرة اليوم " ، ١٣٨٢/٢/٢٩ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي ، و " فن البيع : فكرة اليوم " ، ١٣٨٦/٤/١٧ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٤) انظر :" تطوير مطاعمنا : فكرة اليوم" ، ١٣٨٥/١٠/٥ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

نصورها لنظافتها ، كما تدعوهم مطاعمنا لتصويرها لتنظيمها العجيب[1].

وتحدث عن المياه المعدنية وأنه ينبغي تعبئتها من هذه البلاد بدلاً من الاستيراد الذي تقوم به الدولة ، فهناك الآبار التي تخرج مياهاً معدنية وهي كثيرة ومعروفة[2]. وتحدث عن المهن أو الحرف فقارن بين أصحابها الأوائل والأواخر[3] وتحدث عن المهنيين أو الحرفيين الذين قضى التطور على حرفهم كالبنائين والمنعلين الأوائل . وهؤلاء الذين قضت عليهم الحضارة والذين انقرضت صناعاتهم فرأى "أن ينتشل هؤلاء الأشخاص أنفسهم من وهدة البطالة والضياع ..." [4] ودعا صاحب الحرفة الذي تطورت حرفته أن يتطور معها "والذين لا يسعهم أن يتطوروا بحرفهم فيسعهم أن يتحولوا عنها إلى غيرها في محاولة صادقة لمسايرة الحياة وإلا فمن واجب المجتمع أن يفكر من أجلهم".[5]

وعني الرفاعي عناية خاصة بالعمل والصبر عليه والإنتاج ، وجعل مفتاح ذلك قوة الإرادة التي كان لها الأثر الأكبر في موقف أبي بكر عند إرسال جيش أسامة الذي جهزه الرسول عليه الصلاة والسلام . والتي يمكن أن يعزى إليها النجاح والإخفاق في حالتي قوتها وضعفها[6]، وحث على الاجتهاد في العمل فدعا الناس لأن يكونوا ماديين (عمليين) فيعملون في التجارة والصناعة ، ويستثمرون المشاريع الصغيرة والكبيرة ، ويفتحون باب التصدير ، ويغلقون باب الاستيراد بشرط ألا تلهيهم هذه المادية عن الفقراء، ولا تدعوهم إلى الاستغلال والكنز والتقتير ،

---

(١) انظر : " لقد صوروه : يوميات البلاد " ، جريدة البلاد ، العدد ١٩٧٦ ، (١٣٨٥/٤/٨هـ)؛ و"المطاعم في مكة : كل أسبوع" ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٣٩٧ ، (١٣٧٣/٢/٢٤هـ).

(٢) انظر : " المياه المعدنية : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/١٠/٥ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٣) انظر: " الجيل القديم من العمال : كل أسبوع " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٣٠ ، (١٣٨٤/٨/٢٠ هـ).

(٤) الكادحون والتطور ، فكرة اليوم" ، ١٣٨٣/١/١٨ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي ؛ وانظر : " إلى المعلم حسين علي : على هامش الأيام ". جريدة البلاد ، العدد ١٣٥٦ ، (١٣٨٣/٢/٢٧هـ).

(٥) المصدر نفسه .

(٦) انظر : " قوة الإرادة " ، ١٣٦٩/٨/١٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

وتجعلهم ينالون من العلم حظاً كبيراً ، ويحاربون الفقر في المجتمع ، ويكافحون الأمراض والعلل في المجتمع[1] .

وحذر المتقاعدين أو الذين ينوون التقاعد عن العمل أن يجلسوا في منازلهم ، فقد رأى من المتقاعدين " من رش الدهليز ، ووضع الكرويت أو فرش العقد .. ، وأعلى شيشة الجراك وأبلى من ورقات البلوت (دستات) بعد دستات ... فلم يؤد لنفسه ولا لمجتمعه خدمة تذكر .. بل عاش عيشة المتبطلين... فنصيحتي إليك إذا تقاعدت ألا تتقاعس"[2].

وحث على الابتكار والأفكار الجديدة فدعا الصانع إلى ارتياد الأفكار التي لم يسبق إليها ، والنجار إلى تطوير فنه ليواكب المكاتب الحديثة ، ومثله المزارع الذي يداوم على منتج واحد ، ودعا الموظفين إلى التفكير في وظائفهم وطريقة أدائهم لعلهم يجدون أساليب في تأدية العمل خيراً من أساليبهم الأول . وقد يجدون أنفسهم غير مؤهلين للعمل ذاته وأنهم مهيأون لعمل آخر كأن يكون فيهم موهبة الأدب والفن ، فدعاهم جميعاً إلى التفكير في أساليب جديدة تدر عليهم الربح والكسب وتحفظ للزبائن حقوقهم كالمعاملة الجيدة والسعر المعقول[3]

وركز على الصبر وعدم اليأس وجعل الأمل "مفتاح الحياة الناجحة"[4]. ومفجر الطاقات المدخرة ، فيجب أن نطرق أبوابه . وجعل اليأس ظلمة لا ينبغي أن يجلس فيها الإنسان . وما المكدرات والعقبات إلا بحسب نظر الإنسان إليها واستعداده لتحملها[5] .

ويرى أن سر نهضة الألمان رفع شعار " لكل مشكلة حل " فهم شعب لا يعرف

---

(1) انظر : " كونوا ماديين .. ولكن !! " مجلة الحج ، العدد ٨ ، (ربيع الآخر ١٣٧٠هـ) .

(2) " إذا تقاعدت فلا تتقاعد: فكرة اليوم " ، ١٣٨٦/٦/١٧هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(3) انظر: " فتش عن أفق جديد " ، مخطوط في دار الرفاعي، ١٣٦٩/٦/٢٥ هـ .و١٣٦٩/٧/٦هـ ، و ١٣٦٩/٩/٩ هـ ، ثلاث مقالات .

(4) " سعادة الأمل " ، ١٣٨٢/١٢/٢٥ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(5) " لاتعش في الظلام " ، ١٣٧٠/١/١٩ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

اليأس ولا التعقيد . ويضرب مثالاً للإصرار وعدم اليأس بشجرة البغدادي التي أسقطت على الأرض ، ومع ذلك فقد أخضرت من جديد[1].

(٢) **المرور ومشكلات السيارات** : من الموضوعات التي نالت نصيباً وافراً من مقالات الرفاعي القضايا المرورية ، حيث تحدث عن حوادث السيارات وكثرتها ، وعن جمود الناس حيال المشاهد المأساوية التي يرونها صباح مساء ، وسعى للبحث عن علاج لهذه الظاهرة ، ورأى " استبقاء بعض السيارات التي تمثل جنون السرعة في أماكنها"[2]، ورأى أن يصدر كتاب أسود يسجل تاريخ الحوادث في طرقنا المهمه[3]، وأن تراقب الطرق من قبل رجال المرور[4]، وأن تصلح الطرق فتكون طرقاً مزدوجة [5].

وتحدث عن مشكلة " التفحيط " التي انتشرت في السنين الأخيرة وذكر قصة له حين ارتطم أحد المفحطين في جدار بيته ، وأسقط الجدار ، وقتل بعض الأحياء التي تعيش في حديقته من الزهور ونحوها[6].

وتناول مشكلة زحام السيارات في الحج ، وتنقلها بين المشاعر واقترح " إيجاد قطار خاص بنقل الحجاج وأمتعتهم"[7]. وعرض لمشكلة حجاج البر وسياراتهم الكبيرة التي تتمثل بصعوبة دخول هذه السيارات مكة لاستحالة تنظيم المرور على ذلك ، وبصعوبة إيقافها خارج مكة والمدينة ، وذلك لتضرر الحجاج ببعد أمتعتهم عنهم ، وقد اقترح " وضع موقف خاص لسيارات حجاج البر بعيداً عن المدينتين .. ونقل حجاج البر بواسطة السيارات الصغيرة إلى داخل المدينتين .."[8].

---

(١) انظر: "من وحي شجرة ، فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٤/٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .
(٢) " سجلوا حوادث السيارات " ، ١٣٧٩/٨/١٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٣) انظر : المصدر نفسه .
(٤) انظر : " حوادث السيارات " ، ١٣٨٤/٢/٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٥) انظر : " لكي تخف حوادث السيارات " ، ١٣٨٣/٣/١٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٦) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٦٨ ، (١٤٠٣/٣/٢٩ هـ) .
(٧) " قطار للحج : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/١٤ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .
(٨) " الحج والسيارات الكبيرة : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/٢٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

وتحدث عن سيارات الأجرة وعن النظام الذي تعمل به السيارات حيث تلزم مكاناً واحداً ، ومن يريدها يذهب إليها هناك ، وتعرض للصعوبات التي تتم من هذا الأسلوب ، واقترح أن تعالج هذه الظاهرة بوضع عدادات في سيارات الأجرة حتى تجوب السيارات الشوارع[١]. وتحدث عن السرعة في القيادة[٢]، وعن أخلاق السائقين[٣]، ودعا إلى التزام آداب المرور واحترام رجاله[٤]، حتى تتحقق السلامة التي ننشد . وتحدث عن قيمة اللافتات الإرشادية في الطريق "فالحاجة إلى مثل هذه اللوحات الإرشادية ملحة .."[٥].

وقد كان يرى أن تحمل اللافتات صيغ الأمر "فإن الخطر كبير يتعلق بالأرواح..."[٦]، ولكن عرف أن هذا الأسلوب غير نافع ، وأن استعمال صيغ الأمر لا يأتي بكثير فائدة ، إذ "هذه الألفاظ تحمل معنى التحدي .. وبحكم دوافع العناد التي تنتشر كثيراً في البشر فإن التحدي الذي تحمله أمثال هذه العبارات كثيراً مايقابل بتحدٍ مماثل .. فيعمد السائق ألا يخفض من النور العالي.."[٧].

ولم ينس الرفاعي أثر الإذاعة والتلفاز في التوعية المرورية ، فدعاهما إلى إقامة حملات دعائية ضد الحوادث ، وأسبابها ، وأن تقوم الإذاعة بتقديم برنامج مرح عن السلامة ، والحرص عليها[٨].

(٣) **الخدمات العامة** : من الأمور التي اهتم بها الخدمات العامة ، فقد كان

---

(١) انظر : " هل من : كل أسبوع "، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٣٤ ، (١٣٧٤/٢/١٧ هـ) .

(٢) انظر: " دورات تدريبية للسائقين : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/٦/٢٥ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٣) انظر : " كلك ذوق : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد ، العدد ١٤٢٧ ، (١٣٨٣/٥/٢١هـ) .

(٤) انظر : " آداب المرور : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي ، و"حراس السلامة : يوميات قصيرة " ، مجلة اليمامة ، العدد ١١ ، (١٣٨٣/١/٢٥ هـ) .

(٥) " من هنا الطريق : أكثر من فكرة " ، جريدة عكاظ ، العدد ١٧٠ ، (١٣٨٥/١/١٦ هـ) .

(٦) " قف .. تمهل " ، ١٣٨٣/٣/١٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٧) " لطفاً من فضلك " ، ١٣٨٣/٥/٨ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٨) انظر : " برنامج مرح من أجل السلامة : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/١٢/١٤ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

كثير التعامل مع الدوائر الحكومية في مقالاته ينقد ، ويقترح ، ويثني ، وهي بدورها تستجيب لنقده واقتراحاته[1]، فحين تعطلت الهواتف في مكة في (سنترال) أجياد كتب يشكو من هذه المشكلة للمسئولين ، وحين وصل الماء إلى أجياد كتب يشكر إدارة المياه[2]، وحين أعلن أعضاء الفريق الدولي لمكافحة الملاريا خطر الملاريا كتب بلسان فقراء مكة يطالب بتخفيض تكاليف المكافحة ليتمكنوا منها[3].

وتحدث عن الصيدليات فطالب بأن تقام صيدليات مناوبة يعلن عنها في الإذاعة وأن تقام صيدلية خاصة لدار الإسعاف ، وتكون بسعر مخفض حتى يستطيع الفقراء الشراء وتستفيد جمعية الإسعاف من المال[4] .

وتحدث عن أنظمة المستشفيات التي تدقق في تفتيش زوار المرضى ، وتحشرهم في موعد واحد " ليتدفق العواد كلهم في ساعات محدودة "[5]، وتحدث عن الفوضى في المستشفيات التي تحفل فيها بأخطاء الأطباء التي لا يمكن اكتشافها[6].

وعرض لمسألة ازدحام مكة والمشاعر في الحج ، واقترح إقامة مجمعات سكنية بمكة ، وعمارات بمنى يسكنها الحجاج حتى لاتضيق عن الحجاج[7].

وحين أرادت أمانة العاصمة أن تسمي الشوارع في مكة ، اقترح عليهم التزام الأسماء القديمة " لتكون خارطة المدينة المقدسة الآن بمسميات حواريها ، وشوارعها ، وأزقتها هي نفسها خارطتها التاريخية منذ ظهور الإسلام في العهود التالية"[8].

---

(١) انظر : " أمراض البيئة : أكثر من فكرة " ، جريدة عكاظ ، العدد ١٧٧ ، (١٣٨٥/١/٢٣هـ)، فيها رد من البلدية على أحد اقتراحات الرفاعي .

(٢) انظر : " كل أسبوع " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٧٤ ، (١٣٧٣/١٠/١٧ هـ) .

(٣) انظر : المصدر نفسه .

(٤) انظر : المصدرنفسه .

(٥) " وسعوا صدوركم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥١٣ ، (١٤٠٨/٣/١١ هـ) .

(٦) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠ ، (١٤٠٣/٣/١ هـ) .

(٧) انظر : " عمارات سكنية بمنى : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٨) " شوارع مكة : أشياء مكية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣٠٣ ، (١٤٠٧/٨/١٨ هـ)؛ وانظر: =

ونادى بإنشاء استادات رياضية واسعة ؛ إذ يرى أن هذه الاستادات لا تخدم الرياضة وحدها ولكنها تحقق أهدافاً كثيرة[١].

(٤) **التربية والتعليم** : من الموضوعات التي لقيت عند الرفاعي اهتماماً كبيراً موضوع التربية والتعليم ، فهما موضوعان عظيما الخطر ، كبيرا الأثر على الأمة ونهضتها ، وقد كتب في هذا الموضوع عن مكان التعليم (الجامعة) فرأى أن تبث الجامعة في الرياض كليات جديدة في مدن المملكة مراعية الاختصاص البيئي لكل مدينة ، فتفتح "كلية زراعة في الإحساء .. وكلية تجارة في جدة ، وكلية علوم جديدة في الظهران .. وهكذا"[٢]. ويرى أن يتوجه العمل الشعبي إلى "إنشاء مدارس نموذجية في أمهات المدن ، أو إنشاء معاهد متخصصة أوتشييد دور لمدارس البنات"[٣].

وتحدث عن المدرس الذي كان وضعه الوظيفي متفقاً مع الموظف في نطاق الخدمة إلا أن الدولة تعطيه علاوة المرتبة الرابعة وإن لم يصلها ، فإذا وصل المرتبة الرابعة ذهب الإغراء ، وانتقل المدرس من التدريس إلى وظيفة أخرى أخف عبئاً وأقل حملاً فكتب الرفاعي يقترح " الاستمرار (في) إغراء المدرس عن طريق الاستمرار في منحه العلاوة مهما كان حجمه ليظل مشدوداً إلى هذا الواجب الوطني الكبير .."[٤].

وتحدث إلى الطالب فوجهه إلى طرق المذاكرة السليمة التي تقوم "على الاستعداد النفسي للاستذكار"[٥]، وعلى تخيل وجود تلاميذ يقوم الطالب بتدريسهم[٦].

وعني بالطلاب في الإجازة الصيفية ماذا يفعلون ؟ فاقترح إنشاء مراكز صيفية

= "تسمية شوارع مكة : على هامش الأيام " جريدة البلاد ، العدد ١٣٦٧ ،(١٣٨٣/٣/١٠ هـ) .

(١) انظر : " أهمية الاستاد الرياضي : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/١٠/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي ، وانظر : " مسبح البلدية " ، ١٣٨٣/٤/١٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " حول الجامعة الأهلية " ، جريدة البلاد ، العدد ١٦٣٦ ، (١٣٨٤/٢/١٢ هـ) .

(٣) المصدرنفسه .

(٤) " من أجل المدرس : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/٧/٢٤ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٥) " طريقة المذاكرة : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١/١٦ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٦) انظر : " درس : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

تعمل بإشراف مشترك من وزارة المعارف والشئون الاجتماعية يقدم فيها الأنشطة الثقافية والصحية والرياضية[1].

ومن عنايته بالطالب عني بولي أمره ، فدعا إلى إعادة مجالس الآباء التي كانت تقام "إذ تمثل اللقاء بين التربية والتعليم .. لئلا تكون المدرسة تعليماً بحتاً ولئلا يكون البيت تربية محضاً"[2].

وتحدث عن مشكلة عزوف النشء عن القراءة فـ "الأم لا تهتم بتدريب ابنها على القراءة .. والأب لا يعطي القدوة ، ولا يحبب القراءة لابنه أو ابنته"[3]، ويرى أن للتربية أثراً في التخلص من الخرافات التي يعاني منها المجتمع كتقاليد الزواج ، أو الموت ، أو التشاؤم من شهر صفر[4].

أما طرق التربية فيرى الرفاعي أن تكون بأساليب مختلفة ، فتكون بالأحاديث المباشرة وفي القصص والتمثيليات[5]، ولا يرى أن التربية تخص أحداً دون أحد بل تشمل كل طبقات المجتمع ومستوياتهم[6].

٥ - **الأخلاق الاجتماعية** : يتصف كل مجتمع بأخلاق اجتماعية يتميز بها عن غيره من المجتمعات ، قد يكون منها ما هو سلبي سيء ، وقد يكون منها ما هو غير إيجابي حميد ، ولن يخرج المجتمع الحجازي عن كونه مجتمعاً ، فطفق عبدالعزيز الرفاعي يحاول الإصلاح في هذه الأخلاق ما استطاع ، فيندد بما يراه غير صواب ، ويحذر المجتمع من مغبة الاستمرار عليه.

فكتب عن الكذب والاحتيال ، وحذر من حبائل المحتالين التي طالما وقع فيها

---

(١) انظر : " الطلاب والفراغ الكبير : فكرة اليوم " ، ١٣٨٦/٩/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٢) " مجالس الآباء : فكرة اليوم " ، ١٣٨٦/٩/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٣) " لماذا لا نقرأ : إنهم يرطنون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٢٠ ، (١٤٠٦/٣/٢٧ هـ) .

(٤) انظر : " لنقض على هذه الخرافات " ، ١٣٧٩/١/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٥) انظر : " القصة والتربية : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٣/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي

(٦) انظر : " لنقض على هذه الخرافات " ، مخطوط ، المصدر السابق .

كثير من الناس ، فذكر قصته حين طرق بابه رجل يزعم أنه يعمل في المدرسة التي يدرس فيها ابنه ، ويبشره بالنجاح ليفوز بالحلوى ، فلما ذهب الابن وجد الأمر على خلاف ما ذكر الرجل الطارق[1].

وتحدث عن الرشوة وخطرها ورأى أن مشكلتها تكمن في طبيعتها إذ تسير بين الناس بالهمس دون أن يكون لها أثر تتبع به[2] .

وتحدث عن خلف المواعيد ، ورأى أنه داء متفشٍ في المجتمع يجب الحذر منه[3]، وحذر من التساهل واللامبالاة التي تتمثل في كلمة "معليش" أو "بسيطة" إثر الموضوعات والحوادث الجسام[4].

وتحدث عن الغضب[5] الذي ينتشر في المجتمع ويتسبب في كثير من المشكلات ، وعن التدخين[6] وأضراره ، وذكر أنه لا يستفيد من الدخان إلا بائعوه .

وتحدث عن طرائق تعامل الناس ، ودعا إلى التسامح ، والصفح ، والدفع بالتي هي أحسن ، والكلمة الطيبة[7].

ب - ما توسط في طرحه ونقاشه

وقد تحدث فيه عن الأعمال الإنسانية في المجتمع ؛ فالرفاعي إنسان قبل أن يكون أديباً ، يحزن لحزن المنكوبين ، ويفرح لفرحهم ، ويعبر عنهم فيما يصيبهم من

---

(١) انظر : " احذروه " ، ١٣٧٩/٣/١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، و" محتال جديد وآخر قديم"، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٦٥ ، (١٤٠٦/١٢/٦ هـ) .

(٢) انظر : " إجابة على أسئلة "، ١٣٨٤/٤/٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، و" ابحثوا عن السيد جورج : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد ، العدد ١٤٠٨ ، (١٣٨٣/٤/٢٩ هـ) .

(٣) انظر : " مواعيدنا " ، ١٣٨٢/١٢/٢٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) انظر: " كلا ليست بسيطة : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/٧/٤ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي.

(٥) انظر : " لا تغضب " ، ١٣٨٢/١٢/٢٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) انظر : " الناس المنتحرون : يوميات البلاد " ، عدد ١٦١٦، (١٣٨٤/١/١٨ هـ) .

(٧) انظر : " شيء يحير : " سوق عكاظ " ، جريدة عكاظ ، العدد ٥٧٣ ، (١٣٨٦/٥/٣٠ هـ) ؛ و"بين الأكرم والأحزم " ، ١٣٨٤/٦/٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ و" الكلمة الطيبة " ، ١٣٨٥/٤/٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

مصائب . وقد كتب مقالات عدة يتحدث فيها عن القضايا الإنسانية التي لا تتوقف عند مجتمعه ؛ بل تتجاوزه إلى مجتمعه الإسلامي الكبير .

فكتب عن الإنسان الحقيقي ، وبماذا يتصف ؟ فالإنسان في رأيه من يحس بشعور المعذبين ، ففي ليالي الشتاء الباردة ، وحين يأوي إلى فراشه الوثير يشعر بالذين ناموا على بساطٍ ما اعتزوا يوماً بملكيته ، هو بساط الله تلك الأرض الفضاء ، وتدثروا بدثار ما فخروا به قط هو الأثير فتمشت في أعضائهم لذعة البرد .

والطبيب الإنسان هو الذي إذا دعي إلى بيت فقير يسعى في علاجه ويبذل جهده ولا يسأل عن الأجر ، والقائد الإنسان هو الذي يعنى بمن يقود ويرفق بهم[١] .

ودعا إلى السعي في مجالات العمل الإنساني كبناء المستشفيات ، والمدارس والملاجئ ، والجمعيات الخيرية[٢]، وحث على إقامة مراكز للمسنين يجتمعون فيها ، ويقضون أوقاتهم ، ويجدون فيها من يناسبهم في السن والفكر[٣] .

ويفرق الرفاعي بين الأعمال الإنسانية التي أنشئت خالصة لوجه الله والأعمال التي تتخذ هذا الأسلوب طريقاً للشهرة والرفعة[٤] .

وتحدث عن الفقر وخطره على العالم الإسلامي ، وربط بين الشيوعية والفقر ، "فالفقر هو نقطة الضعف الذي تنفذ منه الشيوعية ، والعالم الإسلامي يشكو هذه العلة[٥]، ولمحاربة الشيوعية لابد أن نحارب الفقر .

ويتحدث عن صناديق البر ، ويرى أنها لا يمكن أن تبقى على الأعمال الخيرية ، فلو خصصت هذه الصناديق لأعمال المواساة والتعويض وتنقل باقي أعمالها إلى الضمان الاجتماعي[٦] . ويقف عند التناقض العجيب في هذا العالم المتحضر ، ففي

---

(١) انظر : " من هو الإنسان " ، ١٣٦٩/٢/١٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) انظر : " الإنسانية في الحياة العامة " ، ١٣٦٩/٦/٢٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي

(٣) انظر : " فكرة لحاضرهم ومستقبلنا " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٣ ، (١٤١٠/٣/٣ هـ) .

(٤) انظر :" الإنسانية في الحياة العامة " ، المصدر السابق .

(٥) انظر : " قرأت " في ١٣٧٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) انظر : " صندوق البر " ، ١٣٨٤/٢/١٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

الوقت الذي يعيش فيه أناس فقراء أشد ما يكون الفقر حتى إنهم لا يملكون مايسترون به سوءاتهم نجد كثيراً من الناس في أوربا يطعمون الكلاب ، والقطط "ترى ما فائدة كل هذا البلاء؟ ولماذا يفعل القوم هذا ؟ نعم أعذر من يقتني الكلب للحراسة أو الصيد . أما للدلال والحنان فليس موضعه الكلب .. ما أجدر هذه العواطف أن تتحول إلى البشرية .. إلى الإنسانية إلى هؤلاء الأطفال المشردين"[1].

ويذكر الرفاعي أنه رأى طفلاً " لا يرتدي إلا جلده الأسود "[2] يتعلم اللغة العربية وتعلمه هذا مقترن بالإسلام ، ثم يتساءل ماذا فعلنا لهؤلاء .

وهو يحاول بهذا أن يستثير عواطق المسلم وهمته في العمل الخيري في سبيل رفع المسلمين وكشف الضر عنهم .

جـ - ما ظهر عنده بقلة

القسم الثالث : من المقالة الاجتماعية هو النوع الذي لم يحظ من الرفاعي بكثير اهتمام ، وإنما تناوله في مقالات قليلة قد لا تتجاوز الخمس مقالات .

فمن هذه الموضوعات حديثه عن الزواج حيث تحدث عن أسباب عزوف الشباب عن الزواج ، والتي منها التقاليد العجيبة التي تتفشى في القرن العشرين، وفي عصر القنبلة الذرية ، والكهرباء . أما السبب في تفشي هذه العادات وعدم التخلص منها فهو العقليات المتحجرة من العجائز ونحوها التي ترفض التغيير بقولها (ما يسير) ، (وعمرها ما سارت)، و(إيش يقولوا الناس)[3].

أما العقبة الكؤود التي تقف في سبيل زواج الشباب فهو غلاء المهور، حيث لا يستطيع الشباب الناشئ أن يحصل عليه . وبحث عن علاج لحل مشكلة المهور فرأى أن تقدم قروض طويلة الأجل باسم قروض الزواج ، وأن تؤسس جمعيات تعاونية

---

(١) " الناس والكلاب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣، (١٠/١٠/١٤٠٩ هـ) .

(٢) انظر : المصدر نفسه .

(٣) " يجب أن نحذر من تقاليدنا " ،١٣٧٠/٣/٢٨ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

لتشجيع ومعونة كل عروسين " يشترك الشباب من العزاب في تأسيس هذه الجمعيات .. "[1].

ولم تنل المرأة اهتماماً كبيراً عند الرفاعي مقارنة بعدد المقالات الاجتماعية ، وبأهمية هذا الموضوع . ويمكن أن نحدد أحاديثه عن المرأة في عدة نقاط :

١- تعليم المرأة .

٢- عمل المرأة .

٣- ما يريد أن تكون عليه المرأة السعودية ، ومايخشاه ، وما ندد به .

لم يفض الرفاعي في حديثه عن تعليم المرأة ؛ ذلك لما يتصف به هذا الموضوع من حساسية ، في عهد بداية التعليم ، حيث كان تعليم المرأة في بداياته ، ولهذا فقد تجنب الرفاعي الخوض فيه ، إلا ما يلمح منه من تأييد لهذا الموضوع في كتابات قليلة ، من ذلك دعوته إلى التخطيط قبل الاتساع في تعليم الفتاة حتى لا نقع في الأخطاء التي وقعنا بها عند تعليم الفتى . ومن ذلك دعوته إلى تشجيع الفتيات للدراسة وتسهيل السبيل إلى ذلك[2]، وكتابته مرحباً بأول خريجات من معهد إعداد المعلمات[3] وماسوى ذلك فلم يتعرض له الرفاعي من قريب ولا من بعيد .

أما الموضوع الثاني وهو عمل المرأة فليس بأقل حساسية من الموضوع الذي قبله ؛ ولذا فحديثه عنه أقل من الأول ، ويأتي حديثه مقيداً ، بأن يكون عملها بما يخصها ويظهر هذه الموقف في ترحيبه ببرنامج (ركن المرأة)[4]حيث كانت معدته امرأة ، فقد بارك هذه الخطوة ورأى أن هذا اعتراف بحق المرأة في أداء دورها في الحياة

---

(١) " جمعية تعاونية لتيسير المهور " ، ١٣٨٤/٣/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٢) انظر : " معلمات المستقبل " ، ١٣٨٤//٣/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) انظر : المصدرنفسه .

(٤) انظر : " المرأة .. وركن المرأة : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد ، العدد١٣٠٢ ، (١٣٨٢/١٢/٢٢ هـ) .

العملية السليمة للمجتمع السليم[1]. وأنه خطوة لأن تعد المرأة زوايا خاصة بالطفل ، والأسرة " إذ هي أقدر على الخوض في شئون البيت ، وتدبير أمر الزوج"[2].

أما ما يريدها أن تكون عليه ، فهو يريدها أن تخط منهجها بنفسها بعيداً عن تقليد الغرب والشرق ، وأن تقوم بإصلاح المرأة ، فتوقظ المرأة المتخلفة ، وترد المرأة المبتعدة عن دينها ، وعن بيئتها ، وتدعوها إلى الالتزام بحجابها ، وثوابتها الأصلية[3].

أما ما يخشاه عليها فانطلاقها نحو الغرب تقلد فتياته بتبذلهن ، وعريهن ، فتفسد الفتاة التي هي الأم مستقبلاً ، وفي هذا باب من أبواب فساد المجتمع[4].

أما ماندد به فهو ماراَه من بوادر سيئة في تصرفات المرأة السعودية جعلته يخشى من أن تنهدم السدود التي أقيمت لصد زحف السلوك المنحل ، فينطلق الوحش[5].

وخلاصة الأمر أن الرفاعي يريد المرأة أن تكون عصرية تعمل في الإذاعة وفي الصحافة ، وتشارك في المجتمع ، ويريدها أن تكون ملتزمة ، تقوم بواجباتها الأسرية ، وهذا الأمر وإن كان قد يتم في العالم المثالي إلا أنه لا يمكن أن يتم في الواقع التطبيقي ؛ إذ المشاهد يكذبه ، فالأمران اللذان دعا إليهما الرفاعي لايجتمعان ، فخروج المرأة من المنزل للعمل يتطلب ترك الواجبات الأخرى سوى ما تتعرض له من فتن ، وقد أدرك الرفاعي هذا فيما بعد حين كتب (هل انطلق الوحش) ، إذ كانت هذه المقالة بعدترحيبه بخروجها بأربع سنوات حيث رأى تغير الوضع عندالمرأة ، بانتشار التغريب في الأوساط النسائية ، وحين كتب - أيضاً -

---

(١) انظر : المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : المصدرنفسه .

(٤) انظر : المصدرنفسه .

(٥) انظر " هل انطلق الوحش " ، ١٣٨٦/٩/٢١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

يؤيد أحمد محمد جمال في كتابه (مكانك تحمدي)[1]، ويرى أن ما قاله في ذلك الكتاب حق كله ومع هذه الكتابات فقد ظل موقفه متأرجحاً غير واضح ، ومترددا ًبين الدعوة إلى التزام المرأة لدينها وضوابطه ، وخروجها من منزلها إلى العمل . وهذا الموقف الذي اتخذه الرفاعي من المرأة جزء من مواقف الرفاعي الضعيفة المترددة التي منشؤها عدم الرغبة في الأعداء وإثارة الخصوم .

ومما عني الرفاعي به الحديث عن (العيد) فهو يجعل العيد فرصة لتذكر الأخوة العراة الذين لا يملكون ما يلبسون من جديد ويفرحون به مثل غيرهم[2].

فالعيد إذاً مجال حزن وفرح ، مجال حزن حيث يتيح الفرص للمقارنة بين حال وحال فيحزن الأطفال ، ويحزن الكبار ، ومجال سرور عند الأطفال ففيه اللعب والملابس الجديدة[3].

ولكل مرحلة من مراحل العمر نظرة خاصة للعيد تختلف عن الأخرى، ففي الطفولة بهجة ، وفي الشباب موسم عواطف ، وفي الكهولة اعتياد ، وفي الشيخوخة أصداء وذكريات[4] .

ويتساءل عن العيد في هذا الوقت لماذا لا يكون كالأعياد القديمة ، ننتظره بفارغ الصبر فنزور ونزار ونرى الأهل والأصحاب ؟ لماذا تحولت ليالي العيد عندنا إلى سهر في الليل على وسائل الترفيه إلى الفجر ، ثم نوم في نهار العيد؟ فلا نؤدي واجب الزيارة ولا نسمح لأحد أن يزورنا[5].

وقد تحدث الرفاعي عن موضوعات أخرى كعمل الشعب مع الدولة[6]، وعن

---

(1) انظر : " كتب .. كتب ..كتب " ، جريدة البلاد ، العدد ١٩٥٠ ، (١٣٨٥/٣/٨ هـ)

(2) انظر : " هدية العيد : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٨/٢٧ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(3) انظر : " كلام عن العيد " ، ١٣٨٥/٩/١٥ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(4) انظر : " نظرة للعيد " ، ١٣٨٦/٩/٢١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(5) انظر : " العيد .. . كان .. وصار " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٤٤ ، (١٤٠٦/١١/١٤ هـ) .

(6) انظر : " شارع الأشراف : يوميات " ، جريدة المدينة ، العدد ٤١٨ ، (١٣٨٥/٣/٢٣هـ) .

الجيران وأنواعهم[1]، وعن السياحة في المملكة[2]، وعن الأمن فيها[3].

هذا عرض شامل للمقالة الاجتماعية عند الرفاعي تبين به أنها ازدهرت في فترة من الفترات ، ونضبت في فترة أخرى - كما مر في الحديث عن المراحل - ولابد أن يكون لهذه الظاهرة من أسباب ؟ أهي أمر أملته تلك الفترة بما فيها من متغيرات اجتماعية ، أم عامل مرحلي بالنسبة لنمو الرفاعي الكاتب ؟ والذي يظهر أن لكلا الأمرين أثراً في ظاهرة الازدهار ؛ ذلك أن تلك الفترة كانت فترة بداية تطور وتغيير في البلاد السعودية ، فكان الأدباء مستشرفين للإصلاح ، متحمسين له ، فكان من تأثير البيئة على الرفاعي أن تحمس للإصلاح وأكثر من الكتابة .

أما النمو المرحلي فأثره أخطر من الأول إذ إن الرفاعي في هذه الفترة قد ازدادت شهرته بما كتب في الصحف ، وبما أذاع في الإذاعة ، حتى إذا جاء عهد المؤسسات طفقت الصحف تستكتبه وتلح عليه بالكتابة .

وكان في العقد الخامس من عمره أي بعد ما اكتملت أدواته الكتابية فاجتمع العاملان ، عامل الفترة الإصلاحية الانتقالية للمجتمع السعودي وعامل النضج المرحلي للرفاعي فخلف لنا هذا الكم الهائل من المقالات الاجتماعية .

أما سبب ضمور المقالة الاجتماعية فيما بعد ذلك فيرجع إلى أن العام الذي تلا هذه الفترة هو عام ١٣٨٧ هـ أي عام الهزيمة التي مني بها العرب والتي أصابت كثيراً من الأدباء العرب بروح انهزامية محبطة ظهرت واضحة في أدبهم ، وكان من بينهم الرفاعي ، فتوقف عن الكتابة منذ ذلك العام حتى عام ١٤٠٢ هـ ، وكل ما كتب في هذه الفترة من مقالاته جميعاً لا يعد شيئاً إذا قيس بغيره من المراحل .

فسبب التوقف راجع إلى الصدمة النفسية التي أحدثتها الهزيمة في شعور

---

(١) انظر : " جار وجار : التفسير الموضوعي للقرآن الكريم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٤٧٨ (١٤٠٥/٤/١٠هـ) " من هو جارك : مجلة العرب .. والشبل وهالي .. والجيران " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٤٨ ، (١٤٠٦/٤/٢٥ هـ).

(٢) انظر : " بلادنا المشتى والمصيف " ، جريدة الجزيرة ، (ملحق رمضان ١٤٠٤ هـ) .

(٣) انظر : " الأمن .. حياة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٦٣ ، (١٣٠٩/٣/٧ هـ) .

الرفاعي ، وجعلته يتوقف فترة من الزمن وحين عاد إلى الكتابة عاد بوجه مختلف عن ذي قبل هو ذلك الذي قرأته في مراحل المقالة الاجتماعية[1].

ومما يلاحظ على الرفاعي في مقالاته الاجتماعية العناية بالموضوعات الفرعية التي وصفها بأنها "تعنى بمرافق الحياة"[2] والإعراض عن القضايا الكبار ، فعني بالأعمال الشعبية، وقضايا المرور والخدمات العامة ، وقلل من الكتابة عن الموضوعات المهمة كالزواج، والمرأة ، التي لها أثر كبير في تخلف المجتمع وتقدمه . فهل الدافع للرفاعي أن هذه الموضوعات قد أشبعت بحثاً ودراسة فلم يكن أمامه إلا الكتابة في الموضوعات التي هي في المرتبة الثانية ، أم أن السبب عائد إلى الموضوعات نفسها ؟ حيث إنها موضوعات حساسة ، يكثر حولها الخصام والجدل ، وتختلف فيها الآراء ، وقد تثير عليه الأعداء والخصماء وهذا مالا يريده ، ولا تقبله شخصيته .

ومما يوضح قولنا أن لطبيعة الرفاعي المجاملة أثراً في صدوده عن الموضوعات القوية ، إلحاحه على قيمة الصراحة في الإصلاح الاجتماعي ، وعلى خطر المجاملة إذ يقول : "لن يكون هناك إصلاح اجتماعي إلا إذا جعلنا الصراحة الصادقة النزيهة مطيتنا إلى الغاية التي نسعى إليها"[3].

أما طريقة الرفاعي في مناقشة القضايا الاجتماعية ، فتختلف باختلاف المرحلة التي كتب فيها المقال ، ففي المرحلة الأولى حيث كانت بدايته في الكتابة كان عرضه للمشكلة يسيراً لا يتجاوز زاوية واحدة من القضية ، ولا يذهب إلى جذور القضية وأسبابها ، وإنما يكتفي بما ظهر منها ، وتأتي اقتراحاته بعد ذلك[4].

---

(١) انظر : ص ١٨١ .

(٢) "نحو الإصلاح الاجتماعي : يوميات قصيرة ، جريدة عرفات ، العدد ٢٠. (٢٤/١٠/١٣٧٧هـ).

(٣) الإصلاح الاجتماعي " مجلة الحج ، العدد ١ ، س٥ ،(رجب ١٣٧٠ هـ) ، وانظر : " الصراحة من أخلاقنا التي فقدناها " ، مجلة الحج ، العدد ١ (رجب ١٣٦٩ هـ) .

(٤) انظر : " مشكلة المهور : كل أسبوع " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٨٠٨ ، (١/٨/١٣٧٤هـ). و" جمعية تعاونية لتيسير المهور : فكرة اليوم " ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

وفي المرحلة الثانية عندما تطورت أدواته الكتابية ظل أسلوبه في عرض القضية كما هو ، وإن كانت حلوله التي يطرحها اقتراحات طيبة سليمة وقد يكون السبب في عدم بحث المشكلات ، وتوسيع القول فيها هو طبيعة الموضوعات التي تحدث عنها في المرحلة الثانية ، فهي موضوعات لا تقبل توسيع القول فيها ، ولا تعدد وجهات النظر؛ إذ هي موضوعات محددة المجال[1].

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة اكتمال الكتابة عنده ، فمع قلة الموضوعات الاجتماعية التي طرحها فإنها تميزت بالعمق في بحث القضية ، والموضوعية في مناقشة أسبابها ، وباقتراح العلاج النافع ، أو الاكتفاء بإثارة أسئلة حول القضية ، وذلك بعد عرضها عرضاً واضحاً مفصلاً[2] .

وعند التأمل في الحلول التي يطرحها - لا سيما في المرحلتين الأولى والثانية - نجد أنها في الغالب مقترحات مستوردة رآها في أحد البلدان فجاء بها مطالباً ؛ من ذلك قوله :"كلما سمعت محطة من محطات الإذاعة في البلدان الشقيقة تعين الصيدلية الساهرة تذكرت حاجتنا الماسة إلى صيدلية تناوب ليلاً"[3].

وإذا كانت الموضوعات الاجتماعية قد تعددت وتنوعت ، فتحدث عن المرأة ، والمرور ، والتعليم ، فإن الناظر لهذه الموضوعات لا يمكن أن يغفل هاجساً يكاد يحتوي كل هذه الموضوعات وينظمها في سلك واحد ، ليوصلها إلى غرض واحد ، لا سيما في المرحلتين الأولى والثانية ، حيث يلاقينا ظاهراً حيناً [4] ومضمراً حيناً[5]

---

(١) انظر : " طريقة المذاكرة : فكرة اليوم " ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و"مسبح البلدية "، مخطوط في دار الرفاعي ، و" حوادث السيارات " ، مخطوط ، مصدر سابق .

(٢) انظر : " فكرة لحاضرهم ومستقبلنا "، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٦٣، (١٤١٠/٣/٣هـ).و" العيد كان .. وصار "، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٤٤ ، (١٤٠٦/١١/١٤ هـ) . و" الناس والطين "، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٣٤ ، (١٤١٠/٣/٢٤هـ).

(٣) " صيدلية الإسعاف ، كل أسبوع"، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٧٤ ، (١٣٧٣/١٠/١٧هـ). وانظر : " هل من ؟ كل أسبوع "، البلاد السعودية ، العدد ١٦٣٤ ، (١٣٧٤/٢/١٧ هـ). و" تطوير مطاعمنا : فكرة اليوم " ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٤) انظر :" المشاكل العائلية : فكرة اليوم"، ١٣٨٣/١/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي.

(٥) انظر : " قوة الإرادة ، مخطوط في دار الرفاعي . و " الشعور بالمسئولية الاجتماعية " =

وداعياً[1] إليه في حين آخر .

ذلك هو هاجس الحضارة الحديثة التي يتمنى أن يرتقي بقومه إليها ، وأن يرفعهم عما هم فيه إلى مصاف الدول المتقدمة ، غير تارك طريقاً يمكن أن يسلك إلا سلكه .

وتنتظم هذه الموضوعات عند الرفاعي في هذا السلك انتظاماً عجيباً فالمشكلات العائلية يجب أن نبتعد عنها لأنها تعيق عن التقدم[2]، والملاعب الرياضية تشكل في كل مدينة أحد معالمها الحضارية ، فجدير بالمدن الكبرى "أن تستكمل هذا النقص"[3]، والشباب يجب أن يربوا تربية جادة ، فهم سواعد الأمة التي تعتمد عليها في النهضة والحضارة[4]. وهكذا يحول الرفاعي القضايا المتنوعة إلى قضية واحدة هي التي ناقشها في جميع مقالاته ولكن بأوجه مختلفة .

وإذا تتبعنا الحديث عن الحضارة وجدناه يأخذ اتجاهات ثلاثة :

١- حديث المعجب المحبذ لها ، الذي يدعو لاستغلال كل صغيرة وكبيرة في سبيلها حتى نخطو خطوات إليها ، ويدعوه إعجابه للفرح حين يبلغه خبر اختيار أحد أبناء بلده عضواً في جمعية أجنبية .

وهذا يمثل الجانب الذي تحدثنا عنه من قبل ، حيث أخذ هاجس الحضارة بكل موضوعاته ، وقد ظهر هذا الاتجاه في فترات مختلفة من حياته[5].

٢- الاتجاه الثاني : وهو ذم الحضارة بما أنتجت من أسباب للدمار ، ووسائل للقتل الجماعي كالقنبلة الذرية ، ومن وسائل يذهب الناس بها إلى الفضاء

= ١٣٧٩/٨/٢٧ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(١) انظر : " لنقض على هذه الخرافات " ،١٣٧٩/١/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و"مشكلة التطور : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١/٢هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٢) انظر : "المشاكل العائلية : فكرة اليوم"، ١٣٨٣/١/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٣) انظر : " أهمية الاستادات الرياضية : فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/١٠/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دارالرفاعي .

(٤) انظر : " لكي لا يميع الشباب " ، ١٣٧٩/٥/١٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٥) انظر : " مشكلة التطور: فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و"شعور الحضارة " ، ١٣٨٣/١/٣ هـ ، مخطوط إذاعي . و" خطواتنا على الطريق الصحيح " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٣٥ ، (١٤٠٧/٢/١٧ هـ) .

ليفسدوه كما أفسدوا الأرض ، وصانع هذه الحضارة في رأيه ليس كفئاً للأمانة التي حملها ، فقد حمل الأمانة ولكن أفسد في الأرض وسفك الدماء[1].

ويظهر هذا الاتجاه عنده أيضاً في فترات مختلفة من حياته ، وقد يكون ذمه للحضارة بهذا الأسلوب تأثراً منه بالفترة التي نشأ فيها حيث أعقبت الحرب العالمية الثانية التي قتل فيها آلاف الناس بالقنبلة الذرية التي هي من نتاج الحضارة الحديثة .

٣- الاتجاه الثالث : ذمه للحضارة بكل أساليبها ، واتجاهاتها ، والتبرم منها ، فهي التي أنشأت وسائل الاتصال التي أحسنت القطع كما أحسنت الوصل[2]، وهي التي تفننت في اختراع ما يلتهم الوقت[3]، كالتلفاز والفيديو ، وكالمجلات والصحف وهي التي طورت الآلة تطويراً حتى طغت على الإنسان صانعها ، وأصبحت تهدده في معاشه ، وفي عمله[4].

ومن صور تبرمه من الحضارة رغبته في الهروب إلى القرية التي لم تصلها الحضارة [5] فهي أحسن حالاً من المدينة التي غطتها الحضارة بوسائلها المختلفة .

وإذا كان الاتجاهان الأولان قد ظهرا في فترات مختلفة ، وفي مراحل المقالة المتعددة ؛ فإن هذه النظرة المتشددة نحو الحضارة لم تظهر إلا في المرحلة الأخيرة من المقالة . وهي صورة من تأثير جوانب السلب في الحضارة الحديثة ، ولواقع الأمة العربية التي صار العدو يمزقها من كل ناحية .

وحين نريد أن نقوّم الرفاعي كاتباً اجتماعياً لابد من وضع ثلاث نقاط

---

(١) انظر : " الإنسان والفضاء " ، ١٣٧٩/٥/١٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، وانظر : " صانع الدمار : يوميات قصيرة " ، جريدة عرفات ، العدد ٢٦ ، (١٣٧٧/١٢/٢٧ هـ) ، هل كان العصر الحجري أسعد حال : يوميات " ، جريدة البلاد ، العدد ١٩٨٠ ، (١٣٨٥/٤/١٣ هـ) .

(٢) انظر : " العيد كان وصار " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٤٤ ، (١٤٠٦/١١/١٤ هـ) .

(٣) انظر : " بحر ولا سواحل " ، جريدة الجزيرة ،عدد ٤٥٠٤ ، (١٤٠٥/٥/٦ هـ) .

(٤) انظر : " أين المسير والمصير " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٢٥٧٥ ، (١٤٠٩/٧/٩ هـ) .

(٥) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٨٣٨ ، (١٤٠٣/٦/١٠ هـ) ، وانظر :" الناس والطين" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٣٤ ، (١٤١٠/٣/٢٤ هـ) .

في الحسبان وهي :

١ - أن الرفاعي لم ينذر نفسه لهذا اللون من المقالة ، ولم يتخصص بها ، وإنما كانت تشغل جانباً من جوانبه وليس الجانب الأعظم ؛ وإذا عددناه كاتباً اجتماعياً ، لزم أن نعده كاتباً دينياً وسياسياً .

٢ - أنه ابتعد عن الموضوعات الاجتماعية المهمة التي تعنى ببناء الإنسان إلى الموضوعات التي تعنى بالحياة وقشورها ، والتي يمكن أن يعنى بها غيره من المختصين بها ، وقد جاءت هذه العناية على حساب اهتمامه بالموضوعات التي لا يدركها إلا المفكرون والأدباء ، وهي التي من اختصاصه كقضايا الفقر، والجهل ونحوها .

٣ - غلبة المجاملة عليه في بعض ما يطرح من موضوعات ، وما يعالج من أفكار، فلم يكن صريحاً يدافع عن رأيه ويثبت عليه ، مؤثراً بمجاملته السلامة والراحة .

وعند النظر في هذه النقاط مجتمعة يتبين أن الرفاعي لا يعد كاتباً اجتماعياً ، وإنما كاتب له إسهاماته في شئون المجتمع ، فهي لم تبلغ العمق الكافي في معالجته مشكلات المجتمع ، وإنما هي كلمات عابرة يتناول فيها بعض المشكلات تناولاً عادياً ، لا تدخله في دائرة الكتاب الاجتماعيين المتخصصين .

٣- المقالة العلمية

تطلق المقالة العلمية ويقصد بها أمران : الأول : ما يتخذ من الأسلوب العلمي ظهراً له ، ويتصف بالموضوعية ، والأمانة العلمية ، والدقة في النقل ، و"يعتمد فيه الكاتب إلى عرض الحقائق مجردة مخاطباً العقل"[١].

والثاني : ما يتحدث عن قضايا العلم التجريبي كمسائل الطب والفيزياء، ونحوها .

---

(١) المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث ، ص ٣٤ .

وقد ظهرت المقالة العلمية عند الرفاعي بشكل كبير ، وذلك لما تتميز به شخصيته من الدقة ، والموضوعية ، والاستقصاء مما هو طابع المقالة العلمية ، وجاءت في الدرجة الثالثة من حيث المستوى الكمي بعد الأدبية والاجتماعية .

وحين يقال المقالة العلمية عند الرفاعي فالمقصود القسم الأول الذي اتخذ الأسلوب العلمي ظهراً له ، أما القسم الثاني فيندر وجوده عند الرفاعي ، وذلك لاتجاهه إلى دراسة العلوم العربية والإسلامية منذ بداية حياته الأدبية .

وظهرت المقالة العلمية عنده في أوائل حياته الكتابية فكان أول مقال علمي له مقال بعنوان (الفتنة الكبرى يتناول فيه كتاب (الفتنة الكبرى) لطه حسين ، وكان ذلك في جريدة البلاد السعودية ، في ١٣٦٧/١٢/٣ هـ ، وأما آخر مقال فهو بعنوان (السهيلي) ، وقد نشر في مجلة أهلاً وسهلاً في عدد شعبان ، رمضان ١٤١٤ هـ . تناول فيها قضايا مختلفة ، فتحدث عن جهود العرب لنشر لغتهم وتعليمها وتساءل عن جهودهم لنشرها بين غير الناطقين بها ، وعدم أخذهم بالأساليب التي يتخذها غيرهم لتعليمها كوضع الكتب الميسرة في القواعد والمفردات[١].

كما تحدث عن كثير من البلاد العربية والإسلامية معرفاً بها ، وموضحاً علاقتها بالعرب والمسلمين كمدغشقر ، وعلاقة العرب بها[٢]، وتحدث عن اللغة العربية في الصومال، وعن حرص الصوماليين عليها[٣]، وتحدث عن سويسرا وما يقال عن وصول العرب إليها ، وما تقول الكتب المقدسة عنه[٤]، وعن جزيرة مالديف[٥] وذيبة المهل[٦].

وتحدث عن الثقافة المحلية ورأى أن نشرها ينبغي أن يسير في اتجاهين :

---

(١) انظر : " شيدوا هذا الجسر " ، ١٣٨٤/٤/١٥ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .
(٢) انظر : " علاقة مدغشقر بالعرب والمسلمين" ، ١٣٧٩/٩/٢٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دارالرفاعي.
(٣) انظر : "اللغة العربية في الصومال : يوميات"، جريدة الرياض، العدد ٣٧ ،(١٣٨٥/٣/٢٦ هـ).
(٤) انظر :"وصول العرب إلى سويسرا : يوميات"، جريدة البلاد، العدد ١٧٧٧،(١٣٨٤/٧/٣٠ هـ).
(٥) انظر : " مالديف جزيرة السمك " ، ١٣٨٥/٧/١٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٦) انظر : " وذيبة المهل : يوميات " ، جريدة البلاد ، العدد ٢٠١٩، (١٣٨٥/٨/٢٦ هـ) .

اتجاه روحي يتحدث فيه عن الأماكن المقدسة ، واتجاه مادي يتحدث فيه عن النفط في هذه البلاد[1].

وترجم لبعض الشخصيات كترجمة (عتاب بن أسيد[2] (رضي الله عنه) وترجمة (الجارود) (رضي الله عنه[3]. و(ابن سيرين)[4] و(خلف بن خليفة الأقطع)[5]، وتتسم تراجمه - في الغالب - بالدقة في جمع المادة العلمية ، وبمحاولة البحث عن جميع جوانب حياة الشخصية المتناولة ، وباستنطاق النصوص المأخوذة عن تلك الشخصية[6].

وإن كانت تراجمه تتسم بالإيجاز والتركيز على النسب والحياة ، وتغفل شخصيته فلا تحاول استنباطها وتحليلها .

وعني بعرض الكتب العلمية والحديث عنها ككتاب (قصة البوال السكري)[7] و(العلم ومشكلات الإنسان المعاصر)[8]، بيد أن حديثه عنها كالحديث العارض فقط دون تعليق أو تعقيب ؛ وذلك لكون مثلها خارجاً عن اختصاصه ، فاكتفى بعرض الكتب ليشاركه القارئ في فائدتها ، وإذا ما لاحظ أو عقب فتأتي ملاحظاته خارجة عن صلب الموضوع ، فقد تكون في الطباعة أو في قضية جانبية يعرض لها المؤلف أو نحو ذلك .

والقضايا الثقافية تغلب على المقالة العلمية عنده ، حيث تكاد تشكل ثلثي

---

(١) انظر : " اتجاهات الثقافة المحلية " ، ١٣٧٩/٢/١ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٢) انظر : " عتاب بن أسيد " ، مجلة الحج ، الأعداد س ٢ الأعداد ٩ ، ١٠ و س٢ ج١١، وس٢ ج١٢ (الربيعان ، والجماديان ١٣٩٨ هـ) .

(٣) انظر : " الجارود صحابي من الخليج " ، مجلة رسالة الخليج ، (المحرم ١٤٠٣ هـ).

(٤) انظر : " ابن سيرين " ، مجلة المنهل ، ما بين العدد ٤١٣ - ٤٤٠، (ربيع الأول ١٤٠٥ هـ - ذو الحجة ١٤٠٥ هـ) .

(٥) انظر : "خلف بن خليفة الأقطع "، العرب ، العدد ١١ - ١٢ ، (جمادى الأولى والآخرة ، ١٣٩٥هـ).

(٦) انظر : النماذج السالفة .

(٧) انظر : " قصة البوال السكري " ، ١٣٨٥/٤/١٨ هـ ، مخطوط في دارالرفاعي .

(٨) انظر : " العلم ومشكلات الإنسان المعاصر"، المجلة العربية ، العدد ٩ ، (ذو الحجة ، ١٣٩٩هـ) .

المقالة ما بين قضايا تراثية وقضايا معاصرة ، وقد برزت من هذه القضايا : قضيتان ألح الرفاعي عليهما وأكثر الكتابة فيهما، الأولى : قضية اللغة العربية ، والثانية: قضية الكتاب السعودي .

أ - قضية اللغة

للغة العربية منزلة كبيرة عند الرفاعي نشأت معه منذ بداية حياته العلمية ، وظهر الاهتمام الذي أولاه إياها في كتاباته وبحوثه ، وتنوعت أساليب اهتمامه فجاءت بحرصه على البحث عن المفردات ، وأصولها ، واشتقاقاتها ، ومحاولة تأصيل العامي ونشر الغريب وإيجاد البديل عن الأجنبي[1].

وجاءت بالمطالبة بوضع معجمات لغوية حديثة تفي بأغراض العصر ومتطلباته ، وتنبئ بطموحه الكبير ، حيث نادى في فترة متقدمة نوعاً ما بالسعي لتطوير مناهج تعليم اللغة ، والأخذ بالأساليب التي سلكها الغرب لتطوير لغاتهم وخدمتها ، كي نخدم لغتنا ونطورها[2].

وجاءت بمناداته بإنشاء مجمع لغوي في هذه البلاد يخدم اللغة العربية في جميع مجالاتها[3]. وإذا كان الرفاعي قد عرض لهذه القضايا جميعاً فإن هناك ثلاث قضايا من قضايا اللغة تحدث عنها فأطال الحديث وهي :

(١) اللهجة العامية ، والموقف منها .

(٢) قضية استعمال الأجنبي .

(٣) قضية الترجمة والتعريب ، ومعلوم ما بين هذه القضايا من وشائج يشد بعضها بعضاً .

---

(١) انظر : " جوان عربي : أنابيش تراثية " ، المجلة العربية ، العدد ٥ ، (شوال ١٤٠١هـ) ، " فزازير صح وفوازير .. غلط .." جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨١ ، (١٤٠٦/٩/١١ هـ)، و" ع ..الروزنة " ، الجزيرة ، العدد ٥٨٧٧ ، (١٤٠٩/٣/٢١هـ)، و" الطغري بين أصلها وتاريخها "، المجلة العربية ، العدد ٧٤ ، (ربيع الأول ١٤٠٤هـ) .

(٢) انظر : " شيدوا هذا الجسر " ، ١٣٨٤/٤/١٥ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و" البحث عن معجم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٨٣ ، (١٤١٠/٥/١٣ هـ) .

(٣) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٧٤ ، (١٤٠٤/٢/٢٠ هـ) .

١ - اللهجة العامية

اتخذ الرفاعي في كتاباته من العامية موقفاً واضحاً ، يدل على نصرته للفصحى ووقوفه ضد العامية .

فهو لا يرى تشجيع العامية ولا نشرها ، ولا إفساح المجال لها ، وإنما يرى نشر الفصحى ، والسعي إلى تضييق الفارق بين العامية والفصحى لجعل العامية قريبة من الفصحى ، "الحل الوحيد هو بذل الجهود المخلصة للارتقاء باللغة العامية لتحل محلها اللغة الفصحى متى تضافرت الجهود في المنزل ، والمدرسة ، والتلفاز ، والصحف والإذاعة ، فإن الجهود المتضافرة ستثمر إن شاء الله ثمراً حسناً"[١].

ولا يرى الرفاعي أن في ازدواجية اللغة مشكلة ؛ إذ "من البدهي أن لغة الفكر غير لغة الشارع .. واللهجات العامية في العالم العربي صحبت الفصحى وعايشتها منذ أقدم العهود ومع ذلك لم يكن هذا الازدواج حائلاً من حوائل تقدم الأدب"[٢]. ولا يؤمن - أيضاً - بالمستويات اللغوية التي يراها بعض المفكرين والكاتبين ؛ إذ يعتقد "أن أية محاولة تبذل من قبل الدارسين الراصدين لحركة تذبذب اللغة العربية ، بين عاميتها وفصيحها لن تكون سليمة فضلاً عن أن تكون مجدية ؛ لأن المعايير المستعملة لقياس هذه المستويات لا يمكن أن تطرد اطراداً صحيحاً ؛ ذلك لأنه لو فرضنا جدلاً ، أن تلك المستويات جاءت أربعة في بلد عربي ما ، فهي لن تكون كذلك في بلد عربي آخر .إن هذا التصنيف للمستويات تصنيف عقيم ... وفي رأيه أن تكون هناك لغة فصحى ولغة دارجة وهي العامية . وأما محاولة التعرف على ما بينهما فهو خوض في بحر لا ساحل له"[٣].

ويتسم موقف الرفاعي بالاعتدال والتوسط بين طرفين نقيضين : من ينكر العامية جملة وتفصيلاً ويحرم الاعتراف بها ، ومن يغالي فيطالب بالكتابة بها واعتمادها

---

(١) " لا وسطى .. بين الفصحى والعامية " ، جريدة الجزيرة . العدد ٥١٥٦ ، (١٤٠٧/٣/٨ هـ) .

(٢) " طبعة مزيدة من سلامة موسى " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤ هـ) .

(٣) " لا وسطى .. بين الفصحى والعامية " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

لغة رسمية . فهو يرى أن اللهجة العامية واقع نعيشه وليست ظاهرة في هذا العصر وإنما وجدت منذ انتشر الإسلام في أصقاع العالم ، وهذا الانتشار لم يجعل القدماء ينفونها أو يهربون منها ، وإنما سجلوا بعض أشعارها ، ولا يعني هذا الاحتفاء بها بقدر ما يعني السعي إلى التعايش معها وتطويرها إلى أن تصل حد الفصحى[١].

٢ - استعمال الأجنبي

القضية الثانية : التي تحدث عنها الرفاعي هي انتشار اللغة الأجنبية في الأوساط العربية . وقد جأر بالشكوى من هذه الظاهرة لا سيما التي تنتشر بين المثقفين ؛ إذ يخلطون بين اللغة العربية واللغة الأجنبية حتى تكون لغتهم أشبه بالكشري أو (المعدوس) تختلط بها الكلمات العربية بالكلمات الإنجليزية[٢].

أو التي تنتشر في المستشفيات والفنادق والهاتف والشركات والمؤسسات الخاصة؛ إذ وصل الأمر إلى أنك قلما تفتح هاتفاً لهؤلاء "فيأتيك الجواب باللغة العربية ، وكذلك الشأن في فاتورة الحساب"[٣].

ولم يطرح الرفاعي حلولاً لهذه المشكلة وإنما حاول أن يناقش الأسباب التي أوصلتنا إلى هذا الأمر . وغالب ما طرح في هذا الموضوع يتعلق بلغة المثقفين ، وهو بذلك لم يحملهم وحدهم المسئولية ، وإنما حملهم ومجتمعهم الذي أرسلهم لينقلوا المعارف والعلوم قبل أن تؤصل اللغة الفصحى في قلوبهم تعليماً وحباً . ويطرح الرفاعي إثر ما يكتب عن وضع اللغة العربية سؤالاً كبيراً مفاده كيف تخرج اللغة

العربية من هذه الوهدة التي طرحت فيها ؟ ولكنه لا يجيب إذ يرى أن الجواب أكبر من أن يتحدث هو وحده عنه وإنما يطالب أن يأتي من دارسين ومتخصصين في هذا الجانب[٤].

---

(١) انظر : " كلمة أخيرة عن أدب العامية "، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨٨ ، (١٤٠٦/٩/١٨ هـ) .

(٢) انظر: " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤١٥١ ، (١٤٠٤/٥/٨هـ) .

(٣) " إنهم يرطنون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٢٠ ، (١٤٠٦/٣/٢٧ هـ).

(٤) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

٣ - مسألة التعريب

ويقصد بها تعريب المصطلحات وتعريب العلوم التي تدرس بغير العربية كالطب ، والهندسة وغيرها . وقد أخذت هذه القضية في العصر الحديث اهتمام كثير من المفكرين والمثقفين المهتمين بمستقبل هذه الأمة والحريصين عليها .

والرفاعي ممن ناقش هذه القضية ، فكتب مؤيداً ومشاركاً هذه الدعوة علها تأخذ طريقها إلى حيز التنفيذ .

وهو وإن أكثر الحديث عن هذه القضية ، فحديثه في الغالب تعقيب وتعليق على حديث أصلي ؛ إذ الرفاعي - كما هو معروف - ليس من المختصين في الطب أو في العلوم التجريبية ، فيدرك مداخل المشكلة ومخارجها ، ويعلم مايمكن أن يقال من صواب أو من خطأ عن هذه القضية، ولكن ومن دافع حماسته وولائه لأمته ولغته يعلم أي خطورة تنتظر الأمة من ترك هذه العلوم بلغتها. فلن تتأصل هذه العلوم عند العرب ما لم تعلم بلغتهم ، ولن يجيد أبناء العرب لغتهم ولن يحذقوها ما داموا يدرسون بلغة الأجانب .

فمن ذلك قوله بعد إيراد قول الدكتور : زهير السباعي[١] : "إن نسبة المصطلحات بين المفردات التي يستعملها الطبيب لا تزيد على ١٥٪ وأغلبها مترجم أو معرب[٢] قال : "وقد افترضت .. أن نسبة المصطلحات ٧ ٪ وهي نسبة ضئيلة . لا تحول دون إقدامنا على تحويل دراسة الطب إلى اللغة العربية"[٣]. والعقبة الحقيقية التي تقف أمام التعريب في نظر الرفاعي هي (التهيب) من شيء لم نألفه ، وإذا اجتزنا هذه العقبة ، فإنا سنجد ماوراءها أكثر يسراً وسهولة.."[٤].

---

(١) زهير بن أحمد السباعي (١٣٥٨ هـ -) ، ولد بمكة المكرمة وحصل على الدكتوراه من الولايات المتحدة ، عمل في عدد من الوظائف الحكومية الطبية ، وله آثار منها : صحة الأسرة، (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج ٢ ، ص ٣٢) .

(٢) " فلتكن الخطوة الأولى " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٦٤ ، (١٤٠٨/١/٢١ هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدرنفسه .

وهو يرى التعجيل بتعريب العلوم ولو لم نأخذ الأهبة التامة لذلك ، لأنه يخشى ألا نأخذ الأهبة أبداً ولا نقوم به أبداً ، وكيف سنأخذ الأهبة والعلوم كل يوم في جديد ؟![1].

ب - الكتاب السعودي

الكتاب هو عدة الحضارة ومنطلق مسيرتها ، وبه ينتشر العلم ، وتتسع الثقافة ، ولا أدل على تطور أمة من الاهتمام بالكتاب والحفاوة به .

وقد كان الكتاب السعودي في بداية النهضة يشكو من التخلف في الشكل والمضمون وحين نهض التعليم في هذه البلاد خطا الكتاب خطوات نحو الأمام في مضمونه وشكله ، واستطاع أن ينافس غيره من الكتب التي تصنع في البلاد العربية الأخرى .

إلا أن هناك مشكلات أخرى وقفت عقبة أمام انتشار الكتاب السعودي ، وجعلته قابعاً في مكانه لا يستطيع أن يخترق جدران عزلته ، وقد بحث هذه المشكلة كثير من المعنيين بالثقافة والعلم .

وحيث إن الرفاعي من المعنيين بالكتاب وتوزيعه ، فقد بحث الأمور التي قد تكون سبباً في عدم انتشار الكتاب ، ورأى أن المشكلة تكمن في عدم توزيع الكتاب السعودي ، وعدم معرفة الناس به في داخل المملكة وفي خارجها[2].

وأما أسباب ذلك فعديدة يأتي في مقدمتها ارتفاع ثمنه ، الذي يجعله عاجزاً عن تخطي الحدود المحلية ، لا سيما إذا ما قورن بالكتاب المصري أو اللبناني . وهذا سيقلل الإقبال عليه[3].

ويرى الرفاعي أن ارتفاع سعر الكتاب غير راجع إلى جشع الطابعين أو الناشرين ، وإنما عائد إلى تكلفة صناعة الكتاب محلياً ، حيث الورق مستورد ،

---

(١) انظر : " التعريب حياة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٦٩٣ ، (١٤٠٨/٩/١٤ هـ) .

(٢) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٦٧ ، (١٤٠٤/٢/١٣ هـ) .

(٣) انظر : " الكتاب .. هو الحضارة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٢٢ ، (١٤٠٩/١١/٣٠ هـ) .

والمطابع مستوردة ، والأيدي العاملة هي الأخرى مستوردة ، واستيراد هذه الأمور جميعاً يرهق أصحاب المطابع ومن ثم يرتفع سعر الكتاب .

وحين يريد الكتاب أن يخرج خارج هذه البلاد فإن الأمر يختلف ؛ إذ يزداد الكتاب غلاءً من أجور الشحن التي تؤخذ على الكتاب المصنّع محلياً[1]. ومهما حاولنا في نشر الكتاب فلن نصنع شيئاً مادام أصل المشكلة لم يحل .

وقد اقترح الرفاعي عدة اقتراحات يرى أنها كفيلة بنشر الكتاب وهي:

١- السعي لتخفيض تكلفة صناعة الكتاب ، وذلك بدعم الدولة له[2].

٢- إيجاد شركة نشر كبيرة تتكفل بنشر الكتب في مختلف مناطق المملكة ، فلا تترك مدينة ، ولا قرية إلا وصلها الكتاب[3] .

٣- وضع أجور الشحن عن الكتب المصنعة محلياً لتصل إلى الدول العربية[4].

٤- إقامة دار أو مؤسسة تعاونية تنسق بين دور النشر ، بحيث يكون لهم في المعارض ركن واحد ، تجتمع فيه الدور ، ويكون فخماً أنيقاً ، يعطي صورة جيدة عن حقيقة النهضة الثقافية في المملكة[5].

وإذا كان الرفاعي يعتذر في كثير من مقالاته عن حديثه حول النشر ومتاعبه، وعن الكتاب ومشكلاته[6]، لأنه ممن يخصهم الأمر بوجه من الوجوه ، فإننا نحمد له حديثه ذاك ، وللسبب ذاته ، إذ لو لم يكن ممن يخصهم الأمر لما جاء حديثه حديث المجرب العالم ببواطن الأمور ، ولما استطاع أن يحدد المشكلة بأبعادها المختلفة ، ويأتي بالحلول المناسبة .

فلو لم يكن مجرباً لاكتفى بالتساؤلات وطرح الإشكالات ، وأسند الحل إلى غيره

---

(١) المصدرنفسه .

(٢) انظر : " عن الكتاب .. أقول : أدركوا الكتاب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٩ ، (١/٣/١٤٠٧هـ) .

(٣) انظر : المصدر نفسه .

(٤) انظر : " الكتاب .. هو الحضارة " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

(٥) انظر : المصدر نفسه .

(٦) انظر : " عن الكتاب ..أقول : أدركوا الكتاب .."، مصدر سابق ، و" محطات " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

من المختصين ، ومع ما في طرح الأسئلة من فائدة فإننا لا نكتفي بها من كاتب منصف ، موضوعي مثل الرفاعي .

وقد انفردت المقالة العلمية من بين المقالات الأخرى بتطورها العددي خلال مراحل المقالة الأربع . فقد كان عددها في المرحلة الأولى (٢٩) مقالة ، ثم زاد في المرحلة الثانية إلى (٥٣) مقالة ، ثم زاد في المرحلة الثالثة فأصبح (٨٤) مقالة ، وفي المرحلة الرابعة كاد أن يبلغ ضعف المرحلة التي قبلها إذ كان عددها (١٤٢) مقالة .

وانفراد المقالة العلمية بالازدهار في كل المراحل دليل على ازدياد ميوله العلمية وتجافيه عن العمل الصحفي .

٤- المقالة الدينية

كتب الرفاعي المقالة الدينية كما كتب الأدبية ، والاجتماعية ، والعلمية، وتأتي المقالة الدينية بعد المقالة العلمية من حيث الكثرة ، أي في الدرجة الرابعة من المقالات ، وقد بلغ عدد مقالاتها (٧٦) مقالة .

وكان أول مقالة دينية له بعنوان (رائحة الجنة) نشرت في مجلة الحج في المحرم ١٣٦٧ هـ ، أما آخر مقالة فهي (خواطر حول رمضان) نشرت في مجلة المنهل في رمضان ١٤١٣ هـ .

وكانت المرحلة الأولى هي المرحلة التي كثرت فيها المقالة الدينية حيث بلغ عددها (٤٣) مقالة ، تليها المرحلة الرابعة التي بلغت المقالة فيها (٢٠) مقالة .

وأهم الموضوعات التي كتب عنها هي :

أ - الحج

كتب الرفاعي عدة مقالات يتحدث فيها عن الحج وأغراضه السامية، ومعانيه العظام ، فالحج عنده معرض كبير يعرض فيه المسلمون حالاتهم ، وحيواتهم نعيماً ، وبؤساً ، وجهلاً وعلماً[1]، وهو أيضاً مؤتمر عام كبير" يجتمع فيه المسلمون من كل

(١) انظر : " من معاني الحج .. " ، مجلة الحج ، ج ٩ ، (ربيع الأول ١٣٧٢ هـ) .

مكـان بعضـهـم إلى بعض ، فتـتـاح فـيـه فـرص كـثـيـرة للتعـارف ، والتـذاكـر ، وتبادل الآراء[١].

واجتمـاع الحجيج في مكان واحد ووجهة واحدة وزي واحد "يشير إلى ضرورة الوحدة ، وأن ترتكز هذه الوحدة على هذا الدين وحده"[٢].

ويرى الرفاعي أن (الحاج) لقب تشريف ، حيث إنه استكمل مقومَات دينه بالحج فمن " واجب المسلمين في كل مكان من بقاع الأرض .. أن يكرموا حامل هذا اللقب وأن يعطوه حقه من التجلة"[٣]. وكما أن هذا اللقب لقب تشريف فإنه لقب تكليف ومسئولية ، فيجب على الحاج أن يستشعر هذه المسؤولية فيزود ثقافته الدينية فقهاً في الدين ، وفهمـاً للقرآن"، وهو عندمـا يفعل ذلك .. يعرف أن في مقدمة واجباته أن يدعو إلى اللـه عـز وجل ، وأن يدعو إلى دينـه ، وأنْ يدعو إلى جمع كلمة المسلمين[٤].

ويلتمس الرفاعي سبباً لمجيء الحج في آخر العام ويرى أنه بمثابة الحساب النهائي الذي يعرف الإنسان فيه ما له وما عليه[٥].

وتناول موضوعات أخرى عن الحج كذكرياته عن الحج[٦]، أو ذكريات الحجاج ، ماذا ستكون ، وكيف ستكون عن البلد الأمين[٧].

وإذا تأملنا مقالاته عن الحج نجده تناول فيها قضية واحدة ، ركز عليها وهذه القضية كيفية الاستفادة من الحج في التوعية الإسلامية ، وفي توحيد البلاد الإسلامية ، وهو في مقالاته كلها يدور حول هذه القضية الوحيدة ، فلم نره – مثلاً

---

(١) انظر :" الحج وفرص التوعية " ، ١٣٩٣/١١/٢٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " الحج .. والدعوة الإسلامية :فكرة اليوم "، ١٣٨٥/١١/٣٠هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي.

(٣) " الحاج .. لقب تشريف ومسئولية :فكرة اليوم " ، ١٣٨٥/١١/٣٠هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر : " في الحج " ، ١٣٩٢/١١/٢٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) انظر : " مشاهدات من مكة ويوم التروية " ، المجلة العربية ، الأعداد ١٧٠ ، و١٧٢ ، و٢١٧ ، و٢١٨، و ٢١٩ ، و٢٢٠ .

(٧) انظر : " ذكريات الحج : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

- يتحدث عن البدع التي تنتشر في البلدان الإسلامية التي يأتي منها الحجيج فينبه عليها ويحذر منها ، ولم نره يتحدث عن الأخطاء التي يقع فيها الحجاج في عباداتهم ومناسكهم .

وقد يكون إعراضه عن هذه الموضوعات نابعاً من رغبته عن استثارة الآخرين ، ممن رسخت هذه البدع ومحبتها في أذهانهم وتيقنوها جزءاً من الشرع ، وهذا الهاجس إن صح فإن الرفاعي يكون مفرطاً في مسئولية الأديب التي هي العمل على إصلاح المجتمع .

ب - الدعوة الإسلامية

تحدث الرفاعي عن الدعوة الإسلامية من عدة جوانب ، ورأى أن السبيل المناسب لدخول الناس في الدين ، ولنجاح الدعوة هو تعليمهم اللغة العربية ؛ وذلك في البلدان الإسلامية الأعجمية أولاً ليفهموا القرآن ، ويدركوا مراميه ، وفي بلاد غير المسلمين ثانيا[1].

وأكد أهمية تنظيم الدعوة الإسلامية ، وذلك "بإيجاد منظمة إسلامية كبرى غايتها العمل على نشر الدعوة الإسلامية نشراً واعياً"[2]، وأكد - أيضاً - ضرورة استخدام وسائل العصر للدعوة كالصحف والمطبوعات والإذاعة وغيرها[3].

ومن أكبر الأسباب الداعية إلى الإسلام في نظر الرفاعي ما يمتاز به الإسلام من مساواة بين الناس جميعاً في الواجبات والحقوق ، بغض النظر عن فوارق اللون ، والعرق ، والجنس ، وقد كان لهذه الخاصية أثر كبير في إقبال الناس على الإسلام في القديم وفي الحديث[4] .

---

(١) انظر : " لكي تنشروا الإسلام انشروا العربية " ، مجلة الحج ، ع ٥ ، (المحرم ١٣٧٠ هـ) .
(٢) " تنظيم الدعوة الإسلامية "، مجلة الحج ، ج ٧، (المحرم ١٣٧٧ هـ) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) انظر :" المساواة من عناصر انتشار الإسلام " ، ١٣٨٣/١/٢٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي، و"كيف ينتشر الإسلام في العصر الحديث " ، ١٣٨٣/٢/١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

جـ - الصيـــام

وللرفاعي في الحديث عن شهر رمضان عدة أحاديث فهو "شهر ذو شخصية يؤثر في حياتنا ... ويحورها ، ومن هنا كانت شخصيته التي ينفرد بها ولا يدانيه فيها أي شهر آخر .."[١].

ورمضان في نظره موسم امتحان أو تفتيش "تفتيش ديني ، وتفتيش صحي ، وتفتيش لمدى قوة الإرادة ، وتفتيش ثقافي ، وتفتيش اجتماعي ، وتفتيش خلقي..."[٢] ، وهو موسم للعبادة وحفظ القرآن ، وللتعلم والتعليم ، والجهاد .

ويتحدث عن تعامل الناس مع رمضان ؛ إذ بعضهم قد أحال هذا الشهر شهر نوم وأكل وشرب ، غير ناظرين للحكمة من فرض هذا الشهر[٣].

ويلح الرفاعي على ضرورة تأليف موسوعة رمضانية تدون ما يتعلق بشهر رمضان من أحداث ، وعادات وتقاليد "كمواليد عظماء الرجال ، وأشعار الشعراء ، وسهرات الأدباء ، والتقاليد ، والطرائف ، والأطعمة المميزة"[٤]، وتتبع هذه الموسوعة ترتيب المعاجم " على حروف الهجاء .. فيكون الحديث عن (مدفع رمضان) في حرف الميم مثلا و(كعك العيد) في حرف الكاف"[٥].

وتحدث الرفاعي عن موضوعات أخرى كثيرة جاءت متفرقة في مقال واحد أو مقالين . من ذلك حديثه عن السيرة النبوية ، وما كتب عنها في القديم والحديث . وفي رأيه "أن السيرة النبوية .. لم تُخدم كما ينبغي ... ولم يتوفر عليها باحثون أكْفَاء متخصصون ، ليعطوها حقها من البحث العميق ، والاستقصاء الشامل ، والتمحيص الدقيق والشمول الذي يتناول شتى جوانب شخصية الرسول الكريم صلى

---

(١) " لكل شهر : شخصية " ، ١٣٧٩/٨/١٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، وانظر : " البحث عن موسوعة رمضانية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣٤٥ ، (١٤٠٧/٩/٢١ هـ) .

(٢) المصدر نفسه.

(٣) انظر : " خواطر حول رمضان " ، مجلة المنهل ، العدد ٥٠٣، (رمضان ١٤١٣ هـ) .

(٤) " البحث عن موسوعة رمضانية " المصدر السابق .

(٥) المصدرنفسه .

الله عليه وسلم"[1].

ويرى الرفاعي "أن أمثل كاتب .. تناول السيرة النبوية الشريفة بالبحث لا بالتلخيص ، هو الدكتور (محمد حسين هيكل) رحمه الله في كتابه المعروف (حياة محمد)"[2].

وعرض لقصة الغرانيق فتناولها في عدة مقالات مفنداً القصة من منظور نقلي من كتب التفسير والحديث والسيرة ، ومن منظور عقلي حيث إن هذه القصة لا يمكن أن تجوز عقلاً على النبي صلى الله عليه وسلم[3].

وتحدث عن التاريخ الهجري والبواعث التي دفعت إلى اتخاذ الهجرة بداية التاريخ الإسلامي ، وجعل منها ما أحدثته الهجرة من تغيير يكاد يكون شاملاً في الحياة الإسلامية الوليدة ؛ إذ كانت " انقلاباً جدياً في الحياة الإسلامية ، (حيث) تحررت نفوس المهاجرين مما كانت تشعر به من قيود ، وقلق وتضييق للحريات"[4].

ويلوم الرفاعي من يعتمد التاريخ الميلادي تاركاً الهجري وراء ظهره ، ويخص المسلمين بهذا اللوم ، ويطالبهم بالوفاء لدينهم الذي رفعهم ، وخلد ذكرهم[5].

وتحدث عن سوى هذه الموضوعات ولكن باقتضاب ، من ذلك تحذيره من بعض الكتاب الذين يحاربون الإسلام من أمثال (أدونيس) و(يوسف الخال)[6]، و(لويس عوض)[7].

---

(١) " عن مسيرة السيرة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٣٣ ، (١٤٠٧/٥/٢٦ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : " الغرانيق عند وعاة المفسرين " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٣١ ، (١٤٠٩/٨/٢٧ هـ)، و"ماذا قال الدكتور هيكل " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٢٤ ، (١٤٠٩/٨/٢٠ هـ) ، و" الرجل الذي ما ضل وما غوى " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠١٧، (١٤٠٩/٨/١٣ هـ) .

(٤) " التاريخ الهجري .. أين هو من عالمنا الإسلامي"، مجلة الحج ، ج١٠، (ربيع الآخر ١٣٧٢هـ) .

(٥) انظر : " ولم يقولون : قالوا .. وقلت : ولماذا يقولون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٢٠ ، (١٤١٠/٣/١٠هـ) .

(٦) انظر : " قبس من القبس " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٣٥ ، (١٤٠٩/٢/٨هـ) .

(٧) انظر : " طبعة مزيدة من سلامة موسى"، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤ هـ) .

٥- مقالات أخرى

أ - المقالة السياسية

تُعنى المقالة السياسية بالقضايا الطائفية ، وبالقضايا الدولية الخارجية ، وبالمعارك ضد الاستعمار[١]. فهي إذاً لا تنبت وتزدهر إلا في البيئات التي يكون فيها مثل هذه التحزبات الطائفية ونحوها . أو هي ميدان للاستعمار الخارجي حيث يكون الخصام والجدل ، والمدح والذم .

ولو نظرنا إلى واقع الحجاز لوجدناه خلواً من ذلك ، فنوع الحكم ملكي لا يسمح بوجود الأحزاب ، والحكم العام الشريعة الإسلامية ، فلا تسمح الدولة بالاحتكام إلى غيرها .. يضاف إلى ذلك الاستقرار الذي عرفه سكان الحجاز منذ دخولهم تحت الحكم السعودي حتى الآن ، فلا انقسامات ولا حروب داخلية أو خارجية .

وقد عمل (هذا) وغيره على قلة المقالة "السياسية"[٢]. في الأدب السعودي، وأكثرها مشاركات من الأدباء السعوديين لإخوانهم في البلدان العربية الذين قاسوا وطأة الاستعمار ، أو الإخوة الذين يعيشون تحت ذل اليهود في فلسطين .

والرفاعي من بين الأدباء السعوديين الذين شاركوا إخوانهم في هذه الأحداث ، فكتب عن القضية الإسلامية في فلسطين ، وعن القضية الجزائرية وعن قضايا العالم الإسلامي أجمع .

فمما كتب عن فلسطين مناداته بأن لا ننسى القضية الإسلامية في فلسطين ، وأن نربي أبناءنا عليها "نعم نريد أن نلقن أبناءنا إن فلسطين جزء من صميم بلادنا ، وأن أهلها وسكانها هم أهلنا وإخواننا وبنو عمومتنا ، وأن يهود الطاغية احتلت هذه البلاد ، وطردت أهلها ..عراة ، جوعى ، ومرضى ..."[٣].

---

(١) انظر : المقال وتطوره في الأدب المعاصر ، ص ٧٨ .

(٢) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، ج ٢ ، ص ٦٤٣ .

(٣) " يجب أن لا ننسى " ، مجلة الحج ، العدد ٩ ، (جمادى الأولى ، ١٣٧٠ هـ) .

وكتب في مقال آخر يدعو إلى وضع خطة لمستقبل فلسطين : "يجب أن تكون لنا خطة للمستقبل نبدأها اليوم بعد أن نعتقد بوجاهتها ، ونثق أو نضمن نجاحها .

لا ضير في أن نبدأ بالنظريات مادمنا قادرين أو مصممين على أن نمزج النظريات بالعمل ..."[١].

ودعا العالم الإسلامي أن يتجه إلى القوة في حل مشكلاته "فالكلمة العليا للقوة وأمام القوة العاتية ينكمش كل ما حفل به الإنسان القديم من مثل ومعنويات ، فإذا أراد العالم الإسلامي اليوم أن يمثل مركزاً سياسياً محترماً ؛ وأن يكون له رأي في توجيه السياسة العالمية ، وأن تكون له في نفوس الطغاة رهبة وهيبة ، فليواجه منطق الحياة اليوم وواقعها .."[٢]. وكتب عن القضية الجزائرية ، وندد بالسكوت العالمي على الظلم الذي تقوم به فرنسا مع وضوحه[٣].

كما تناول قضية الدستور الإسلامي بالدراسة ، والتأصيل ، في إحدى عشرة مقالة مسلسلة ، تحدث فيها عن تطبيق الدستور الإسلامي ، فذكر أنه طبق أول ما طبق في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ثم في عهد عمر بن عبدالعزيز[٤]. كما ذكر أن هذا الدستور يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمصدر الروحي الكتاب والسنة الذي يضمن له البقاء ، والاستمرار[٥].

وتحدث عن قيمة التوجيه في الدستور الإسلامي[٦]، كما تحدث عن مساوئ استعارة الدساتير الغربية والشرقية ، وفوائد الأخذ بالدستور الإسلامي[٧].

---

(١) " ما هي خطتكم لمستقبل فلسطين ؟ " ، مجلة الحج ، العدد ١٠ ، (جمادى الآخرة، ١٣٧٠ هـ) .

(٢) " فليتجه العالم الإسلامي إلى القوة " ، مجلة الحج ، العدد ٦ ، (صفر ١٣٧٠هـ) .

(٣) انظر : " قصة كفاح الجزائر في الوجدان العربي " ، ١٧/ ١٣٧٩/١٠ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٤) انظر : " عندما طبق الدستور الإسلامي " جريدة البلاد ، العدد ١٢٢٨ ، (١٣٨٢/٩/١٢ هـ) .

(٥) انظر : " الدستور الإسلامي.. والتوجيه " ، جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٣ ، (١٣٨٢/٩/١٨ هـ) .

(٦) انظر : " الدستور ... والمستند الروحي " جريدة البلاد ، العدد ١٢٢٩ ، (١٣٨٢/٩/١٣ هـ) .

(٧) انظر : " الدستور .. والماضي .. والمستقبل "، جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٧، (١٣٨٢/٩/٢٣ هـ)، و"النتائج الطيبة ، جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٨ ، (١٣٨٢/٩/٢٤ هـ) .

كما تحدث عن تنظير الدساتير في التاريخ الإسلامي في خطب الخلفاء الراشدين وعند ابن خلدون[1].

ويظهر أن الرفاعي كتب هذه السلسلة مبصراً الناس بقيمة الاعتماد على الكتاب والسنة في الحكم ، وبمضار الاعتماد على الدساتير الغربية التي استعارتها بعض الدول العربية ، وداعياً إلى التمسك بهذا الحبل المتين .

ولا تمثل المقالة السياسية اتجاهاً عاماً عند الرفاعي ، وإنما هي كتابات متناثرة يشارك بها إخوانه في العالم الإسلامي ، بالدعوة إلى رفع الظلم انطلاقاً من عواطفه الإسلامية الجياشة دون أن يكون لهذه النداءات خلفية تنظيرية سياسية ينطلق منها . وقد يكون لعمل الرفاعي الحكومي أثر في انصرافه عن المقالات السياسية وتقليله منها ، حتى لا تؤخذ هذه المقالات مأخذ التصريحات السياسية ، ومأخذ البيانات المسئولة ، وأغلب مقالاته السياسية كانت في المرحلتين الأولى والثانية من مراحل المقال ، أما المرحلتان الثالثة والرابعة فقد اختفى فيها المقال السياسي أو كاد . ومما يلفت الانتباه أن الرفاعي لم يؤثر عنه أي مقالة عن حرب الخليج الثانية ، مع كثرة ما أثارته من أقلام ومن وجهات نظر .

ب - مقالة السيرة الذاتية

تمتاز مقالة السيرة بطابعها الخاص الذي تختلف فيه عن مقالة الترجمة ، وعن مقالة الصورة الشخصية . فالترجمة تعنى "بجمع المعلومات وتنسيقها وعرضها عرضاً علمياً واضحاً ... يتوارى (فيه الكاتب) خلف موضوعه"[2].

والصورة الشخصية "حديث عن شخصية من الشخصيات البارزة في المجتمع ، تتناولها بالوصف والتحليل الخفيف"[3].

---

(١) انظر : " الدستور في التاريخ الإسلامي " ، جريدة البلاد ، العدد ١٢٥٥ ، (١٣٨٣/١٠/٢٠ هـ) و" الدستور في خطب الخلفاء الراشدين "، جريدة البلاد ، العدد ١٢٥٧ ، (١٣٨٢/١٠/٢٣هـ)، و"نظرية الدستور عند ابن خلدون " ، جريدة البلاد ، العدد ١٢٧٦ ، (١٣٨٢/١١/١٥ هـ) .

(٢) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ، ص ١١٧ .

(٣) الدكتور عبدالقادر رزق الطويل . المقالة في أدب العقاد .- الطبعة الأولى .- (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م) ، ص ١٧٢ .

أما مقالة السيرة فتصور موقفاً إنسانياً خاصاً من شخصية إنسانية[1]، ولابد في مقالة السيرة من الترتيب الزمني للمواقف التي في المقال ، ولابد أيضاً أن تعنى بالمواقف المهمة ، والمعضلات ، والشدائد ، وأن تركز على الشخصية الإنسانية .

وهذا يعني أن مقالة السيرة تتميز عن مقالة الترجمة بإضفاء الكاتب ذاته على المقالة ، والمعلومات التي فيها ، مبعداً سلطان العلم وموضوعيته عنه ، وتتميز عن مقالة الصورة الشخصية بأخذها جزءاً واحداً من أجزاء الشخصية كلها ، وبترتيب الأحداث ترتيباً زمنيًا.

وإذا كان الكاتب يتحدث عن نفسه فهي سيرة ذاتية ، وإذا تحدث عن غيره فهي سيرة غيرية[2] .

وكثيراً ما تحدث الرفاعي عن ذكرياته ؛ بل إنه يكاد لا يدع مقالاً من مقالاته الصحفية إلا وأدخل فيه شيئاً من ذكرياته القديمة ، ولكن كثيراً من هذه المقالات لا تدخل تحت مصطلح السيرة ، فهي لا تلتزم بالترتيب الزمني للأحداث، ولا تعنى بالمواقف المهمة ، ولا العقبات والشدائد التي مرت بها الشخصية ؛ وإذا كان يتحدث عن شخصية أخرى فإنه لا يخلص الحديث عن هذه الشخصية[3] ؛ ولأجل هذا كله فإن مقالة السيرة قد قلت عنده .

ومن المقالات التي تقترب من هذا النوع ما كتبه تحت عنوان (عندما ترحل الكتب)[4] و(ذكريات مكتبة) التي ذكر فيها قصته مع الكتب وأول مكتبة في حياته وكيف تدرج في شراء الكتب ، وذكر فيها قصة انتقال مكتبته من مكة إلى جدة ، ثم الطائف ، والرياض . ومن ذلك ماقاله في (ذكريات مكتبة): "لم يكن لي وأنا صبي خزانة كتب أستطيع أن أضع فيها كتبي الأولى .. وهي كتب عجيبة لا يكاد يجمعها رابط ، فإلى جوار كتاب "القراءة الرشيدة "وإخوته من الكتب

---

(١) انظر : محمد يوسف نجم . المصدر نفسه .

(٢) انظر : المعجم المفصل في الأدب ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ .

(٣) انظر : الأمثلة التي وردت في المقالة الأدبية في الحديث عن الشخصيات ص ١٧٦ .

(٤) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٩ ، (١٤٠٩/٢/٢٢ هـ) .

المدرسية .. كان هناك كتاب غريب .. نصفه نكات أبي نواس، والنصف الآخر مجموعة من شعره ، سمتها المطبعة الناشرة ديوانه.."[1].

ومن المقالات التي تحدث فيها عن سيرته ، (أنا والجائزة) فقد تحدث فيها عن طفولته ، ونشأته ووقف عند الحدث الذي بدل حياته ونقله من الكسل إلى الجد ، فيقول: "حتى إذا فرغ من شرحه .. التفت إلى طلابه يسألهم .. واختار سؤالاً معيناً وقال :من يجيبني على هذا السؤال وله مني جائزة ؟ ... فلما رأيت الصمت قد هيمن ..تاقت نفسي إلى الجائزة .. لم لا .. ؟ وأنا أعرف الجواب ورفعت إصبعي متردداً .. مرتعشاً .. ورأى المدرس إصبعي الصغير.. يتراوح انخفاضاً وارتفاعاً .. فالتفت إليّ : أنت ؟ مستغرباً ، مستعجباً .. قلت في صوت خفيض مرتعش : نعم أنا ، وقال وكأنه لا يصدق أذنيه ، قل : فقلت ... فكان ماقلت الصواب ..."[2].

والرفاعي لا يكثر من التحليل في مقالة السيرة ، ولا يعتمد التشويق والإثارة ، وإنما يصور الواقع بدقة دون خلطه بالخيال ، مع العناية بوصف الزمان والمكان والحالة التي عليها ، ويحاول أن ينقل الموقف كما هو بظلاله ليكون ذا تأثير على القارىء وغير تارك الأشياء الدقيقة التي تزيد المشهد وضوحاً ، وبياناً كقوله : " رفعت إصبعي .. متردداً .. مرتعشاً .. ورأى المدرس إصبعي الصغير .. يتراوح انخفاضاً وارتفاعاً .."[3].

وكقوله في وصف ذهابه إلى جدة يودع بعض أصدقائه المبتعثين إلى مصر في مقالة (رحلة .. إلى الفنادق)[4]: "كان ذلك في أوائل العقد السابع الهجري .. من القرن الذي انصرم .. فقد قررت (مديرية المعارف) أن تبعث عدداً من خريجي المعهد العلمي السعودي ، دونما تقيد بتاريخ التخرج .. للدراسة في مصر ، مع إخوانهم

(١) " ذكريات مكتبة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥هـ) .

(٢) " أنا والجائزة " ، مجلة المنهل ، مج ٥٣ ، العدد ٤٩٠، (صفر ١٤١٢ هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٩٥ ، (١٤٠٦/٩/٢٥ هـ).

خريجي مدرسة تحضير البعثات .. وكان أولئك النفر من المعهديين أصدقائي كلهم جمعتنا زمالة المعهد ، ثم صداقة الزمالة...".

ثم يواصل سرد الأحداث إلى أن يصف الغرفة التي سكنوها في أحد فنادق جدة " خصصت لي ولبعض أصدقائي غرفة واسعة .. هي عبارة عـن (مجلس) مستطيل ، فالمبنى أحد الدور الكبيرة في جدة ، ولم يبن ليكون فندقاً وإنما ليكون منزلاً سكنيًا وضعت في الغرفة ثلاثة سرر .. من السرر الحديدية العادية ذات (اليايات) ، وعليها أغطية بيضاء وخصص لي أحد هذه السـرر..." ، أكمل بعد ذلك وصف حاله في تلك الليلة إذ كانت المرة الأولى في حياته التي يستعمل فيهاسريراً للنوم ، فيقول : "شعرت أن تحتي (أجهزة) متحركة لاتستقر .. ولكنني حاولت أن أتذرع بالثبات .. فتقلبت ذات اليمين وذات الشمال .. ولكن دونما جدوى .. فقد كانت الحركة تحتي مستمرة.. تتحرك معي ..." .

وانظر قوله " مستغرباً متعجباً " فهو يتابع اللفظتين لينقل الحادثة بظلالها ، وفي سوى هذا فهو يعتمد على السرد وذكر الأحداث دون المبالغة أو النقصان .

جـ - المقالة الوصفية

إنها من أهم أنواع المقالة الذاتية ، حيث تقوم على دقة الملاحظة في النقل وعلى التعاطف العميق مع الطبيعة وعلى اللغة الجميلة العذبة الرشيقة[1]، ويرى بعض النقاد قصر المقالة الوصفية على تصوير الطبيعة والتفاعل معها[2]. وقد يكون في هذا تضييق لها ، ولمفهومها العام الذي يعتمد وصف ماتقع عليه العين من الحياة والأحياء كالغرفة مثلاً ، فقد يكون الإنسان في غرفة فيصفها ويضفي عليها شيئاً من مشاعره وذاته ، وكالمشاعر التي تعتلج في ضمير الإنسان ، فقد يصفها فتأتي أجمل من القصيدة الغنائية التي يكتبها شاعر ولهان . فالمقالة الوصفية تشمل هذا

(١) انظر : فن المقالة ، ص ١١٤ .

(٢) انظر : المصدر نفسه .

كله بشرط اللغة الجميلة الموحية ، والعبارة المنتقاة ، والأسلوب الرشيق. ولا يعني هذا أن ننكر صلة الطبيعة بالمقالة الوصفية ، فهي ذات علاقة كبيرة ، ولكننا لا نحصرها في الطبيعة .

ولأن المقالة الوصفية مقالة ذاتية في المقام الأول ، قلما نجد مقالة تامة قد خصصت لهذا الغرض وإن كنا لا نعدم هذا اللون . فهي غالباً ما تأتي "تقدمة لموضوع يكمن خلف التصوير الأولي"[1]. وهذا هو ما نجده عند الرفاعي ، فهو أديب وصّاف يعتمد على الوصف في كثير من مقالاته ، إلا أنه لا يقصده لذاته بحيث يخصص له المقالات ، وإنما يأتي به مقدمة للغرض الأصلي . ومما خصصه للمقالة الوصفية مقالة بعنوان (على الشاطئ) يصف فيها الشمس: "دلفت إلى البحر ، تدعوها مياهه الدافئة ، وتخلبها زرقته الهادئة ، وتشوقها أسراره ... وكانت تمشي بخطى وئيدة ، وانية بعد مسير طويل متواصل أفنى جهدها . وتعرت .. وانطلقت إلى الشاطئ البعيد ، وكأنها تخشى الرقباء ، وتحاذر فضولهم ، ولكن أعين هؤلاء ظلت تتابعها .. فاحمرت وجنتاها ... بل التهبتا ... وكسى لون الدم جسمها الفاتن .. "[2] .

وكما وصف الرفاعي الطبيعة فقد وصف غيرها ، فأحسن في ذلك ؛ إذ كان يعرض مشاعره في تلك الزوايا التي يلتقطها التقاطاً مناسباً فيجعل منها لوحة للتأمل والحياة تدل على الحس الرائع والقدرة على التصوير واستبطان الأشياء ، والغوص فيها. يقول في إحدى مقالاته : " أثارني منظر طفلة وقفت عند جام الحلوى تتأملها بطموح أين منه طموح البحر ؟ .. كانت تشير بيديها الصغيرتين إلى كل محتويات الجام في حنو وشوق .. تتمنى أن لو انحازت كل هذه الأنواع الشهية إلى فمها أو انتقلت إلى ملكيتها الخاصة.. ونحن أمام حلوى الحياة ..

---

(١) محمد بن عبدالله العوين . المقالة في الأدب السعودي الحديث ، جزءان .- الطبعة الأولى .- (مطابع الشرق الأوسط ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ، ج١ ، ص ٣٦٧ .

(٢) " على الشاطئ : كل أسبوع " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٤٦ ، (١٣٧٤/١/١٩ هـ) .

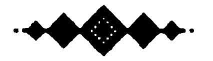
كهذه الطفلة .. نود أن لو انحازت إلينا الدنيا بحذافيرها ... ولا يقف طموحنا عند حد .. إننا أمام مغريات الحياة أطفال.."[1].

ويقول في اليومية نفسها :" كان متماسك الألواح .. يبدو وكأنه جذع دوحة عظيمة ..كان سامقاً حتى لتقول لا أسمق منه ، وكان سميكاً حتى لتقول لا أسمك منه .. كان يحمل على كتفه العريض زريبة كبيرة..ولكنه لا يحس أنه يحمل عبئاً..فهذه الألواح العريضة مهيأة تماماً لتحمل المزيد من الأعباء .."[2].فالقدرة على الوصف والتصوير لا تختص عند الرفاعي بالطبيعة وإنما يتجاوزها إلى وصف الأمكنة ، ووصف الأشخاص ، وهو بهذا كله يمتاز بالدقة في اختيار المشاهد ، والدقة في اختيار اللغة الجميلة الموحية التي تشي لك بما في عمقها دون أي تصريح منها . ويمتاز بالقدرة على إضفاء نفسه ـ وعواطفه على موصوفاته فتأتي ذات حركة متتابعة جميلة .

على أنه قد يفسد هذه الحركة والنغمة الجميلة باعتراضاته وتفصيلاته التي لا مكان لها بهذا الحديث الروحي الشفاف العذب .

وذلك مثل قوله : " كنت كلما أطللت من هذه النافذة .. رأيت الشارع نظيفاً نظافة مزعجة لأنها أكثر من المعتاد .. وكانت الأشجار خضراء .. حواء .. أعني شديدة الخضرة والنضرة " [3].

فتفصيلاته التي يقول فيها : " لأنها أكثر من المعتاد " وأعني شديدة الخضرة " ليس لها مكان في هذا الحديث الذي يعتمد على البث والإيحاء فجاءت إفساداً لأمر واضح أولاً ، وقطعت الشعور الذي يشمل الفقرة .



---

(١) " سمك .. ولا " صنارة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٧٣٠ ، (٢٢/١٠/١٤٠٨ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) " ريشة الخريف " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٣٤ ، (٢/٤/١٤٠٨ هـ) .

الفصل الثالث

السمات الفنية في نثره

أولاً : السمات المعنوية

١ - الالتزام الإسلامي . ٢ - الاتجاه التربوي .

٣ - التوثيق . ٤ - الاستطراد والالتزام الموضوعي .

٥ - ترابط الأفكار . ٦ - الذاتية والموضوعية .

٧ - السطحية والعمق ٨ - مدى اتساع الثقافة .

٩ - الارتباط بالتراث .

ثانياً : السمات اللفظية

١ - الألفاظ . ٢ - التراكيب .

٣ - السرد القصصي . ٤ - الحوار .

٥ - الاقتباس والاستشهاد .

السّمات الفنيّة في نثره

أولا : السمات المعنوية

١ - الالتزام الإسلامي

هو صدور الأديب المسلم عن التصور الإسلامي ، وضوابطه في كل ما يكتب ويقول: فلا يخرج في أدبه عن مفاهيم الإسلام ، ولا يأتي بما يعارضها. وهو فعل إرادي اختياري ، يقصد إليه الأديب دون غيره من الاتجاهات الأخرى . ويساعد في تحديد نوع الالتزام ..ثقافة الأديب ، والبيئة التي نشأ فيها.

وقد كانت ثقافة الرفاعي التي بنى عليها قراءاته ثقافة دينية تمثلت فيما مر به من مراحل حياته من تربية وتنشئة ، وبيئة اجتماعية ، ومناهج دراسية ، وقراءات في الفكر الإسلامي قديمه وحديثه ، ولم يخف أثر هذه العوامل في اتجاه الرفاعي فكان أن تميز بالتزامه الإسلامي في فكره ، وأدبه .وملامح هذا الالتزام كثيرة لعل أظهرها :

١ - حرص الرفاعي على الدعوة الإسلامية ومشاركته بها ، وزيارته المراكز الإسلامية خارج هذه البلاد ، وتشجيع القائمين عليها ، والدعوة إلى دعمها والتبرع لها كما في قوله :"هذه الكلمة ليست مجرد وصف لما شاهدته في المركز الإسلامي في بلجيكا" بروكسل "ولكنها إهابة للقادرين على إمداده بتبرعاتهم ، لإعانته على مهامه الخيرية المتعددة التي لا تنحصر في المسجد والتعليم"[1].

---

(١) " هل أدلكم على تجارة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٦٨١ ، (١٤٠٨/٩/٢ هـ) .

وكذلك استغلال المناسبات الدينية في إصلاح الناس وتوجيههم كالحج وشهر رمضان[1] ، وتصوره أن الحل الوحيد لمشكلات العالم هو الرجوع إلى الإسلام ، حيث يقول :"إن العالم يبحث الآن عن علاج لمثل هذه الانهيارات التي أخذت تتداعى .. وهو أيضاً يحتاج مواساة .. إنه عالم مريض .. عالم جريح ، عالم مجنون .. فكيف يتم إنقاذه ؟ .

إن الخطوة الأولى - كما قلت - هي أن نبدأ بأنفسنا وكل مسلم يبدأ بنفسه ، وبداره ، وبأهله ، وجيرانه ، وحيه ، ومجتمعه ، ويعي تمام الوعي تبعته في الإصلاح .."[2].

٢ - الإحساس بالمسؤولية تجاه القضايا الإسلامية والكتابة عنها ، ودعوة الناس إلى عدم نسيانها ، وعد قضايا المسلمين قضيته : ويظهر هذا في كتاباته الكثيرة عن فلسطين - على سبيل المثال - كقوله عن الأطفال الفلسطينيين : "منذ أن ذهبت فلسطين لقمة سائغة للصهاينة ، حتى الآن ... لم أمسك القلم لأكتب كلمة عن العيد ، إلا تخيلت مئات الألوف من الأخوة الفلسطينيين الذين تشردوا في بلاد الله أو ضمتهم الخيام والملاجئ"[3]. وحديثه عن الحرب بين إيران والعراق التي ظلت ثماني سنوات[4].

٣ - دفاعه عن الفكر الإسلامي ، وحربه للتوجهات الفكرية المناهضة له ، كما في مقالاته التي يهاجم فيها سلامة موسى ، ولويس عوض ، ويوسف الخال، وأدونيس ، يقول عن هؤلاء :" وبعد ، أقول هذه عينات ونماذج يسيرة من أعداد كثيرة ، تعمل بجد في حصوننا لتهدمها ، وما (فؤاد أفرم البستاني) و(سعيد عقل) و(يوسف الخال) إلا أفراد يسيرة من فرقة كبيرة تعمل جادة في عملية الهدم .

---

(١) انظر : هذه الجوانب مفصلة في المقالة الدينية ص ٢١٣ من هذا الكتاب .

(٢) جريدة الجزيرة ، " العالم يتقدم إلى الوراء " ، العدد ٥٤٧٨ ، (١٤٠٨/٢/٥ هـ) .

(٣) " أطفال إخواني حرموني العيد " ، مجلة اليمامة ، العدد ٢٢٧، (١٣٩٢/٩/٢٧ هـ) .

(٤) " السلام وبعد السلام " جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٠٠، (١٤٠٩/١/٣ هـ) .

فإلى المخدوعين في هذه الأسماء وأمثالها أهدي هذه التعليقات .. أما الخادعون فيجب أن نعلن عليهم الجهاد الثقافي والفكري .وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

ومثل هذا أيضاً دفاعه عما أثير حول قصة الغرانيق في السيرة النبوية .

ولم يكن التزام الرفاعي بالإسلام مجاراة للبيئة التي نشأ فيها ، وإنما كان يصدر عن إيمان عميق بالإسلام وشعائره ، وإدراك للمعاني الدقيقة التي تحملها أوامر الإسلام ونواهيه .

وإذا كان الرفاعي لم يقصر قلمه طوال حياته للدفاع عن الإسلام وقضاياه ، وإنما وسع اهتمامه إلى قضايا الأدب ، والفن ، فإنه في هذا الاهتمام الواسع لم يأت بما يعارض الإسلام وتصوراته إلا في أخطاء يسيرة لا يكاد يسلم منها أحد ، ولا تعد مقابل هذا الكم من الحسنات التي تجعله من الأدباء الإسلاميين في الصدارة .

٢ - الاتجاه التربوي

يرتبط الاتجاه التربوي بالجانب الإصلاحي ، فهو طريق من طرق الإصلاح يسلكه المصلح من بين طرق عدة توصله إلى الهدف الذي ينشده .

والرفاعي كاتب ذو همّ إصلاحي . رأى أن الكتابة مسؤولية ، وأن حمل القلم أمانة ، فاتجه نحو الإصلاح بما يستطيعه قلمه ويقدر عليه .

ومن خلال تتبع آثاره نجد أن للاتجاه التربوي ملامح عدة تتمثل في أمرين :

الأول : الآراء النظرية حول التربية وفائدتها ؛ إذ يرى أنها السبيل الأمثل للقضاء على الخرافات "فهي وحدها التي تتجه إلى النفس ، وهي التي تستطيع أن تنشىء أجيالاً سليمة ، وهي التي تقضي على ما ترسب في مجتمعنا من تقاليد سخيفة أو من خرافات لا معنى لها"[2] .

---

(١) " قبس من القبس " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٣٥ ، (١٤٠٩/٢/٨ هـ) .وانظر : " طبعة مزيدة من سلامة موسى " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤هـ). و" لست وحدي : كل أسبوع "، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦١٦ ، (١٣٧٣/١٢/٧ هـ) .

(٢) " لنقض على هذه الخرافات " ،١٣٧٩/١/١٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ويرى أن التربية المنزلية وتقديم القدوة الصالحة للشباب هما أهم ما يوجه أخلاق الشباب ، وأن التربية الدينية الواعية لها أكبر الأثر في حماية الشباب من الفساد ، وهي الكفيلة بالوقوف أمام تيار القصص الجنسي الماجن الذي يذكي ذلك الفساد[1]، ويقصد بالتربية الواعية التي" تعرفه بهدي الله وهدي الرسول صلى الله عليه وسلم على بصيرة .. ليكون مؤمناً بصيراً ، أما التربية الدينية المغلقة التي تصدر عن تقليد صامت للأعمال التعبدية دونما شرح للحلال والحرام ، ولمَ كان الحرام حراماً والحلال حلالاً ؟، فقد تؤدي إلى نكسة ، أو قد لا تصمد أمام التيارات الإلحادية التي تموج في العالم اليوم"[2].

ويرى أن عدم التربية الثقافية منذ الطفولة هو السبب في انصراف الناس عن القراءة "فإن الأم عندنا لا تهتم بتدريب ابنها على القراءة وتنشئته على حبها ، والأب لا يعطي القدوة ، ولا يحبب القراءة لابنه أو ابنته .. والمدرس لا يهتم كثيراً بتوجيه طلابه إلى روائع الكتب"[3] .

ويضرب مثلاً بالمجتمع الأوربي الذي "يعنى بتحبيب القراءة عند أطفاله فيشرب قلب الطفل ذلك الحب الذي يلازمه مهما توازعته صوارف الشباب"[4].

وهكذا يرى الرفاعي أن التربية في المنزل والمدرسة تتضافر معاً ، وأنها لا تعني أمراً خاصاً بقدر ما تعني إعداد الفرد الصالح لمجتمعه وحياته . فهو لم يناد بتربية خاصة كالتربية الرياضية ، أو العسكرية ، وإنما كانت دعوته إلى التربية الخلقية ، والدينية ، والثقافية دون تخصيص اتجاه وظيفي أو مسلكي معين .

الثاني : الاهتمام بالطلاب خاصة بالنشء والشباب عامة ، وطرح مشاريع تربوية عملية تسلك للاستفادة من التربية ؛، وذلك بحديثه عن فراغ الطلاب في الإجازة

---

(١) انظر : " لكيلا .. يميع الشباب " ، ١٣٧٩/٥/١٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي.
(٢) المصدر نفسه .
(٣) " أنور العطار .. تحية من الرياض " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٤٧ ، (١٤٠٥/٦/٢٠ هـ)
(٤) المصدر نفسه .

الصيفية فقد اقترح بالإضافة إلى القراءة" إنشاء أندية في كبريات المدن يمكن أن يطلق عليها اسم "أندية الطلاب الصيفية" تعمل بإشراف مشترك من وزارة المعارف والشؤون الاجتماعية تتاح فيها للشباب ألوان من النشاط"[1].

أو بالحديث عن طرق المذاكرة فيجعل مرة التدريس أي تدريسها للآخرين هو الطريقة المثلى لإتقان المادة [2] ويجعل مرة أخرى الأمر " المهم في المذاكرة هو الاستعداد النفسي"[3].

وفي حديثه عن أثر القصة في التربية يرى أنها أسلوب ناجح في التربية والتوجيه[4].

ودعا أيضاً إلى تكريم المتفوقين في جميع المراحل الدراسية[5]، وتحدث عن أثر التشجيع والجائزة في التربية والدراسة ، وذكر قصة الطالب الذي حوله التشجيع والجائزة من الصفوف الأخيرة إلى التقدم والتفوق[6].

ومن صور اهتمامه بتربية الشباب وحدبه عليه تشجيعه على الكتابة في الصحف حتى أوقعه هذا التشجيع في نشر قصيدة مسروقة ظناً منه أنها لأحد الشباب الذين يتصلون بالجريدة ، واستعجاله في نشر القصيدة كان من شدة فرحه بها وبمنشئها[7].

وكذلك حرصه على نشر نتاجهم ، فقد كان أول من نشر في المكتبة الصغيرة غير صاحبها هو أحد الشباب وهو حديث عهد متخرج من الجامعة ، وكان أول من خرق نظامها[8] .

---

(١) " الطلاب والفراغ الكبير " ، ١٣٨٣/١/٢٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) انظر : " درس : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/١٢/٣ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٣) " طريقة المذاكرة " ، ١٣٨٣/١/١٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) انظر : " القصة والتربية : فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٣/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٥) انظر : " تكريم المتفوقين " ، ١٣٨٣/٣/١٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) انظر : " حكاية وأخرى : من يوم ليوم " ، جريدة الرياض ، العدد ١٧٦٥ ، (١٣٩١/١/١٧ هـ).

(٧) انظر : " السرقات الأدبية " ، اليمامة ، العدد ٢١١ ، (١٣٩٢/٦/٣ هـ) .

(٨) انظر : " المكتبة الصغيرة وأدب الشباب " ، مخطوط في دار الرفاعي ، وكان أصل المكتبة الصغيرة في أول إنشائها لنشر بحوث صاحبها فقط ثم خرجت إلى غيره بعد أن نشر فيها الشاب بحثه .

ولعل أهم الأفكار التربوية التي طرحها الرفاعي ، وكان لها أثر كبير في وضع مؤلفاته ، هي فكرة القدوة وأثرها في التربية .

وقد أشار إلى أهمية القدوة في عدة مقالات ، ثم نادى بها بشكل أوضح في محاضرته (توثيق الارتباط بالتراث) حيث دعا إلى " العمل على إبراز بطولاتنا ، والمثل الصالحة من أبطالنا... وإلى إحياء ذكرى أعلامنا"[1].

أما أثرها عليه في وضع المؤلفات فيتضح ذلك جليًّا في كتابه (كعب بن مالك) الذي كان من دوافع وضعه " أن في حياة كعب رضي الله عنه أكثر من مثل عال صالح للقدوة"[2]. وفي كتابه ضرار بن الأزور حيث كان سبب الكتابة فيه أنه يبحث عن رجل قدوة من رجال منطقة القصيم ليجعله بين يدي شباب تلك المنطقة[3]. ومثل هذا يقال في كتابه (أم عمارة) إذ نجده يكتب فيها ما كتب " راجياً أن (يقدم) للقراء صورة للمرأة المسلمة المثالية .. وأن (يضع) بين يدي الفتاة في بلاده وفي كل بلاد عربية وإسلامية هذا المثل الرفيع"[4].

وكذلك الشأن في كتاب (زيد الخير) الذي نص على أنه وضعه ليعطي المثل والقدوة[5].

وقد بلغ من اهتمام الرفاعي بالقدوة مبلغاً جعله يهتم بالأشخاص اهتماماً كبيراً ، يدافع عنهم ، حتى ولو كانوا متهمين في عقائدهم لأفكار دعوا إليها ، وأقوال صرحوا بها ؛ إذ يرى أنه "من الظلم لهؤلاء الرجال الأعلام أن نظل نلصق بهم هذه التهمة أو غيرها ، حتى النفس الأخير .. ومن ذا الذي ماساء قط .. ومن له الحسنى فقط ؟ . إن هؤلاء الرجال {في رأيه} ، وغيرهم من الأفذاذ لم يكونوا

---

(١) توثيق الارتباط بالتراث ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) كعب بن مالك الصحابي الأديب ، ص ١١.

(٣) انظر : ضرار بن الأزور الشاعر الصحابي الفارس ، ص ٥ ، ٦ .

(٤) أم عمارة .. الصحابية الباسلة ، ص ٩ .

(٥) انظر " زيد الخير " ، المجلة العربية ، العدد ٦٣ ، (ربيع الآخر ، ١٤٠٣ هـ) .

معصومين أما خواتيم حياتهم فأمر موكول لعالم الغيب والشهادة .."[1].

ويقصد الرفاعي في رأيه هذا مجموعة من أعلام الأدب الحديث ممن اشتهروا إما بدعواتهم المناهضة للإسلام كطه حسين ، أو ممن اشتهروا ببعض سلوكهم كشوقي والعقاد.

وقد يكون في هذا التصور خلل في مفهوم القدوة التي تعني الاقتداء بمن يحتذى في سلوكه. وإذا لم يكن هذا الاقتداء في كل شيء فلا تكون فيمن سيئاته ظاهرة تكاد تغطي على حسناته ، كما هو الحال في بعض أعلام الأدب الحديث .

ومن خلال هذا العرض يتضح أن الرفاعي قد عني بالتربية من وجهيها النظري والعملي . وأنه لم يكتف بالنظريات والحديث حتى شفعها ودعمها بما يؤيد سلامتها في أطروحاته التأليفية .

ولعل في هذا ما يؤيد جعل الاتجاه التربوي اتجاهاً عاماً في آثاره ؛ وإذا كان هناك ما يؤخذ عليه فهو وقوفه عند مرحلة القدوة في التربية ، وعدم طرقه لأفكار أخرى أو عدم تجاوزها[2] في الإعداد بحيث يبني أجيالاً يتابع بنيتهم فيما بعد ، ولعل هذا أمر يطالب به المربي المتخصص أكثر من الكاتب المفكر.

وقد بدأ الاتجاه نحو التربية عند الرفاعي في وقت مبكر ، وإذا عدت محاولاته في وضع بعض المناهج التعليمية نوعاً من العمل التربوي فهذا يعني أنه بدأ بالتربية منذ أول حياته الوظيفية ، وأن اتجاهه للتربية وإيمانه بجدواها نابع من عمله الوظيفي إذ كان مدرساً في أول حياته يوم فكّر في وضع مناهج تعليمية .

أما إذا عددنا محاولاته الأولى جزءاً من عمله الوظيفي ، فإن بداية الاتجاه التربوي عنده في أول مقال كتبه عن التربية في ١٣/١٢/١٣٧٩هـ[3]، أي بعد تركه

---

(١) " شهادة كنون في " طه حسين " : الطبري .. والطبريون ". جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٧١ ، (٢٠/١/١٤١٠ هـ).

(٢) انظر : تفصيل هذه القضية في ص ٢٣١ من هذا الكتاب .

(٣) انظر : " لنقض على هذه الخرافات " ، ١٣/١/١٣٧٩ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

التدريس بستة عشر عاماً وهو انقطاع طويل لا يوحي بالأثر الكبير لاحتراف التدريس عليه في اختيار هذا الأسلوب .

ولعل الرفاعي قد توصل إلى هذا الأسلوب بعد أن جرب عدة طرائق إصلاحية قبله ، فرأى أن هذا الطريق هو الأنجح في إصلاح الناس ، ثم إن هذا الأسلوب هو المناسب لشخصيته الهادئة التي تميل إلى اللين والموادعة ، وغير هذا الطريق من طرق الإصلاح قد يجلب عليه الخصوم والخلافات مما هو في غنى عنه كما كان أسلوبه في أول حياته[1] .

٣ - التوثيق

توثيق المعلومات وعزوها إلى المصادر والمراجع التي أخذت منها ، سمة من سمات الكاتب ، المدقق الأمين . وقد كان الرفاعي حريصاً على توثيق معلوماته ، وعزوها إلى أصحابها أيًا كانت هذه المعلومات .

ولم يكن يخص شيئاً دون غيره بالتوثيق ، بل كان يوثق كل ما يورد من قصص ، وعلم ، وأخبار .

وللتوثيق عنده ضروب مختلفة باختلاف مصادر المعلومات ، فحين يكون مصدر المعلومات كتباً أو مقالة فإنه يذكر المصدر برقم الصفحة والجزء في الكتاب ، ورقم العدد ، أو تاريخه في الصحيفة أو المجلة كقوله : "هذه الخواطر مرت ببالي ، عندما كنت أقرأ قصيدة نشرها الأستاذ محمد عبدالغني حسن ، في العدد ٩٧ من مجلة الثقافة"[2] وقوله : "حديثي اليوم لن يكون فيه جهد شخصي يذكر ، سيكون عالة

---

(١) حيث كان يدعو إلى تغيير عادات الزواج بجدة ، ويجابهته ، ويدعو إلى تغيير أوضاع المرأة ، مما أوقعه في مشكلات مع بعض الأشخاص ، وقد ذكر في فلسفته أنه يحاول أن يجد الأصدقاء ويكتسب الناس بلطف المعاملة ، انظر : " أنا والجائزة " مجلة المنهل ،مج ٥٣ ، العدد ٤٩٠ ، (صفر ١٤١٢ هـ) .

(٢) " الوداع الشعري : بحر ولا سواحل " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٠٤ ، (١٤٠٥/٥/٨ هـ) ، وانظر: " البيض وعبقرية شوقي " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٤٨ ، (١٤٠٨/٤/١٦ هـ) ، و"النار فوق المآذن " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٥٦ ، (١٤٠٥/٣/١٨ هـ) .

على عدد من أعداد جريدة " القبس" الكويتية هو عدد يومي السبت - الأحد ١٣-١٤/٨/١٩٨٨ م . في صفحته الثامنة ، فقد وجدت فيه بعض المعلومات عن شخصيات مشهورة في دنيا الأدب المعاصر ..."[1] ومن شواهد إحالاته إلى الكتب قوله :"لقد عقد الدكتور هيكل- يرحمه الله - فصلاً في كتابه هو الفصل السادس ، جعل عنوانه "قصة الغرانيق" وهوفي الصفحة ١٧٥ في الطبعة التي بين يدي الآن ، وهي الطبعة الثانية عشرة"[2].

ويختلف محل هذه التوثيقات ، ففي المقالة الصحفية أو ما أشبهها كالمقالات المنشورة في زاوية (للحديث شجون) و(كناشة الشهر) يكون محل الإحالات في وسط الصفحة ، أما في المقالات الأخرى التي تنشر في المجلات العلمية أو كتبه المؤلفة فإن الإحالات في الغالب تكون في أسفل الصفحة كما في (الجارود صحابي من الخليج)[3]، و(الرسول كأنك تراه ، حديث ابن أبي هالة) وفي كتبه (كعب بن مالك) و(زيد الخير). أما في (ضرار بن الأزور) فقد سلك طريقة جعل الإحالات في آخر كل فصل .

وأما إذا كان مصدره في نقل المادة العلمية مصدراً غير مكتوب ليس كتاباً ولا مقالاً ، فإنه ينص على المصدر بأنواعه المختلفة كل بحسب طريقته في الحصول على المادة العلمية ، فإن كان يروي قصة شاهدها صرح بالمشاهدة كقوله : " لن أتحدث إلا بذلك القدر الضئيل الذي يتاح لي من خلال ذكرياتي عن الركب . ذكريات المراقب الذي كان يعيش في البيئة المكية"[4] وقوله: "ولقد أتيح لي وأنا شاب موظف في شرطة مكة ، أعمل في "الحميدية" أيام "علي بك جميل" مدير الأمن العام ، أن أشاهد موكباً فريداً للركب العائد من المدينة المنورة .. فقد دخل الركب من طريق

---

(١) " قبس من القبس " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٣٥ ،(٨/٢/١٤٠٩ هـ) .
(٢) " وماذا قال الدكتور هيكل " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٢٤ ، ٢٠/٨/١٤٠٩ هـ .
(٣) مقال مكون من جزءين نشر في مجلة رسالة الخليج العربي ، العدد ٩ ، س ٣ ، (١٤٠٣ هـ)
(٤) " ذكريات عن الركب " ، جريدة الأربعاء ، (٨/٦/١٤١٣ هـ) ، وانظر : أيضاً رحلتي مع التأليف ، ص ٢٠.

جرول ، فحارة الباب ، فالشبيكة ، حتى وصل" سوق الصغير "وأشرف على المحمدية والحرم المكي الشريف"[1].

وإن كان قد سمع الحادثة من صاحبها الذي وقعت له .. صرح بالسماع كقوله : "لم تقف حدود حفظه عند أشعار الإنس .. بل تجاوزهم إلى الجن .. وقد استمعت إليه في أكثر من مجلس وهو ينشد من شعر هؤلاء .. ولا تسألوني كيف اتصلت روايته بهم .. فهذا ما لا علم لي به ، ولكنه كان يزعمه.."[2] وكقوله أيضاً يروي قصة عن مصطفى حمام : "وقد حدثني الأستاذ الشاعر (مصطفي حمام)[3] - يرحمه الله - أنه أفلس في بعض مراحل شبابه ، فلجأ إلى رجل كبير من رجال مصر ليدبر له عملاً يعيش منه .. فأرسله هذا الذي لا ترد توصيته ، إلى رئيس تحرير صحيفة له عليها نفوذ ودالة ، لكي يدبروا له عملاً .. فلم يجد رئيس التحرير وظيفة يضعه فيها ، وهو يجهل مواهبه ، فأسند إليه باب (حظك هذا اليوم) فأخذ يقوم بدور الفلكي الذي يبشر بالمال والصحة والحب والنجاح .. الخ"[4] .

وقد تصله الحادثة ولكن ليست ممن وقعت له ، فتكون بلغته بسند متصل فيصرح بذكر السند ، كما في القصة التي يحدثه بها (عامر العقاد)[5] حيث يروي أن عمه (عباس محمود العقاد) رد وزير الثقافة المصري في العهد الناصري لتأخره عن الموعد بخمس عشرة دقيقة[6].

وقد يبلغه الخبر ولكن من طرق عدة ليس فيها الطريق المتصل ، فنجده يصرح

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) " أبحروا في مواكب العيد " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣٨٠ ، (١٤٠٧/١٠/٢٦ هـ) .

(٣) محمد مصطفى حمام (١٩٠٤- ١٩٦٤م)، شاعر مصري ، عمل في الصحافة ، ونزل هذه البلاد ، واتصل مع أدبائها بوشائج ، رحل الى الكويت عند تأزم العلاقة بين السعودية ومصر . (انظر : مقدمة ديوان حمام ، والإسلام في شعر حمام) .

(٤) " ماذا وراءك " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٩٩ ، (١٤١٠/٢/٢٨ هـ) .

(٥) عامر بن أحمد بن محمود العقاد ، توفي سنة ١٤٠٥ هـ ، كان سكرتيراً خاصاً لعمه عباس العقاد ، قدم إلى الرياض وعقد بعض الندوات الأدبية ، من آثاره لمحات من حياة العقاد .

(٦) انظر : " الفرق الدقيق : المفكرون والتاريخ"، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٢٦ ، (١٤٠٥/٥/٢٨ هـ) .

بذلك كما في قوله : "والقصص التي تروى عن سخاء الشيخ الشبيلي - تغمده الله برحماته - كثيرة .. كتب بعضها قبلي أكثر من كاتب ورواها الرواة بأساليب مختلفة ، ولكنها تلتقي كلها عند معنى كبير هو سخاء الرجل وأن سخاءه كان طبعاً أصيلاً لا افتعال فيه يسديه لمن يعرف ولمن لا يعرف .. وكنت كتبت من قصصه بعضها .."[1] فهو في هذه القصة لم يصرح - كما هي عادته - بالرواية ولا السماع ومثل ذلك قوله : "وبالرغم من أن القصة معروفة في أوساط عارفي فضل الشيخ ونبله .. فسأرويها اليوم كما سمعتها .. قالوا إن جماعة من السعوديين قصدوا في لندن مطعماً .."[2] فهو هنا يصرح بأنه سمعها ، ولكن لا يذكر من أين ، ويعتمد على الإسناد إلى المجهول (قالوا) .

وقد يذكر - أيضاً - أنه أخذ المسألة من العلم بالإملاء ، كأن يقول : أملاني أو إملاءً ، أو سألته ونحو ذلك كقوله : "ومما علمته من أستاذي العلامة الشيخ حمد الجاسر حفظه الله من معلومات أملانيها يوم ١٤٠٥/٦/١هـ"[3].

وإذا كان في مروياته معتمداً على الذاكرة ، ولم يجزم بدقتها ، نص على ذلك المصدر الذي قد يغير الحقائق لطول العهد ، حتى يكون المتلقي حذراً من هذه الأخبار التي يتلقاها فلا يأخذها مأخذ التسليم كقوله : " ولا أحسبني في حاجة إلى القول بأن الذاكرة وحدها كانت مصدري في هذه المعلومات التي حاولت جمعها ..."[4] أو قوله : "والحديث عن عبدالله عريف حديث يرتكز على الذكريات ، وهي ذكريات لا دخل للتدوين بها . فليس من دأبي فيما مضى ولا اليوم أن أدون شيئاً من الذكريات"[5].

وهذه الأساليب المختلفة في التوثيق دليل على دقة الرفاعي حيث يعطي كل

---

(١) " أبا سليمان ستظل باقياً " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٨٤ ، (١٤٠٩/٤/٢٨ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب ، ص ١٣ .

(٤) رحلتي مع المكتبات ، ص ٨ .

(٥) " العريف كان أستاذاً " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٥٠ ، (١٤٠٩/١٢/٢٨ هـ) .

حادثة ما يناسبها ، وهي دقة تذكرنا بما كان عند الأجداد علماء الحديث .

وهذه العناية الشديدة بالتوثيق أمر لافت للنظر خاصة في كتاباته الصحفية ؛ إذ أن كثيراً من كتاب الصحف لا يحرصون على توثيق مقالاتهم ، ولا يحفلون بها .

ولم يكن الرفاعي في أول حياته يوثق المقالات الصحفية ، وإنما ظهر هذا الاتجاه في المراحل الأخيرة من حياته ، فهل كان هذا الاتجاه نابعاً من نظرته للكتابة الصحفية التي اختلفت من مرحلة زمنية لأخرى ؟ يقول الرفاعي عن رأيه : "ولقد كان لي رأي قديم ، يبدو أنني أخذت أتنازل عنه بعض الشيء ، وما أكثر ما تغير الأيام من آراء الناس ؟ ذلك الرأي ، كان لا يستسيغ جمع المقالات الصحفية في كتاب .. ولعلي كنت أبنيه على أن للمقالة الصحفية شخصيتها الخاصة أوخصيصتها أو تعبير ثالث من عجينة خاصة ، وأن للكتاب هو الآخر خصيصة مميزة ...تتجلى في طريقة السرد والترتيب الموضوعي وأسلوب الربط والمعالجة .."[1] فلعله لم يكن في أول حياته ينوي أن يجمع مقالاته في كتب ، فكان يكتبها دون توثيق أو عناية كبيرة ، لعزمه على عدم الرجوع إليها ، أما حين تغير رأيه في جمع المقالة - وهذا ما رأيناه في كتبه - صار من المناسب أن يوثّقها ، ويعنى بها ، لأنه سيعود إليها في يوم من الأيام ، وقد يجمعها فتكون كتباً تبقى للقراء ينبغي أن تكون موثّقة مقيدة .

ومع هذا الحرص الظاهر على التوثيق ، فقد وقع في بعض التجاوزات التي أخذت عليه لعل من أظهرها :

١ - عدم اعتماده على المصادر الأصلية لبعض العلوم خاصة علم الحديث، إذ نجده كثير الاعتماد على الأغاني في الأحاديث التي استشهد بها لبيان منزلة (كعب) الشعرية . أو في الأحاديث التي وردت في الثناء على (زيد الخير)[2]، وكذلك ما لا حظه الدكتور أحمد الضبيب من اعتماده في توثيق النصوص على

(١) " مساكين .. أهل العشق " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣١٧، (١٤٠٧/٨/٢٢ هـ) .

(٢) انظر : الحديث في هذا الجانب مفصلاً في فصل المؤلفات ص ٤٢ من هذا الكتاب .

كتب وسيطة ، مع إمكان الاطلاع على كتب أخرى ، وذلك في كتاب (كعب بن مالك) حيث نقل كلاماً لعائشة رضي الله عنها عن محقق ديوان كعب الذي نقله بدوره عن (المزهر) (للسيوطي)[1].

٢ - وهي - أيضاً - مما لاحظه الدكتور أحمد الضبيب عليه في توثيق النصوص ؛ إذ رأى أنه عند الإشارة إلى المراجع " يذكر الكتاب وحسب دون الإشارة إلى الجزء والصفحة منه ، فمثلاً يشير في هامش الكتاب - في مواضع متفرقة - إلى "الأغاني" دون ذكر الموضع المقصود"[2]. على أن هذه الملاحظة ليست مقصورة على (كعب بن مالك)؛ بل نجدها - أيضاً - في (أرطأة بن سهية) في إحالته (التاج العروس) و (الأغاني) و(الإصابة) و(معجم البلدان)[3].

أما العجيب - حقاً - فهو أن نجد الرفاعي يحيل في قصة أبوة ضرار لأرطأة مرة إلى (الإصابة في تمييز الصحابة) ومرة أخرى إلى (الأغاني) فيوهم القارئ أن صاحب (الإصابة) روى القصة من طريق آخر فيؤكد وقوع الحادثة مع أن صاحب (الإصابة) يروي عن (الأغاني) وبهذا صار مصدر القصة واحداً . وهو يريد أن يجعل القصة مروية بطرق مختلفة ، وفي هذا ما فيه من إيهام وتلبيس[4].

٤ - الاستطراد والالتزام الموضوعي

يقصد بالاستطراد "أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر ، وقد جعل الأول سبباً إليه"[5]، فهو يعني خروج الكاتب أو المتحدث من معنى إلى آخر مع وجود علاقة قريبة أو بعيدة .

---

(١) انظر : " كعب بن مالك الصحابي الأديب " مجلة كلية الآداب ، ص ٣٥٣ ، مصدر سابق .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) انظر : " أرطأة بن سهية ، ص ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢٧ .

(٤) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ص١٠٢ .

(٥) أبو هلال العسكري . كتاب الصناعتين .- الطبعة الثانية ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار الفكر العربي ، د. ت) . ص ٤١٤.

وللاستطراد عند الرفاعي جانبان : الأول : الجانب الفلسفي وهو الذي سجل فيه نظرته حول الاستطراد ، وآراءه فيه ، فذكر أن شهوة الاستطراد تستبد بالمتحدثين والكاتبين "فالخواطر تنثال على المتحدث أو الكاتب ويجد في نفسه ارتياحاً بل رغبة في أن يعطي كل هذه الخواطر المنثالة فرصة الظهور"[1]،كما تحدث عن الحسن ، والقبيح من الاستطراد، والأسلوب الأمثل منه ، والمواضع التي فيها الاستطراد ، وأرجع ذلك إلى قدرة الكاتب الذي يستطيع أن ينقل الحديث من جو إلى جو دون أن يشعر القارئ بفوارق الانتقال .

وقد وضح في مقاله السابق حدود هذه الاستطرادات إذ قال : "واتخذ مجاله في الصحف فقط" وهذا هو ما يظهر عنده ؛ إذ نجد كتاباته الصحفية هي المكان الذي يكثر فيه الاستطراد كما في مقالة (وفي مالقة أبحث جسور)[2] ومقالة (هذا الرجل عرفته)[3] ومقالة (ذكريات مكتبة)[4].

أما كتاباته في الدوريات فيلتزم فيها بالموضوع الواحد ، موضوع المقال الأصلي كما في سلسلة (في حراسة النبي) و (الحنفاء)[5] و(الجارود صحابي من الخليج) .

على أن هذا الحكم حكم غالب وإلا فقد ينعكس الأمر فتأتي المقالة الصحفية ذات موضوع واحد ومقالة الدوريات ذات موضوعات مختلفة ، نجد ذلك في مقالة (لا وسطى بين الفصحى والعامية)[6] ومقالة (كلمة أخيرة عن أدب العامية)[7]، (طبعة مزيدة من سلامة موسى)[8] و(الناس والكلاب)[9]. وغالباً ما يكون هذا

---

(١) " الاستطراد : خواطر منسقة ، مجلة الحج ، ج ١ ، (رجب ١٣٧٣ هـ) .

(٢) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٩٣ ، (١٤٠٧/١/٤ هـ) .

(٣) جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٦٤ ، (١٤١٠/١/١٣ هـ).

(٤) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥ هـ) .

(٥) سلسلة مقالات نشرها الرفاعي في مجلة (التضامن الإسلامي) بلغت خمس حلقات ج ٧ - ١٢، السنة ٢٦، (المحرم ١٣٩٢ هـ - جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ).

(٦) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٥٦ ، (١٤٠٧/٣/٨ هـ) .

(٧) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨٨ ، (١٤٠٦/٩/١٨ هـ) .

(٨) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤هـ) .

(٩) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣ ، (١٤٠٩/١٠/١٠ هـ) .

حينما تستبد بذهنه الفكرة المطروحة ، وتأخذ عليه جوامع عقله فلا تدعه ينفلت منها ، ولا تدع فرصة لغيرها من الأفكار فتقطع عليه اتصال ذهنه .

وأما في مقالة الدوريات فيكفي أن نعرف أنه خصص زاوية كاملة في مجلة (الفيصل) للاستطراد سماها (وللحديث شجون) وكاد أن يسميها (في إثر الجاحظ) اتباعاً له في استطراداته ولكنه خشي " أن يقال أين أخونا هذا الذي جاء في أخريات الزمان ... وأين الجاحظ العظيم ؟ وبذلك يساء فهم القصد"[1].

وضرب على ذلك مثلاً " أنه قد يسوغ لك أن ينّقل من حديث عن الحج إلى حديث عن مجلة الحج .. إلى حديث عن المؤتمرات العالمية .. ولكنه قد لا يسوغ أن تنّقل من حديث عن الحج إلى حديث عن طغيان الثلوج في سويسرا .. هكذا دفعة واحدة دون تمهيد . ومن هنا ترى أن الاستطراد فن يجيده المتحدث أو الكاتب اللبق"[2].

وقارن بين استطراد القدماء واستطراد المحدثين ، فذكر أن الاستطراد على هذا النحو الذي سلف خاصية " تكاد تنحصر في المؤلفين والأدباء القدماء ، لكن المحدثين جنحوا أخيراً إلى الاستطراد ولكن على نحو منظم منسق هذبته الحضارة الحديثة ، والثقافة الحديثة واتخذوا مجاله في الصحف فقط"[3].

أما الجانب الآخر فظهور الاستطراد في كتابة الرفاعي .

والاستطراد عنده نوعان . الأول : أن يبني المقالة على الاستطراد فيكون قد رتب المقالة على ذلك قبل أن يشرع في كتابتها ، فتأتي المقالة مزيجاً من الموضوعات المختلفة ، كما في المقالات التي يوجهها لأصدقائه بعد وفاتهم وكما في (أشياء رمضانية)[4] .إذ بدأ المقالة بالحديث عن عادته في جمع بعض المقالات التي يستشف أهميتها ولا يتسع الوقت لقراءتها حتى يتمكن من قراءتها في ساعة

---

(١) " وللحديث شجون " ، مجلة الفيصل ، العدد ٨٥ ، (رجب ١٤٠٤ هـ) .

(٢) " الاستطراد : خواطر منسقة ، مجلة الحج ، ج١ ، (رجب ١٣٧٣ هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٢ ، (١٤٠٩/٩/١٩ هـ)

فـراغ ، ثم ذكـر أن من بين هذه القـصـاصـات مـقـالة للأسـتـاذ (مـحـمـد بن عـبـدالله مليباري)[1] تتحدث عن رمضـان ، ثم انتـقل إلى الحديث عن سبب احـتـفـاظه بهذه المقالة ، وعن علاقته برمضان ، وعن رأيه في أنه لم يؤلف أحد عن رمضان موسوعة تشـمل كل مـا فـيـه ، ثم انتقل إلى الحديث عن رحلة ابن جـبـير التي أشار إليـهـا (المليباري) في مقالته ، وأثنى على جهد (عبدالقدوس الأنصاري)[2] فـيـهـا ، ثم ألمح إلى ما قام به الشيخ (حمد الجاسر) من تلخيص لأشهر رحلات الحج المغربية ، التي صدر منهـا كـتـابان . ثم انـتـقـل إلى الحـديث عـن دخـول الكـهـربـاء إلى المنازل المكيـة وأثره عليـها وعلى ربات البيـوت خاصـة ، ثم انتـقل إلى الحـديث عن الشـاي ومتى عرف ؟ ومن أول من عرفه ؟ ثم مال بالحديث إلى آداب تناول الشاي وإعداده في القديم .

وهكذا يظل الرفـاعي ينتـقل من مـوضـوع إلى مـوضـوع تاركـاً لخـواطره العنان في الانثـيـال . ومما يؤيد القـول بأنه قد رتب المقالة على الاستـطراد حال العنـوان (أشـيـاء رمضـانيـة) الذي جـاء فـضـفـاضـاً يمكن أن يدخل تحـتـه كل مـوضـوع ، فلم يكـن هناك موضـوع خاص تقصد المقالة الحديث عنه .

الثـاني : أن يكـون للحـديث مـوضـوعه الأصلي فـيـخـرج عنه إلى مـوضـوع آخـر بعـيـد عنه أو قريب منه ، كما في حديثه في كتاب (رحلتي مع المكتبات) ومقالة (تقويم وتهويم)[3] ومقالة (الطريق إلى محمد أسد)[4] التي بناها على الحديث عن (محمد أسد) ، وذكـر بعض الذكـريات عنه ، وهو وإن كان حديثـاً عـامـاً لا يربطه رابط سوى

---

(١) محمد بن عبدالله مليباري ، (١٣٥٠ هـ - ١٤١٢ هـ) . ولد بمكة . كاتب وناقد . عمل محرراً في جريدة البلاد السعودية . له عدة آثار منها : المنتقى في تحقيق أم القرى . (انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين، ج٣ ، ص ٢٤٥) .

(٢) عبدالقـدوس الأنصاري (١٣٢٤هـ - ١٤٠٣ هـ) . لد في المدينة ، وبها تعلم . أصدر صحيفة المنهل ذات الأثر الثقافي الكبير في هذه البلاد . له عدد من الأثار منها : تاريخ جدة . بنو سليم . الأنصاريات (شعر) .انظر : موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ، ج١ ، ص ٣٢) .

(٣) انظر: جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٥٦ ، (١٤٠٩/٢/١٩ هـ)

(٤) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٢٨ ، (١٤٠٩/٢/١ هـ) .

أنه يخص محمد أسد ، إلا أنه لم يخرج عن الموضوع الذي وضع المقالة له إلا في جزء يسير حيث استطرد يعرف بشخص كان هو الطريق ليتعرف من خلاله على (محمد أسد) ، ولا يوجد في المقالة استطراد سوى هذا .

وتتنوع استطراداته بحسب الموضوع الذي يتحدث عنه ولكن أغلبها يدور حول ذكريات الرفاعي ، أيام شبابه ، ومشاهداته . فمن الاستطرادات التي سجل فيها ذكرياته ، استطراده في مقالة (مع التحيات للأستاذ الخياط)[1] إلى ذكرياتهم أيام العمل مع العريف ، وكذلك استطراده في حديثه عن (عمر أبو ريشة)[2] إثر وفاته إلى ذكرياته أيضاً ، مع العريف ، وكذلك ذكرياته عن العجوز التي تملي عليه الأشعار في طفولته في مكة في مقالة (ذكريات مكتبة)[3].

ومن الاستطرادات التي لا تدخل تحت الذكريات استطراده من الحديث عن (القاضي عياض) إلى الحديث عن الصحابي (عياض بن غنم) إلى (الدرب) الذي في بيت امرئ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا[4]

إلى تفسير كلمة (الدرب) وعمن روى هذا التفسير[5].

أما ولعه بالاستطراد فيظهر أنه من نظرته للكتابة الصحفية ؛ إذ يرى أن الكاتب الصحفي الحكيم الذي يثرثر .. ولكنه ينثر الحكمة خلال ثرثرته"[6] ويرى أن "كاتب اليوميات أشبه ما يكون بالمصور الهاوي الذي يحمل عدسته على كتفه .. ثم يطوف .. يطوف كيفما اتفق .. قد يذهب إلى ساحل البحر ، فيلتقط منظراً أخاذاً

---

(١) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٨٧ ، (١٤٠٩/١٠/٢٢هـ) .

(٢) انظر : " من أوراقي الخاصة عن أبو ريشة "، جريدة الأربعاء ،(١٤٠١/٣/٢ هـ).

(٣) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥ هـ) .

(٤) امرؤ القيس بن حجر . ديوان امرئ القيس ، ذخائر العرب ، ٢٤ .- الطبعة الرابعة ؛ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) ، ص ٦٥ .

(٥) انظر : " هوامش : هذا الرجل عرفته " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٦٤ ، (١٤١٠/١/١٣ هـ)

(٦) "شيء يحير : أكثر من فكرة" ، جريدة عكاظ ، العدد ١٣٧ ، (١٣٨٤/١١/٢٩ هـ) .

لغروب الشمس ، فيرضى عنه كل الرضا أصحاب المزاج الشاعري .. وقد يذهب بعدسته إلى اجتماع من النوع الثقيل ، لرجال من أرباب المال والأعمال أو السياسة ، أو إلى مؤتمر عالمي . فيرضى عنه أصحاب مثل هذه الاهتمامات . ولكن أصحاب المزاج الأول يسخطون عليه أو يتبرمون به . بينما نجد من بين أصحاب المزاج الثاني من يقلب شفته حتى آخر مليميتر منها سخرية بمنظر البحر والغروب ... وكما هو معلوم ، فإن هناك فرقاً في نظري بين كتابة اليوميات في الصحافة اليومية أو ما إليها ، وبين إعداد المقال الواحد الطويل ، الذي يعالج موضوعاً واحداً بحيث يرتكز الكلام أو يدور حوله فحسب " [1].

٥ - ترابط الأفكار

تختلف نظرة النقاد إلى ترابط أفكار المقالة طبقاً لاختلاف رؤيتهم للمقالة ذاتها وما ينبغي أن تكون عليه ؛ فمن يرى أن تكون المقالة" على غير نسق من المنطق ، وأن تكون أقرب إلى قطعة مشعثة من الأحراش الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة"[2]، لا يشترط ترابط الأفكار وتسلسلها ، بل يشترط أن تكون على غير نسق معلوم كما مر .

وأما من يرى أنها " فكرة واعية ، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي نتيجة معينة وغاية مرسومة"[3] أو أن لها خطة " تكون (فيها) كل قضية نتيجة لما قبلها مقدمة لما بعدها حتى تنتهي جميعاً إلى الغاية المقصودة"[4]، فيشترط أن تكون مترابطة الأفكار متسلسلة

---

(١) " أبحث عن كلمة عن مفتاح " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٦١ ، (١٤٠٧/٦/٢٥هـ) .

(٢) جنة العبيط ، ص ١٠ .

(٣) سيد قطب ، النقد الأدبي أصوله ، ومناهجه .- الطبعة الخامسة .- (القاهرة : دار الشروق ، عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م) ، ص ٩٤ .

(٤) أحمد الشايب . الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية .- الطبعة الثامنة.- (مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م) ، ص ٩٤ .

تؤدي نتيجة معينة ، وغاية مرسومة منذ الوهلة الأولى للكتابة .

وقد لا يكون من اليسير أن يحكم على كاتب ، أو نص ما بعدم ترابط الأفكار أي بتفكك الأفكار لا سيما إذا سار النص بين المتلقين وأخذ بالقبول . ولذا فقد يقال إن هناك أنواعاً متعددة من الروابط منها الرابط المنطقي الذي يحكّم المنطق وقواعده ومنها الرابط الذاتي الذي يحكم رؤية الكاتب إلى الموضوع ، ومنها الرابط الشعوري الذي يضع حس الكاتب وشعوره ساعة الكتابة في اعتباره الأول .

ولكل نوع من أنواع المقالة ما يناسبه من هذه الروابط ؛ إذ لا يمكن أن نعرض المقالة الذاتية التي "كتبت بطريقة لا تخضع لنظام معين"[1] على قواعد المنطق الصارمة ، مع أنها تتسم برابط يجمع بين أفكارها .

ومع هذا فإن تطبيق هذه الإجراءات النظرية على المقالة يقابل بشيء من الصعوبات ؛ ذلك أننا إذا جعلنا الترابط يعني تضافر الأفكار لخدمة الهدف من المقالة بأن تكون "كل فكرة نتيجة لما قبلها ، ومقدمة لما بعدها ، حتى تنتهي كلها إلى غاية مطلوبة وهدف معلوم"[2] فهذا يعني أن يقتصر المقال على موضوع واحد وهو ما سمي بالالتزام الموضوعي .

وأما إذا قيل : إن مفهوم الارتباط تسلسل الأفكار وترتيبها داخل الموضوع الواحد مهما تعددت الموضوعات داخل المقال ، فهذا يعني أننا لن نستطيع أن نسأل عن مدى تضافر أفكار الكاتب في خدمة الهدف الذي أنشئت المقالة من أجله ، وهذا يجعل السؤال عن ترابط الأفكار سؤالاً غير عملي .

ولذا فالبحث عن ترابط الأفكار لا يمكن أن يكون إلا في ظل المقال ذي الموضوع الواحد . ولن يكون هذا الترابط بين أجزاء المقالة ترابطاً منطقياً، لأن هذا النوع من الروابط سيلغي ذاتية الكاتب في المقالة ويجعلها مقالة علمية ، وعلى هذا سيكون

---

(١) أحمد أمين . النقد الأدبي .- الطبعة الخامسة .- (مصر : مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٨٣م) ، ص ٩١ .

(٢) المقالة وتطورها في الأدب المعاصر ، ص ٧٠ .

البحث عن وسيلة أخرى للربط بين الأفكار سوى الربط المنطقي ، قد تكون نفسية ، وقد تكون نظرة الكاتب إلى موضوعه .

والرفاعي يعنى بترابط أفكار المقال ذي الموضوع الواحد، ويسعى ، لأن تكون فكرته متسلسلة ، يسلم بعضها إلى بعض ، فينتقل من العام إلى الخاص أو العكس ، ومن ذلك مقالته : (فكرة .. لحاضرهم ومستقبلنا)[1] التي ابتدأها بالحديث عن مقال قرأه في صحيفة (القبس) الكويتية يتحدث فيه كاتبه عن حصول كبار السن على بعض الامتيازات دون غيرهم ، في المجتمعات المتقدمة ، ثم ذكر أنه قبل قراءة المقال كان يلوب بذهنه فكرة قريبة من ذلك الموضوع أوردها على خاطره ماذكره بعض أصحابه من أن بعض دول شمال أوربا تبحث في أسبانيا مقراً جميلاً تجعله مسكناً لكبار السن ، وبعد ذلك انتقل إلى أنه إذا كنا نكبر هذه المبادرات فلا ننسى أن دين الإسلام دين الرحمة .

ثم ذكر نماذج من تاريخنا الإسلامي على تمثلهم قيم الدين بإقامة الوليد ابن عبدالملك (ت ٩٦هـ) مستشفيات . ثم انتقل من التاريخ إلى المجتمع السعودي ، وذكر نماذج من العناية بالجوانب الإنسانية المتمثلة بدور الرعاية الاجتماعية ، وإنشاء مؤسسات للعناية بالمعاقين .

وحين وصل إلى هذا القدر من التمهيد تحول إلى هدفه من كتابة المقالة وهو الحديث عن العناية بالمسنين من الجنسين ، فهو لون من التكافل الاجتماعي، وتربط هؤلاء المسنين بالمعاقين رابطة عدم القدرة . بعدها أخذ بالحديث عن نوع قائم الآن من أنواع العناية بالمسنين وهو إيجاد سكن لهم بالأوقاف والأربطة ، وهذا لا يؤمن لهم سوى المسكن وحده ، ولذا يمكن "أن نوجد للمسنين والمسنات الذين يفتقدون الكفالة العائلية دوراً متطورة تقدم لهم المسكن النظيف المريح ، والمأكل الجيد ، مع إيجاد وسائل معقولة للتسلية وإزجاء الوقت"[2].

---

(١) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٣ ، (١٤١٠/٣/٣ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

بعد ذلك ينتقل من هذه الفكرة إلى فكرة أخرى وهي الاقتراح الآخر فيمهد له بأنه لا يقصد بهذا المقال المسنين الذين يعيشون بين أهليهم ويشتد ارتباطهم بهم ، فلهؤلاء من المسنين " الاقتراح الثاني وهو الدعوة إلى إيجاد نواد للمسنين توفر لهم لقاءات طيبة بأقرانهم"[1]، ثم ينتقل إلى القول بأنه يمكن أن يضاف إلى هذا مميزات تكريمية لهم تعطى إياهم من جانب الدولة والأفراد . ثم يختم المقال بقوله : بأن هناك فرقاً بين المجتمعات الإسلامية وغيرها في التعامل الأسري وخاصة المجتمع السعودي الذي يتصف بالتراحم بين طبقاته ، ونحس أن روح الأسرة تربط بين الملك والشعب ؛ ولذا ففكرته هذه تحظى باهتمام خادم الحرمين الشريفين . وكأنه بهذه الخاتمة يحث المسؤولين على قبول اقتراحه ، وتحويله إلى واقع ملموس[2].

ومن خلال هذا النموذج يظهر أن أجزاء هذا المقال لا تشتمل على رابط منطقي يربط فقراته بعضها ببعض ، ويسلم كل جزء منها للآخر تسليماً منطقياً بحيث تكون كل فكرة نتيجة لما قبلها ، وتمهيداً للذي بعدها ، ومع هذا فهو مقال مترابط الأفكار نجد كل فكرة تسلم القارئ للتي بعدها ، ولكن الثانية ليست نتيجة للتي قبلها تستنبط منها ، وهذا يثبت - أيضاً - أن الروابط بين الأفكار لا تقف على الروابط المنطقية وإنما تتجاوزها لتكون كل ما يمكن أن يجعل المقال متسلسلاً لا يحس قارؤه بالانتقال المفاجئ بين فقراته المختلفة .

وحرص الرفاعي على ترابط أفكاره في المقالة ذات الموضوع الواحد لم يمنع من أن تأتي بعض المقالات تعاني من التفكك في بعض أجزائها ، إذ يبدو أنه لم يستطع أن يلتزم أسلوب الكتابة العلمية التي تتطلب الترابط المنطقي وتختفي فيها الذات خلف قواعد العلم الصارمة . كما في مقالة عن أبي أيوب الأنصاري في سلسلة (في حراسة النبي) ؛ إذ يبتدؤها بسرد الحادثة التي قام بها أبو أيوب بحراسة النبي

---

(1) المصدر نفسه .

(2) انظر : " لقاح الثقافة العربية " ، مجلة الأديب ، ج٣ ، (مارس ١٩٥٠ م) ، وانظر أيضاً :" لغة العرب بين عجمتين " ، مجلة العرب ، ج١ ، (رجب ١٣٨٦ هـ) و" الثقافة العربية في أزمة " مجلة الحج ، العدد ٧ ، (ربيع الأول ١٣٧٠ هـ) .

صلى الله عليه وسلم ، ثم انتقل إلى الحديث عن أبي أيوب فقال : "أبو أيوب الأنصاري شخصية مشهورة يتردد اسمه في مواطن كثيرة من السيرة النبوية ، ويتعطر ذكره دائماً بأطايب الحديث"[1].

ثم انتقل إلى الحديث عن اشتهاره بكنيته ولقبه فذكر نسبه ، وبعدها تحول إلى الحديث عن قومه بني النجار وصلته بالنبي صلى الله عليه وسلم ،ثم صار بعد ذلك إلى الحديث عن كونه من المسلمين الأولين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية ، ثم إلى نزول النبي صلى الله عليه وسلم عنده قبل أن يبني حجراته .. وهكذا يظل متنقلاً من حادثة إلى أخرى ، بين أخبار أبي أيوب رضي الله عنه دون رابط منطقي أو تمهيد سوى أنها تتصل بأبي أيوب وحده .

كما يظهر هذا التفكك في كتابه (الحج في الأدب العربي) وبخاصة في حديثه عن أثر (الحج في اللغة)، فبينما هو يتحدث عن فائدة اللغة القرشية من الاجتماعات السنوية في أسواق العرب ؛ إذ نجده ينتقل إلى الحديث عن قيمة الحج في شعر قريش ، ويضرب على ذلك نماذج من شعرهم دون تمهيد أو توطئة ، مع أن محل هذا الحديث الفقرة التالية من الكتاب وهو (أثر الحج على الشعر)[2].

ونماذج تفكك الأفكار عند الرفاعي نماذج محددة لا يمكن أن تعد ظاهرة ضعف في آثاره .

٦ - الذاتية والموضوعية

يتسع مفهوم (الذاتية والموضوعية) ليشمل أنواع المقالة الثلاثة : المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية ، والمقالة الذاتية الموضوعية ، وحديث الكاتب عن نفسه ، وموقف الكاتب من الموضوعات التي تناولها، أيغلب عاطفته أم يكون موضوعياً منصفاً محايداً ؟.

---

(١) " أبو أيوب الأنصاري : في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم "، مجلة الحرس الوطني، العدد ١٤ ، (شوال ١٤١٣هـ) .

(٢) انظر : ص ٥٦ من هذا الكتاب .

ولا بد عند الحديث عن كاتب ما من تناول هذه الجوانب الثلاثة .

وقد مر الحديث عن الجانب الأول فيما سبق . وأما الجانب الثاني وهو ظهور (الأنا) ، والاعتداد بالذات فكان حديثه حديث المزوري لنفسه ، المقلل من شأنه ، وهو يظهر في كثير من مقولاته عن نفسه كقوله : " فإنما أنا طويلب علم ، أو ناشد حقيقة .."[1] وقوله أيضاً "سأقول لك إذن ... لماذا أشعر بتفاهة هذه المقالات التي أكتبها ، لتكون على يقين أنني لا أفتعل التواضع ، ليقال عني : متواضع ، حتى يبدو في ذلك لون من ألوان استجلاب المديح ... كلا أيها العزيز .. فأنا أقول ما أعتقد ... وكثيراً ما ألوم نفسي على هذه الثرثرة التي أكتبها .."[2] وقوله في المقالة نفسها : "ولطالما سألت نفسي ، وأنا المعجب بالتراث المشدود إليه ، ماذا أعرف من ذخائر هذا التراث؟ وهل يسعني أن أتحدث عنه حديث العارف المطلع ؟ ولقد كان الجواب دائماً بالنفي ... فأنا لا أعرف من أخباره إلا الرذاذ .. وعلمي فيه ضحل ... بل هو في الواقع أقل من الضحل ... لهذا فإنني لا أحسن الحديث فيه ولا عنه . وهكذا ترى أنني حتى في الجانب الذي أحب من أكبر الجاهلين"[3].

ولم يفت الرفاعي ما قد يوحي به هذا التقليل من الشأن من استجلاب المديح ، فذكر توجساً من هذا الاحتمال ، ويظهر أن هذا الحديث صدى لتواضعه العميق الذي يحس به في دخيلة نفسه .

أما الجانب الثالث وهو الموضوعية والتوسط حيال الفكرة التي يتحدث عنها ، فيظهر أنه كاتب ذو موضوعية في أغلب ما يكتب ، وتتجلى موضوعيته أكثر ما تتجلى حين يلقي باللائمة على نفسه نقداً وتقويماً من مثل قوله عن مسرحيته : "بل لم أعد أعلم مصير تلك المسرحية بين أوراقي ... وأغلب الظن أنني أعتبرها عملاً

---

(١) رحلتي مع التأليف ، ص ٨ .

(٢) " قطرة عن السراب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٤٧ ، (١٤٠٩/٦/٢ هـ) .

(٣) المصدر نفسه .

لا ينبغي الاهتمام به ..."[1] وقوله عن كتاباته عن القصة : "ولو جمعت كل ما كتبت من قصص غثة ، لما جاءت في حجم كتاب صغير .. ولئن واتتني الظروف على جمع هذا الغثاء لجمعته .. ليصدق القراء أي غثاء هو"[2] ، ومثل هذا عمله في كتاب (خولة بنت الأزور) حيث استطاع أن يتغلب على عاطفته - كما يذكر - ويكتب الحقيقة التاريخية تاركاً ما يجده من عاطفة خلف ظهره .

ومع ما نلمسه من موضوعية في أغلب أعماله لم يسلم من سيطرة العاطفة عليه في بعض المواضع . إذ نجده يميل مع موضوعه فيها .

من ذلك حديثه عن (طه حسين) حيث جهد في الاعتذار له من مواقفه المعروفة حتى إذا بلغ القول : بأنه حين حضرته الوفاة كان عنده أحد القساوسة النصارى ، قال : إن هذا القس جاء صديقاً ولم يأت على أنه قس![3] .

وكذلك موقفه في الحديث عن شعر ضرار بن الأزور ، وشعر أرطأة بن سهية ، وسعيه الشديد لإخراج زيد الخير من المؤلفة قلوبهم وغيرها مما مر الحديث عنه في موضعه[4] ، وكذلك طعنه في رواية ابن الكلبي لأنه يريد أن يرد النص الذي نقل ، ويقبل رواية أبي الفرج الأصفهاني ، مع أنه متهم في سوء النقل وأخذ الخبر على علاته[5] .

٧ - السطحية والعمق

السطحية والعمق سمة من سمات الأفكار التي تختلف باختلاف ثقافة الكاتب ،

---

(١) رحلتي مع التأليف ، ص ١٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(٣) انظر : " شهادة : كنون في " طه حسين " : الطبري والطبريون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٧١ ، (١٤١٠/١/٢٠ هـ) .

(٤) انظر : ص ١١٦ من هذا الكتاب .

(٥) انظر : وليد الأعظمي ، السيف اليماني في نحر الأصفهاني .- الطبعة الثانية .- (القاهرة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م) ، ص ٢٠ .

وعمره ، والظروف المحيطة به . وعند تقويم الأفكار لابد من النظر إليها من خلال هذه الملابسات جميعاً ، وإلا فسيظل الحكم قاصراً .

وقد استغرق الرفاعي في الكتابة مدة تقارب نصف قرن من الزمن طرح خلالها كثيراً من القضايا والأفكار المتنوعة التي يمكن أن تقسم إلى عدة أقسام :

١ - ماطرحه من القضايا الثقافية ، والفكرية ، واقترح له علاجاً ، وكان سابقاً في طرحه ، كما في قضية الكتاب بعامة ، والسعودي منه بخاصة إذ سلك في طرحه لهذه القضية التفصيل بذكر القضية ثم ذكر أسبابها ، وقدم لها علاجا[1]. ومثلها قضية الارتباط بالتراث العربي ؛ إذ نجده يطرح المشكلة وأسبابها ، والحل المؤدي لها ، ثم المنهج الذي يمكن أن يسلك في الوصول لهذا الحل[2] .

٢ - ما طرحه من القضايا الثقافية مكتفياً بعرض الأسئلة والإشكالات من غير البحث عن حل لها ، تاركاً الإجابة على هذه التساؤلات لغيره ، وذلك كما في قضية شيوع اللغة الأجنبية ، والصيغ الغربية[3] .

٣ - ما طرحه من القضايا وكان طرحه استجابة لطرح غيره ، وتفاعلاً معه ، وإن كان ما قاله نابعاً من قناعته الشخصية وآرائه في القضية ، كما في قضية الغرانيق حيث كان متفاعلاً مع ما أثاره سلمان رشدي في كتابه (آيات شيطانية) وما أثير حول هذه القضية من ردود فعل عالمية[4] .

٤ - ما كان طرحه فيه استجابة لطرح غيره ، وكان فيها يردد أقوال غيره في الغالب ولا يأتي بجديد لعدم اختصاصه بالموضوع كما في قضية (التعريب)، فقد

---

(١) انظر : القضية بالتفصيل في فقرة المقالة العلمية (قضية الكتاب) ص ٢٠٤ من هذا الكتاب.

(٢) انظر : هذه القضية والحديث عنها بالتفصيل في فصل المؤلفات عند الحديث عن اتجاه الرفاعي بالتأليف ص١٤ وعند الحديث عن سمة الارتباط بالتراث ، ص ٤٣ من هذا الكتاب .

(٣) انظر : هذه القضية مفصلة في المقالة العلمية (شيوع اللغة الأجنبية) ص٢٠٩ من هذا الكتاب .

(٤) انظر : جريدة الجزيرة المقالات : " الرجل الذي ما ضل وما غوى " ، العدد ٦٠١٧ ، (١٤٠٩/٨/١٣هـ) و" ماذا قال الدكتور هيكل " ، العدد ٦٠٢٥، (١٤٠٩/٨/٢٠ هـ)، و" الغرانيق عند وعاة المفسرين " ، العدد ٦٠٣١ ، (١٤٠٩/٨/٢٧ هـ) ، و" خسران رشده : خالتي كدرجان تخترق الحدود" ، العدد ٦٠٥٩، (١٤٠٩/٩/٢٦ هـ) .

كان في حديثه مستجيباً لما أثاره الدكتور زهير السباعي ، وأحمد محمد جمال في الموضوع ، وهذا النوع أقل الأنواع ، بل يكاد لا يرد إلا في قضية واحدة هي (التعريب)[1] .

٥ - قضايا اجتماعية أغلبها يتصل (بالبناء والعمال) و(المرور) و(اقتراحات للبلدية)، وقليل منها يتصل (بالزواج والتعليم) . وتختلف مصادر هذه الأفكار فبعضها ينقلها من بلاد أخرى ، وبعضها يقدمها من نفسه ، وبعضها يسبق إليها من أبناء بلدته[2] .

وبعد هذا العرض العام لأفكار الرفاعي يتضح أن أكثر القضايا التي طرحها ، وناقشها هي قضايا ذات عمق في واقع مجتمعه تتسم بكثير من الأهمية ، ويصدر فيها عن تفكير ناضج .

ويستثنى من هذا الحكم الفقرة الخامسة التي تناولت القضايا الاجتماعية، فإن أغلب هذه القضايا تعد مرتبة ثانية من حيث الأهمية ، ويختلف الحكم عليها من حال إلى أخرى ؛ فإذا نظرنا إليها نظرة آنية بعيداً عن ظروف تلك المرحلة ، فإنها ستبدو سطحية في أغلبها ، وسيبدو العلاج سطحياً أيضاً ، وكان بإمكانه علاج ماهو أهم منها وأجدى .

أما إذا نظر إليها من خلال ظروف تلك المرحلة ، ومن خلال عمر الكاتب ، فسيبدو في الأمر وجهة نظر أخرى ، إذ أن فكرة البناء والتعمير كانت مسيطرة على تلك الفترة ، فتأثر بها كثير من الأدباء[3] ، وعالجوا موضوعاتها ، والرفاعي واحد من أولئك الأدباء ، لا سيما وأن كثيراً من هذه الأفكار قد استحالت واقعاً ملموساً كالمراكز الصيفية مثلاً ، وإن كان لا يعلم هل كان تنفيذ هذه الاقتراحات استجابة لنداءات الرفاعي وحده أم أنها كانت أفكاراً منتشرة في تلك الفترة ينادي بها أكثر

---

(١) انظر : هذه القضية بالتفصيل في المقالة العلمية ، ص ٢٠٤ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الحديث عن الموضوعات بالتفصيل في المقالة الاجتماعية ، ص ١٨١ من هذا الكتاب .

(٣) من هؤلاء الأدباء أحمد الغزاوي انظر : العطوي ، أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية .- الطبعة الأولى .- (د.ت، ١٤٠٦ هـ) ج ١ ، ص ٤٤٠ .

الكتاب والرفاعي واحد منهم ؟ .

وهذا لا يعني أن المقصود تبرئة الرفاعي من الأفكار السطحية ؛ إذ أنه قد عالج بعض الأفكار السطحية كما في كتابه (الحج في الأدب العربي)؛ إذ تناول الموضوع تناولاً ضعيفاً ، وعلل للظواهر بسطحية وضحالة كما هومبين في الحديث عن الكتاب[1] ، ومثله حديثه عن (جبل طارق والعرب)[2] .

٨ - مدى اتساع الثقافة

الثقافة شيء مهم للكاتب يستمد منه قوته وتأثيره ، وكل ما يمكن أن يؤديه في عمله الأدبي . وتشكل مع الموهبة والدربة أسساً ثلاثة هي عماد صنعة الأديب .

وبقدر إحساس الكاتب بالمسؤولية التي حملها يكون حرصه على إفادة القراء بما يقدمه لهم من فكر صائب ، وتوجيه سليم ، الأمر الذي يحدو به إلى الثقافة والاطلاع .

وقد كان الرفاعي يسعى لأن يثري ثقافته بالجديد المفيد ، وكان كثيراً ما يتجه إلى مزيد من القراءة والاطلاع ، وقد يجنح للتوقف عن الكتابة لهذا الغرض ؛ فنجده يقول معللاً اعتذاره عن الكتابة : "فإنني أشعر في حاجة قصوى إلى أن أقرأ .. أنت ممن يعرف أن الكتابة تستنفد وقتاً ليس بالقصير... وأن الوقت الذي تستغرقه خمس صفحات من الكتابة تستطيع أن تقرأ فيه عشرين أو ثلاثين صفحة من كتاب أو ربما أكثر قليلاً أو كثيراً .

إنني امرؤ قليل الاطلاع .. لي نهم كبير إلى المعرفة لا يتسع له عمري مهما امتد . وإنك من خير من يعرف أيضاً أن الجاهل لم يعد له مكان في هذا العصر . وأن الثقافة أصبحت كالمحيطات لا تعرف لها أغوار .. وأن المثقف الواعي يجب أن ينوع قراءاته ، وأن يسهم فضوله في كل أبواب المعرفة أو في جل أبوابها . .. أو

---

(١) انظر : الحديث مفصلاً في فصل المؤلفات عند الحديث عن الكتاب ، ص ٥١ من هذا الكتاب .

(٢) انظر : الحديث مفصلاً في فصل المؤلفات عند الحديث عن الكتاب ص ٥٧ من هذا الكتاب .

في كثير من أبوابها"[1].

ويقول في موضع آخر : "ولقد صدقت ياصديقي ... فإن القراءة تحفز على الكتابة ، وإن كان الكاتب لا يستطيع أن يستغني بالقراءة عن الكتابة"[2].

ويقول أيضاً في المقال السابق : "من المؤكد أنني سأعود ... في مدى قريب أو بعيد ، سأعود متى رأيت نفسي تواقة للعودة ، وأن في استطاعتي أن أكتب شيئاً ذا بال .."[3].

ولعل السؤال الطبيعي بعد هذه الاقتباسات ، هو إلى أي مدى حقق الرفاعي ما يطلبه من سعة الثقافة ، وتنوع المعلومات ؟ .

وقبل الإجابة على هذا التساؤل لا بد من الإشارة إلى أن سعة الثقافة أمر يختلف عن عمق الفكرة ، واتساع الاهتمام ، والتجديد في الأطروحات ؛ لأن المقصود بالثقافة مجموع المعارف التي يكتسبها المرء ، أما ذاك فهو في حقيقته ثمرة من ثمار الثقافة .

وللإجابة على السؤال الآنف الذكر لابد من تتبع العلوم التي تحدث عنها وسنجد بعد ذلك أن الرفاعي عني بعِلْمَين حتى كاد أن يتخصص فيهما ، وهما : الأدب ، والتاريخ . فكتب في عصور الأدب المختلفة ، في الجاهلي عن امرئ القيس ورحلته إلى قيصر[4]، وعن قريش والشعر[5]، وفي صدر الإسلام كتب عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبي الصلت[6]، وعن كعب بن مالك ، وضرار

---

(١) " عزيزي رئيس التحرير : يوميات " ، جريدة المدينة ، العدد ٤٣٦ ، (١٣٨٥/٤/١٤ هـ) .

(٢) " أخي .. القرشي : يوميات " جريدة المدينة ، العدد ٤٤٢ ، (١٣٨٥/٤/٢١ هـ) .

(٣) " عزيزي رئيس التحرير " ، المصدر السابق .

(٤) انظر : " للذكريات بحر وأمواج " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٥٠ ،(١٤٠٨/١/٧ هـ) . و" قصة دموع بين الضليل والضائع " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٣١١ ، (١٤١٠/٦/١١ هـ) .

(٥) انظر : سلسلة " قريش والشعر " ، مجلة قريش ، من العدد ١٩٨ - ٢٢١ ، (١٣٨٣/٥/٢٠ هـ - ١٣٨٣/٦/٢٥ هـ) .

(٦) انظر :" أمية بن أبي الصلت في الموسوعة العربية الميسرة " ،مجلة الحج ، العدد ٨ ،(صفر ١٣٨٦هـ).

ابن الأزور ، كما كتب عن بعض شعراء العصر الأموي كعمر بن أبي ربيعة[1]، والعرجي[2]، وبعض شعراء العصر العباسي ، وعن كثير من أدباء العصر الحديث ، والقضايا المتعلقة بهم ، أو القضايا الأدبية العامة كالسرقات الأدبية[3] أو الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع[4] .

وكانت أكثر كتاباته في التاريخ تتصل بالسيرة النبوية بسبب من الأسباب كحديثه عن (حكاية الغرانيق)، والكتب التي صنعها للتعريف ببعض الصحابة ، ولا نكاد نجد له كتابات عن التاريخ المعاصر.

وفي سائر العلوم تأتي إشاراته إشارات عابرة تدل على اهتمامه بها لا على الإلمام ، وهي ثلاثة علوم هي :

١ - علم الحديث : الذي أشار إليه عدة إشارات تتضح في كتابه (الرسول كأنك تراه) ، وفي بعض الأقوال الأخرى .

٢ - اللغة : ويظهر في محاولة تأصيل بعض الألفاظ ، من مثل (الروزنة) و(فزورة) ونحوها .

٣ - الجغرافية : وتظهر معالم هذا العلم في حديثه عن الدول التي تستقل أو الدول التي زارها ، كحديثه عن المساحة ، وعدد السكان ، والمناخ ، كما في أحاديثه عن ماليزيا ، وأسمرا[5] ويعتمد في مقالاته هذه إما على مشاهداته أو على الموسوعة الميسرة .

هذه هي العلوم التي نجد معالمها عنده ، أما سائر العلوم فتأتي إشارات يسيرة تدل على أنه استقى هذه المعلومات من وسائل الإعلام ونحوها . ولعل من اللافت للانتباه ألا نجد لعلوم العربية الأخرى أثراً عند الرفاعي ، فلا نجد لعلم النحو إلا

---

(١) انظر : " ابن أبي ربيعة لا يحب القمر " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٣٢٩ ، (١٤١٠/٧/١٠ هـ) .
(٢) انظر : " مع العرجي " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ٦٢٥ ، (١٣٦٥/١١/١٦ هـ) .
(٣) انظر : سلسلة " السرقات الأدبية" ، مجلة اليمامة ، من العدد ٢١١-٢١٤ ، (١٣٩٢/٦/٣ هـ - ١٣٩٢/٦/٢٤ هـ).
(٤) انظر : ص ١٣٩ من هذا الكتاب .
(٥) انظر : " كلام عن أسمرا : يوميات " جريدة البلاد ، العدد ١٧٢٧ ، (١٣٨٤/٥/٣ هـ) .

أثراً يسيراً كما في مقالته (هذي هي الحقيقة)[1]. وكان يرى أن النحو "أداة ... ويجب أن نأخذ منه بهذا القدر وأن لا يتحول إلى غاية في ذاته"[2].

ومثل النحو علم البلاغة ، والعروض ، والتصريف فهذه العلوم لا نكاد نجد لها أثراً عنده أو اهتماماً بها ، وما يقال عن هذه العلوم يقال عن سائر العلوم الإنسانية كعلم النفس والاجتماع .

أما الجزء الآخر من العلوم وهي العلوم التجريبية فثقافة الرفاعي بعيدة عنها ؛ إذ هي ثقافة تتجه نحو الدراسة العربية والشرعية منذ أول أيامه ؛ ولذا لا نعجب إذا لم نجد شيئاً عن تلك العلوم إلا ما يكون مصدره وسائل الإعلام ، وهو من العلم الشائع بين جميع مستويات الناس .

وقد أشار الرفاعي إلى هذا النوع من التخصص إذ يقول : " هناك موضوعات كثيرة تستهوي عامة القراء ... ومشكلتي أنني أعدها خارج نطاق اختصاصي .. هذا إذا كان لي اختصاص .. وبتعبير آخر هو ما لا أحسن الخوض فيه ... فأنا رجل قد أكتب في التاريخ والأدب ، والكتب وقد أعلق على بعض ما أقرأ ... ولكني لا أحسن تناول موضوعات الساعة "[3]. وبهذا يمكن القول : إن الرفاعي لم يستطع أن يحقق ما كان يصبو إليه لا سيما إذا علمنا أنه يرى أن لا يوقف الإنسان نفسه عند ثقافة خاصة إذ يقول : "إن المثقف الواعي يجب أن ينوع قراءاته وأن يسهم فضوله في كل أبواب المعرفة .

إن القارئ الذي يحجز نفسه في نوع من أنواع الثقافة ... إنما يضرب حول وعيه سوراً يقوقعه فلا تنفذ إليه أشعة الثقافة الجديدة . فهو بين المثقفين الجدد كالأطرش في الزفة .."[4].

---

(١) انظر : جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٨٤ ، (١٤٠٧/٤/٧هـ)

(٢) " بين الحين والحين " ، جريدة المدينة ، العدد ٦٠٦٢ ، (١٤٠٤/١/٢٦ هـ) .

(٣) " فلنبحث بين الأصداف " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٢٦ ، (١٤٠٧/٥/١٩هـ).

(٤) " عزيزي .. رئيس التحرير .. " ، جريدة المدينة ، مصدر سابق .

وعند السعي لتحديد معالم ثقافة الرفاعي واتخاذ الكتب التي تحدث عنها في مقالاته حديثاً فيه تفصيل أو التي اتخذها مراجع لكتاباته نموذجاً لهذا التحديد نخرج بهذه النتائج :

بلغ مجموع الكتب (٣٨٦) كتاباً مقسمة على النحو التالي :

التراثية	١٣٨	٠,٣٦
المعاصرة	٢٤٨	٠,٦٤

الجدول رقم (٢) يوضح نسبة تقسيم الكتب على العلوم

١	الدواوين والمجموعات الأدبية	١٢٩	٣٣٤ر٠٪
٢	كتب تاريخ الأدب والنقد	٥٠	١٢٩ر٠٪
٣	التاريخ	٦٠	١٥٨ر٠٪
٤	التراجم	٤١	١٠٦ر٠٪
٥	اللغة	٢٥	٠٦٣ر٠٪
٦	الجغرافيا	١٥	٠٣٨ر٠٪
٧	العلوم الأخرى	١٦	٠٤١ر٠٪
٨	السيرة	١٥	٠٣٨ر٠٪
٩	الدين	١٠	٠٢٥ر٠٪
	المجموع	٣٨٦	١٠٠٪

ومن خلال هذا الإحصاء اتضح أن الكتب التي بنى الرفاعي عليها ثقافته هي كتب معاصرة في الغالب . ثم إن هذه الكتب المعاصرة أكثرها مجموعات أدبية؛ إذ كان عدد المجموعات الأدبية المعاصرة (١١٤) مجموعة ما بين شعر وقصص أي بنسبة ٤٥٩ , ٠ وهي نسبة ليست ضئيلة .

وهذا يوضح أن الرفاعي لم يدعم ثقافته بكثير من الكتب التنظيرية التي تمده بالجديد من المناهل النقدية .

وأما الكتب التراثية فأغلبها تعنى بالتراجم ، حيث يبلغ عدد كتب التراجم ٢٩ مرجعاً ، بنسبة ٢٦,٩٪ ، ثم التاريخ وهي ٢٦مرجعاً بنسبة ٢٤٪ وهذا يعني أن عنايته بالكتب التراثية كانت متجهة نحو التراجم والتاريخ .

كما أن نتائج هذا الإحصاء تؤكد ما سبق أن قيل من أن الأدب والتاريخ هما العلمان المسيطران على ثقافة الرفاعي . ونسب العلوم تؤكد أن ظهور بعض العلوم عنده في بعض مقالاته كان مصدرها من الصحف والمجلات وسائر وسائل الإعلام التي يتساوى الناس في معرفتها .

٩ - الارتباط بالتراث

بعد أن انتبهت الأمة الإسلامية من ركودها الطويل في آخر القرن الثالث عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي ، اتجه كثير من العلماء إلى التراث العربي يكشفون عن كنوزه نشراً ، وتحقيقاً وتعريفاً .

وكما ظل هذا التوجه قائماً ، نشأت بجواره توجهات أخرى انصرفت إلى ما تتطلبه المعاصرة من دراسة الواقع ، وتقويمه وتوجيهه .

وليس لأحد من هذين الفريقين فضل على صاحبه ، فهما كفرسي رهان في خدمة الأمة الإسلامية ، وحمل رسالتها. والاتجاه إلى أحد هذين الطريقين من تيسير الله الذي يشتمل على ظروف النشأة ومؤثرات الثقافة .

والرفاعي تخرج في المعهد العلمي السعودي وهو معهد يجعل الاهتمام بالعلوم الدينية والعربية ، والمعارف التراثية هدفه الأول ، وهذه البنية الأساسية لثقافته جعلته يتجه نحو التراث أكثر من غيره كما مر من قبل[١].

وهاجس التراث العربي الإسلامي هو "الهاجس الذي استأثر بجهوده التأليفية ..

---

(١) انظر : الحديث عن توثيق الارتباط بالتراث ص٤٣ من هذا الكتاب ، والحديث عن ثقافته ص ٢٢من هذا الكتاب .

فقد قدم للمكتبة العربية ثلاثة عشر إصداراً استمد مادتها من معين التراث العربي"[1] بالإضافة إلى كثير من المقالات التي تحدث فيها عن موضوعات تراثية ؛ فالاتجاه التراثي يشكل جزءاً كبيراً مهماً من نتاج الرفاعي.

وقد أسهمت هذه المؤلفات والمقالات في إثراء المكتبة العربية وسد بعض حاجاتها القائمة سيما كتابيه (كعب بن مالك) ، و(خولة بنت الأزور).كما هيأت له هذه الجهود مع تبنيه فكرة الارتباط بالتراث شهرة في ذلك الحقل .

والمتتبع لأعمال الرفاعي منذ أول حياته ، ولمنهجه في الحياة يجد أنه كان يكثر من القراءات المعاصرة إما متتلمذاً أو ناقداً ، فالتتلمذ كان على كتب طه حسين ، والعقاد ، والرافعي ، وزكي مبارك ، والنقد للأدب المحلي المتاح أمامه في ذلك العهد ، ويجد أيضاً أنه لم يكن يرغب في أن يبتعد عن لغة النقد الحديث ، ويقترب عنه ؛ بل يجد في أن يطور لغته وأدواته بين الفنية والأخرى إذ يخشى أن يكون" بين المثقفين الجدد ، كالأطرش في الزفة .."[2].

ولكن الرفاعي وجد نفسه يبتعد عن لغة النقد الحديث وثقافته ووجد " أن طغيان الثقافات المتباينة التي تأثر بها بعض المثقفين العرب ، توشك أن تتحول عند هؤلاء إلى رموز مبهمة ، بل هي ... عجمة فكرية عجيبة يجتازها هذا العصر"[3].

وكان يصف نفسه فيقول : وعلى ذكر المجتمعات المثقفة فإن حالي فيها لا يسرني وهو إن علمت منه أيها العزيز ما أعلم فلن يسرك ...ماجلست - أيها الصديق - بين مجموعة من هؤلاء المثقفين فوجدتهم يرطنون أو يلوكون من الإنجليزية كلمات ومصطلحات إلا شعرت بغربة شديدة وطالما سألت نفسي ، أترى أنني في وطني . ..؟ وبين ربعي وقومي ...؟ أم أنني أخطأت الطريق .."[4].

---

(١) الرفاعي أديباً ، ص ٣٢ .

(٢) " عزيزي رئيس التحرير : يوميات المدينة " ، جريدة المدينة ، العدد ٤٣٦ ، (١٤/٤/١٣٨٥ هـ) .

(٣) توثيق الارتباط بالتراث : ص ٢٣ - ٢٣ .

(٤) " قطرة .. عن السراب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٤٧ ، (٢/٦/١٤٠٩ هـ).

فهل يعني هذا أن جنوحه للأدب التراثي كان إحساساً منه باستحالة المعاصرة ، أم أنه كان يخطط له منذ أول حياته ، وماصار إليه في آخرها كان طبيعياً للتطور المرحلي لفكر الرفاعي وعلمه ؟ .

على أنه لابد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الموقف من التراث ، والاتجاه نحوه في الدراسة والكتابة ، وإن كان للموقف تأثير على الاتجاه ونوعه . فموقف الرفاعي من التراث كان موقفاً إيجابياً منذ البداية ، عليه تتلمذ ، ومنه بنى أساس ثقافته ، أما الاتجاه نحوه بالدراسة فقد يكون نتاج ظروف معرفية لم يستطع الفكاك منها .

ويفهم من هذا أن الاتجاه نحو التراث عنده جاء على مراحل ، فعلى الرغم من أن ثالث مقال له كان في حقل التراث إلا أن الكتابة في الموضوعات التراثية بعده توقفت ولم تظهر إلا في العقد التاسع من القرن الرابع عشر . ولم يزل هذا الاتجاه نحو التراث يتطور حتى اكتمل في محاضرته (توثيق الارتباط بالتراث) ، وفي كتبه التالية لها ؛ بل إن الرفاعي أصبح في آخر حياته لا يعد الأديب أديباً ما لم يرتبط بالتراث ، وامتدت جذوره إلى التراث . "فالأديب الذي لم يدرس امرأ القيس والمتنبي ، والمعري ، والجاحظ لا يمكن أن يحتسب في الأدباء العرب"[1] في رأيه .

---

(١) حوار مع عبدالعزيز الرفاعي ، مجلة الدستور ، العدد ٧٣٦٨ ، (١٩٧٩/١٠/٥م) .

ثانيا : السمات اللفظية

١ - الألفاظ

تعد الألفاظ المادة الأولى لبناء هيكل الشكل الأدبي ؛ ولذا فإن العناية بها ، تعد المرحلة الأولى للعناية بالشكل بوجه عام .

وقد عني الرفاعي بألفاظه عناية فائقة ، لكونه يرى "كل كلمة من كلماته إنما هي تدل عليه دلالة الاسم على صاحبه"[١]، وكان كثيراً ما يشير إلى أنه قصد إلى هذه الكلمة قصداً ، ولم يأت بها عبثاً كقوله : " وكان لزاماً على مفكرينا أن يدرسوا هذا المفترق ، وأن يساعدوا المرأة في اختيار الطريق الصحيح .

وقد قلت "يساعدوا" ولم أقل "يضعوا" لأنني أود أن تعنى المرأة ذاتها ، أو المفكرات منهن على وجه الدقة بدراسة المستقبل النسائي"[٢].

وقد اتسمت ألفاظ الرفاعي بالوضوح المتوسط بين الغرابة ، والابتذال ، فالقارئ لا يحتاج في فهم ألفاظه إلى الرجوع إلى المعجم مهما كان مستواه ، كما أنه لن يجد لفظة نابية أومبتذلة مما يمجه الذوق وينفر منه ، خاصة في المستوى الأخلاقي. وقد كان يقصد إلى هذا الوضوح فألفاظه من أوساط لغة المثقفين والخاصة ؛ وذلك لأنه يرغب أن يكون قريباً من القارئ العادي ، مؤثراً فيه ، متصلاً به .

وهي إلى ذلك قصيرة في مجملها تصل الخمسة حروف ، ولا تتجاوزه إلا في القليل ، ولعل هاتين السمتين من تأثير قراءاته الطويلة للأدباء الناثرين في العصر الحديث من أمثال العقاد ، والرافعي ، وزكي مبارك ، وطه حسين ، والمازني وغيرهم الذين مهدوا للغة العصر الحديث الواضحة[٣].

---

(١) " عزيزي الصحيح : سوق عكاظ " ، جريدة عكاظ ، العدد ٥٧٨ ، (١٣٨٦/٦/٦ هـ).

(٢) " كتب .. كتب .. كتب : يوميات البلاد " ،جريدة البلاد ، العدد ١٩٥٠ (١٣٨٥/٣/٨ هـ) ، وانظر: " ثرثرة ثانية عن أدب العامية ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩١١ ، (١٤٠٦/٦/٢٩ هـ) .

(٣) انظر : الدكتور محمد مندور . الأدب وفنونه .- د . ط .-(مصر : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د .ت) ، ص ١٩٠، ١٩١ ، ١٩٢ . والدكتور عبدالعزيز شرف . اللغة الإعلامية ، " فصل لغة الصحافة " .- الطبعة الأولى .- (بيروت : دار الجيل ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م) ص ٢٥ ومابعدها .

ومن الشواهد على هاتين السمتين قوله : "لقد لاحظت بكثير من العتب، أن شعراءنا الكبار ، بعد أن أخذوا يصدرون مجموعاتهم الشعرية كاملة ، أو شبه كاملة ، قوبل صنيعهم الحيوي هذا بالصمت. كأن شيئاً ما لم يهز الساحة الأدبية ، ولم يحرك ركودها ، بينما لم تفتر قبل ذلك المطالبة بنشر هذه المجموعات لكي تدرس دراسة مستوعبة منصفة على ضوء تصور ملموس .. وإذا كان هناك شيء قد تم .. فلابد أن يكون قد تم في خطوات لا يتفق مع أهمية الحدث ، ولعل شيئاً مما تم قد اندس في أروقة الجامعات ، مما لم يحظ بالإعلان الكافي"[1].

كما تتسم ألفاظه بالسهولة والهمس ، فهو بعيد عن الخطابية ، والتقريرية في أسلوبه ، يعتمد على البث ، وكأنه يتحدث بصوت خفيض ، موافقاً بذلك تيار الأدب الحديث الذي ينفر من الخطابية ، ويعظم الهمس ويرفع من قدره[2].

ويظهر هذا واضحاً حينما ندرس ألفاظه دراسة صوتية ، إذ نجده يكثر من حروف الهمس ، والذلاقة ، والمد ، ويقلل من حروف الشدة والقلقلة ، والإطباق ، وفي تطبيق هذه الدراسة على نماذج من نثره ، وجد الباحث أن نسبة الحروف اللينة تتراوح ما بين ٧٠ - ٨٠٪ . أما حروف القوة والجزالة فتتراوح ما بين ٢٠-٣٠ ٪ ، وفي هذا دلالة كبيرة على تفضيله الهمس ، والسهولة ، كما يظهر هذا في اعتماده الكثير على الجمل الخبرية ، وبعده عن الجمل الإنشائية التي يعتمد عليها الأسلوب الخطابي كثيراً ، فهو لا يستخدم الإنشاء إلا في القليل بحيث لا تعد المراوحة بين الإنشاء والخبر سمة من سمات أسلوبه .

وإذا ما أراد أن يستخدم الخطابية في بعض مقالاته فإنها تأتي متكلفة ، ولا يلبث أن يعود إلى طبعه وفطرته ، كقوله :" لا ..لا تذيعوا التسعيرة .. لماذا ؟

---

(١) " هلموا هذه دواوينهم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٨٥ ، (١٤١٠/٢/٤ هـ) وهذه السمة في كتاباته سمة لازمة ، وهي أظهر من أن يمثل لها بمثال ، أو يستشهد عليها بشاهد ،

(٢) لا يعني هذا أن الهمس عنده كالهمس عند الشعراء ، فاللغة الشعرية التي تغلب العاطفة تختلف عن لغة النثر التي مجال العاطفة فيها ضيق ، وإنما المجال للعقل ، والفكرة ، فهمس النثر يناسب لغة العقل .

لأنها - بكل بساطة - شيء غير عملي .. لأنها شيء نسمعه في الكتب .. العفو في الإذاعة .."[1].

وهذا الميل من الخطابية إلى الهمس في أسلوبه سمة عفوية فيه غير متكلفة ، وهي صورة صادقة لشخصية الرفاعي الهادئة التي تبتعد عن العنف واللجاج ، والخصام ، وتفضل اللين ، والرفق في كل شيء ، والمجاملة . ويكفي أن يكون أسلوبه صورة له .

ومما يظهر الهمس والهدوء في أسلوبه .. بعده عن فعل الأمر ، فهو لا يستخدم فعل الأمر إلا في القليل النادر إذ يقول : " إنني لا أحب استعمال أفعال الأمر ، واللاءات الناهية . لأقول ياشباب افعلوا أو لا تفعلوا . إنني أدرك أن هذه الأوامر المباشرة . لا تصل إلى القلوب . أو هي نادراً ما تصل . ولكن الوسائل غير المباشرة تستطيع أن تتسلل إلى القلب والفكر لتصنع شيئاً.."[2] ويظهر أن هذه السمة ظهرت عنده في أول أمرها في المقالة الاجتماعية ثم غلبت على أسلوبه كله فيما بعد .

وإذا كان فعل الأمر قد اختفى من كتابات الرفاعي إلا في النادر، فقد ظهر بكثرة الفعلان المضارع والماضي ، وهما يدعمان الهدوء ، والهمس في أسلوبه .

والأفعال المضارعة عنده أكثر من الماضية خاصة في المقالة الاجتماعية التي تتطلب الدعوة فيها إشعار المتلقي بالحاضر والمستقبل ، ودفعه إلى العمل بالتوجيهات التي تحملها المقالة[3]، ومثلها المقالة الوصفية التي يسعى فيها لنقل المشهد نابعاً بالحياة ، فيلجأ إلى الفعل المضارع بدلالته على الاستمرار. ومن شواهد ذلك في الوصف قوله : " إلى جوار كرسيي وعلى بعد خمس خطوات منه . يجلس فنان على كرسي متواضع . رسام بارع . يضع أمامه لوحة ورقية بيضاء . يجلس

---

(١) " لا.. لا تذيعوا التسعيرة : يوميات "، جريدة البلاد ، العدد ١٦٨٠ ، (١٣٨٤/٤/٤ هـ).

(٢) " بكت عيني اليسرى : من يوم ليوم "، جريدة الرياض ، العدد ١٧٥١، (١٣٩١/١/١ هـ) .

(٣) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠، (١٤٠٣/٣/١ هـ)، و" أشياء رمضانية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٢ ، (١٤٠٩/٩/١٩ هـ) .

إلى جوارها شخص ما . قد يكون طفلاً أو طفلة . أو فتى أو فتاة . أو رجلاً أو امرأة فلا تكاد تنقضي نصف ساعة من الزمن . حتى تنتقل ملامح هذا الشخص إلى اللوحة الورقية البيضاء وتعجب لهذه الدقة المتناهية التي تبدو في الصورة . وترى أن الرسام لم يفته أن ينقل حتى التعابير الدقيقة التي تبدو على سطح الوجه"[1].

وأغلب ما يظهر الفعل الماضي في الأسلوب السردي المتكئ على قص الأحداث المنصرمة في زمن مضى ، كما في قوله : "عندما وصلنا إلى قمة الجبل انبسطت أمامنا أرض حواء الخضرة كأنما فرشت ببساط أخضر سندسي . أو كأنما هي لوحة كبيرة لونت باللون الأخضر في طلاء رائع منسق بديع . كانت الحشائش الخضراء تفرش الأرض جميعاً ما ارتفع منها وما انحدر . الأرض المنحدرة . قد اتخذت فيها ملاعب للجولف . وغيره . انتشر فيها من الأندية لاعبون ولاعبات . ومضى فريق من الأطفال يلهون . والأرض المرتفعة ازدانت بألوان من الزهور وأنواع . وقامت هناك فنادق وحوانيت صغيرة . ومتكآت للراحة .. ومظلات من الخيزران للمتنزهين تقيهم وطأة الشمس ، أو ما انهمر من ماء السماء ..."[2].

وفي المقالة الاجتماعية يعتمد الرفاعي على ضمير الجماعة ، أو المفرد الغائب ؛ ذلك لأنه لا يخص نفسه بالحديث ، وإنما يعبر عن رأي الجماعة ، أو يدعوها ، أو يتحدث عن شخص أنابه عن الجماعة ، فتحدث عنه بضمير الغائب ، وهذا ما تتطلبه المقالة الاجتماعية[3].

أما في المقالة الأدبية الذاتية ، والوصفية ، فيظهر ضمير المتكلم الواحد لأنه

---

(1) " الحياة على قارعة الطريق" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٨٦، (١٤٠٦/١٢/٢٧ هـ) .وانظر: "صورتان .. وتلفزيون : يوميات " ، جريدة المدينة ، العدد ٤٢٤ ، (١٣٨٥/٣/٣ هـ) ، وانظر : خمسة أيام في ماليزيا ، ص ١٥ .

(2) خمسة أيام في ماليزيا ، ص ٤٥ - ٤٦ . وانظر :" الناس والكلاب"، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣، (١٤٠٩/١٠/١٠ هـ) .

(3) انظر : " العبيد كان .. وصار " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٤٤ ، (١٤٠٦/١١/١٤ هـ) . و"محطات"، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠ ، (١٤٠٣/٣/١ هـ) . وانظر :" زوجتي لا تصدقني" ، ١٣٨٣/٤/١٦هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

يتحدث عن نفسه ، أو يصف أشخاصاً أو مناظر شاهدها[1].

وكما أن الرفاعي ينوع في الاستخدام بين المضارع والماضي ، فإنه قد يمزج بين الفعلين فيأتي بالفعل المضارع منفياً كقوله : "لا يركب السيارة إلا إذا لم يجد حماره بين يديه ، ورجليه ، ولا يسمع في الراديو إلا اللحن اليماني.."[2] وقوله : "يقولون إن الكلاب لا تسرق ، ولا تكذب ، ولا تغش في عواطفها ، ولا تخون أصحابها" [3] وهو بهذا النفي يسلبها معنى المضارعة ويدخلها في حقول الماضي ، وكأنه بهذا المزج بين الأزمنة الثلاثة الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، يلخص منهجه في الحياة ، وفي الأدب والثقافة ، وهو التعايش مع الواقع ، والاستشراف للمستقبل ، واستصحاب الماضي والانطلاق منه . وقد كان الرفاعي يعي هذا إذ يقول : "وكان أن اخترنا أن ندرس كتاب على (هامش السيرة) لطه حسين. فهو كتاب يجمع بين ذلك المنحى الذي كنا نتخذه في حياتنا ، وهو أن نجمع بين الثقافتين القديمة والجديدة . ووجدنا في ذلك الكتاب، اللقاء المنشود"[4].

واستخدام الرفاعي للأفعال في الغالب مجردة عن الزيادة ، وإذا استخدم حروف الزيادة فإنه يستخدمها بقدر محدود ؛ وذلك طبقاً لحياته التي شقها معتمداً على نفسه متجرداً من كل عون إلا من الله ، والتي يقول في وصفها :

"نشأت وحيداً مفرداً . ليس لي عم. ولا خال . ولا إخوان . تحملت وحدي مسئولية أسرتي .. وتعلمت كيف أعتمد على نفسي"[5].

وصدى لهذه التجربة التي عاشها انطبعت ألفاظه ، وكلامه بهذا الطابع المتميز[6]،

---

(١) انظر : " الحياة على قارعة الطريق "، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٨٦ ،(١٤٠٦/١٢/٢٧هـ) ، و"قطرة .. عن السراب ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٤٧ ،(١٤٠٩/٦/٢هـ)، ورحلتي مع المكتبات .

(٢) " صورتان ... وتلفزيون : يوميات " ، جريدة المدينة ، العدد ٤٢٤ ، (١٣٨٥/٣/٣ هـ) .

(٣) " الناس والكلاب " ، جريدة الجزيرة ، المصدر السابق .

(٤) " بين الحين والحين " ، جريدة المدينة ، العدد ٦٠٦٢ ، (١٤٠٤/١/٢٦هـ) .

(٥) " أنا والجائزة " مجلة المنهل ، مج ٥٣ العدد ٤٩٠،(صفر ١٤١٢ هـ) .

(٦) انظر : " كل أسبوع " ، جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٠٤، (١٣٧٣/١١/٢٢ هـ) ، و " أين الصحيح : في الوسط " ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٢١٣٩ ، (١٩٨٤/١٠/٦ م) .

ومن أكثر صيغ الزيادة عنده الصيغ الدالة على المشاركة من مثل الفعل : (تواكب ، تتابع ، تساهم ، تضايقت ، يتناثر)[1]، وهذه الظاهرة مظهر من مظاهر حب الرفاعي للعمل المشترك الذي يشترك فيه مع غيره ، لتحقيق الأهداف الكبيرة التي لا يمكن أن يحققها الفرد وحده . وقد ظهر هذا جلياً في بعض أعماله كالقيام بتأليف بعض الكتب بالاشتراك ،[2]وكاشتراكه مع بعض لداته بإنشاء لجنة النشر والتأليف ، وكإنشاء مجلة عالم الكتب[3].

ولا يكاد الرفاعي يستخدم صيغ المبالغة إلا في القليل النادر ، ولعل ذلك عائد إلى طبيعته التي لا ترتاح إلى التهويل ، والتضخيم ، والمبالغة ، والتي يقول عنها حين لم يجد في حياته يوماً مختلفاً عن باقي أيامه : "ومن يدري فقد يكون هذا التغيير غير يسير ، كما ظننته ، ولكن طبيعتي أو نظرتي الخاصة إلى الحياة والأحياء ، ربما كانت هي المسئولة عن إعطاء بعض وقائع الحياة أثراً خافتاً غير ملحوظ ، إذن فمرد المسألة يعود إلى فلسفتي الخاصة . تماماً كما حدث العكس عند بعضهم ، من الذين يُكبّرون الصغير ويجعلون من الحبة قبة"[4].

وبقدر ابتعاده عن صيغ المبالغة كان اقترابه من أدوات التقريب ، فنجد الكلمات : (يكاد ، يوشك ، ربما ، لعل) تظهر عنده بشكل كبير ، وقد يكون ناتجاً عن عدم القدرة على القطع بالأمر قطعاً لايخالجه شك ، فيعمد إلى هذه الأدوات ليجعل كلامه دقيقاً ، وليمكن نفسه من الخروج إذا وقع عليه شيء من اللوم أوالتعقيب .

وعلى الرغم من موقفه المتشدد من استخدام الألفاظ الأجنبية ، وخلطها بالألفاظ

---

(١) المصدرنفسه .

(٢) انظر : الحديث عن هذا في ص ١٠٧ من هذا الكتاب .

(٣) قام الرفاعي بإنشاء لجنة النشر والتأليف في الستينات الهجرية ، مشتركاً مع بعض أصدقائه كأحمد جمال ، وصالح جمال ولكنها توقفت لأسباب مادية .كما قام بإنشاء مجلة عالم الكتب بالاشتراك مع صديقه – الأستاذ عبد الرحمن المعمر ، وهي مجلة تعنى بشئون الكتاب ، ولا تزال قائمة إلى الآن مع ما تلاقيه من صعوبة التمويل وعزوف الجمهور .

(٤) " عيد لا أنساه " ، ١٣٨٦/٩/٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

العربية ، والذي سماه بالكشري[1]، وتحدث عنه في مقالات كثيرة ، على الرغم من هذا فقد استخدم بعض الكلمات الأجنبية ، ونشرها في كتاباته من أمثال :

* التاكسي في قوله : وصلت "ابن بطوطة" إلي طنجة .. وكان لابد من التماس تاكسي أو "طاكسي" كما ينطقونه في المغرب"[2] .
* دينمو ، في قوله : ويكاد الأستاذ " أحمد أمين " يمثل "الدينمو" الذي يحركها كما يحرك أكثر نشاطات لجنة الترجمة والنشر"[3] .
* أوتيل كما في قوله :"ولم يكد يستقر بنا المقام في الأوتيل ، حتى أخذنا نتصل بهذه الثلة الكريمة حيث انضممنا إليها في روحاتنا وغدواتنا .."[4] .
* بقوس ومنيس، في قوله:"لقد كان كل شيء أراه (بقـوس) و(منيس)[5].
* بوليس ، في قوله : "وفي نهاية المنحدر ، كان هناك أحد رجال بوليس المرور متخفياً في ملابس مدنية وأخذ صفارته وراح ينفخ فيها"[6].
* كرافتة ، في قوله : "فعنقي موثّقة بغل مزركش أسموه (كرافتة) ضيق من خناقي ، وأخذ بتلابيبي ، ولم يدع لي متنفساً . وجعل صوتي ، حشرجة..."[7].

وكما يظهر ، فإن هذه الكلمات ليست من الألفاظ التي ليس لها ما يقابلها في العربية حتى يضطر إلى استخدامها ، ويخرق ما ينادي به من اجتناب الصيغ والألفاظ الأجنبية .

وإن كان من الحق أن يقال إن هذه الكلمات لم تخرج عن الكتابة الصحفية إلى

---

(١) انظر : القضية مفصلة في المقالة العلمية ، ص ٢٠٤ من هذا الكتاب.

(٢) " مع " ابن بطوطة إلى طنجة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨١٤ ، (١٤٠٩/١/١٧ هـ) . وابن بطوطة ، التي أنث الفعل معها هي اسم السفينة التي كانت تقلهم عند الذهاب إلى جزيرة الخضراء .

(٣) " مشوار أدبي : على هامش الأيام " ، جريدة البلاد ، العدد ١٤٠٣ ، (١٣٨٣/٤/٢٣ هـ) .

(٤) خمسة أيام في ماليزيا ، ص ١٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

(٦) " حاربوا معليش " ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي .

(٧) " لقطات:الأديب الذي فقدناه .. وحديث الذكريات "، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٦٤،(١٤٠٤/٩/١هـ).

المقالات والبحوث العلمية الجادة ؛ ذلك لأن المقالة الصحفية يكثر فيها الخروج عن النسق اللغوي الصحيح ، وقد جاء أكثرها في معرض الدعابة والخروج عن الرسمية ، ومما يؤيد ذلك أنه يتحدث أحياناً بلهجة القوم الذين يتحدث عنهم[1].

ولم يستخدم الرفاعي شيئاً من الألفاظ التي وضعها المجمع أو عربها إلا ما ندر ، ولعل ذلك راجع لموقفه من المجمع الذي أوضحه بقوله : "وكان لجهلي بأعمال هذا المجمع ، وغيره من المجامع المماثلة ، أثره الكبير في الأحكام الخاطئة التي ترسبت في ذهني ، بالإضافة إلى تلك التشويهات الصحفية التي تضافرت مع ذلك الجهل"[2]. وكان هذا الموقف قبل انضمامه إلى أعضاء المجمع ، واطلاعه على جهوده .

وللألفاظ العامية شيء من الحضور عند الرفاعي وكان مجال ظهورها المقالة الصحفية ، وفي مواضع محددة ، للدلالة على الدعابة ، أو لذكر ما كان عليه الناس في القديم ، في وقت الموضوع الذي تتحدث عنه المقالة .

ومن أمثلة الألفاظ العامية :

* العلقة ، أكلتها (بمعنى أخذتها) كما في قوله : " حيث تذكرت (العلقة) التي (أكلتها) بسببك"[3].
* الحق ، مخلوان ، كما في قوله : "وانتقلت من ذلك البيت الصغير أو من (الحق) إلى دار أفسح قليلاً استطعت أن أخصص لي فيها (مخلواناً) أي غرفة خاصة انفرد بها بنفسي وبكتبي"[4].
* الكرويت ، كما في قوله : "وأن الناس في بلادي سيهجرون نوم الأرض إلى السرر ، وغرف النوم ، وأنهم سيتركون (الكرويت) و(الأسطحة) إلى الغرف

---

(١) من ذلك كلمة " طاكسي " الآنفة الورود .

(٢) " مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً : كتب قرأتها " ، مجلة عالم الكتب ، العدد ٣ ، مج ١٣، (ذوالقعدة ، ذو الحجة ١٤١٣ هـ) .

(٣) " الله جابك " ، جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/٩/٣هـ) .

(٤) " ذكريات مكتبة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢ ، (١٤٠٩/٢/١٥هـ) .

المبردة (بالكنديشن)"[1].

* سكر نبات ، في قوله : "وهي - غالباً - أيضا لذيذة الطعم تختفي فيها مرارة الدواء ، مع طعم حلو هوأكثر ما يكون (سكر نبات)"[2].

* شرش ، في قوله : "ولكن يبدو أن الطعام تحول إلى (شرش) وأن الملح أخذ يكثر كثرة مزعجة"[3].

وليس في هذا الاستخدام ما يعيب لغة الرفاعي ، لا سيما على قول من يرى أن " اللغة مجموعة علاقات وليست مجموعة ألفاظ ، أي أن اللغة أساليب فإذا جاء التعليق بين وحداتها وفق عرف الجماعة اللغوية فلا يضيرها وجود دخيل أو غريب في أساليبها"[4]، لاسيما وأنه لم يخرج إلى الابتذال في استخدامها ، بل استطاع أن يجعل هذا الاستخدام في خدمة أسلوبه ؛ إذ جاءت متوائمة معه دون نشوز أو تفكك بل إنها كانت في كثير من الأحيان أداة من أدوات ربط الأسلوب بمقام استعماله ، فتساعد على تصوير الأمر على صفته للقارئ ، وتجعله متفاعلاً مع الحدث وكأنه حاضر له ، وإشعاره بما كان يحسه الرفاعي في المشهد المصور ، وهو شعور ما كان القارئ ليدركه تمام الإدراك لو كان باللغة الفصحى الخالصة .

ثم إن هذا الاستخدام المعتدل المقصود للألفاظ الأجنبية والعامية ، جعل الرفاعي كاتباً واقعياً يقترب من القراء ، ومن واقعه . ولم يجعله كاتباً نخبياً يرتفع عن الذوق العام إلى ذوق المثقفين . ومن مظاهر هذه الواقعية تحدثه بألفاظ المجتمع كقوله : "فقد كان يعمل « سمكريا » وكثيراً ما « يلحم » ثقوب الأباريق والمغاريف ... التي كانت مستعملة أيامها من «التنك». وكان يخصص زاويته

---

(1) " رحلة إلى الفنادق " ، جريدة الجزيرة ، مصدر سابق .

(2) " معجون الحب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ، (١٤٠٥/٢/٢٦ هـ) .

(3) المصدرنفسه ، وانظر : " افتحوا النوافذ : سبعة أيام " ، جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣٢، (١٤٠٦/٢/١٠ هـ).

(4) الدكتور البدراوي زهران ، أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث ، مكتبة سلسلة الدراسات الأدبية ، ٨٨ .- د.ط.- (مصر : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٥٤ .

للنقد الاجتماعي"[1]، وقد يغوص في الواقعية حتى يذكر بعض الصغائر بأسمائها غير مكنٍ أو معرض ، بغية الوضوح والتأثير، كقوله : "إن الأغنية سلاح خطير ذو حدين تستطيع أن تهدم .. في حالة الإشادة - مثلاً - بالسرير والشلحة .."[2]،

ومعجم الرفاعي اللغوي واسع أفاده من قراءاته المتنوعة وعند تطبيق مقياس و.جونسون لقياس تنوع المفردات [3] بلغت نسبة التنوع الوسطية ٦٣٪، وهي نسبة جيدة إذا قورنت بالنسبة الوسطية لتنوع المفردات عند كبار الكتاب من أمثال : العقاد ، والرافعي ، وطه حسين وهي : [4]

١ - العقـــاد ٧٢ ٪ .

٢ - الرافعـــي ٧١ ٪ .

٣ - طه حسين ٦٩ ٪ .

وللأفكار التي تلح على الرفاعي في فترة ما أثر على ألفاظ تلك الفترة فنجد لبعض الألفاظ حضوراً في فترة دون أخرى فالألفاظ (الشعب ، التطور ، الحضارة ، النهضة ، مرحلة تطورية)[5]. ظهرت في المقالة الاجتماعية فيما بين ١٣٨٠-١٣٨٦هـ حتى بلغ من تكرار هذه الألفاظ أن كان بعضها يرد في المقالة الواحدة أكثر من خمس مرات ، وهي صدى لأفكار البناء التي كانت تلح على أدباء تلك الفترة .

---

(١) " أدب وأبو أربعة أسود " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٩٦ ، (١٤٠٥/٨/٩ هـ) .

(٢) " مؤتمر الشعراء " ، ١٣٨٤/٥/٢٨ هـ . مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) يرجع في معرفة هذا المقياس إلى الدكتور سعد مصلوح ، في النص الأدبي دراسة ، إحصائية ، كتاب النادي الثقافي . بجدة ، ٦٥ .- الطبعة الأولى.-(جدة : النادي الثقافي الأدبي ، ١٤١١هـ/١٩٩١/١/١٦ م) ص١٠٦ . وما بعدها .

(٤) أخذت هذه النتيجة عن الدكتور سعد مصلوح في كتاب :في النص الأدبي دراسة إحصائية ، ص١١٨ .

(٥) انظر : " شارع الأشراف : يوميات المدينة"، جريدة المدينة ، العدد ٤١٨ ، (١٣٨٥/٣/٢٣ هـ) . و" مشكلة التطور: فكرة اليوم"، ١٣٨٣/١/٢ هـ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و" توعية الموظف : فكرة اليوم " ، ١٣٨٦/١/٦ ، مخطوط إذاعي في دار الرفاعي . و" انفعال التجربة : سوق عكاظ"، جريدة عكاظ ، العدد ٥٤٩،(١٣٨٦/٥/٣ هـ). و" لجنة النشر"، ١٣٨٦/٤/١٦هـ، مخطوط في دار الرفاعي و"من أجل المدرس"، ١٣٨٥/٧/٢٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

وفي عـام ١٣٨٧ هـ ومـا بعـدها ظهـرت عنده الألفـاظ التي تدل على الحـرب مع إسرائيل مثل (إسرائيل ، الحرب ، المعركة ، العدو)[1]. مما يدل على أثر الحـرب مع إسرائيل عليه ، وحماسته للقضية الإسلامية في فلسطين .

وفي عام ١٤٠١هـ وما بعدها ظهرت عنده في المقالة الاجتماعية بعض الألفاظ مثل : (الرحمة ، الإنسانية ، الخير)[2] مما يدل على اتجاهه نحو الأعمال الإنسانية ، وهي مرحلة أخيرة في فكر الرفاعي .

ولا نجـد لـه في المقـالة الدينيـة ألفـاظاً تنتـمي إلى مـعـجم الفـقـهـاء ، وإلى اصطلاحاتهم ، الأمـر الذي يوحي بأنه لا يعـالج مـا يعـالج من مـوضـوعـات دينيـة انطلاقاً من ثقافة فقهية عميقة تأثر من خلالها بأساليب الفقهاء ، وإنما يتناولها في تناولاتـه العامة بثقافة الأدب وأسلوبه .

كما يظهر عند الرفاعي وضع بعض الكلمات بين الأقواس مثل : (أبوالهول) ، (المشاعر) ، (الشاعر) ،(تحت الأرض)،(الجنون) ، (غوار) ، (الفول) ، (الجلايل) ، (الفـسـحـة) ، (الطيش) ، (مـتنور) ، (الصـحـيـة) ، (انضـرب) ، (التنك) ، (سمكري) ،(يلحم) .

وهي مجموعـة ألفاظ خليط من العامية والفصحى ، وقد يكون وضع الكلمات العامية بين الأقواس أمراً معتاداً للدلالة على أنها خارج السياق اللغوي المتعارف عليه ، أو أنها نزول عن المستوى الفصيح إلى مستوى القارئ العامي ، ولكن هذا الأمـر لا يظهـر في الكلمـات الفـصـحى التي وضـعت بين الأقـواس من مـثـل : (الشاعر) ، (الثريا) ، (السجسج) . وقد يكون لكل كلمة وضعت بين قوسين سبب

---

(١) انظر كتبه : توثيق الارتباط بالتراث ص ١١ ، ١٢، ١٣ ، ٢٧ . كعب بن مالك ص : ١٠ ، ١١ ، وانظر : " بكت عـيني اليـسـرى : من يوم ليـوم " ، جـريدة الرياض ،العـدد ١٧٥١ ، (١/١/١٣٩١هـ).

(٢) انظر : " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠ ، (١٤٠٣/٣/١ هـ).و " الناس والكلاب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣، (١٤٠٩/١٠/١٠هـ) . و" فكرة لحاضرهم ومستقبلنا " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٣ ، (١٤١٠/٣/٣ هـ) .

خاص بها ، ولكنها تشترك في أنها أضافت إلى المعنى اللفظي المعجمي معنى إيحائياً آخر يظهر من السياق ؛ وذلك مثل قوله : "الوسيلة الأولى إذن هي الطب الأوربي . وقلما الناس يلجأون إليه . ولا يكاد يلجأ إلا واحد (متنور) يحمل نفسه أو أهله إلى مستشفى أجياد.."[1] وقوله : "لكن المسافر فيه أدناه..يود أن يتناول حالات من تلك المحطات (الحنون) التي تنتشر في البلاد (الراقية) أي ليست نامية .. لأنها نمت من زمان"[2].

وهذا يدل على قدرة الرفاعي على استخدام الألفاظ في أكثر من سياق ، وعلى إظهار ظلال الكلمة والإشارة إليه .

٢ - التراكيب

يذهب كثير من النقاد[3] إلى أن الجملة في الكتابة الحديثة مالت إلى القصر بعد أن كانت طويلة في الكتابة القديمة عند الأسلاف ؛ وذلك من أثر الصحافة في العصر الحديث .

وعلى الرغم من هذا فإننا نجد أن الجمل عند الرفاعي تتسم بالطول ؛ إذ تصل في كثير من الأحيان إلى السطرين التامين مع أنه كاتب معاصر ، عمل في الصحافة فترة من الزمن ، يقول الرفاعي : "سرح بي خيالي بعد أن قرأت عن عزم أمانة مدينة جدة على إعادة بوابات جدة إلى أماكنها التقليدية أقول سرح بي خيالي إلى الصورة التي تبقت في ذهني من هذه البوابات"[4]، ويقول أيضاً : "وإن أحق ما يجدر التركيز عليه اليوم ، هو ما يمكن أن أسميه ارتفاع نسبة الغرور البشري تبعاً لارتفاع نسبة قدرة الإنسان على تطويع الآلة واستعمالها

---

(١) " معجون الحب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ، (١٤٠٥/٢/٢٦ هـ) .
(٢) " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠ ، (١٤٠٣/٣/١ هـ) .
(٣) انظر : الدكتور محمد علي أبو حمدة ، فن الكتابة والتعبير .- الطبعة الثانية .- (الأردن : مكتبة الأقصى ،١٤٠٨هـ /١٩٨٧م)، ص ١٤٨ والدكتور عبدالعزيز شرف ، اللغة الإعلامية ، ص ٢٢١.
(٤) " محطات " جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٩٥ ، (١٤٠٤/٣/١١ هـ) .

إلى آماد بعيدة ، لم يكن ليحلم بها من قبل"[1].

وهذا يعني أنه لم يتأثر بطريقة الكتابة الصحفية تأثراً كبيراً ولم يقف أثر الكتاب الصحفيين المعاصرين في هذه السمة[2]، وإنما ظل على أسلوبه القديم تابعاً أثر الأدباء الرواد الذين كانوا يعملون في الصحف كطه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسين هيكل ، ومع ذلك لم تمل جملهم نحو القصر ، ولعل هذا التأثر كان ثمرة قراءة الرفاعي الطويلة لكتبهم وتتلمذه عليهم منذ صغره ، وثنائه العظيم عليهم[3].

ولا يعني هذا أن الجملة الطويلة جملة إسنادية واحدة ، كلا فهي تحتوي على مجموعة جمل إسنادية أخرى من مثل قوله : " يخيل إليّ - أحياناً - أن الحياة دوائر متصلة ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، دوائر ذات ألوان ، منها الصافي المنير ، ومنها الأسود الحالك المعتم ، ومنها الأحمر والأزرق والأخضر"[4] فهذه الجملة الطويلة التي تجاوزت السطرين تحتوي على عدة جمل إسنادية تختلف بين اسمية ، وفعلية .

وتختلف الجمل الطويلة ، في تركيبها ، فمنها المركبة كما في الأمثلة السابقة ، ومنها الجملة المتداخلة [5] التي تتابع فيها عدة جمل ولا تتم الفائدة إلا في الجملة الأخيرة كقوله : "ألا ترى أنك تحاول أن تصوغ لابنك حكمة الحياة لتجنبه السير على أشواكها .. ولتقدم له طريقاً معبداً سهلاً .. فيأبى إلا أن يثبت شخصيته ... ويبدأ الدرب من أوله بكل أشواكه ومصاعبه .."[6]، وكقوله : "ومع أن البشرية في

---

(١) " أين المسير والمصير " جريدة الجزيرة ، العدد ٧٥٢٥ ، (١٤٠٧/٧/٩ هـ) .

(٢) من أمثال ، مصطفى أمين ، وأنيس منصور .

(٣) انظر إلى هذا في فصل المقالة .

(٤) " أنا والجائزة " ، مجلة المنهل ، العدد ٤٩٠ ، مج٥٣ ، (صفر ١٤١٢ هـ) .

(٥) المركبة هي التي تحوي أكثر من فكرة واحدة وسياق زمني واحد ، وتأتي الأفكار بالترتيب . أما الجملة المتداخلة فهي التي تتداخل فيها الأفكار، (انظر : فن الكتابة والتعبير ص١٤٠، ١٤١) .

(٦) " أنا والجائزة " ، مجلة لمنهل ، المصدر السابق .

مسيرتها الطويلة ، قد انتهت منذ أوائل تجاربها، إلى تلك القرارات ، أو الحكم ، أو الوصايا ، فصاغتها شعراً ، أو نثراً ، أو فلسفة ، أو فناً ، إلا أن الأجيال المتتالية لم تركن إلى هذه الحصيلة الجاهزة ، أو الوجبة المهيأة"[1].

وقد يربط بين الجمل الكثيرة بأدوات العطف فيأتي بها متتابعة كقوله : "ربما فعل ذلك بعضهم مدفوعاً بعامل الرغبة في النجاح المادي ، وتحقيق حقهم في العيش عن طريق القلم والصحيفة والكتاب ، ولكنهم لجأوا إلى وسائل جديدة لم تألفها البيئات العربية آنذاك ، واستطاعوا عن طريقها أن يصلوا إلى قلوب الشباب وكان لهم تأثيرهم بلا شك في تحبيب القراءة إلى أجيال من الناس ، وأنا واحد من تلك الأجيال ، فرأيت من حقهم عليٍّ أن أذكرهم بالخير ، وأن أشهد لهم بأنهم قد أحسنوا صنعاً في اختيار وسائلهم بغض النظر عن جوهر الموضوعات التي كانوا يطرقونها ومدى نسبة وجاهتها أو صحتها ، فليس هنا مجال نقاش ذلك"[2].

وعلى اختلاف أنواع الجملة الطويلة فإنها تظل هي النوع السائد في جمل الرفاعي ، ولا تجده يميل إلى استخدام الجمل القصيرة في كتاباته .

وكما يتسم أسلوبه بالميل نحو الجملة الطويلة فإنه يتسم - أيضاً - بالميل نحو الجمل الخبرية والبعد عن الجمل الإنشائية . فالجملة الإنشائية هي عمود الأسلوب الخطابي الذي يتكئ عليه وهي مادته ، والرفاعي - كما مر - يبتعد في أسلوبه عن الخطابية والتقريرية إلى الهدوء والهمس، والجمل الخبرية هي الطريق إلى هذا الأسلوب .

وقد صبغ البعد عن المراوحة بين الإنشاء والخبر أسلوبه بشيء من الرتابة الهادئة التي سعى لإزالتها بالسكتات الكثيرة بين أجزاء الكلام حتى بين أجزاء الجملة الواحدة ، وقد اتخذ ما تحدثه كثرة الوقوف والابتداء عوضاً عن رفع الصوت بالأساليب الإنشائية ، والشواهد على هذه كثيرة منها " كنت كلما أطللت من هذه

---

(١) المصدرنفسه .

(٢) " في الظل رغم مشاغلهم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢١٩ ، (١٤٠٧/٥/١٢ هـ) .

النافذة .. رأيت الشارع نظيفاً نظافة مزعجة .. مزعجة لأنها أكثر من المعتاد .. وكانت الأشجار خضراء حواء .. أعني شديدة الخضْرة والنضرة .. وربما بل كثيراً ما سقط المطر هادئاً رزيناً ، فأخذ يتعاون مع سلطات النظافة ليغسل الشارع والأرصفة الأمطار هنا في هذه الفترة التي أقضيها في المدينة الألمانية الصغيرة .. لا تسلك العنف .. فهي لا تبرق ولا ترعد .. ولا تزعج ..تسقط في هدوء تام .."[1].

وقد يحاول الرفاعي أن يخرج عن هذا النمط الهادئ في أسلوبه ، ويعتمد على الأسلوب الإنشائي حين يرى أنه هو الأمثل كقوله :"افتحوها حالاً افتحوها اليوم لا تتريثوا". نعم أيها السادة القائمون على المشروع ..."[2].

وقوله : "لا تذيعوا التسعيرة . لماذا ؟ .لأنها وبكل بساطة شيء غير عملي .. لأنها شيء نسمعه في الكتب .. العفو .. في الإذاعة"[3] .

وهو في استخدامه القليل لهذا الأسلوب لا يلبث أن يثوب إلى عادته ونبرته الهادئة ، واستخدامه النبرة المباشرة العالية مع قلتها لا يدل على تمكن هذه النبرة عنده ، وإنما يدل - ربما - على أنه يتكلفها ، ويخرج باستخدامها عن طبيعته . وأكثر الأساليب الإنشائية - على قلتها - الاستفهام الذي يكثر من إخراجه عن معناه الأصلي ، إذ يجعله طريقاً للدخول في الموضوع الذي يريد أن يتحدث عنه ، فيبتدئ القصة بسؤال يثير فيه فضول المتلقي ، يكون طريقاً للبداية كقوله : " فجأة انتقل العريف من جريدة البلاد السعودية ليكون رئيساً لبلدية مكة .. كيف كان ذلك ؟ . عندي من القصة طرفاً "[4]

أو قوله : "هل أصيب العالم بالجنون ؟ هل فقد سيطرته على عقله وأعصابه ؟ جميع الدلائل تدل على ذلك .. فليس هناك بقعة من بقاع الأرض إلا وقد دخلها الخوف والإشفاق أن يفضي ذلك الجنون إلى كارثة لا يشقى بها

---

(١) " ريشة الخريف " جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٣٤ ، (١٤٠٨/٤/٢هـ) . وانظر مثلاً : فكرة لحاضرهم ومستقبلنا ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٣ ، (١٤١٠/٣/٣ هـ) .

(٢) " افتحوا المكتبة اليوم " ، ١٣٨٥/٣/١٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " لا .. لا تذيعوا التسعيرة ، جريدة البلاد ، العدد ١٦٨٠ ، (١٣٨٤/٤/٤ هـ) .

(٤) " العريف كان أستاذاً " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٥٠ ، (١٤٠٩/١٢/٢٨ هـ) .

بلد دون بلد ، ولكن يعم فيها الشر فلا يُبقي ولا يذر"[1].

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى كونه أداة لبث ما في نفس الرفاعي من شعور عميق تجاه القضية التي يتحدث عنها ، فيريد أن يلقي على القارئ هذا الشعور، ويجعله يهتدي إلى الفكرة التي يتحدث عنها دون كثير جدال ، فهو يتخذ هذا الأسلوب لأمرين : الأول لإقناع القارئ برأيه ، والثاني للتنفيس عما في صدره .

يقول الرفاعي بعد الحديث عن الذين يقسمون اللغة إلى مستويات عدة ، "بعبارة أخرى ، ما هي حقيقة (عربية المثقفين) ؟ وما هي حقيقة (العربية الحديثة) ؟ وما هي حدود كل منهما ؟ ثم ألا يختلفان في كل قطر عربي عنه في قطر آخر؟"[2].

وقوله - أيضاً - بعد الحديث عن المسلمين الفقراء الذين يتعلمون العربية لأجل الدين ثم لا يناصرهم إخوانهم : "ماذا فعل أغنياء المسلمين الذين يملكون البلايين ؟ ماذا قدموا من مواساة ؟ ماذا قدموا من الطعام واللباس ؟ ماذا فتحوا من مدارس ؟ وماذا بنوا من مساجد ؟ ، وماذا قدموا من مصاحف ومن كتب .. ماذا فعل الشباعى لهؤلاء الجياع ؟ إنهم إخوانهم في الإسلام .. وهم يتطلعون إليهم دائماً .. تتطلع إليهم أفواههم الفاغرة ، وأجسادهم العارية .. ما مصائر هؤلاء القوم ؟ وماذا صنعنا لهم ؟"[3].

كما تظهر عند الرفاعي الجملة الاعتراضية وغالباً ما يكون المراد منها التوضيح والتفسير كقوله : "وهم عدا ذلك يكتسبون بالمرانة الطويلة القدرة على تشقيق الكلام .. وابتداع مواضيعه .. ولكنهم - ومهما كانت طاقتهم -لا يستطيعون الاحتفاظ بالمستوى الأدبي الرفيع على خط مستقيم"[4].

وقوله : "لقد وجدت في هذه السطور بعض- لا كل - ما كنت أتوق إليه من

---

(١) " جن جنونه : في الوسط " ، جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٢١٦٠ ،(١٩٨٤/١٠/٢٧ م)

(٢) " لا وسطى بين الفصحى والعامية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٥٦، (١٤٠٧/٨/٣ هـ) .

(٣) " الناس والكلاب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣ ، (١٤٠٩/١٠/١٠ هـ) . وانظر : " إنهم يرطنون " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨١٠ ، (١٤٠٦/٣/٢٧ هـ) . و" نسخة مزيدة من سلامة موسى " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤هـ) .

(٤) " كلام في الالتزام : يوميات الرياض " ، جريدة الرياض ، العدد ٩٥ ، (١٣٨٥/٤/٢١ هـ) .

معلومات" ، وقوله : "فعمر أبو النصر - إن لم تخني الذاكرة - كان يصدر مجلة عن أخبار الحرب العالمية الثانية"[1] وكقوله : "والمعاجين التي كان يجدها الناس لدى العطار .. هي - على ذكر الهريسة - أشياء مهروسة تماماً مركبة - غالباً - من عنصر أساسي مع إضافات من هنا وهناك"[2].

وأغلب ما تقع الجمل الاعتراضية بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر كما في الشواهد السابقة .

ويلاحظ على الرفاعي الميل نحو بعض الصيغ كميله إلى المصدر المؤول دون الصريح ؛ إذ نجد استعماله للصريح قليلاً جداً كما في قوله : "وخشيت إن أنا تريثت حيث يتهيأ لي أن أستكمل رحلتي مع المكتبات جميعاً أن تتمادى بي الأيام فلا أصنع شيئاً"[3] وقوله : "وقد شجعني الملخص على أن أنشر هذا الكتيب"[4].

كما يلاحظ ميله نحو الإكثار من ضمائر المتكلم حتى إنه يأتي في الجملة الواحدة بضميرين أو ثلاثة كقوله : " وشيء آخر أود أن يكون واضحاً وإن كنت قد أكثرت من توكيده في مقالاتي تلك"[5]وقوله : "ولا أزعم أنني اليوم أنشر مقالاتي تلك على علاتها"[6] ففي الجملة الأولى بلغت ضمائر المتكلم أربعة ضمائر وفي الثانية بلغت : أربعة أيضاً ، مع إمكان أن يعدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب آخر يقلل معه ضمائر المتكلم فتكون الجملة الأولى : "وشيء آخر ينبغي أن يكون واضحاً ، وإن كان كثر توكيده في مقالاتي تلك" ، والجملة الثانية "ولا أزعم اليوم نشر تلك المقالات على علاتها" فضمائر المتكلم الكثيرة في الجملتين اختفت وأصبحت الأولى

---

(١) " في الظل .. رغم مشاغلهم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢١٩ ، (١٤٠٧/٥/١٢هـ) .

(٢) " معجون الحب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ،(١٤٠٥/٢/٢٦ هـ) . وانظر : " استاذي النابغة أحمد قنديل " ، جريدة الرياض ، العدد ٤٢٩١ ، (١٣٩٩/٨/٢١ هـ) .

(٣) رحلتي مع المكتبات ، ص ٧.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧ .

بضمير واحد والثانية بضمير واحد أيضاً ومثل هذه الجمل كثيرة عند الرفاعي كثرة مفرطة .

وقد يكون هذا صورة من صور بروز ذاتية الكاتب ، كما قد يكون دليلاً على أثر التصاق هذه الأفكار التي يتحدث عنها بذهنه ، وتفاعله معها تفاعلاً قوياً حتى صارت جزءاً منه .

وقد يخلط الرفاعي أحياناً بين التراكيب القديمة والتراكيب الحديثة كقوله عن كعب (رضي الله عنه) : "لم يكتف كعب بما تهيأ له من مجد الحسب : بل ضم إلى ذلك مجداً مكتسباً أعانه عليه ذهنية واعية ، ولماحية ذكية ، وحاسة فنية ومشاعر رقيقة"[١]، وقوله أيضاً : "وقد كان كعب صاحب حس مرهف ومزاج شاعري ، ولعل نفسه قد خامرها شيء من هذا السفر البعيد في حمارة القيظ"[٢]. ومثله أيضاً قوله : "وقد بذل محمد بن مسلمة رضي الله عنه مجهوداً دبلوماسياً كبيراً حتى أقنعهم بالعودة فرجعوا ونجح في مهمته الخطيرة"[٣].

ويظهر عند الرفاعي حيناً الخروج عن السياق اللغوي الفصيح ، فيستخدم بعض التراكيب العامية كقوله : "يكفي أن أشير إلى «الشراب» بكسر الشين المشددة .. فقد انتهى عهدها ، وعهد (حكها) بالآجرة ، أو الحجر الخشن ، وتبخيرها بالمستكى أو (القفل) ، بل انتهى عهد المقفلة وتعطيرها بماء الورد ، والكادي"[٤]وقوله : "ولكن المسألة عندي تخمين في تخمين في تخمين يعنى التخمين مكعباً"[٥]. وقوله : "لقد انقلب الناس إلى عصافير الجنة .. يا بختهم"[٦].

---

(١) كعب بن مالك ، الصحابي الأديب ، ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٣) " محمد بن مسلمة : في حراسة النبي صلى الله عليه وسلم" ، الحرس الوطني(ذو الحجة ١٤٠٤ هـ). وانظر : أم عمارة الصحابية الباسلة ، ص ١٣ .

(٤) " أشياء رمضانية " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٢ ، (١٤٠٩/٩/١٩ هـ) .

(٥) " معجون الحب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥، (١٤٠٥/٢/٢٦هـ) .

(٦) المصدر نفسه ، وانظر : " رسالة مهملة : سبعة أيام " ، جريدة الرياض ، ، العدد ٦٣٣٣ ، (١٤٠٤/٢/١١ هـ) .

ومن التراكيب العامية التي تظهر عنده - الأمثال العامية ؛ إذ نجده يستخدم بعض الأمثال العامية كقوله : " كان الباب - كل الباب - عالياً احتساباً للجمل وماحمل فعلى الجمل شقدف أو هودج .. أو محمل طويل، وكل هذه تحتاج إلى باب شامخ"[1] وكقوله عن أبي سليمان الشبيلي[2] "يقولون في أمثالنا العامية : (من أجل عين تكرم مدينة ، ومن أجل مدينة تكرم مدائن) ولم أدرك مدى صدق هذا المثل ، حتى سمعت تلك القصة التي يتداولها الرواة ضمن ما يتداولون من قصص كثير"[3] وكقوله أيضاً : "حتى أحسست أنني أحضرت راس كليب"[4] ، وقد يروي أمثال بعض الأمصار العربية كقوله : "ويبدو من نصها أنها كتبت في "عز الحر" وأغلب الظن أنها كتب في السبعينات الهجرية .. وكما هو واضح ، فقد كتبت في جدة ، وفي شهر تموز الذي يقول عنه الإخوة الشوام..أن (المية تغلي في الكوز) فهي إذن قد كتبت في حالة غليان تموزي"[5] وقوله : "فهو بين المثقفين الجدد كالأطرش في الزفة"[6].

وقد كان استخدام الرفاعي للتراكيب العامية بما فيها الأمثال ملائماً للسياق ، وقد تركها على عاميتها لأن الأمر كما يقول الرفاعي "رواية الأمثال العامية أن تأتي على نصها"[7]، ولم يأت استعماله العامي نشازاً في قوله ، بل سلكته مهارة الرفاعي مسلكاً يلتحم فيه بالفصيح ، ويصور الفكرة التي يريد أن يعبر عنها ولا تظهر إلا في هذا التركيب كما في قوله : " سبع صنايع والحظ ضايع"[8]، في حديثه

(١) " محطات " ، جريدة الجزيرة ،٤٠٩٥ ، (١٤٠٤/٣/١١ هـ) .

(٢) محمد الحمد الشبيلي (١٣٣٠هـ - ١٤٠٩هـ) ، ولد في عنيزة ، عمل سفيراً في عدد من الدول ، واشتهر بكرمه وحسن خلقه ، (انظر : محمد الحمد الشبيلي أبو سليمان)

(٣) " أبا سليمان ستظل باقياً " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٨٤ ، (١٤٠٩/٤/٢٨ هـ) .

(٤) " قطرة ... عن السراب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٤٧ ، (١٤٠٩/٦/٢ هـ) .

(٥) " رسالة مهملة : سبعة أيام " ، جريدة الرياض ، المصدر السابق .

(٦) " عزيزي رئيس التحرير : يوميات " ، جريدة المدينة ، العدد ٤٣٦ ، (١٣٨٥/٤/١٤ هـ) .

(٧) " تعليقات معلقة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٧٧ ، (١٤٠٧/٣/٢٩ هـ) .

(٨) " عندما يمرض الفنان " ، ١٣٨٣/٧/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

عن صديقه الأديب المفتقر ، فهذا المثل يحمل من الأسى والحزن والدلالة على عدم التوفيق مالا يحمله غيره من التراكيب ، وأي تغيير في هذا التركيب قد يزيل جماله ، ويكون كالنص المترجم الذي أخفق المترجم في نقله .

ومثله أيضاً : " احتساباً للجمل وما حمل " فمعلوم أنه أخذ هذا التركيب من قولهم "جاكم الجمل وما حمل" [١] وعلى الرغم مما تحمله (ما) الموصولة المبهمة من الغموض والإبهام الذي زاد في تصوير عظم المحمول ، فإن للتركيب ذاته جمالاً خاصاً اكتسبه من السياق الذي يرد فيه التركيب عادة .

كما يظهر عند الرفاعي استفادته من أسلوب القصص الشعبي ، في كتاباته ؛ وذلك لما اختزنته ذاكرته من أساليب نتيجة قراءاته في صباه للقصص الشعبي وكحصيلة لمعايشته المجتمع الذي جرت فيه هذه الأساليب على ألسن العامة والخاصة منه على حد سواء كما في قوله : "قال الراوي .. ياسادة ياكرام ومن بين من تعرفت إليهم من أولئكم الأقوام ، عن طريق القصص الشعبية ، والروايات المحكية ، الفارس المغوار الذي لا يشق له غبار ، الآخذ بزمام الأعنة المشهور بملاعب الأسنة .. عامر بن مالك العامري .."[٢].

ومثله أيضاً : قوله "افتح ياسمسم ...

افتح ياسمسم .

ولكن سمسم لم يفتح رغم إلحاحي ....

كان ذلك في باريس وفي مغارة «علي بابا» أو مستودع الضائعات الكبيرة في (باريس)"[٣].

ويظهر عند الرفاعي كثرة الفصل بين الجمل بنقط ؛ وذلك أن يضع بعد كل جملة

---

(١) وفي كتاب عبدالكريم الجهيمان ، الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية .- الطبعة الثالثة .- (الرياض : دار الأشبال العرب ، ١٤٠٠هـ) ، ج ٢ ، ص ١٥٣ . ذكر للمثل بلفظ (جاب الجمل بما حمل) ، وفي بيئة الباحث يستخدم المثل باللفظ الوارد في المتن .

(٢) " أيهما ملاعب الأسنة :أنابيش تراثية " ،المجلة العربية ، العدد ٨ ، (المحرم ١٤٠٠ هـ).

(٣) " مغارة علي بابا : أكثر من فكرة " ، جريدة عكاظ ، العدد ١٤٧ ،(١٣٨٤/١٢/١٧ هـ) .

أو جملتين أو ثلاث ، نقطتين بحسب المقام كقوله : " مجمع اللغة العربية .. في القاهرة .. أو المجمع اللغوي - كما اعتدنا أن نطلق عليه - كم ظلمناه .. وكم سخر منه الساخرون ..وكم جهلنا قدره .. وتجاهلنا أعماله .. وكم أهملته الصحافة .. وغفل عنه الغافلون ..! وما أبرئ نفسي .. .!

وكان لجهلي بأعمال هذا المجمع وغيره من المجامع المماثلة أثره الكبير في الأحكام الخاطئة التي ترسبت في ذهني بالإضافة إلى تلك التشويهات الصحفية ، التي تضافرت مع ذلك الجهل :"[1].

ففي هذا الجزء المقتبس يظهر التزام الرفاعي بالنقط في الفقرة الأولى ، وإهماله النقط في الفقرة الثانية ، ممايدل أنه يقصد بهذه النقط معنى محدداً .

وقد يكون أراد من هذه النقطة تحديد أماكن الوقف التي يحسن عندها سكوت القارئ "والوقفة ، في الأصل ...حبس ضروري للصوت حتى يسترجع المتكلم نفسه فهي في حد ذاتها لا تعدو أن تكون ظاهرة فيزيولوجية خارجة عن الخطاب .. لكنها بالطبع محملة بدلالة لغوية"[2] .

وفيه دليل على إدراك الرفاعي لأثرالأصوات والنطق على تركيب الجمل ، وعلى معناها العام ، ثم لما في السكوت عند المقاطع التي وضع فيها الرفاعي النقط من تمثل النبرة الحزينة التي يطمح إليها ويرجو أن تظهر في النص المكتوب ، بخلاف الجزء الثاني الذي خلا من النقط وذلك لذهاب النبرة الحزينة، ولعدم وجود معانٍ أخرى يفيدها السكوت عند نهاية الجملة . فالمعنى الذي يقصد إليه يظهر من الاتصال بالقراءة ومتابعتها ، وهو بهذا لا يعتمد على اللغة المكتوبة وحدها ، ولكنه يضع لغة الحديث ، والموقف المشترك بين المتحدث والسامع في حسبانه حين يكتب ،

---

(١) " مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً " ، مجلة عالم الكتب ، العدد ٣ ، مج ١٣،(ذوالقعدة وذوالحجة ١٤١٣ هـ) .

(٢) جان كوهن ، بنية اللغة الشعرية .- الطبعة الأولى؛ ترجمة محمد الولي ، ومحمد العمري،(المغرب : دار تبقال للنشر ، ١٩٨٦م) ، ص ٥٥ .

ويحاول أن يجلي هذا الموقف من خلال هذه النقط التي وسم بها الجمل التي يحسن الوقوف عندها . وهذا الربط بين لغة الخطاب والكتابة هو ما توصل إليه علماء الأصوات في العصر الحديث حيث نعوا على البلاغيين القدماء حين حبذوا الفصل بين (لا) و(أيدك الله) لدفع إيهام خلاف المقصود[1]وهو الدعاء على السامع ، ورأوا " أن الأمر أبسط من هذا بكثير ، حيث هناك المقام وما يصحب النطق من خواص صوتية ، فكلها عوامل تعين المراد وتبين ما إذا كان المقصود له أو عليه"[2].

٣ - **السرد القصصي**

يتعلق مصطلح السرد القصصي بالحكي تعلقاً كبيراً ؛ إذ أن الحكي عامة يقوم على دعامتين أساسيتين :

أولاهما : أن يحتوي على قصة ما تضم أحداثاً معينة .

وثانيتهما : أن يعين الطريقة التي تحكى بها تلك القصة ، وتسمى هذه الطريقة سرداً[3].

وبهذا ندرك أن السرد القصصي أسلوب ينتهجه الكاتب في عرض حوادثه، وليس فناً خاصاً بأيٍّ من أجناس الأدب . وقد سلك الرفاعي هذا الأسلوب في كثير من كتبه ، ومقالاته .

وإذا كان بعضهم يرى "أن غاية السرد لا تتعلق بمجرد عرض الموضوع ، وإنما بالإقناع العاطفي"[4]، فقد كان الرفاعي يهدف في بعض خطابه السردي إلى السيطرة على شعور القارئ والتأثير عليه بما يريد أن يقول دون أن يقوله .

---

(١) انظر : الخطيب القزويني ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، د. ط ؛ تعليق عبد المتعالي الصعيدي، (القاهرة ، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها ، د. ت) ج ٢ ، ص ٨٤ .

(٢) كمال بشر. علم اللغة العام (قسم الأصوات)، د.ط ؛(مصر : دار المعارف ، ١٩٨٦م)، ص ١٩٢ .

(٣) الدكتور حميد الحميداني . بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي .- الطبعة الثانية .- (المغرب : المركز الثقافي العربي ١٩٩٣ م) ، ص ٤٥ ، بتصرف يسير .

(٤) الدكتور صلاح فضل . بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة ، ١٦٤ ، د .ط ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، صفر ١٤١٣ هـ) ، ص ٢٧٧ .

يظهر هذا واضحاً في حديثه عن خولة بنت الأزور التي يقول فيها : "إنها فتاة رائعة ...ليست لأنها حسناء فقط .. بل هي أيضاً محاربة .. من طراز عجيب .. تشق الصفوف ..وتجندل الأبطال .. وتهزم الجموع .. وتنقذ الأسرى .. وتجتاز إلى أهدافها الخنادق والحصون لا يكاد يعوقها عائق ...! .

فارسة تجيد ركوب الخيل ، وتضرب بالسيف وبالعمد ...! .

وهي تأتي في فروسيتها وشجاعتها بالأعاجيب وتبهر الرجال المحاربين .. بل هي تبهر صناديد البطولة ، ويكفي أن تشبه بخالد بن الوليد رضي الله عنه. بل لقد كانت تحارب في صفوفه ، فلا تكاد تتميز عنه ، وكانت إلى ذلك كله ، شاعرة .

وإذا كانت الخنساء قد بكت أخويها فشغلت ببكائها الدنيا والناس ، فقد كانت خولة أيضاً أشعار في أخيها ضرار .. كلما فقدته .. وقد فقدته أكثر من مرة فبكته في كل مرة .. واستنفرت الرجال من أجله ، وعملت على استخلاصه من أيدي الأعداء .. حتى يتم لها إنقاذه .

وحينئذ تكف خولة عن الشعر .. حتى تفقده من جديد ..."[1].

على أن هذا ليس هو الاستخدام الأوحد للرفاعي للسرد القصصي ، فقد يتخذه أداة للوصف والتصوير ، ويجعل هذه الأفعال وسيلة لعرض جوانب المشهد الموصوف كقوله في وصف أحد مساجد أنقرة : "وهذا المسجد الذي صليت فيه .. هو أضخم مساجد أنقرة وأوسعها وأجملها ، فهو آية من أيات البناء الحديث .. أختير له مرتفع مشرف ، فأصبح يرى من جوانب كثيرة من المدينة .. تشمخ مآذنه أنيقة رشيقة سامقة ، تشرئب إلى السماء تتردد في ذرواتها دعوة الله إلى الصلاة .. (الله أكبر). ويتميز الجامع بقبته العالية الفيروزية الجميلة .. تحف بها المآذن ، وتحيط بالمسجد عرصات واسعة .."[2].

كما يجعل السرد القصصي أداة لاستعادة ذكرياته سواء كانت خاصة به أو

---

(1) خولة بنت الأزور ، ص ١٢ .

(2) "أنقرة في ١٤١٠/٤/٤ هـ" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٩٧ ، (١٤١٠/٥/٢٧ هـ) وانظر : خمسة أيام في ماليزيا ، ص ٤٥ - ٤٦ ، و" سمك ولا صنارة " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٧٤٠ ، (١٤٠٨/١٠/٢٧هـ).

يشترك بها مع بعض أصدقائه . وقد كثر هذا الجانب في مقالات الرفاعي التي يكتبها إثر وفاة أصدقائه ، فمن الأول - استعادته لذكرياته - مقالته لعبدالله مرزا[1] بعنوان (الله جابك) يقول فيها : "وجاء والدك المهيب فبارك لنا هذه الماصات الجديدة وحثنا على العناية بها ، والتزام النظافة وعدم الحفر عليها بأسمائنا .. ثم مضت أيام ، بل أسابيع ورأيتك ذات يوم ، تصنع رفاً عجيباً في داخل درجك ، يقوم على مسامير دققتها فيه ، ووضعت عليه الأقلام والمراسم في صف جميل ، وأعجبني ماصنعت .. فهذه فكرة رائعة .. فصنعت أنا صنيعك ، بل لقد زودتني أنت بالمسامير .."[2].

ومن النوع الثاني حديثه عن والدته بعد وفاتها إذ يقول : "في صدر شبابها فقدت زوجها الأول ، الذي توفي شاباً ... ثم فقدت ابنها منه وهو في حوالي العاشرة ... وفقدت بعض أطفالها من أشقائي ، قبل أن يتجاوزوا سن الرضاع في بلدان صغيرة نائية ، لا تعرف الطب والأطباء ... واغتربت عن بلدها ووالدتها ، في رحلات متعددة .. وعاشت في بلدان أشبه بالقرى ، تقل فيها وسائل الراحة ، ثم تعرضت للفقر والحاجة ، وتحملت شظف العيش ، وسكنت بمكة في بيوت خربة ، لم تجد أمامها غيرها ..."[3].

وإذا كانت هذه النماذج في أغلبها لا تخلو من الوصف ، وليست خاصة للسرد فإن الشأن في هذا كما قال (جيرار جنيبت) "إذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف فإنه من العسير أن نجد سرداً خالصاً"[4].

والسرد القصصي عند الرفاعي نوعان :

أ - السرد القصصي التاريخي : الذي يلزم الكاتب فيه عرض الأحداث التاريخية

---

(١) مربٍ فاضل من أهالي مكة . لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٢) " الله جابك " ، جريدة الأربعاء ، مصدر سابق ، وانظر : " عند ما ترحل الكتب" ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٩ ، (١٤٠٩/٢/٢٢ هـ) .

(٣) "أمي : أيام حزينة " ، المجلة العربية ، العدد ١٨٧ ، (شعبان ١٤١٣ هـ) . وانظر : " عندما يرحل الأصدقاء " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠١٦ ، (١٤٠٦/١٠/١٧هـ) ، و" عزيزي بكر قزاز : رسائل إلى الراحلين " جريدة البلاد ، العدد ٦٦٦٥ ، (١٤٠١/٤/١٢ هـ) .

(٤) نقلاً عن بنية النص السردي ، ص ٧٨ .

بأسلوب علمي دقيق ، وبالترتيب الزمني لها دون الرغبة في التأثير على المتلقي ، أو التعرض للأحداث التاريخية بتقديم أو حذف .

وقد كان مجال هذا اللون من السرد كتبه التاريخية (ككعب بن مالك) و(زيد الخير) .

ب - السرد القصصي الفني : الذي لا يكتفي فيه بعرض الأفكار ، بل يضيف إليه الرغبة في التأثير على القارئ ، أو تصوير المشهد بعبارة جميلة ، موحية ، منتقاة . ويتوافر في هذا اللون كثير من مكونات الخطاب السردي .

فالراوي في أغلب الحكايات التي يقصها يكون خارج شخصيات الحكاية ، وهذا ما يسمى نمط السرد فيه (خارجياً)(برانياً) لأن الرفاعي يرويها عن آخرين دون أن يكون الراوي عنصراً مشاركاً فيها ، وغالباً ما يكون من نمط السرد البراني الفعلي الذي لا يكون فيه الرفاعي مركز توجيه الأحداث ، وإنما مركز التوجيه هو الشخصية الفاعلة في الحكاية كما في مقالة (أبا سليمان ستظل باقياً) التي روى فيها بعض الحكايات ، منها قوله : "قالوا : إن جماعة من السعوديين قصدوا في لندن مطعماً باكستانياً ، ليأكلوا طعاماً شرقياً يرتاحون إلى مذاقه ، وطلبوا ما شاءالله لهم أن يطلبوا من الطعام ... وكان صاحب المطعم موجوداً به .. وقد لفتوا نظره على نحو ما .. فسعى إليهم يعتني بهم بنفسه ويلبي طلباتهم حتى إذا اكتفوا ... اختفى عن أعينهم .. فاستدعوا النادل ليقدم لهم بيان الحساب .. ولكن النادل امتنع عن تقديم الحساب وأعلمهم بلطف أنهم كانوا ضيوفاً على صاحب المطعم .. فاتسعت أحداقهم عجباً .. فما هي المناسبة ؟. ولماذا يفعل ذلك ؟ فرفضوا .. فرفض النادل فألحوا .. فأمعن في الرفض ، فلما طال جدالهم طلبوا أن يتحدثوا إلى صاحب المطعم نفسه ليعرفوا منه سبب هذا الكرم والتكرم .. وجاء صاحب المطعم يهرول إليهم باشاً ، هاشاً ، رفيقاً ، رقيقاً .. وحياهم من جديد ، فلما سألوه عن سبب التكرم قال : لا تعجبوا .. أفلم أسألكم عندما بادلتكم الترحيب والحديث عن بلادكم فعرفت أنها السعودية ؟ لقد كنت آليت على نفسي أن لا أرى سعودياً إلا وألتمس طريقاً أكرمه بها ، وقد سرني جداً أن تقصدوا مطعمي .. وأن تشرفوني

بتناول الطعام فيه .. ولن يدخل هذا المطعم سعودي إلا ويكون ضيفاً به ، فاتسعت أحداقهم أكثر .."[1].

وقد يكون راوي الحكاية أحد الشخصيات فيها ، فيكون نمط السرد فيه داخليًا (جوانيًا) كما في حكاية لجنة التأليف الآتية الذكر .

أما الزمن في السرد فكان ينوع فيه بين أن يلتزم زمن وقوع الأحداث وترتيبها في حكاياته ، وعدم التزام الزمن كأن يؤخر بعض الأحداث ويقدم بعضها .

واللون الأول هو الغالب في حكاياته التي يرويها ، ومما يستشهد به على ذلك مقالته (خالتي كدرجان .. تخترق الحدود) التي تحدث فيها عن قصة نشرها لقصة (فكرة) بشيء من التفصيل فقال : "كنا مجموعة من الشباب .. فيهم رفيق العمر والدرب ، الأستاذ أحمد جمال .. فكرنا في أن نخرج ذخائر أدبنا الذي تطويه القماطر والكوابر .. لمشاهير أدبائنا ، وكانوا منا بمقام الأساتذة والآباء .. فجمعنا من دخولنا اليسيرة شيئاً لهذا الغرض ، وأنشأنا لجنة أسميناها (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، كتلك التي كانت بمصر بقيادة أحمد أمين يرحمه الله .. فهم رجال .. ونحن رجال .. هكذا سوّل لنا غرور الشباب .. وهو غرور محمود .. لأنه يخلق الإقدام على جلائل الأعمال .. وبعد أن تجمعت النقود كان علينا البدء في التنفيذ .. فمن هو الأديب الأول الذي ينبغي أن نبدأ به لنشر أعماله الطويلة ..؟ فكرنا في الأستاذ العواد[2] يرحمه الله .. وحاولنا في قصة لا داعي اليوم لإعادتها فلم نظفر منه بما كنا نحب .. يبدو أنه رآنا أقل مستوى من أن ننشر ديوانه كاملاً فطوينا أنفسنا على مرارة الخيبة .. وعلى قصيدة هجاء فينا ظفرنا بها من شعر الشاعر الكبير .

إذن فلنلتمس أستاذاً آخر..وفكرنا في أستاذنا السباعي ، وكان قريباً إلى نفوسنا يتألفنا ، وقد اعتدنا أن نزوره بين الفينة والفينة ، وأن نجد من بشاشته

---

(١) " أبا سليمان ستظل باقياً " ، الجزيرة ، العدد ٥٨٨٤ ، (١٤٠٩/٤/٢٨ هـ) .

(٢) محمد حسن عواد (١٣٢٠ هـ - ١٤٠٠هـ) ، من مواليد جدة . كاتب . ناقد . شاعر . عرف باتجاهه نحو التغريب . له عدة آثار منها : خواطر مصرحة (مقالات) ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١١٢) .

وحسن استقباله ، وحفاوته ، وصادق مودته ، ونصحه ما تأنس به نفوسنا ...

وقد رأينا أن نعرض الأمر عليه .. وقد كان ، فوجدناه مرحباً .. وبادر بالاستجابة .. فأعطانا قصته الطويلة "فكرة" .. وأظنها باكرة عمله القصصي .. أو هي من بواكيره ..."[1]

أما اللون الثاني فهو أقل من الأول ويظهر في قصة حلاق كوالالمبور[2] وفي كتابه (أم عمارة) خاصة في موقفها يوم أحد إذ أخر خبر خروجها مع الجيش حتى احتدم القتال وبدأت تقاتل ، شداً للقارئ فيقول : " إذاً فقد وصلت المعركة إلى أوجها واحتدمت الحرب أيّ احتدام ، بين قريش وبين أولئك النفر القليل الذين ثبتوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهنا في هذا الموقف الحرج الذي وصل مداه حرجاً وكرباً..نرى أم عمارة .. نسيبة بنت كعب الخزرجية - نراها تتخذ موقفاً بطوليًا عجيباً .. ! .ولكن ما الذي أتى بأم عمارة هنا .. إلى المعركة .. ؟ إن أم عمارة تحمل حساً إنسانيًا عالياً ، وضميراً يقظاً . لقد أتت لتكون خلف الصفوف ، ومعها سقاؤها ، لتسقي الظامئ من عسكر المسلمين ، وأتت ومعها عصابتها ولفائفها لتضمد جرحاهم .."[3].

ثم أورد حديث أم عمارة عن قصة خروجها مع الجيش .

وقد يعيد الرفاعي القصة الواحدة أكثر من مرة ، فلا يعرضها بأسلوب واحد ولكنه يراوح في أساليب العرض بين المشهد الذي يعرض الحكاية بتفصيلاتها والتلخيص الذي يختصر الحكاية الطويلة بأسطر يسيرة ، فمثلاً حكاية لجنة النشر والتأليف الآنفة الذكر التي جاءت بشيء من التفصيل نجده يعيدها مرة أخرى ولكن بتلخيص شديد وبنمط السرد البراني إذ يقول : "ولكن مما لا ينبغي أن تنساه ذاكرة الزمن .. أنه كان هناك بمكة .. منذ أكثر من ثلاثين سنة ، من فكّر في تكوين لجنة للنشر والتأليف على غرار تلك التي كانت في مصر ، برعاية أحمد أمين .. ولكن

---

(١) " خالتي كدرجان .. تخترق الحدود " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٩ ، (١٤٠٩/٩/٢٦ هـ) .

(٢) انظر : خمسة أيام في ماليزيا ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ .

(٣) أم عمارة الصحابية الباسلة ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

شتان . إنهم فتية ، كان طموحهم أكبر منهم ومن إمكانياتهم ، ومع ذلك فقد تغلبوا على كل عقباتهم ، وأنشأوا لجنتهم الأدبية .. وجمعوا رأس مال متواضعاً ، ولكنه كان كبيراً بالنسبة لجيوبهم القاحلة ، دفع كل واحد منهم مائة ريال ... وضموا بعض كبار الأدباء .. ليصبحوا عشرة أنفار لا تسعة رهط .. وكنت أنت أحد العشرة كنت متحمساً تماماً ، حماسك لا ينقص عن حماس صديقنا أحمد محمد جمال مثلاً أحد العشرة . وبدأت اللجنة نشاطها وأصدرت ثلاثة كتب ، ثم ...ثم ساد الصمت .."[1].

ففي المقطع السابق روى حكاية عرض اللجنة على العواد ثم نشرها لقصة السباعي بنفس أطول مما قدمه في هذا المقال حيث روى نشأة اللجنة ، وفكرتها ، وبدايتها ونهايتها وكان الجزء الخاص بهذه الحكاية أقصر منه في السابقة ، وقد يكون علة ذلك محاولة التجافي عن التكرار الصرف .

ومن أمثلة اختلاف الحكاية الواحدة في نوع العرض بين المشهد والتلخيص، أو في نمط السرد بين البراني والجواني حادثة الجائزة التي حصل عليها في أوائل حياته التعليمية . فقد رواها عدة مرات بنمط السرد البراني مرة كما في مقالة (حكاية وأخرى)[2] والجواني مرة أخرى كما في مقالة (أنا والجائزة)[3]. وبالمشهد مرة كما في هذين المقالين وبالتلخيص كما في مقالة (العامل السحري)[4].

٤ - الحـــــوار

هو المظهر الحسي للمسرحية ، وهو أداتها الوحيدة للتصوير[5]. وقد ظهر هذا

---

(١) " عزيزي بكر قزاز : رسائل إلى الراحلين " ، مصدر سابق .
(٢) جريدة الرياض ، العدد ١٧٦٥ ، (١٣٩١/١/١٧ هـ) .
(٣) مجلة المنهل ، العدد ٤٩٠ مج ٥٣ ، (صفر ١٤١٢ هـ) .
(٤) " فكرة اليوم " ، ١٣٨٣/٥/٢٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٥) انظر : عزالدين إسماعيل . الأدب وفنونه دراسة نقدية .- د . ط .- (القاهرة : دار الفكر العربي، د.ت)، ص ١٤٣ .

الأسلوب في الكتابة النثرية ، أو شيء منه حين يتخيل الكاتب شخوصاً يحاورهم ، ويناظرهم فيطرح من خلال ذلك أفكاره ومايريد أن يقول .

وهذا ما أخذ به الرفاعي في بعض كتاباته ، فظهر عنده على أوجه مختلفة تارة يتخيل صاحباً له كأنه يحاوره ويراجعه في الموضوع يطرح مالديه من أفكار في هذه المحاورة ، ويتخذها تكأة لتوضيح الفكرة وتقييمها على أكثر من وجه ، ولتناول الموضوع من جوانبه كقوله : " أيكون قد أزعجك ياصاحبي أن أقول : إن الناس ببصرنا قد غدوا زي الطين ؟ .

أنت تعلم ياصاحبي - علم اليقين - أنني لا أريد أن أزعجك على نحو من الأنحاء .. بل أنا حريص - كل الحرص - على رضاك .. لأنني أعلم أنك حريص - كل الحرص - على رضائي ... من أجل ذلك اهتممت بهذه المبادرة لأضع أمرها في نصابها الصحيح .

ولا أحسب مصدر انزعاجك استعمال هذه الكلمة العامية ، أو التي لعلها تبدو كذلك .. أعني كلمة (زي) .. فربما كنت في هذا على رأيي في الترخيص أحياناً في استعمال العامية كما تستعمل الأفاوية والتوابل ... القليل منها يصلح النكهة ..."[1] .

وتارة يجعل صاحبه مستفهماً عن موضوع ما ، ينطلق الرفاعي من الإجابة عليه إلى ما يريد أن يقول كما في مقالة موسومة بـ (الإسلام والتوعية) يقول فيها : " قال لي صاحبي : لقد حاولت في نفسي أن أحلل سر هذه المفارقة ثم رأيت أن أستعين بك في تحليلها..." ثم يسرد المفارقة ، بين الأمن في سويسرا ، وما وقع له في المسجد حيث سرق حذاؤه ، ويتولى الرفاعي الإجابة على هذا التساؤل وإزالة اللبس في هذا الموضوع ."[2]

ولربما جعل المقالة قصة يسرد فيها حديثاً دار بينه وبين أحد أصحابه ، كان هو

---

(١) " الناس والطين " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٣٤ ، (١٤١٠/٣/٢٤ هـ) .

(٢) " الإسلام والتوعية " ، ١٣٨٥/١١/٢١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

فيه مستمعاً ، والآخر متحدثاً كما في مقالة (ابحثوا عن السيد جورج) ومقالة (محتال جديد وآخر قديم)[1]. يقول في (ابحثوا عن السيد جورج) .

"كلنا في الهم شرق ...

هكذا بدأ صاحبي حديثه .. بعد أن أرسل زفرة طويلة تنم عن أسى مكبوت ! .

قلت وأنا أستنطقه الخبر :

- خيراً .. إن شاء الله ..

قال - إن أدواء العالم العربي متشابهة ، وهي مع الأسف أدواء خطيرة .. وما لم تبرأ منها دنيا العرب .. فلن تقوم لهم قائمة .. وإن مما يكربني ويغمني أننا ننقل من الغرب كل شيء ... إلا الطيبات من الأخلاق ...

قلت وأنا أهون على صاحبي الخطب .. مع إحساسي التام بأنه خطب حقاً بكل ما في هذه الكلمة من معان :

- أرجو أن تكون متفائلاً .. وأن لا تغلوا في التقدير .. ولكن قل ما هي أسباب هذه الثورة ...

- إنها أسباب كثيرة .. أسباب تصطدم بها مشاعري كل يوم .. ثم لا أجد سبيلاً لتخفيف وطأتها على نفسي .. ولا لرفع حدتها عن المجتمع الذي يكرب كما أكرب مثلاً الرشوة.. الإثراء غير المشروع .."[2].

ثم يتحدث الرفاعي عن الرشوة وخطرها ، ويذكر قصة صار فيها راشياً ، وكل ذلك على لسان صاحبه .

ومن الأنواع الحوارية - أيضاً - أن يتصور القارئ أمامه حاضراً ، يوجه إليه الحديث ، وينظر تعابير وجهه ، ومما يمثل هذا النوع مقالة (أنابيش تراثية) يقول فيها : "قال الراوي - ياسادة ياكرام .. إن المسئول عن القضية من أولها إلى آخرها فيما يبدو لي هو السيد الجليل خيرالدين الزركلي في موسوعته النفيسة (الأعلام) لمن شاء أن يفتح هذا الكتاب العظيم على باب العين ... استرح أيها القارئ

---

(١) " محتال جديد .. وآخر قديم " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٦٥ ، (١٤٠٦/١٢/٦هـ) .

(٢) "ابحثوا عن السيد جورج : على هامش الأيام"، جريدة البلاد ، العدد ١٤٠٨،(١٣٨٣/٤/٢٩هـ).

العزيز ... سأتولى عنك أنا فتح الباب من هذا الكتاب ..."[1] وقوله في المقال نفسه : "إذن فالزركلي على حق ... لكن... هل نستسلم بهذه السرعة ونترك تقريرات الثعالبي ، وهو رجل متقدم (توفي ٤٢٩ هـ) ويقول الزركلي ذاته عنه ... (من أئمة اللغة والأدب)... وليس سهلاً أن تصف رجلاً بأنه إمام ! ولكن ... ماذا عسى نفعل إذا كان الإجماع ضد الأستاذ الثعالبي"[2]؟ .

ولغة الرفاعي الحوارية هي اللغة الفصحى ، لأن حواره في الغالب لا يأخذ نمط الحوار المسرحي الذي يتقابل فيه المتحاوران ، ويرد كل منهما على الآخر . أما إذا أخذ الحوار عنده هذه الصبغة ، فقد يخرج عن التزامه إلى العامية ، كما في حواره في مقالة (الحقيقة) ، إذ يقول :

"كان يمر بي وأمر به في صمت إلا في هذه المرة ، فقد تقدم إلى :

- السلام عليكم .
- وعليكم السلام ورحمة الله .
- من فضلك .. اليوم كم في الشهر ؟ .
- نحن في اليوم الخامس والعشرين .
- ياسلام .. الشهر غلّق ..
- يا أخي الحقيقة الأيام تمر قوام اليوم ورا اليوم ، والشهر ورا الشهر .. والسنة ورا السنة إيه ... كله من أعمارنا بس الواحد غافل .. آخ تدري ؟

وحملقت في الرجل وسع عيني لعله يرعوي فما لي أنا ومال ؟ ثم ما هي المناسبة ؟ ولكنه تجاهل تصرفي ومضى في حديثه :

- تعرف الواحد في الدنيا دي زي إيه ؟

قلت وأنا أتململ أحاول أتابع سيري .

- معليش الدنيا كلها تعب ..
- ولكنه لم يدعني أفلت ..

---

(١) " أيهما ملاعب الأسنة : أنابيش تراثية " ، المجلة العربية ، العدد ٨ ،(المحرم ١٤٠٠هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

- تعب إيه - عارف زي إيه - الحقيقة زي النائم أهو يهلوس ويحلم ..أهي كلها هلوسة ..."[1].

ولا يمكن أن نطبق على هذا الحوار ضوابط الحوار في الرواية أو المسرحية ، لأنه ركن أصلي من أركان تلك الأجناس . أما هنا فهو لون من ألوان التعبير وعرض الأفكار ، ليس له شروط أو ضوابط .

ولا يقتصر الحوار عند الرفاعي على نوع واحد من المقالة ولا على مرحلة زمنية دون أخرى من مراحل الكتابة عنده ، ولكنه يغلب في المقالة التي يتحدث فيها عن قضية أكثر من المقالة الذاتية .

وإذا كان بعض الباحثين قد جزم باختراع الجاحظ لشخصياته المتحاورة[2] مع أنه قد سماها ، فإن الباحث لا يستطيع أن يجزم بهذا في كل حال عند الرفاعي ، إذ قد تكون القصة التي يذكرها قد وقعت له فعلاً ، كما أنها قد تكون من اختراعه بشخصياتها وأحداثها .

٥ - الاقتباس والاستشهاد

الاقتباس والاستشهاد مصطلحان بلاغيان يختلف كل منهما عن الآخر . فالاقتباس : هو تضمين "الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه"[3].

فهو خاص بالأخذ من القرآن والحديث ، أما الاستشهاد " فهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول ، والحجة على صحته"[4]. ومن هذا التعريف يظهر أنه عام في القرآن والحديث وغيرهما .

وقد ظهر هذان اللونان فيما ظهرعند الرفاعي من ألوان أسلوبية ، فنجده أحياناً

---

(١) " الحقيقة : هل ستتطور نون النسوة " ، جريدة البلاد ، العدد ١٣٤٠ ، (١٣٨٣/٢/٩ هـ)

(٢) انظر : الدكتور شوقي ضيف . العصر العباسي الثاني ، تاريخ الأدب العربي ، ٤ .- الطبعة السادسة .- (مصر : دار المعارف ، د.ت) ، ج٤ ، ص ٥٩٨ .

(٣) بغية الإيضاح ، ج ٤ ، ص١٣٠.

(٤) كتاب الصناعتين الكتابة ، والشعر ، ص ٤٣٤ .

يقتبس الآية الكريمة بنصها كما في مقالة (هل أدلكم على تجارة)[1] ، إذ ختم تلك المقالة التي تحدث فيها عن المراكز الإسلامية وفضل بذل الأموال لها ، بقوله تعالى : ﴿يا أيّها الذين آمنوا هل أدلكُم على تجارةٍ تُنْجيكم من عَذابٍ أليم ﴾ الآيات"[2] .

وقد يقتطع لفظ الآية كما في مقالة (محطات) التي تحدث فيها عن قوم لم يطلعوا على ما أنتجته الحضارة الحديثة ، وكان يزمع السفر إليهم ، ولكنه علم أن طلائع الحضارة قد وصلتهم وأن أمرهم سيؤول إلى ما صرنا إليه فنزع عما عزم عليه وألغى الرحلة . وكان الرفاعي قد ختم هذه المقالة بقوله : " حقاً .. إن هناك مناطق في العالم ، أعرف بعضها ، لا تزال تعيش على الحياة البدائية ، وهم – على ما يبدو – سعداء بهذه الحياة .. ولكني لا أحب هذه الحياة القاسية ..

كنت أبحث عن الاعتدال .. ولكن الاعتدال نفسه ، كان يبحث عن شيء آخر .. اسمه التطور .. ومتى تطور الاعتدال .. ثم تطور .. فسينحرف .. وإنهم لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً .."[3].

وكما هو ظاهر من هذا المقطع أن السطر الأخير هو قوله تعالى : ﴿ وألّو استقاموا على الطريقة ﴾ .. الآية"[4] ولكنه غير فيها هذا التغيير اليسير .

ومثلما يقتبس الرفاعي من القرآن الكريم يقتبس من الحديث الشريف ، على قلة قليلة في هذه الاقتباسات ومن الأمثلة على ذلك قوله متحدثاً عن محد عمر توفيق وأيامه في المستشفى : "وإعجابي بما جاء في كتاب منيف الرزاز ، أو إعجاب الأستاذ محمد عمر توفيق[5] به لا يعني الموافقة على أفكار الرجل بصفة عامة فالحكمة ضالة المؤمن أين وجدها التقطها"[6]، فقوله :" الحكمة ضالة المؤمن ،

---

(١) جريدة الجزيرة ، العدد ٥٦٨١ ، (١٤٠٨/٩/٢هـ) .

(٢) سورة الصف الآيات : ١٠ ،١١ ،١٢ ،١٣ .

(٣) " محطات " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٣٨٣٨ ، (١٤٠٣/٦/١٠هـ) .

(٤) سورة الجن الآية : ١٦ .

(٥) محمد عمر توفيق (١٣٣٧ هـ - ١٤١٤ هـ) ، من مواليد مكة المكرمة . شغل عدة مناصب منها وزيراً للمواصلات ، ووزيراً للحج والأوقاف بالإنابة . له عدد من الآثار منها : من ذكريات مسافر ، طه حسين والشيخان ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٢٣) .

(٦) " محمد عمر توفيق .. وأيامه في المستشفى ، جريدة الأربعاء ، (١٤١٠/٨/١٠ هـ) .

مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم : "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها"[1]. وقد كان الاستشهاد عند الرفاعي أوفر حظاً من الاقتباس فكان يستشهد بالأشعار وبالأمثال .

فأما في الشعر فلم يلتزم طريقة واحدة ،إذ نجده يستشهد بالبيت بنصه في بعض الأحيان كاستشهاده في بعض شعر شوقي في قوله : " وتحالفت مع الأولية في غالب الأحايين .. ولا أزعم في كلها .. ولكن :

وكم منجب في تلقي الدرو　　　س تلقى الحياة فلم ينجب[2]

كما يقول شوقي في قصيدته الرائعة (المكتب)"[3].

أو قوله : " لاأقول كما قال شوقي : "أنا من بدل بالصحب الكتاب"[4] وذلك أن الكتاب وإن كان نعم الصاحب الوفي ، إلا أن الدنيا لم تخل من صحب . هم عناوين جيدة لصحف من الوفاء عريض"[5]، وواضح أن الرفاعي في الشاهد الأخير لا يستشهد بشعر شوقي ولكنه يعارضه ، وهي معارضة ترمز إلى وجود هذا البيت في ذهنه حال الكتابة ، وفي هذا من التأثير ما يشبه الاستشهاد الذي يحسن الكلام .

وقد يحل نظمه ويبقي على بعض ألفاظه كما في قوله : "التشديد في بعض المواضع ، كوضع السيف في موضع الندى " فقد حل قول أبي الطيب .

---

(١) ابن العربي المالكي ، عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي ، د.ط (دار الكتاب العربي ، د.ت)، ج ١٠ ، ص ١٥٩ ، كتاب العلم باب ما جاء في الفصل : فضل الفقه على العبادة ، وعلق عليه الترمذي بقوله : " هذا حديث غريب "

(٢) من قصيدة لأحمد شوقي بعنوان " مصاير الأيام " مطلعها :

ألا حبذا صحبة المكتب　　　وأحبب بأيامه أحبب

(انظر الشوقيات ١٤٧/٢) .

(٣) " أنا والجائزة " ، مجلة المنهل ، العدد ٤٩٠ مج ٥٣ ، (صفر ١٤١٢ هـ) .

(٤) صدر بيت لأحمد شوقي ، وقد رواه رواية خاطئة وصوابه :

أنا من بدل بالكتب الصحابا　　　لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

(المصدر السابق ، ١٨/٢) .

(٥) " كتب وصحب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٩٩ ، (١٤٠٨/٢/٢٦ هـ) .

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى[1]

هذه استشهاداته بالأشعار ، أما الأمثال فلم تختلف عن سابقها ؛ إذ كان يورد المثل بعد فكرته يسندها بما يجعلها أكثر قبولاً ؛ وذلك في حديثه عن نفسه إذ لم يتعلم اللغة الأجنبية فيقول : "ولا تحسبني أسفاً على أنني لم أكن مثلهم متشدقاً أو منساقاً .. مع الخيل" ، فهو هنا يقصد المثل المعروف "مع الخيل .. ياشقرا"[2]، وقوله أيضاً : "فإن هذه الرواية توضح الرؤية ، وأن من طبيعة الأشياء أن تكون الأم هي في البدء التي ترقص ولدها ، وأن التحدي جاء من قبلها ، وأنها معجبة بأبيها فكل فتاة بأبيها معجبة"[3].

ولعله من الحق أن يقال إنه لم يكن للاقتباس والاستشهاد ظهور كثيف عند الرفاعي ، بحيث يعد سمة واضحة ؛ بل إن شأنه في ذلك شأن باقي فنون البديع التي لا ترد عنده إلا عفو الخاطر ، وبقدر محدود يسير .

ومن الظواهر التي قد تلحق بالاستشهاد ، وإن كانت لا تعد منه اصطلاحاً ما يفعله في بعض مقالاته حين يجعل في آخرها حيزاً يسيراً يضع فيه بضعة أبيات أو يقتبس شيئاً من كلام غيره ، دون أن يكون لهذا الجزء المقتبس علاقة ظاهرة بالمقال .. من ذلك ؛ المقطوعة التي ختم بها مقاله (مساكين أهل العشق)[4] وهي بعنوان (رضاء) :

راضٍ عن الله في سري وفي علني   راضٍ عن الله مهما كان من زمني
راضٍ عن الله إني إن رضيت بما   يرضيه فهو سيرضيني ويرحمني
راضٍ عن الله ، وهو المرتجى فإذا   ما مسني الضر أرضاني وأكرمني

---

(١) هذا من قصيدة لأبي الطيب المتنبي مطلعها :
لكل امرئٍ من دهره ماتعودا   وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
(ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، ١/٢٨٨).

(٢) " قطرة .. عن السراب " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٤٧ ،(١٤٠٩/٦/٢ هـ) . وفي الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية ، ج ٨ ، ص ٧٩ ، بلفظ (مع الخيل ياشقران) وفي بيئة الباحث يعرف باللفظ الوارد بالمتن .

(٣) " حمل لا جمل " مجلة العرب ، س ١٩ ، ج ٧ ، ٨ (المحرم وصفر ١٤٠٥ هـ) وانظر : " فلنبحث بين الأصداف " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٢٦ ، (١٤٠٧/٥/١٩ هـ) .

(٤) " مساكين أهل العشق " ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣١٧ ، (١٤٠٧/٨/٢٢ هـ) .

راضٍ عن الله إيماناً به وغنى ومن يلذ بغنيٍّ الذات فهو غني

راضٍ عن الله،إني إن غضبت فلن أغيِّر الأمر، أو أرتاح في شجني[1]

وقد أورد الرفاعي هذه المقطوعة بعد حديثه عن كتاب (صراع كوني اسمه الحب) وعن مجلة (الثقافة العالمية) وعن (شعر السهيلي) وهي موضوع - كما نرى - لا يمس معنى القصيدة .

وقد يكون اختيار هذه المقطوعات استجابة للحالة النفسية التي يعيشها الرفاعي ومعرفة هذه الظروف غير ممكنه ، وقد يكون هذا الأمر غير ممكن الآن[2].

بقي أمر أخير ، وهو الاستشهادات التي كان يذكرها عند عرضه لكتاب ، أو ديوان ، أو حديث عن قضية . وهي شواهد مقوية لرأيه ، جالية له ، وهي لا تدخل في مفهوم الاستشهاد البلاغي ، ولكنها تدخل تحت هذا المسمى في عرف الباحثين . وهذا النوع من الاستشهاد كثير ظاهر ؛ وذلك لكثرة حديث الرفاعي عن الكتب ، والشخصيات ، والقضايا وهي كثرة ظاهرة تغني عن الاستشهاد والتمثيل[3].



(١) محمد زكي إبراهيم ، البقايا ، لم أجده فيما بين يدي من مصادر .

(٢) انظر : " للذكريات بحر وأمواج " ، الجزيرة ، العدد ٥٤٥٠ ،(١٤٠٨/١/٧ هـ)، و" أين تقضي شيخوختك : يوميات قصيرة " ، عرفات ، العدد ١٦ ، (١٣٧٧/٩/١٨ هـ)؛ والآشي من أوائل الرواد ، الجزيرة ، العدد ٤٥٦١ ، (١٤٠٥/٧/٤ هـ) .

(٣) انظر : " مثلاً : " فتافيت امرأة " ، الجزيرة ، العدد ٥٨٢١ ، (١٤٠٩/١/٢٤ هـ) ، و" قطرات من السحاب الأحمر " . جريد ة الجزيرة ، العدد ٥٨٩١ ، (١٤٠٩/٤/٥ هـ) .

الفصل الرابع

توثيق شعره، وموضوعاته

١ - توثيق شعره :

أ - الدواوين الشعرية .

ب - الصحف والمجلات .

جـ - المخطوطات .

٢ - موضوعات شعره :

أ - الإسلاميات .

ب - الوجدانيات .

جـ - الإخوانيات .

د - الوصف .

هـ - المناسبات .

و - الاجتماعيات .

ز - الرثاء .

توثيق شعره، وموضوعاته

١ - توثيق شعره

بدأ الرفاعي كتابة الشعر في وقت مبكر من حياته[١]، وظل يكتب الشعر في مراحل حياته كلها . ويبدو أنه غير واثق من تقبل المتلقي ، أو أنه يريد أن يكسب شعره شيئاً من القبول عن طريق التواضع ، مما جعله يكثر من التساؤل عن حقيقة ما ينظم ، أيمكن أن يسمى شعراً ؟[٢]. ولعل هذا الهاجس هو ما جعله يحجم في بعض فترات حياته عن كتابة الشعر ، منصرفاً إلى فنون أخرى من القول . وأما إذا دعاه داعي القول فإنه يكتب الشعر على استحياء ، وخجل من ضعف ما يكتب ، ومن عدم قدرته على اللحاق بشعر الشعراء الكبار[٣]. وكانت الصحف والمجلات هي الطريق الوحيد الذي سلكه الرفاعي في نشر قصائده ، إلى أن أصدر ديوان (من يوميات مئذنة مكية). فشكل هذان الأمران مع ما لم ينشر من شعره الأقسام الثلاثة التي تنقسم إليها مصادر شعر الرفاعي وهي :

أ - الدواوين .

ب - الصحف والمجلات .

جـ - المخطوطات .

أ - الدواوين

أصدر الرفاعي ثلاثة دواوين شعرية ، كان أولها كتيب بعنوان (من يوميات

---

(١) انظر : عبدالعزيز الرفاعي ، ظلال ولا أغصان ، السلسلة الشعرية ، ٨ .ـ الطبعة الأولى .- (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ، ص ٧ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣ .

(٣) انظر : السلام عليك ، ص ٧ - ٨ .

مئذنة مكية) ، صدر في جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠هـ ، وحوى قصيدة واحدة طويلة من شعر التفعيلة تحمل العنوان نفسه ، بلغ عددها مائة وخمسة وأربعين سطراً .

وفي عام ١٤١٣ هـ صدرت مجموعته الأولى (ظلال ولا أغصان) وضم إليها قصيدته (من يوميات مئذنة مكية)، ثم تلا ذلك في عام ١٤١٤ هـ إصدار قصيدته (السلام عليك) التي مدح فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم منفردة في كتاب وضم إليها شرحاً لها .

وقد بلغ عدد القصائد التي في مجموعته (ظلال ولاأغصان) اثنتين وعشرين قصيدة وثلاث مقطوعات ، بمجموع عشرة وأربعمائة بيت ، وأربعة وتسعين ومائتي سطر ، كما حوى قصيدتين ومقطوعتين ليستا من شعره رأى الرفاعي مناسبة إيرادهما في الديوان .

قسّم الرفاعي مجموعته خمسة أقسام هي: في ظلال الدعاء ويحوي قصيدتين ، وفي ظلال الوجدان ويحوي خمس قصائد ومقطوعة ، وفي ظلال الطبيعة ويحوي ثلاث قصائد ، وفي ظلال المناسبات ويحوي ست قصائد ، والخامس في ظلال الصداقة ويحوي ست قصائد ومقطوعة .

وقد اختار في هذه المجموعة قصائد تمثل مراحل حياته المختلفة منذ بداية كتابة الشعر إلى ما قبل صدور الديوان . كما أنها لا تمثل إلا شطراً من حياته ، أما الشطر الآخر فقد طواه ، وإن كان "لا يعدو أن يكون مما ألف الناس من العواطف والأحاسيس"[١].

ب - شعره في الصحف والمجلات

سبق القول إن الرفاعي لم يجمع كل شعره المنشور ، وإنما ترك بعضه بين الصحف والمجلات . وقد بلغ هذا الشعر ثماني عشرة قصيدة وخمس عشرة مقطوعة بمجموع تسعة وأربعين وثلاثمائة بيت ، وستة وثلاثين ومائة سطر . وفي الجدول التالي عرض للقصائد المنشورة في الصحف والمجلات حسب تاريخ النشر:

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٦ .

الجدول رقم (٣) يوضح القصائد المنشورة في الصحف والمجلات حسب تاريخ النشر

م	عنوان القصيدة	مكان النشر	تاريخه	نوع القصيدة	عدد الأبيات
١	غضبة	البلاد السعودية	١٣٦٨/٧/٤ هـ	ذات الشطرين	١٤ بيتاً
٢	مع الأغصان	مجلة الأديب	تموز ١٩٤٨م رمضان ١٣٦٨هـ	ذات الشطرين	١٤ بيتاً
٣	دنيا شاعر	مجلة الأديب	تموز ١٩٤٩م رمضان١٣٦٨هـ	ذات الشطرين	١٢ بيتاً
٤	موعد العيد	البلاد السعودية	١٣٦٨/١٠/٢٧هـ	ذات الشطرين	١٥ بيتاً
٥	شفة غليظة	مجلة الأديب	أكتوبر ١٩٥٠ م شوال ١٣٦٩ هـ	ذات الشطرين	١٤ بيتاً
٦ ٧	وشوشة عودة	البلاد السعودية	١٣٦٩/١٢/٢٧ هـ ١٣٧٠/٢/٢٠ هـ	ذات الشطرين ذات الشطرين	١٤ بيتاً ١٥ بيتاً
٨	لا تأس	البلاد السعودية	ربيع الأول ١٣٧٠هـ	ذات الشطرين	١٢ بيتاً
٩	انتظار	مجلة الحج	١٣٧٠/٧/٢هـ	ذات الشطرين	٢٢ بيتاً
١٠	شاعر وغصنان	البلاد السعودية	١٣٧٠/١٢/١٠هـ	ذات الشطرين	٢٠ بيتاً
١١	جميلة	عرفـــات	١٣٧٧/٨/١٣هـ	تفعيلة	٦١ سطراً
١٢	وصدى عتاب	عرفـــات	١٣٧٨/٥/٤ هـ	ذات الشطرين	٢٠ بيتاً
١٣	حقد	مجلة حراء	١٣٧٨/٧/١٢ هـ	تفعيلة	٧٥ سطراً
١٤	إلى مجهولة	النـــدوة	١٩٨٣/٧/٢٤ م	ذات الشطرين	٥ أبيات
١٥	كانت جميلة	مجلة المنهل	رجب ١٣٨٦هـ	ذات الشطرين	١٧ بيتاً
١٦	الموسيقي المتجول	مجلة العرب	شعبان ١٣٨٨هـ	ذات الشطرين	١٨ بيتاً
١٧	(عناية)	مجلـة الإذاعـة والتلفزة التونسية	في ١٣٩٠هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
١٨	(بدوي يبني الحضارة)	مجلة المنهل	رجب وشعبان ١٣٩٧ هـ	ذات الشطرين	٢٢ بيتاً

تتمة الجدول رقم (٣)

م	عنوان القصيدة	مكان النشر	تاريخه	نوع القصيدة	عدد الأبيات
١٩	تحية جازان	مجلة المنهل	المحرم وصفر ١٤٠٢هـ	ذات الشطرين	٨ أبيات
٢٠	يا شوق .. لا	البلاد	١٤٠٤/٩/١٣ هـ	ذات الشطرين	١٠ أبيات
٢١	تحية إلى الشاعر الفقيه	الندوة	١٤٠٥/١/٢١هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٢	تحية الشيخ بلخوجة	الندوة	١٤٠٥/٥/٦ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٢٣	أيتكلم الصخر	الجزيرة	١٤١٠/٢/١٨هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٤	(ارم طوق النجاة)	المدينة	١٤١٣/١١/١٣هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٥	رويدكم	الأربعاء	١٤١٣/١٢/١٩هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٦	(مجلس الأمن)	الأربعاء	١٤١٣/١٢/٢٦هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٧	(هم يجمعون)	المدينة	١٤١٣/١/٥ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٨	(أنا من قبل)	المدينة	١٤١٤/٢/٧ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٩	تحية الأحساء	الرياض	١٤١٤/٣/٢٩ هـ	ذات الشطرين	٩ أبيات
٣٠	سبعون	المجلة العربية	ربيع الآخر١٤١٤هـ	ذات الشطرين	٣٣ بيتاً
٣١	(آب)	الرياض	١٤١٤/٥/١٩هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٣٢	(صدقت)	الأربعاء	١٤١٥/١٢/٤هـ	ذات الشطرين	٦ أبيات
٣٣	أنور العطار	الأربعاء	١٤١٦/١/٣٠ هـ	ذات الشطرين	٩ أبيات

جـ - المخطوطات

أما القسم الثالث من شعر الرفاعي فهو ما لم تضمه دفتا مجموعته ، ولم ينشر في صحف أو مجلات . وقد حصلت على مجموعة من هذا الشعر بلغت عشرين قصيدة ، واثنتين وثلاثين مقطوعة ، بمجموع اثنين وعشرين وخمسمائة بيتٍ وخمسة وسبعين سطراً . الجدول التالي يعرض هذه القصائد حسب تاريخ كتابتها :

الجدول رقم (٤) يوضح القصائد حسب تاريخ كتابتها

م	عنوان القصيدة	تاريخه	نوع القصيدة	عدد الأبيات
١	(وقفت أناجي النفس)	١٣٦١/٥/٢٩ هـ	ذات الشطرين	٦ أبيات
٢	(قال لي)	في ١٣٦١ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٣	صورة	مع ٦١ - ١٣٦٢ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٤	الإهداء	١٣٦٣/٢/٠٢٠ هـ	ذات الشطرين	١٧ بيتاً
٥	ربا المثناة	في١٣٦٣هـ	ذات الشطرين	١٢ بيتاً
٦	ناي الراعي	في١٣٦٣هـ	ذات الشطرين	١٣ بيتاً
٧	(وهبتك)	في ١٣٦٦ هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
٨	(سلي واعجبي)	١٣٦٧/٦/٧ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٩	تحية	١٣٦٧/١١/٢٧ هـ	ذات الشطرين	١٤ بيتاً
١٠	موكب الحسن	١٣٨٦/٤/٠٢٠ هـ	ذات الشطرين	٢٨ بيتاً
١١	فاتن المسيال	١٣٦٨/٩/١٥ هـ	ذات الشطرين	١٦ بيتاً
١٢	وداع	١٣٩٦/١١/٢ هـ	ذات الشطرين	٢١ بيتاً
١٣	(نعم هذه)	١٣٦٩/١٢/١٧ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
١٤	(سأطوي غرامي)	١٣٧٠/٤/٢٨ هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
١٥	(يا عزيزي)	١٣٧٣/٣/٢٨ هـ	ذات الشطرين	٦ أبيات
١٦	(أفق)	١٣٧٤/٧/٢٥ هـ	تفعيلة	٣١ سطراً
١٧	انتظرني غداً	فيما قبل ١٣٧٥ هـ	ذات الشطرين	٢١ بيتاً
١٨	(ياسيدي)	١٣٧٥/٥/١٦ هـ	ذات الشطرين	٨ أبيات
١٩	(بني)	١٣٧٦/٢/٣ هـ	ذات الشطرين	١٣ بيتاً
٢٠	عجبت	١٣٧٥/١١/٢٥ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢١	عجبت	١٣٧٩/١١/٢٦ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٢	عجبت	١٣٧٩/١١/٢٧ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٣	عجبت	١٣٧٩/١١/٢٨ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٢٤	(أيا محضراً)	في السبعينات	ذات الشطرين	٣ أبيات
٢٥	جدول	صفر ١٣٨١ هـ	ذات الشطرين	١٦ بيتاً
٢٦	(هشام نفحة عطر)	١٣٨٥/٢/١ هـ	ذات الشطرين	١١ بيتاً
٢٧	(يا شعر جدت دواعي)	١٣٨٦/١١/٢٥ هـ	ذات الشطرين	١١ بيتاً
٢٨	(بي ظمأ)	في ١٣٨٧ هـ	ذات الشطرين	٧ أبيات

تتمة الجدول رقم (٤)

م	عنوان القصيدة	تاريخه	نوع القصيدة	عددالأبيات
٢٩	(أنا أهواه)	في ١٣٨٧ هـ	ذات الشطرين	١٠ أبيات
٣٠	(وقفت)	في الثمانينات	ذات الشطرين	٩ أبيات
٣١	ظمآن	١٣٩٨/١١/٩ هـ	ذات الشطرين	٢٠ بيتاً
٣٢	(عدت للشعر)	١٣٩٠/٥/٣هـ	ذات الشطرين	٣٧ بيتاً
٣٣	ابذر غيرها	١٣٩٩/٧/٧ هـ	ذات الشطرين	١٦ بيتاً
٣٤	(يا عصاماً)	١٤٠٠/٩/٦ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٣٥	(سعي بالود)	١٤٠٠/١٢/١٧ هـ	ذات الشطرين	٨ أبيات
٣٦	في غمرة الثراء	١٤٠١/٦/٧ هـ	ذات الشطرين	٨ أبيات
٣٧	(ياصديقي)	شعبان ١٤٠٢ هـ	ذات الشطرين	٢٤ بيتاً
٣٨	تاب .. ولم يتب	١٤٠٢ هـ	تفعيلة	١٩ سطراً
٣٩	حلوة الوطنين	مع ١٤٠٢ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٤٠	(نشر الضياء)	١٤٠٤/٨/١٢ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٤١	الحلم الأعظم	١٤٠٤/١٢/٦ هـ	تفعيلة	٢٥ سطراً
٤٢	(قد قلت للمجد)	١٤٠٦/٣/٣ هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
٤٣	(لو كان لي)	١٤٠٧/٧/١٩هـ	ذات الشطرين	بيتان
٤٤	لا عودة	١٤٠٨/١٠/١٠ هـ	ذات الشطرين	١٠ أبيات
٤٥	(أنت الطبيب)	في١٤٠٨ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٤٦	آخن	في ١٤٠٨ هـ	ذات الشطرين	١٤ بيتاً
٤٧	(يا نذيراً)	١٤٠٩/٤/٢ هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
٤٨	باقتان	١٤١١/٨/٢١ هـ	ذات الشطرين	٥ أبيات
٤٩	الفريسة تصيد	١٤١١/٨/٢٤ هـ	ذات الشطرين	٣٤ بيتاً
٥٠	أين نصيبي	١٤١٢/٥/٢٣ هـ	ذات الشطرين	٣ أبيات
٥١	شفق	صفر ١٤١٣ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٥٢	كلمة حب	١٤١٣/٣/١١ هـ	ذات الشطرين	٦ أبيات
٥٣	الجمر	١٤١٣/٣/١٥هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات
٥٤	صباحان	١٤١٣/٤/٦ هـ	ذات الشطرين	٤ أبيات

وهذا يعني أن شعر الرفاعي بلغ تسعةً وسبعين وسبعمائة وألف بيت ، وخمسة وخمسمائة سطر . وهناك أشعار بلغني خبرها ، ولم أتمكّن من الحصول عليها .

٢ - موضوعات شعره

عرض بعض القدماء لأغراض الشعر وفنونه ، فمن أول من قسم الشعر إلى موضوعات هو أبو تمام الذي جعل حماسته عشرة أبواب يمكن أن يرد بعضها إلى بعض ؛ ثم تلاه قدامة بن جعفر وجعل الشعر ستة أقسام "وكان أول من حدد أقسامه على نسق علمي"[١].

ولم تكن أقسام الشعر عندهم دقيقة ، ولا منضبطة ؛ إذ نجدهم يضعون أقساماً يمكن أن ترد لغيرها ، كما يهملون أقساماً أخرى لابد من النص عليها[٢]. ولعل ذلك عائد إلى "أن تقسيم الشعر - والغنائي منه بنوع خاص - مهمة شاقة ليست بالهينة ، فموضوع الشعر واسع جداً سعة الحياة نفسها ، وألوانه متعددة تعدد أهواء النفس البشرية وخلجاتها"[٣].

ولا بد عند تصنيف القصائد من النظر إلى الغرض من إنشاء القصيدة ، والمعاني التي تحملها ، ومشاعر الشاعر ، وعواطفه فيها . وهذا مما يزيد الأمر صعوبة ، علاوة على عدم وجود حدود فاصلة بين الأغراض الشعرية . فهناك تداخل بين كثير من الأغراض التي أخذها النقاد بالقبول كالمدح ، والوصف ، والإسلاميات ، والمناسبات ، والسياسيات .

فالقصيدة التي تتحدث عن أحوال المسلمين وما يلاقونه من أذى واضطهاد ، وتهيب بالمسلمين أن ينصروهم ، ويخرجوا العدو من ديارهم ، يمكن أن تكون من الإسلاميات ومن السياسيات ، وقد تكون من المناسبات لو أنشدت بمناسبة رسمية ، وهذا مما يجعل الجزم بصحة التقسيم لأغراض الشعر مشتملاً على نوع من الصعوبة ، ومن عدم الدقة .

---

(١) محمد محمد حسين . الهجاء والهجاؤون في الجاهلية .- الطبعة الثالثة .- (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م) ، ص ٥ .

(٢) جعل أبو تمام في الحماسة الأضياف ، وذم النساء أغراضاً مع أنها ترد للمديح ، والهجاء ، كما أهمل قدامة في نقد الشعر ، وابن رشيق في العمدة الحماسة والفخر . وعد قدامة التشبيه غرضاً قائماً بذاته .

(٣) محمد محمد حسين ، ص ١٦ .

ولقد قال الرفاعي الشعر في كثير من الأغراض التي يمكن أن تصنف على النحو التالي :

أ - الإسلاميات .

ب - الوجدانيات .

جـ - الإخوانيات .

د - الوصف .

هـ - المناسبات .

و - الاجتماعيات .

ز - الرثاء .

أ - الإسلاميات

لا يقتصر مفهوم الإسلاميات على الشعر الديني الذي يتناول شعائر الدين كالصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ؛ ولكنه يتسع ليشمل "الذي يقال في أغراض الدين ، والسياسة ، كالشعر الذي ينادي بالأخوة الإسلامية ، ويعالج الشؤون الإسلامية من خلال منظور إسلامي"[1].

وكان للبيئة التي يعيش فيها الحجازيون أثر في توجيههم إلى الشعر الإسلامي ؛ إذ شبوا في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومكان أيام الدعوة الأولى العصيبة . وكانت هذه المناظر التي تقابلهم صباحاً ومساءً توحي لهم بالمعاني الإسلامية العميقة وتغرسها في نفوسهم ، كما أن ارتباط الحرمين ببقاع العالم الإسلامي جعلهم ينظرون إليه وحدة متكاملة مترابطة ، مما جعلهم ينطلقون بشعرهم للدعوة إلى التضامن الإسلامي والوحدة القويمة .

ولم يكن الرفاعي ليخرج عن هذه المنظومة البيئية التي عاش فيها ؛ إذ نجد له

---

(١) الدكتور عبدالله الحامد . الشعر في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ هـ - ١٣٩٥هـ).- الطبعة الأولى.-(المدينة : منشورات نادي المدينة الأدبي، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م) ، ص ٤٤٧ .

بعض القصائد الإسلامية التي تدل على تفاعله مع البيئة المكانية والزمانية .

ففي تفاعله مع البيئة المكانية ظهرت مدحته للنبي صلى الله عليه وسلم (السلام عليك) التي ابتدأها بالحديث عن صعوبة اختيار المطلع لا سيما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذهب الشعراء بروائع مدحه كل مذهب ، ولا يزالون بعيدين عن المجد الذي يتبوؤه النبي صلى الله عليه وسلم .

المبدعون وكيف لي أن أبدعا	قطفوا الروائعَ ، لم أجد لي مطلعا
ظفروا لسُدَّتك النجوم وزاحموا	فيها ، فما تركوا هنالك موضعا
ذهبوا بمدحك حيثما ذهب الهوى	فحسبتهم أهدوا إليك روائعا
ولقد ظننتُ بأنهم بلغوا الذرى	فإذا بمجدك لا يزال ممنّعا
وإذا هم في السفح منك جميعهم	وأنا المهيض أتى لصرحك ضالعا
أنت الثريا ، بل مجرات المدى	قد فقتهن جَميعهن المطلعا[1]

ثم تلا ذلك الاعتذار عن تقصيره عن توفية الموضوع حقه برجاء أن يشفع له حبه العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم ، مستوفياً في هذه المقدمة خمسة عشر بيتاً قبل أن يخلص إلى تعداد الصفات التي مدح النبي بها ، وهي علو منزلته عن المادحين ، لمدح الله له بكرم خلقه ، والصفات التي خصه الله عز وجل بها عن غيره من الأنبياء من إكمال رسالته وجعلها خاتمة الرسالات ، وإعطائه الحوض المورود يوم العرض الأكبر ، والمعراج الذي بلغ به سدرة المنتهى ، والإسراء الذي التقى فيه بالأنبياء قبله وأمهم في الصلاة ، يقول الرفاعي في ذلك :[2]

هل نالت الرسل الهداة جميعها	قمماً ، لغيرك قد أبت أن تخضعا ؟
. . . .	. . . .
نهران من نور : فنهر رسالة	كمُلتْ ، فلم تترك لشكٍّ منزعا

---

(١) السلام عليك ، ص ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

أشرعتهـا للظامئين علـى الدنـى فسقيتهـم ريـاً زلالاً مُشبعا
والحـوض في الأخرى شريعة شافـع في الهـول للعطشى ، حناناً مُترعا
جـزت الطبـاق السبعَ بل ما فوقها مـن حيث قـد وقـف الأمين مروعا
وحَجَجْـتَ للقـدس الشريف تؤمه بـل أنـت كنـتَ بـه الإمام الجامعا

وختم القصيدة برابطـة النسب التي تربطـه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فهـو " من أسرة حسينية من ناحيـة الأب والأم"[1]، بأن يدعـوه بنداء الأبوة التي إذا نطق بها ارتوى وشعر بالأمان ، ويطلب منه ، رد التحية بمثلها أو بخير منها ، فهو أهل الزيادة والتكرم :

لـك فـي كيانـي ذرة أدنـو بهـا إن لـم أجد طبعـاً رجـوت تطبُّعا
أبتي-إذا ابتلّتْ بها شفتي ارتوت وشعرت أني لـن أكـون مُضيَّعـا
رد السـلامَ .. فـإن وهـبتَ زيـادةً فـلأنـت أهـل أن تزيـد وتُشفـعـا"[2]

وعلى الرغم من أن القصيدة بلغت اثنين وأربعين بيتاً إلا أنها قصيدة قصيرة إذا قورنت بالمدائح النبوية التي اعتاد الشعراء أن ينظموها ، وهي أيضاً غير كافية لتعداد مآثر النبي صلى الله عليه وسلم ، وصفاته ، وأفضاله ، كما هي عادة المدحات التي يتقرب بها الشعراء إلى الله عز وجل .

وقد قصر الرفاعي القصيدة على المدح ، ولم يتجاوزه إلى غيره من الموضوعات كغيره من الشعراء المعاصرين الذين يحرصون على تخطي محدودية الموضوع ، ووحدته الظرفية والانطباعية إلى ما يسمى بالاستدعاء أو التداعي ... وإلى موضوعات أخرى تهمه وتمس حياة أمته وقضاياها في مختلف أصقاعها"[3].

وقد يعن لنا أن نتساءل عن سبب مدح الرفاعي للرسول صلى الله عليه وسلم ، أهو الحب وحسب ، أم أن وضع الأمة الإسلامية ، وما تلاقيه من هزائم ، وتعانيه من

---

(١) نفس المصدر، ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٣) الدكتور حسن بن فهد الهويمل . النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر .- الطبعة الأولى .- (الرياض : منشورات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) ، ص ١٦٢ .

ضعف جعله يتجه نحو مدح الرسول تبركاً بها ، وتيمناً علها أن تفيد في رفع ما بأمته من بأساء كما هو مأثور عن البوصيري الذي شفي من الفالج بعد مدحه الرسول صلى الله عليه وسلم بالبردة[1]. أم أنه إحساسه بالتقصير في حفظ ذلك التراث المجيد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

وقد يكون لعصبية النسب أثر في مدحه للرسول وحرصه على ذلك " كما هي عند الشريف الرضي والعصبية داع مهم"[3] على ضعف هذا الاحتمال لا سيما أن الرفاعي يعلم أن هذه الرابطة لا تغني من الله شيئاً ، وقد صرح بذلك في شرحه القصيدة [4] .

ويظهر أن السبب الأول أقواها إذ يسنده الحديث "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[5] وكيف إذا ضم إلى ذلك رابطة النسب ؟! .

وقد سلم الرفاعي بها من الشطحات العقدية ، والمبالغات الصوفية التي تكثر عادة في شعر المدائح النبوية[6]، فلم نجد في مدحة الرفاعي شيئاً من ذاك مع حرصه أن يشرحها خشية أن تفهم على غير وجهها[7] .

أما تفاعله مع البيئة الزمنية فقد كان العالم الإسلامي يمر منذ أواخر القرن الثالث عشر الهجري بظروف عصيبة تمثلت بالحرب الاستعمارية العسكرية تارة والثقافية تارة أخرى .

---

(١) انظر : الدكتور زكي مبارك . الموازنة بين الشعراء .- د .ط .-(بيروت : المكتبة العصرية ،د . ت)، ص١٥١ .

(٢) انظر : أحمد فوزي اللهيب . الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء .- الطبعة الأولى .- (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ص ١٠٠ .

(٣) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ١٦١ .

(٤) السلام عليك ، ص ٥٨ .

(٥) رواه مسلم . مختصر صحيح مسلم ، ص ١٤ ، رقم الحديث ٢٣ ، كتاب الإيمان ، باب ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان .- الطبعة الأولى .- (دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ص ١٦٨ .

(٦) الدكتور مسعد بن عيد العطوي . الاتجاهات الفنية في شعر الحروب الصليبية .- الطبعة الأولى .- (الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ، ص ١٦٨ .

(٧) انظر : السلام عليك ، ص ١١ .

وقد كان الرفاعي كغيره من الأدباء السعوديين متفاعلاً مع هذه الظروف يتحدث عن قضايا المسلمين ومآسيهم خاصة الجزائر وفلسطين .

ففي الجزائر نجده يتحدث عن إحدى المكافحات (جميلة) التي أظهرت بطولتها في الجزائر ، ولسان حالها يقول : إن الجزائريين لن يتركوا الكفاح حتى لو نزلت النساء إلى ساح القتال :

جميلـــة
وكاسمها الجميل
جميلة الكفــاح
وتحضن السلاح
بيدها النحيلـة
وشرف القبيلـة
وشرف العروبة النبيلة
......
بيدي النحيلـة
وقلبي الكبيــر
أحب أن أقاتــل
فالثأر لن يضــاع[1]

وكقصيدته (حقد) التي يقول فيها :

انثروا الحقد عليهم
واطردوهــــم
واجلدوهــــم
إنهم قد نثروا الحقد علينا

---

(١)" جميلة : جريدة عرفات ، العدد ١١ ، (١٣٧٧/٨/١٣ هـ) .

طردونـــــــــا

جلدونا

وهم كانوا البغاة[1]

وحين يقتصر مجلس الأمن على إدانة الإبادة الجماعية التي يتلقاها المسلمون من النصارى ينشد ساخراً من هذه الحالة التي اكتفينا فيها بالإدانة ، واعتدنا منها الشجب:

مجلس الأمن"يا لدانا لدانا" قد كفانا لأنه قد أدانا
زغردي يا مزارع القتل والغصـ ـب وردي للهاربين الأمانا
كم أدنا وكم شجبنا ، وكنا نصف قرن نغادر الأوطانا
لغة نحن مبدعوها ولكن كيف بالله قد أجادوا لغانا[2]

وحين يطوف في البلاد التي كانت إسلامية فيرى ما كان عليه السلف وفرط به خلفهم ، يعتصره الألم ويقف باكياً :

وقفت ودمع عيني الحبيس على آثارهم قلبي يجوس
أسائل مجدهم أنى تولى وكيف يجيبني الأثر الطميس؟
أضعتم مجدكم فبكى عليكم وأبكانا وأجهشت الطروس[2]

وكان يستثمر المناسبات الاجتماعية والرسمية لإثارة قضايا المسلمين ، وما يلاقون من أذى ، فحين يأتي العيد يسأله عن سروره الذي ذهب به حال إخوته المر في أصقاع العالم الإسلامي :

يا عيد

أين مسرتي ؟

لا .. أنت أدرى

---

(١) " حقد " : مجلة حراء ، العدد ٢٥٠ (١٣٧٨/٧/١٢ هـ) .
(٢) (مجلس الأمن) : جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/١٢/٢٦ هـ) .
(٣) (وقفت ودمع عيني) : د . ت ، مخطوط في دار الرفاعي .

بالمواجع في ضميري
ياعيد إن طفت القرى
أوجلت ما بين المدائن
فاسأل
وقل لي ما مصيري ؟
ما حال إخواني ؟
وخلاني وأهلي ؟
وبني العمومة من عشيري ؟
ما حالهم ياعيد .. ؟
في الوطن السليب
في فلسطين العزيزة
واللاجئون؟
......
يا عيد في أرض الجزائر
هل ترفل الأطفال في الحرير
وأي أطفال يتامى
يا عيد في أرض الجزائر[1]

ثم يخبر العيد بأنه سيظل كالِحاً في حياة الرفاعي لا يبتهج به حتى يخرج الأعداء من أرضنا ، وهو يوم قريب سيحتفل به ، وسيجعل الدنيا سروراً وأعياداً .

يا عيد معذرة إليك
إذا عبرت على حياتي
كالِحاً .. جهم العبور

---

(١) ظلال ولا أغصان : ص ٧٤ - ٧٨ .

لكنني

لن أجتويك

سنلتقي

ياعيد .. في يوم قريب

وسأحتفي

وستحتفي كل الدنا

من يوم عزتنا

إذا رجعت فلسطين العزيزة

وظلّل العز الجزائر

وانجاب عن بلداننا

نير الغريب

ولسوف أعلن عن سروري[1]

وفي المناسبات الرسمية نجد القضايا الإسلامية نصب عينيه ، فحين يزور تونس يدعو إلى التضامن الإسلامي ، وإلى الاجتماع على الدين ، فعليه اجتمع أعداؤنا التائهون ، وبه سنجتمع ، ومنه نستمد النصر ، فهو الذي سيوحد المشارق والمغارب.

يجمــع المشــرقين دين حنيــف	لـم يــزل بيننـا المـلاذ المـآلا
لـو لـزمنـا صـراطه لاستقمنـا	وجعلنـاه للعـدى زلــزالا
جمّــع الــدين تائهــين علينـا	وافترقنـا ، عــن ديننـا ضــلالا
موعـد الملتقى هنـاك علـى الـ	قدس صفـوفاً تـروع الأهــوالا[2]

وحين قامت حادثة اقتحام الحرم تفاعل الرفاعي مع هذا الحدث الجلل الذي هز مشاعر المسلمين في بقاع الأرض ، وأثار حفيظتهم على من روع الآمنين ، وعطل المشاعر ، والصلوات ، فكتب قصيدة يصف فيها هول الحدث الذي وقع ، ويصور

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٩ - ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ . وانظر المصدر نفسه ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

الحادثة . فجرد من المئذنة متكلماً يسجل المشاهد ويصورها باستفهامات كثيرة عن الصوت ، وحقيقته ، وهدفه ، ويروي بعض ذكرياته :

عجباً .. ما هذا الصوت ..؟

أخطيب في غير الجمعة ..؟

في غير صلاة العيـــــد ؟

ما الخطب ؟

ويواصل تساؤلاته عن إطلاق النار الذي يسمع ، أيكون في محل ذكرالله ؟ أو القتل الذي يرى أيكون باسم المهدي ؟!

هذي طلقات النار تلعلع

من شرفتي العليا

من حيث يجيء نداء الله

لصلاة اللـــــه

....

القتل يدور بكل مكـــان !

ودماء تسفك في الأركان

حتى النسوة لم يرحمـــن

باسم المهدي تقتل نسوة ؟

ياللقسوة ...![1]

ولم تخل إسلاميات الرفاعي من شعر ذاتي يناجي فيه ربه ، فحين يحس بالذنب والعجز يطلب منه العون والهداية :

آب مــــن ذنبــه إليــــك فــأوب	فتقبلـه فـي رحابك الفسيـح يـارب
يا بديع الصنيع ..ما يصنع العاجز	إن لفــــه مــــن الليـــل غيهـــب
عندمــا تطفــئ الشمــوس سيبقــى	نــورك الخالــد اللطيــف المحــبب

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٩٤ - ١٠٠ .

فاهـد قلـبي إلـى سنـاك وأرشـد　　كـل قلـب عـن الطـريق تنكـب[1]

وحين تشتد به الكربات ، ويصيبه منها شواظ يأس وإحباط ، يدفع هذا اليأس بإيمانه العميق ، وباللجوء إلى قوة الله الغالبة :

يـا ساعـة لليـأس يشـ　　ـرق فـي دياجيها مضـائـي

لا .. لا لـن أذل وأستكـ　　ـين ولـن تنالـي مـن بنائـي

أنـا صـامد باللـه تـ　　ـعـد العواصـف مـن إبائـي

ستظـل تربطـني بإيماني حبا　　ئـل فـي بقيتهـا بقائـي[2]

ولا تشكل الإسلاميات في شعرالرفاعي جزءاً كبيراً ؛ إذ لا يعدو هذا الشعر خمس قصائد ، وثلاث مقطوعات ، وأجزاء من قصائد أخرى ، ولعل هذا راجع إلى أن الشعر لم يكن سبيله الوحيد للتعبير عن آرائه ، وأفكاره ، ولا هو السبيل الأول ؛ إذ يتقدمه فن المقال الذي كان طريقاً أثيراً لديه يعبر من خلاله عن مواقفه وآرائه .

ب - الوجدانيات

يقال شعر الوجدانيات ويقصد به "الذي يصور مشاعر الذات من حب وكره وفرح وحزن ، وغيرها مما يأتلف مع النفس ، ويتميز يالتدفق"[3] مما يمازج الحس والشعور وهو على هذا يتسع ليشمل ما قاله الشعراء "معبرين عن نزعاتهم الذاتية الخاصة في الغزل ، والشكوى ، والحنين والألم"[4] والتأمل ونحو ذلك .

وقد كان أغلب شعر الرفاعي وجدانيًا يعبر فيه عن نزعاته الخاصة ؛ إذ بلغ مجموع هذا اللون أربعاً وثلاثين قصيدة ، وخمس عشرة مقطوعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي :

---

(١) (آب) جريدة الرياض ، (١٩/٥/١٤١٤ هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان : ص ٢٦ - ٢٧ . وانظر المصدرنفسه : ص ١٥ ، ١٨ - ١٩ .

(٣) السيد مرسي أبو ذكرى . العمل الأدبي بين الإبداع والأداء .- د . ط .- (مصر : دار الطباعة الحديثة، ١٩٨٧ م) ، ص ١٨٧ .

(٤) الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد : ص ٩٩ .

(١) - الغـــزل

لما كانت بيئة الرفاعي بيئةً محافظة تعلي من الدين والفضيلة وتضع من السفور والاختـلاط ، اتجه نحـو الغزل العفيف الذي يصـور المشاعـر، ويبتعـد عن الوصف الحسي الصريح لمحبوبته ، أو الحديث عن وقائع لقاء أو رؤية ، وقد وصف مشاعره تجاه صاحبته ، وأعلن عن حبه لها ، غير معيرٍ الوشاة بالاً فقال :

أنـــا أهـــواه كـل يـــوم وأهـــوى كـل يـــوم بـأن يزيـــد هيامـــي

....

أســـتزيد الغـــرام فيـــه وأدري ما ألاقي مـــن حـرقة فـي غرامي

هــــو فـــي صحوتي أنيس يقيني وهـو طيـف محبب في منامـــي

وهـو فـي نشـوتي صبابـة صحـو وهـو فـي غيبـة المنى أحــلامي[١]

ويزيد الحب - كما تمنى - ويبلغ الهيام ذروته ، فيكاد يخترم القلب ، والشاعر لم يستيقظ من نشوته :

وهبتـــك عنـد احتـدام الغــرام فــــؤاداً يضـج بأشـــــواقه

وأحــرقتــه فــي أتـــون الهيـــام وكنـــت السعيـــد بإحــراقـــه

أحبـــك مـــلء ضلـــوع الحنـين هـــوى يستبـــد بأعمـاقـــه[٢]

وقد يعده الحبيب بالزيارة ، فـينتظر الشاعر مع طلوع الصباح الجميل ، ومع الأصيل الذهبي ، فلا يفي بوعده كما هي عادة الصواحب :

وعـــدت فأخلفتـــني موعـــدك فـــلا كـان مـا كـان مـن أبعـدك

وعـــدت فحولتـــني مأمـــلاً قضـى العيـد مامـل أن ينشـدك

إذا افـتر ثغـر الصباح الجميـل تطلعـت للصبـح أن يوفـــدك

ولمـا مشـى فـي النهـار الأصيل حسبـت علـى تـبـره مقصـدك[٣]

---

(١) (أنا أهواه) : د . ت . ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) (وهبتك) : في ١٣٦٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، ١٣٦٨/١٠/٩ هـ .

ويتحدث الشاعر عما نوى أن يعده لصاحبته لو زارت ، إذ سيجعل خافقه وساداً وساعده سنداً ، وأحناءه حناناً :

ولـو زرت أعددت مـن خـافقي وساداً مدى الدهر لـن يزهـدك
ومـن سـاعـدي سـنداً حانيـاً إذا سكـرت شفـتي أسـندك
وحـولت أحنـاي فـي رقـة حنانـاً يـذوب لكـي يركـدك[1]

ويصور الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان (انتظار) حالته في انتظار ذلك الموعد المحدد فيقول :

لجـأت لنـافذتـي أرقـب يداعبـني أمـل خلـب
أقـول انطـوى وقـت ميعـاده ومـا رف هـل ساعـتي تكـذب
تهمـتك يـا سـاعـتي بالضـلال ومـا إن ضللـت ولا العقـرب[2]

ويتخيل مجيئها في الطريق ، وقد غص بالمعجبين بخطوها الفاتن :

تمنيـت لـو أن لـي قـدرة تشـف لـي الـدرب لا يحجـب
أرى خطـوه مغـزلاً للفتـون لإيقاعـه نغـم مطـرب
وقـد غـص بالمعجبـين الطريـق عيـون وأفئـدة تعجـب
ويمضـي بـي الحلـم يالهفـتي بحلـم أناجيـه لا أتعـب

ويؤلمه الوداع ، وداع صاحبته له الذي جعله كالزهرة مشتاقة للطل ، أو كالبلبل الذي أضاع الطريق ، فمل الغناء ولاذ إلى الصمت :

تركتـني كالزهـر مشـتاقة أوراقـه للطـل عنـد الصـباح
كالبلبـل الغريـد ضـل السـرى للـروض حتى مل حلـو الصـداح[3]

ويظهر أن الشاعر لم يأبه بهذا الصدود وإخلاف المواعيد بادئ ذي بدء ، فقابله بحفظ الهوى ، وبالتغريد لها ، وذكر ما بقي لديه من ذكريات عنها :

مضـى العيـد والموعـد المفتـدى ولكـن قلـبي كمـا عـودك

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) " انتظار " : جريدة البلاد السعودية ، ١٣٧٠/٧/٢ هـ .

(٣) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

سينسى جفاك ويرعى هواك ... ويسترخص الروح كي ينجدك

فلا تنسه .. سوف تبقى غناء ... يهز بك الشعر ما غردك[1]

فيذكر الشاعر ما تبقى في سمعه من نغمات صوتها العذب الذي ينساب في سمعه كالعطر الجميل :

همسات صوتك ... عذبة في مسمعي لما تزل

خفقاتها خفق النسيم ... وجرسها جرس القُبل

تنساب في سمعي بها ... عطر يفوح وريح فل[2]

ولم يدم هذا الغناء طويلاً إذ سرعان ما تحول إلى شكوى من الحب الذي ألهب أضلعه ، وبرح به :

ما كنت أحسب أن يطول تدلهي ... في مقلتيك وأن تذوب محاجري

أو أن يظل الشوق يلهب أضلعي ... والضمة البيضاء شغلة خاطري

أو أن يظل على فمي محمومة ... تلك الثمالة من طلاك الساحر[3]

والرفاعي لا يذكر شيئاً رآه من محبوبته أو ساعة التقى بها ، فليس غير الانتظار ، والموعد المخلف ، وذاك الوداع ، والغالب ذكر الحب ، والهوى ، وما يلاقيه من آلامه وذكر الصدود والإعراض . وتكاد تكون هذه القضايا الثلاث هي جل ما تحدث عنه في هذا اللون ويكثر عنده تشبيه صاحبته بالماء ، والجدول ، والروض ، والورود ، وتشبيه نفسه بالورد ، والبلبل[4]. ويظهر أنه لم يطق هذه الحالة التي اعتادها الشعراء من إعراض محبوباتهم ، وصدهن عنهم فأعلن غضبه على صاحبته - صراحة - وقطعه حبال ودها ، وصده عنها كما صدت عنه :

لا تفزعي بعد هذا اليوم محرابي ... يا فتنة طرقت بعد النوى بابي

---

(١) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، ١٣٦٨/١٠/٩ هـ .

(٢) " وشوشة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٩/١٢/٢٧ هـ) .

(٣) " دنيا شاعر " : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨ هـ ، تموز ١٩٤٩ م) .

(٤) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢هـ ، و" صورة " ، من ٦١ - ١٣٦٢ هـ ، مخطوط في دارالرفاعي، و"الإهداء " : ١٣٦٣/٢/٢٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

إليك عني فما عادت لتربطنا أواصر الحب بعد الهجر والصاب

إليك خلي فؤادي في سكينته لا تزعجيه بآلام وأوصاب[1]

فهذه الصاحبة التي لاقت أشواق الشاعر الصافية بالتكدير والأقذاء لا تستحق أن تكون حلماً ، أو أن يحفظ لها عهد :

سأقتل الشوق في صدري وأدفنه ولست أبكيه ..دمعي غير مسكاب

سكبت في كأسك الأشواق صافية وأنت كدرت بالأقذاء أكوابي

ما عدت أرضاك وهماً عابراً لبقاً ولا سرى حلم يجتاز أعتابي

لا ترقبي عهدنا من بعد ضيعته وابكيه ما شئت دمعاً غير كذاب[2]

ولم يسلم هذا الحب أمره للرفاعي يطرده متى شاء ، وكيف شاء ، وإن أظهر استجابة في أول الأمر ؛ إذ نجد هذا الحب يعاوده ، فيخاطبه بقصيدة عنوانها (عودة) يبث نجواه فيها بعد أن عاد إليه الحب باسطاً جناحه عليه ، فيقول مخاطباً إياه :

إني نسيت لواعج الشـ ـوق العنيفة والرقيقة

والغيرة الحمقاء تعـ ـصف نارها أبداً رفيقة

والآن .. قد عاد الغرا م يطل طفلاً من عيونك

ويحرك الشجن القديـ ـم ويا لخوفي من شجونك

لكنني سأعود رغم لظا ك من أسرى جفونك[3]

لقد كانت هذه العودة في سن الشباب والغصن رطيب فلاقت القبول في نفس الشاعر .

أما بعد أن شاب الرأس وتقدمت به السن ، ونسي الهوى فلا سبيل إلى إجابة داعي الشوق ، لقد أصغى إلى العذال واستجاب لهم ، فأجاب الشوق بالنفي الجازم بقصيدة عنوانها (ياشوق ..لا) فقال:

---

(١) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤ هـ) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) جريدة البلاد السعودية : (١٣٧٠/٢/٢٠ هـ) .

قد نسيت الهوى فماذا جرى لي | كي أعيد الهوى لقلب خالي
سهرت قبلي الليالي ، فلما | عدت للشوق رحبت بي الليالي
كنت أضنيتها فأضنت جفوني | فاصطحبنا على بقايا احتمالي
قد نسيت الوعود تعطى وتنسى | واشتعال الفؤاد بعد اشتعال[1]

ومع شدة داعي الشوق وإلحاحه المتأصل في نفسه نجد الشاعر لا يأبه بهذا النداء وإنما يعلنها مرة أخرى بأن (لا عودة) .فالسنين التي مضت أوهنت عوده ، ولم يعد قادراً على حمل ضنى الحب ، وجوى الشوق :

أنا من أنا ؟ ياومضة الشو | ق الملح على عيوني
من ذا أثارك ؟ بعدما | نامت على يأس جفوني
عودي .. فما عاد الهوى | رطباً ، كما كانت سنيني
عودي .. ولكن لن أعود | (فقد برئت من الجنون)[2]
لن أستطيع ولو أردت | فلملمي شوقي وبيني[3]

لقد تجاوز الشاعر زمن اللعب ، وأصبح رماداً :

جاوزت
يافتنتي
حد الصبا واللعب
ما عاد يلهو بي الهوى
إلا رماد اللهب[4]

إن من يقرأ هذا الشعر ليحس بحرارة الصدق ، ودفق العاطفة في ثنايا الأبيات ، فهل مر الشاعر بتجربة حب واقعية ؟ أم أن ذلك جرى على سنن الشعراء في ألا

---

(١) جريدة البلاد : (١٤٠٤/٩/١٣ هـ) .
(٢) هذا ، بيت لكامل الشناوي من قصيدة تفعيلية حذف بعضه وتمامه : ولقد برئت من الهوى ومن الجنون...!! انظر : كامل الشناوى . لا تكذبي .- د . ط .- (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٩ م) ، ص ١٤ .
(٣) " لا عودة " : ١٤٠٨/١٠/١٠ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٤) " تاب .. ولم يتب " : ١٤٠٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

يدعوا فناً من الفنون الشعرية إلا كان لهم فيه سهم ، خاصة هذا الفن الذي هو في الغالب أول ما يطرقه الشاعر الناشئ من فنون الشعر وميادينه .

والأظهر أن الرفاعي قد مرّ فعلاً بتجربة عشق وهيام ، ولكن ليست هذه الملهمة من بنات حواء ذوات القد والنهد ، ولكنها الطموحات التي عمرت بها نفسه ، أما الحب والهوى ، وناعسة العينين ، فرموز لتلك المعشوقة المستهام بها ، ذلك أن الرفاعي نشأ نشأة جادة لا تطمح إلا لمعالي الأمور ، ولا تعير الأمور الهازلة كبير اهتمام .

ومما يؤيد هذا أن الرفاعي لم يذكر فاتنته أو محبوبته باسمها إلا مرة واحدة بقوله :

مهلاً فما كنت نداً إلف معذرة ... إليك ياحلوة الوطفين .. يا هند[1]

وهو اسم كثر تردده عند الشعراء حتى أصبح كعلم الجنس ، مع احتمال أن القافية هي التي جلبت هذا الاسم ، كما أنه لم يذكر صفاتها الحسية ، أو شيئاً منه ، وأين رآها ، وما رأى منها ، وهذا الإعراض بعد ما سبته أيحسن بالعشاق المتيمين ؟ ! فالشوق إلى تلك الآمال العراض هو الذي عاوده في آخر حياته ، فأجابه أن لا قدرة له على ذلك بعد المشيب .

لقد رأى الرفاعي أن كثيراً ممن حقق أمانيه ، لم يحققها إلا عن طرق غير سوية فربأ بنفسه عن هذا الهبوط الذي تدعوه آماله أن يصل معها إليه :

ما كان أحراك ألا تعبثي بهوى ... عفٍ وقلب نقي غير وثاب
ما بين جنبي خفاق أكرّمه ... من الهبوط إلى أغوار أو شاب
كم ذا أهدهد آلامي وأوهمها ... أني الصبور على وجدي وأتعابي
يا كبريائي ! ترى هل أنت ساحرتي ... حتى رضيتك منفى دون أحبابي
رضيت فيك حياتي في ترفعها ... وقد منحتك إكباري وإعجابي[2]

ولعل هذا الطموح وهذه المشاعر هي الأغصان التي طواها الرفاعي ، وطوى ما

---

(١) " حلوة الوطفين " :د.ت .- مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ،١٣٦٨/٧/٤هـ .

يدل عليها من شعر ، وليس تجربة حب حقيقية .

وقد أبقى ظلال تلك الأغصان التي تدل عليها وتنبئ عنها ، فكان من هذه الظلال شعر التأمل ، والشكوى الذي باح فيه عن بعض مكنوناته والذي إذا ضم إلى قسيمه شعر الغزل اكتملت الصورة واتضحت .

(٢) - التأمل

يفرق النقاد بين التأمل الفلسفي والأدبي "فالفلسفي يتناول المجردات فيدقق النظر فيها إدراكاً لكنهها معتمداً في ذلك التحليل العقلي . أما الأدبي فغايته التعبير عما تثيره هذه المجردات في النفس من خوالج وصور خيالية"[١] .

وقد شاع في القديم والحديث تأمل الشعراء في قضايا البعث والنشور ، والوجود والعدم حتى جر هذا التأمل كثيراً منهم إلى الإلحاد والزندقة [٢] .

ولم يكن الرفاعي وهو ابن الثقافة الدينية العميقة من هؤلاء الشعراء ؛ بل إنه لم يجر إلى هذه الموضوعات التي كفي المسلم أمرها بأدنى نظر أو ذكر ، وإنما أخذ في التفكير في عراكه مع الأيام ، وما صنعته به ، وما يمر عليه فيها من آلام وآمال .

فالأمنيات العذاب التي يسعى الرفاعي لتحقيقها تتشكل له بصورة سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً :

كلما مرت على أحلامه ... صور الماء على نبع رقيق

ورأى في الأفق أطياف المنى ... يستحث السير في خطو طليق

فإذا الماء سراب كاذب ... خادع كالحلم إلا من بريق[٣]

ويتوقف الرفاعي عند الخلود الأدبي والعلمي فيجيل فيه فكره ، ويتساءل ما حقيقته ؟ولم السعي إليه ؟ أيستحق هذا العناء ؟ ثم يرسل رأيه فيه :

---

(٢) الدكتور أنيس المقدسي . الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث .- الطبعة السابعة .- (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٢ م) ، ص ٣٢٣ .

(٣) انظر : المصدر نفسه ، ص ٣٢٤ وما بعدها .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٣ .

وقالــوا الخلــود خلــود الأديب سيحفـــظ ذكـــرك فـــي المقبـل

وياويحهـــم ، وهمـــوا فالخلـود ســراب يخـــادع قلـــب الخلـــي

وما الاسم بعـد انطفـاء الشمـوع طواهـا الــردى مرهـــف المنجـل

ومـا المجـد بعـد فنـاء النفــوس إذا ضـاق عمــر عــن المأمـــل؟[1]

لقد رأى الشاعر كثيراً من الفتيان ممن سعى للخلود وحققوه ، وقدموه للحياة والأحياء عطاءً زاخراً . فماذا لاقوا ؟ وماذا جنوا ؟ إنه الإهمال والجفاء :

وكـم مـن فـتى عبقـري الذكـاء بـــنى للخـــلود فلــــم يمـــلل

مضـى .. ومضت خلفه الأمنيات فلـــم يرثــه الدهـــر أو يحفـــل

....

ومـــاذا وعـت ذاكـرات العصور عـــن نابغـــي فلـــم تضـــلل[2]

لكـــم طمر الدهـــر فـــن الأديب وضاعـــت بـــه نغمـــة البلبـــل

وأعطـــى الحيـــاة دواء الحيـــاة وجلـى الجمـــال لمـــن يجتلـــي

....

جفتـــه الحيـــاة وعفـــت عليـــه سنـــون العصـــور ولـــم تســـأل[3]

وحين يكون هذا مصير الأفذاذ المبدعين ، يسعى الشاعر ليغير شيئاً من هذا المصير، فيعرف لهم حقهم ، ويثني عليهم :

هـــم يجمعـــون الثريـــا مـن منابتهـا ويقطفـــون مـــن الأحـــلام أحلاهـــا

ويمـــلأون ســـلال الدهـــر تجربــــة من حـر أعمارهم ما كـان أغلاهـــا

ويزرعـــون بـــدوراً فـــي غياهبنـــــا لـــو لا مصابيحهم من كان جلاهـــا

آمنـت باللـــه .. أعطـــانا إشـــارتــه بـــ " اقـرأ" المبتدأ ..كي نعبد اللـــه[4]

والحياة في ذاتها في شعبها المختلفة ، ومغرياتها المتنوعة ، تدعو الرفاعي إلى

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) هكذا في الأصل ، ولا يستقيم البيت حتى تكون (النابغين) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

(٤) (هم يجمعون) :جريدة المدينة ، (١٤١٤/١/٥ هـ) .

التأمل ، فهي دروب كثيرة ، ومسير طويل ، والاختيار فيها صعب ، ولا هادي ولا مرشد ، فمنارات الطريق غير معروفة ، والليل طويل يكاد ألا ينتهي ، ولا واحات يستريح فيها :

رام جوب البيد من غير رفيق ... رائد ضيع أعلام الطريق
كلما طال به إسراؤه ... ظن ليل البيد من غير شروق
فإذا ما طلعت من خدرها ... ردت الريح كيحموم الحريق
فإذا الرائد ظمآن الحشا ... لاهث الأنفاس كالشلو الغريق
نأت الواحات عن أرضي وفي ... أرض بعض القوم أزهار وماء
أرضي الصحراء شوك واخز ... وتهاويل وأيامي خواء[1]

لقد سئم الشاعر المسير في هذه الحياة ، فهو درب يلفه الغموض ، ويمتلئ بالمجاهل ومدد زمنه يكاد ينقطع والسير لما يتضح :

سئمت المسير فلا تحفلي ... لماذا سئمت ؟ ولا تسألي
أهيم كخفق ظلال الأصيل ... ويوشك ظلي أن ينجلي
وخلفي عصا في يمين الزمان ... يهش بها العمر ، أن عجلي
وما شفني أن تطول الطريق ... ولكنه السير في مجهل
تشابه يومي بأمسي القريب ... وعامي تصرم كالأول[2]

(٣) - الشكوى

قسم الله المعايش بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم ، فكان من طبيعة الحياة أن تختلف الأرزاق بالقدر والكيف ، وأن لا تسير على وتيرة واحدة . فيها المنع والعطاء ، وفيها السرور، والحزن ، ومن يعطى شيئاً يحرم من غيره.

وقد دأب الشعراء منذ القديم على شكوى الزمان ، والتسخط منه ومن أحداثه ،

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

وكأنهم ما دروا أن ألا ذنب للزمان ، وأن الله هو الذي يقلب الليل والنهار ، وقد ورد في الحديث قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" قال الله عز وجل : "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"[1].

وقد رفع الرفاعي كغيره من الشعراء، صوته بالشكاية ، وجأر بالألم ؛ إذ كان ذا آمال عراض ، وأماني عذاب يحلم في تحقيقها تتردد بين العلم والقلم وقد وفى بشرائطها :

أما عن الحلم في أفياء ما رسمت   له الخيالات عن مجد وعن قمم
فقد أصاخ لداع في قرارته   إن الحياة حياة العلم والقلم
فراح صوب مناديه على قلل   من الغيوب وآفاق من السدم
يقول لبيك .. لكن ما شرائطها   فيهتف السر : ألوان من الهمم
روح من الصدق في جسم المضاء   لها عن المخذل أسوار من الصمم[2]

ولكن تحقيق الحلم لم يتوقف على الإتمام بهذه المتطلبات وإنما تجاوزها إلى أخرى يترفع عنها الشاعر :

ظن الدنى مثلاً عليا يعيش بها   يا ضيعة السير في داج من الظلم
إن العلا اليوم لا تؤتى على مثل   ولا تجيب لنفس في ذرى الشمم
يا من رأى كبداً ضاعت بمهمهة   جدت وأدركها يأس على سأم[3]

وحب الشاعر لكبريائه جعله يترفع عن هذه المسالك :

ياكبريائي ترى هل أنت ساحرتي   حتى رضيتك منفى دون أحبابي
رضيت فيك حياتي في ترفعها   وقد منحتك إكباري وإعجابي[4]

---

(١) أخرجه البخاري : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٨ ، ص ٢٠٠ ، كتاب التفسير ، باب "وما يهلكنا إلا الدهر " .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤١ ، وانظر : (سلي واعجبي) ، ١٣٦٧/٦/٧ هـ ، مخطوط في دار

(٤) الرفاعي. و(بي ظمأ) ، في ١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، و" لا تأس " مجلة الحج ، (١٣٦٥/٧/١٤هـ) .

ولما لم يستطع أن يحقق حلمه أحس بمرارة الحرمان ؛ إذ يشهد مواكب أصحابه السعداء ولا يستطيع اللحاق بهم :

سألت القلب عن دنياه ... ما دنياك يا قلبي
فهذي ضجة الحرمان ... تلذع نارها جنبي
وهذا موكب السعداء ... يزحم ركبه ركبي
لكم أزرع آمالي ... فما أجني سوى جدبي[1]

فنتج عن هذه العوائق ، وهذا الحرمان أن ضاعت المقاييس التي يقاس بها ، واختلطت الأوراق ، فأصبح يبحث عن هادٍ يدله الطريق ، ولكن هيهات وقد غارت النجوم ، يقول في ذلك :

وطفقت استهدي النجو ... م ولا نجوم على سمائي
غارت وغرت وغار ما ... قد كنت أحسبه رجائي
وظللت لا نفسي معي ... كلا ولا قلبي وعائي[2]

ويقول أيضاً :

سئمت المسير فلا تحفلي ... لماذا سئمت ؟ولا تسألي
وما شفني أن تطول الطريق ... ولكنه السير في مجهل
تحيرني ترهات الحياة ... فكيف بربك في المعضل؟[3]

وفي خضم هذا الصراع بين الفضيلة ، والحرمان ، وذهاب المثل ضاعت كبده بين الحلم والوجد :

معذب يسأل الأيام عن كبد ... أضاعها بين وهم الوجد والحلم
جرى مع الوجد أشواطاً فأجهده ... وآب يسبح في لج من الندم
ومن هنا في السرى ضاعت له كبد ... وغررته متاهات من الوهم[4]

---

(١) " غضبة " : البلاد السعودية ، (١٣٩٨/٧/٤ هـ) .
(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣ .
(٣) نفسه المصدر ، ص ٢٥ .المصدر نفسه ، ص ٣٥ ، وانظر : ص ٣٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧ ، ٤٠ ، وانظر : (أنا من قبل) ، جريدة المدينة ، (١٤١٤/٢/٧ هـ) .

وبعد هذا الضياع أحس الشاعر بالظمأ الشديد الذي لا ينقطع :

بـــي ظمـــأ .. بـــي ظمـــأ وارِ فـــــلا ينطفـــــئ
أود لــــو يخـــــف لــــو يقـــل لــــو ينفـــــــتئ[1]

فهو ظمآن حتى ولو كان الماء بين أصابعه ، وحتى لوكان ريانا ً :

ظمـــآن ..
ظمـــآن ..رغـم صدى الخرير بمسمعـــي
رغمـي أعـــي .. أنـي الحقيقـة لا أعـــي
رغـم انهمـــار المـــاء بـين أصابعـــــي
إني على .. ربي .. نعم ربي ، أعل مدامعي
ظمـــآن[2]

وقد أحس بعد هذا بضياع عمره عن تحقيق أمانيه ، ويدنو الموت منه دون أن يدرك شيئاً منها :

أحــس دبيــب أيامـــــي تسارعـــني إلــــى النحــب
وشمـــس شبابـــي المحــــرو م قـــد مالـــت إلـــى الغـــرب
أحـــس بقســـوة الهجـــرا ن تــــذرو ناضـــر الحـــب
أحــــس بـــأن أغـــــلالاً يضيِّـــق قيدهـــا رحـــبي[3]

لقد ضاقت أيامه ، وأصبح وحيداً ، بعد أن انفض السامر ، ومالت شمسه نحو الغروب :

يا عمـر ما صنعـت بـك الأيـا م والأيـام واسعـــة الفضـــاء
ضاقـــت علــى رحباتهـــا[4] وانفـــض سامرهـــا إزائـــي

---

(١) (بي ظمأ) ، في ١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) (ظمآن) ، ١٣٩٨/١١/٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣ .
(٤) هكذا في الأصل ولو كانت (رحابها) لاستقام الوزن .

أو كيـــف يخذلنـي الربيـــــع وكيــف يمعــن فــي التنائــي
وتظــــلني شمـس الخريـــــف وبـــرده ، وكلاهمـا جـم البلاء[1]

لقد اجتمعت عليه الهموم والأماني ، فشاب قبل المشيب :

هرمـــت رغـــم شـــبابي وجـــدة فـــي إهـــابي
مـــا بـــين ســـود الليـــالي دفنـــت بيـــض الرغـــاب
سجنـــت بـــين ضلـــوعي تشـــوقي وارتقـــابي[2]

وقد نشأ عن هذه المؤثرات المجتمعة ، الحرمان ، والضياع والقلق ، جراح بعيدة الغور ليست كجراح الناس ، وليس لمباضع الطبيب إلى علاجها من سبيل :

جراحـــي نازفـــات مـــا تطيـــب فمـــاذا فـــي جراحـــي يا طبيـــب
أجرحي غير جـرح النـاس أعمــى أصم فــلا يـرى أو يستجيـــب
بنـــانك ماهـــر .. أدري ولكـــن بنـــان الدهـــر أمهـــر إذ يصيـــب
جـــراح الجسم تغمـد فـي هـدوء فكيــف يضمـد الكبـد الوجيـب[3]

وفي ثنايا هذه الظلمات المتراكمة لم يغفل الرفاعي عن النور الأزلي .. وإنما اتجه إليه ، يشكو إليه حاله ، ويطلب منه المدد والعون في كشف كربه ، فحين تشتد عليه مرارة الحرمان يجأر قائلاً :

لقـــد أشفـــق محـــروم بـــأن يلقـــاك يـــا ربـــي
فتبـــدو لهفـــة الحرمـــان فـــي جناتـــك الغلـــب
فهيئـــه إلـــى نعمـــاك وامســـح لهفـــة السغـــب
إذا مســـت يـــدا رحمـــاك أجدابـــي فـــذا حســـبي[4]

وحين يشتد عليه المرض ينادي مناداة أيوب :

يا رافع البأس

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
(٢) " لا تأس " مجلة الحج ، (ربيع الأول ١٣٧٠ هـ) .
(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٨ - ٢٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥ .

عن أيوب معجزة

هلا رفعت

بفضل منك

عن بأسي؟

ولست أيوب

لكن من ضراعته

عندي أفانين

من جهرٍ ومن همس[1]

أما حين تختلط عليه السبل ، ويضل الطريق ، وتتراكم عليه الأحزان ينادي ربه نداءً عاماً ليخلصه مما فيه فيقول :

أنت الطبيب فكيف ضل سبيلي ... عن نهجك الأسنى وتاه دليلي

شكت المتاهات الضلال وأيقنت ... من غير دربك لن يتم وصولي

فامدد إليّ بفيض حلمك سلماً ... ولكل من ضل الطريق مثيلي[2]

ويقول :

ارم طوق النجاة يارب إني ... في خضم ولا أجيد السباحة

تترامى الأمواج من كل صوب ... لجة فوق لجة منداحة

في فمي من عبير ذكرك عطر ... وبقلبي من عطر ذكرك راحة

حينما تطبق الدياجير فوقي ... أجد الفجر مشعلاً مصباحه[3]

جـ - الإخوانيات

يقصد بالإخوانيات الشعر الذي يتبادله الأصدقاء فيما بينهم "وينضوي تحت

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) (أنت الطبيب) ، في ١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١١/١٣ هـ) ، وانظر : مقطوعة (آب) ، جريدة الرياض ،(١٤١٤/٥/١٩ هـ) .

لوائه ، التهنئة والعتاب ، وقصائد الود والصداقة ، والمساجلات الشعرية"[1]، المنطلقة من تلك الصفات أو بعض منها .

وقد كتب عبدالعزيز الرفاعي في الإخوانيات كثيراً حتى بلغ ما كتبه سبعاً وعشرين قصيدة ومقطوعة بمجموع خمسين ومائتي بيت . وجاء أغلب هذا الشعر مساجلات دارت بينه وبين بعض أصدقائه من مثل(بدوي طبانة) ، (يحيى المعلمي)[2]، و(سراج خراز)[3]، و(محمد عبدالقادر فقيه) .

وتختلف الموضوعات التي تدور حولها هذه القصائد فقد تدور حول ذكريات الصبا كما في رده على (سراج عمر مفتي)[4] في قصيدته (إن الهوى بهواء مكة يأسر) التي يقول فيها :

وسراجنا المفتي أين سراجنا ... والمجلس المأنوس منه (منور)

ضم اللدات وكان منهم فتية ... عشقوا من الشعر الحروف تصور

وسراجنا الخراز فارس شعرنا ... بيت القصيد إذا تغنى يسحر[5]

أو يكون موضوعها أسىً على أيام الصبا وفراقها كما في رده على قصيدة (محمد عبدالقادر فقيه) (يا شاعر الأغصان)[6] ، إذ يقول :

ما يصنع الفنان ؟ أيام الصبا ... حلم فريد الصنع لا يتكرر

---

(١) الدكتور بكري شيخ الأمين . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني .- الطبعة الرابعة .- (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م) ، ص ٢٨٨ ، بتصرف يسير .

(٢) يحيى بن عبدالله المعلمي (١٣٤٧ هـ -) ، من مواليد جازان . حصل على ماجستير في إدارة الشرطة والأمن العام . عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة . له عدد من الآثار منها : مكارم الأخلاق في القرآن الكريم . (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١٣٨) .

(٣) سراج خراز (١٣٣٩ هـ -) شاعر من مواليد مكة . له من الآثار : غناء وشجن (شعر) ، (انظر : المصدرنفسه ، ص ٤٨) .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ١٢٤ ، وكان مطلع قصيدة سراج مفتي :

عبدالعزيز تهانئاً من مخلص ... تهدى لشخصك عن أخيك تعبر

(٦) (انظر : المصدر نفسه ، ص.١٢٠).

المصدر نفسه ، ص ١٣٠، وكان مطلعها :

كيف الرجوع لأرض مكة بعدما ... شبت حمائم بالرياض وأنسر

مـــن ذا يقلـــد صنعـــة جبـــارة قد صاغها اللــه البديــع الأكـــبر؟[1]

وقد تكون هذه القصائد تقاريظ في المديح كما في قصيدته التي يرد بها على بدوي طبانة :

لا تلمـني وأنـت فـي النقـــد فـــذ شيّـد النقـــد .. أعمـــداً وأســاســاً

إن رأيـت القصيد مـــني أصـفى والمصفــى مـــن القصائد خاسـا

قـــل : سلامـــاً ومـــر شـأن كـريـم مـــر باللغـــو مشفقاً .. ثم واســـى

بـــدوي .. يبـنـي الحضارة حرفــاً راض عصيانه .. فـــلـا ائتنـاســـا[2]

أو نوعاً من رد التحية كالقصيدة التي حيًا بها هشام بن أنور العطار رداً على قصيدة لأنور حيا بها عزة بنت الرفاعي :

هشـــــام نفحـــــة عطـــــر مـــــن أنـــــور العطـــــار

ودفقـــــة مـــــن ضيـــــاء تـــــزري بضـــــوء النهـــــار[3]

وكثيراً ما ترتبط هذه المساجلات بمناسبات تكون سبباً لهذه القصائد كأن يهدي أحدهما للآخر هدية يصحبها بأبيات فيجيب الشاعر عليها كما في مساجلة (سعيد الطنطاوي)[4] حين أهدى الشاعر إليه ديوان شعر فأثنى عليه الطنطاوي فرد الثناء بمثله بقصيدة مطلعها :

يـــا شعـــــر هـــــذا كـريـــم مـــــن خـــيرة الـــــوراع

مـــن صفـــــوة الفضـــــل يدعـــو للخـير إن شـــذ داعـــي

لـــــه مـــــن العلـــم بـــــاع ينـــم عـــــن طـــول بـــــاع[5]

وقد تكون مناسبتها زيارة أحد الأخوين الآخر فلا يجده فيكتب له شعراً فيجيب

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ .

(٢) (بدوي يبني الحضارة) ، مجلة المنهل ، (رجب وشعبان ١٣٩٧ هـ) .

(٣) (هشام نفحة عطر) ، ١٣٨٥/٢/١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) شقيق الشيخ علي الطنطاوي . لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٥) قصيدة (يا شعر جدت دواعي) ، ٢٥ /١٣٨٦/١١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ، ومطلع قصيدة سعيد الطنطاوي : عبدالعزيز الرفاعي : يهدي عزيز الرقاع .

عليه كما في قصيدة (صدقت)[1]، التي أجاب فيها يحيى المعلمي حين زاره ولم يجده .

وليس هذا هو النوع الوحيد من شعر المساجلات فهناك النوع الآخر الذي يشترك في نظم القصيدة الواحدة أكثر من شاعر، وقد دارت مساجلة واحدة من هذا النوع بين الرفاعي وعلى فدعق كان الرفاعي فيها هو المبتدئ والمختار الوزن والقافية ومما جاء فيها :

الرفاعي :

إذا نظمنا الشعر في ... سيارة مؤرجحة

تمشي بنا كأنها ... طيارة بأجنحة

أليس هذا مجدياً ... من صمتنا ما أقبحه

فلنصف الطريق فالـ ... طريق ما أميلحه

والجبل الشاهق في ... جثومه وأسفحه

فدعق :

والكلأ النائم في ... وديانه المنسرحة

والرمل في استعداده ... أجندة مسلحة[2]

ولا تقتصر الإخوانيات عند الرفاعي على المساجلات فهناك التهاني والمديح ، فمن التهاني ما كتبه يهنئ (بشير كردي)[3] في ترقيته إلى المرتبة الخامسة عشرة إذ يقول :

الصحاب الذين أغدقت فيهم ... من مروءاتك الكثير الكثيرا

جمعوا شملهم وجاءوا سراعاً ... ليهادوك حبهم تقديراً

ليس في وسعهم وفاؤك شكراً ... إنما تنطق الوجوه السرورا[4]

---

(١) جريدة الأربعاء ، (١٤١٥/١٢/٤ هـ) .

(٢) مساجلة مخطوطة ، ١٣٦٨/٧/٣ هـ ، دار الرفاعي.

(٣) سفير المملكة في أسبانيا ، لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٤) " كلمة حب " ، ١٤١٣/٣/١١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

وكالمقطوعة التي رد بها على رسالة عصام الغزالي يهنئه بحلول شهر رمضان :

يا عصاماً لك التهاني تزجى ... بالفضيل الكريم شهر الصيام

أتمنى لك المعاد إليه ... في مدار الأيام من كل عام[1]

أما المديح فقد كتب الرفاعي يمدح بعض أصدقائه مباشرة . كمدحه أنور العطار بجودة الشعر، وحسنه بمقطوعة مطلعها :

أرأيت كيف يفتح النوار ... وتنم عن أرج بها الأزهار

وأثنى فيها على شعره وقيمته الفنية حيث قال :

هو شاعر ملء الخلود وذكره ... ملء العروبة .. أنور العطار[2]

كما مدح الشاعر الفقيه، وأبا تراب[3]، وابن خميس . يضاف إلى ذلك أن ما سبق من أغراض لم تخل من مديح فالمساجلات كانت ملأى بالمديح ، ومثلها التهاني .

وقد يضمن الرفاعي بعض قصائده نصائح في التعاون مع الإخوة تضمن بقاء المودة ، وتزيدها كما في قصيدة (ليلة عمر) حيث يقول :

أتريدون أن نعيش صفاءً ... ليس يشكو إلى الليالي النفادا

امزجوا فكركم بفيضٍ من الحـ ... ـب لنحيا به .. فلا نتعادى

واجعلوا نقدكم من النور أصفى ... ليس ناراً تورث الأحقادا[4]

ومما يظهر من هذا العرض أن الرفاعي على صلة وثيقة بأصدقائه ، يهنئهم ويشكرهم ، ويمدحهم ، وليس عنده في العتاب شيء سوى مقطوعة واحدة رد فيها

---

(1) (يا عصاماً) ، ١٤٠٠/٩/٦هـ ، مخطوط في دار الرفاعي . وانظر : ظلال ولا أغصان ص ١٤٢، ومقطوعة " تهنئة الشيخ بلخوجة " ، جريدة الندوة ، (١٤٠٠/٥/٦ هـ) ، وتهنئة محمود عارف ، ١٤٠٧/٧/١٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(2) " أنور العطار" ، جريدة الأربعاء (١٤١٦/١/٣٠ هـ) .

(3) أبو تراب : عبدالجميل بن عبدالحق الهاشمي (١٣٤٣ هـ -) من مواليد مكة المكرمة . حاصل على الماجستير في اللغة العربية . عمل مراقباً للمطبوعات بوزارة الإعلام . له آثار منها : كبوات اليراع ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ٩٤) .

(4) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٩ .

على عتاب أحد أصدقائه ولامه فيها على العتب وقد كان عـن عتـابه غنيا :

يـاعزيـزي الذي استمرأ العتب   وقـد كـان عـن عتـابي غنيـا
إنني ما بعدت ، عن زهرك النادي   وناديـك ، وهـما أزهـى رويـا
فلـك الـود خالصـاً وهـو بـاق   وسيبقـى علـى الزمـان فتيـا[1]

كما يظهر أن إخوانيات الرفاعي قد خلت من الدعابة والسخرية ، والظرف الذي يكون بين الإخوة ؛ إذ انحصرت في التهـاني والمدح والشكر ونحوها مما تفرضه المجاملة وعرفان حق الصداقة . وهذا دليل على ما سبق ذكره عن أسلوب الرفاعي في تعامله مع أصدقائه وأهل وده .

د - الوصـف

مـن "أدق فنون الشعر لا ينهض بـه سوى دقيق الإحساس نافذ البصيرة"[2] وحده أمر فيه عسر إذ "الشعر إلا أقله راجع إلى الوصف"[3]. وإن كان من المهم أن نفرق بين لونين من الشعر أولهما الوصف لذات الوصف والثاني : ذكر بعض الأجزاء للتشبيه بها. وفي هذا يقول ابن رشيق : "والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشيء ، وأن ذلك مجاز وتمثيل"[4].

وقد كان الرفاعي شاعراً وصافاً ينقل كثيراً من المشاهد التي تقع عليها عينه إلى الشعر . فوصف الطبيعة بعناصرها المتعددة كالفراشة في قوله :

تراقصت في الضياء الثر وانعطفت   نحـو الغدير وحيت نغمة الشادي
فراشـة لبسـت ثـوب الربيـع وقـد   راحـت تـدل بـه في تيهها البادي[5]

---

(1) (يا عزيزي) ، ١٣٧٣/٣/٢٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(2) العمل الأدبي بين الإبداع والأداء ، ص ٢٠٨ .
(3) ابن رشيق القيرواني . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .- الطبعة الخامسة .- (بيروت : دار الجيل ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٩١ م) ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .
(4) المصدر نفسه .
(5) ظلال ولا أغصان ، ص ٥١ .

وكالجدول العذب في قوله :

ياجـد ولأ .. مـن السـنا والألــق
علـى يـدي ترقرقــي .. تدفقــي
تجمـعي بـين يـــدي .. وافترقـي
تعلقي بخافقي .. تعلقي والتصقــي[1]

كما وصف الصبارة[2]، والربيع[3] .

وإذا كان قد وصف أجزاء الخميلة الجميلة منفردة كالفراشة والجدول ، والربيع فقد وصف الحقل بكل ما فيه من سندس ، وساقية تسكب اللحن الجميل ، وغدير، وطير يشدو فيها، فصنع لوحة جميلة متكاملة العناصر والأجزاء توحي بما خلفته هذه اللوحة الجميلة في نفسه :

هنـاك .. هنـاك علـى الرابيــة   علـى مقلـة الزمـن الغافيــة
على سندس من وشاح الهضـاب   رمتـه علـى منكـب زاهيــة
علـى مقرب من حفافي الغديـر   وفـي مسمع من جـوى السـاقيـة
يــذوب الحنــين بأحشـائهـا   فـترســل أناتهــا وانيـــة[4]

وكثيراً ما يثيره منظر الطبيعة الجميل في المدن التي زارها فينطلق واصفا تلك المشاهد الساحرة كمدينة (كومو) التي يقول فيها :

لــو تخيلــت ســاحراً   يسحــر النــاس بالصــور
كــان أبهـــى الـــذي أرى   مـــن جميــع الـــذي سـحر
إن كومـــو قصيـــدة   لــم يقــل مثلهــا بشـــر[5]

وكمدينة (آخن) في ألمانيا التي أصبح الربيع فيها رساماً يرسم لوحة رائعة :

(١) "جدول" ، صفر ١٣٨١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .ظلال ولا أغصان ، ص ٥٨ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٨ .

(٣) (لئن شبهوا) مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية ، العدد ٣٥١ ، (في ١٣٩٠ هـ) .

(٤) " مع الأغصان " : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٧ هـ / تموز ١٩٤٨ م) .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٧ .

جئتهـا والربيـع يرسـم فيهـا لوحـة فـذة الـرؤى والإطـار
فـرش المخمـل النضـير بساطاً ثـم وشـى البساط بالأزهـار
قـال للدوح هـا هنـا تفـن صفـاً فـي حفافي هذا اللجين الجـاري
موكـب للجمال يسـري فلمـا وصل (الآيفـل) استراح السـاري[1]

ولم يكتف الرفاعي بوصف الطبيعة ، وإنما وصف مظاهر أخرى من مظاهر الحياة استلفتت نظره كالموسيقي المتجول الذي يبيع الناس ألحانه كلاً حسب ما يريد من لحن ضاحك أو باك ، وقد وصف العازف واستكنه دخيلة نفسه ، وحقيقة مشاعره بقصيدة على لسان ذلك العازف :

معـي عـودي أجوب الأرض مـن درب إلـى درب
أغـني الناس ألحاناً عـن الشعـر عـن الحـب
وماشيء مـن الأشـواق ، رفـاف علـى قلبـي[2]

وكـقـصـيـدته في (ناي الراعي) الذي أطرب خلّب الأحلام ، وأرقص مـائس الأغصان :

طـربت لنايـك خلـب الأحـلام وتراقصـت نشـوى علـى الأنغـام
وتمثلـت رؤيـا السـعادة حلـوة بعثـت لشـدوك حلـوة الإلهـام
وتمايلـت أغصـان روضـك غضـة فـي لـين عطـفٍ واتسـاق قـوام[3]

ويأتي الوصف عند الرفـاعي على نوعين : الوصف النقلي الذي "هو محـاولة لتجسيد الظاهرة كما تبدو للحواس ... والشاعر في ذلك الوصف لا يظهر الظاهرة بذاته ولا يتـولاها بخياله بل يقف عند حدودها محـاولاً مجاراتها أو تقليدها"[4]، وذلك كقول الرفاعي يصف خرير الماء في النوافير :

نفـرت وسـط ساحهـا ميـاه النـ ـوافير فألقـت بنفسها في الجمان

---

(١) " آخن " ، ١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) قصيدة " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨ هـ) .
(٣) " ناي الراعي " ، ١٣٦٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٤) إيليا الحاوي .فن الوصف .- الطبعة الثانية .-(بيروت : دار الكتاب اللبناني ،١٩٨٧م) ص ١١.

نغم ها هنا من الماء سارٍ — وهنا رنة لوقع المثاني
جوقة في اليمين تعزف لحناً — تتلقاه بالقلوب الحواني
كلما تهدأ المعازف حيناً — تستحث الأنغام للآذان
وعلى مسرح الشمال خرير — تتصباه بين آن وآن
نغمة من هنا ، وهاتيك أخرى — أنت في جنة من الألحان[1]

وهذا الضرب من الوصف إنما يحسن ، عند "من أتى في شعره بأكثر المعاني التي الموصف مركب منها ، ثم بأظهرها فيه وأولاها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته"[2]. ولم يكن الرفاعي يعنى بنقل المشهد الموصوف كما هو ، ولا يسعى لذلك ، ولذا وجدنا منظر النوافير وصوتها غير واضحين تمام الوضوح ، وإن كنا نجد أشياء مما في الموصوف ماثلة في القصيدة .

أما النوع الآخر من الوصف فهو الوجداني التأملي الذي تختلط فيه مشاعر الشاعر ووجدانياته بالموصوف فنجد الشاعر يثير الأسئلة ، ويستنبط الأفكار ، ويحاول أن يستشف ماوراء الظاهرة من خلال التحليلات التي سجلها في شعره "وهذا النوع من الوصف أرقى من الوصف النقلي .. لأن الظاهرة المادية التي تشخص بشكلها العلمي المقرر هي الظاهرة الأقل أهمية وجدوى ، إنها كالجسد الميت أو الجدار الذي ينبغي أن نهدمه لننفذ إلى عالم الحقائق والمعاني"[3]. فالوصف الجيد هو الذي يدل على عمق الفكر ، ودقة الملاحظة .

وهذا اللون من الوصف هو الظاهر عند الرفاعي كما في قصيدته (مع الأغصان) السالفة الذكر وقصيدة (فراشة) التي ورد جزء منها ، وفيها يقول :

روحي وروحك في معناهما شبه — تهوى الزهور، وأهواها على النادي
وأعشق الحسن رفرافاً على نضر — من الخمائل بين الجدول الغادي

---

(١) (يا صديقي) . شعبان ١٤٠٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) نقد الشعر ، ص ١٣٠.
(٣) فن الوصف ، ص ١١ .

أهـوى الضياء كما تهوينه حفلاً   فترنمين بشـوق المصحر الصادي[1]

وكقصيدة (الموسيقي المتجول) التي كشف الرفاعي بها عن العازف الذي قد لا يكون في الحقيقة سوى الشاعر نفسه :

إذا ما الصمت لـف اللـ   ـيل في شيء من الرعب

وطـاف النـوم بالسـما   ر يغلـق ناعس الهدب

أجـرر خيبـتي والعـو   د حيـران الأسـى ، جنبـي

أعـود لأنفث الآهـا   ت لو تنفث عن كربي[2]

وفي هذه السمة يقول الدكتور محمد بن سعد بن حسين : "حينما يتناول وصف صورة ولو صغيرة من صور الطبيعة يريك من أفانين سحرها ما قد تلمحه فلا تقف عنده إلا هنيهة وربما اقتحمته عينك إلى سواه ، أما هو فيقلب في ذلك الملمح فكره حتي تنساب مشاعره وإحساساته في مدارج جماله مصورة أبدع تصوير وأبرعه"[3].

هـ - المناسبات

يتسع مفهوم المناسبات اتساعاً كبيراً حتى يشمل الشعر بأنواعه ، وفنونه المختلفة ؛ ذلك أن الشعر في أصله صدى الأحداث على النفس البشرية ، وباختلاف هذا الحدث يختلف الشعر ، فقد يكون ذاتياً وجدانياً ، وقد يكون اجتماعياً ، وقد يكون غيرهما .

إلا أنه موقوف عند كثير من الدارسين على شعر المناسبات الاجتماعية والرسمية ، وما شابههما .

وشعر الرفاعي في هذا المجال قليل إذ لا نجد له أكثر من سبع قصائد أنشأ

---

(١) ظلال ولا أغصان . ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨ هـ) .

(٣) الإستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ، " من المكتبة السعودية ، ديوان ظلال ولا أغصان " ، مخطوط من المؤلف .

أكثرها في بعض زياراته التي قام بها داخل المملكة أو خارجها .

ولما كان السبب في إنشاء هذه القصائد متقارباً وهو الزيارة التي قام بها ، وجدنا موضوعات هذه القصائد متقاربة أيضاً ؛ إذ تعتمد على المديح فهو يثني على أهل كل بلد بما يناسبهم .

فحين يزور ندوة العلماء في الهند يثني على الندوة بنشر العلم :

ندوة للعلوم قامت بلكنو فهي نعم المنار للمرتاد
ضل من يحسب البناء صروحاً شامخات تأتي عليها العوادي
إن من يبتني النفوس لبان لم تطاوله في البناء الأيادي

ويخص رئيس الندوة أبا الحسن الندوي بفضل ذكر وثناء إذ يقول :

أيها المحسن البناء علي أنت تعلي البناء للرواد
وتنير القلوب علما وفهما لكتاب وسنة وسداد[1]

وحين يزور الجزائر بعيد استقلالها يثني عليها بالجهاد والمناضلة :

ذكرتني .. ولم أكن غير ذاكر إنها في الجهاد كبرى ، الثوائر
سكبت في النضال بحر دماء رنقته .. فكان أطيب هادر[2]

وحين يزور الأحساء يثني على أهلها بالكرم وحسن الضيافة والاستقبال :

منْ كرام على الكرام أنافوا قطرهم مثل أهله مضياف
تنبت الأرض بالرياض سخاء فهي القلب ، والربيع الشغاف
ما تراها سميت أحساء لدنو من السخاء يضاف[3]

وقد ضم إلى المديح موضوعات أخرى غالباً ما تكون مرتبطة بالبلد ، والمناسبة التي أنشدت القصيدة فيها . ففي · (تحية ندوة العلماء) تحدث عن ارتباط اللغة العربية بالإسلام ، فهو الوشيج الحقيقي بين المسلمين ، وهي السبيل لتعلم الدين

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٣ .

(٣) " تحية الأحساء " : جريدة الرياض ، (١٤١٤/٥/١٩ هـ) ، وانظر : " تحية جيزان " : مجلة المنهل، (المحرم ، صفر ١٤٠٢ هـ) ، وظلال ولا أغصان : ص ٨٩ و ١٠٨ .

وفهمه حق التعليم والفهم :

لغـتي موطـني وديـني مـلاذي هــذه عــدتي وهــذا عتــادي
أيــن يمــت .. فالمــودة إنـــي مــن وشيجيهمــا علـى ميعــاد
لا قــرآن بغــير حــرف مبـين عربـي يأتـي شـديد العمــاد
والــذي يبتغــي بغــير قـران لغـة العـرب ، نافـخ فـي الرمـاد[1]

وحين يزور الجزائر وتونس اللتين نفضتا عنهما غبار الاستعمار يدعو إلى تذكار أختهما التي لا تزال تحت وطأة المغتصب :

يا حمــاة العريـن كبـرى الكبـائر أن تحـوز الكـلاب كهـف القسـاور
فـي فلسطـين ، مـا نسينـا بقايا مـن دمــاء تـئن تحــت المقـابر
قـد سخـوتم هنــا بمليون ثـاو فاجعلـوها هنـاك مليـون عابـر[2]

أما في عمان فقد كان الرفاعي ممن أكرم بوسام مجلس التعاون الخليجي ، فكان هذا التكريم مناسبة للحديث عن التقاء السياسة بالثقافة التي هي أنجح القران :

فهــذا محفــل فــذ تبــارت بــه الأفكــار وانطلــق البيــان
رأى القمـم الشـوامخ في ذراهــا مكــان الفكــر فانفســح المكــان
رأوا أن التعــاون كــان فكــراً فشـادوا صرحه فعـلا وصانــوا[3]

وليس للرفاعي في شعر المناسبات سوى هذه الموضوعات ، فلم يشارك في مناسبات اجتماعية عامة كمناسبة افتتاح جامعة ، أو مصنع ، أو شق طريق ، وكل ما يمكن أن يدخل تحت هذا النوع قصيدة واحدة بعنوان (يا عيد) أنشأها بمناسبة مرور عيد الفطر ١٣٧٧ هـ ، وقد اختفت فيها المشاعر الاجتماعية خلف المشاعر الإسلامية .

كما لم يشارك في مناسبات دينية كالحج مثلاً ، فليس له مما يمكن أن يلحق بهذا

---

(١) ظلال ولا أغصان : ص ٦٧ - ٦٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٤ -٨٥ ، وانظر : ص ٩٠ - ٩١ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

الجانب سوى قصيدة (السلام عليك) التي أنشأها بمناسبة ذكرى المولد .

و - الاجتماعيات

الشعر الاجتماعي هو الذي يعنى بالمجتمع وشئونه وقضاياه ، وقد شاع هذا اللون من الشعر في الأدب العربي الحديث في القرن الثالث عشر الهجري[1]، كما ظهر هذا بكثرة في الأدب السعودي خاصة فيما قبل آخر القرن الماضي يوم أن كانت النهضة الفكرية والعمرانية على أشدها .

ومع أن الرفاعي زامن تلك المرحلة فلا نجد له شيئاً كثيراً في هذا المضمار، وكل ما يمكن أن يدخل هذا الفن قصيدة واحدة وأربع رباعيات .

أما القصيدة فهي بعنوان (الفريسة تصيد)[2] وقد تحدث الرفاعي فيها عن إحدى بائعات الهوى اللاتي يجبن الطرقات بحثاً عمن يقع في حبائلهن ، فصور في مطلعها شعوره تجاه تلك المرأة والحال التي هي فيها :

بكـى مـن أجلهـا قلـبي ... ولكـن مـا بكـى القـدر
أحـاط بهـا فطوحهـا ... لمـوج الليـل يعتكـر
وألقاهـا لمهـوى القـا ... ع ، يطـويها فتنحـدر
وخلـى لحمهـا القتـا ... ن ينهـش بضـه وغـر

ثم يتحول إلى وصف المرأة التي تيقظ وطرها في الليل وانطلقت تجوب الشوارع حتى التقت بمن يبحث عنها ، وتبادلا الإشارات ، والتقيا :

إذا مـا الليـل آواهـا ... تيقـظ عندهـا وطـر
وهامـت فـي مجاهلـه ... عسـى يصطادهـا نمـر
....
رأى أشـواقهـا حيـارى ... (وعـند جهينـة الخـبر)

---

(١) انظر : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ، ص ٢٠٢.

(٢) ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دارالرفاعي .

فهـــدًى مـــــن شكيمتـــه وهـــش الثغـــر والبصـــر

وقصيدة الرفاعي هذه تكتفي بعرض الموقف وتصويره دون التعليق عليه أو الحديث عن بعض جوانبه ، وهي بهذا تختلف عن القصائد التي ظهرت في الأدب الحديث التي تنتصر للبغايا وتجعل منهن صوراً لضحايا المجتمع كما عند بدر شاكر السياب في قصيدته (المومس العمياء)[1]، والتي يراها بعض الدارسين من أثر النزعة الرومانتيكية[2]، مع العلم بأن ميل قصيدة الرفاعي نحو الوصف والنقل لا يمنع إدخالها ضمن القصائد التي تعالج الفساد ، لأنه قد يكون اكتفى بعرض القضية عن التعليل لها ، والبحث ليترك للقارئ حرية البحث عن ذلك .

أما الرباعيات فهي أربعة مقاطع سماها (رباعيات الشعب) وتحمل عنواناً واحداً هو (عجبت) تحدث فيها عن مشكلات الطرقات ، والنقل كسيارات الأجرة التي يقول فيها :

عجبـت لسـائق التاكسي يشكـو مزاحمـة الغـريب ومنـــه نشكـــو

جـــلا عنه الغريب فـــراح يجلـــو ويرهـــف سيفـــه والبغـــي هـــلك[3]

وكإشارات المرور التي يقول فيها :

عجبـت لهـــا إشـارات المـــــرور أراهـا فـي الطـريق على عبـــوري

تقاسمهـــا المقاطـــع كـــــل درب تزينـــه فيزهـــو كالزهـــــور

ولكـــن كالكمـائم مـا تـــراءى لهـــا زهـــر ، ومـا شعـت بنـــور[4]

والرباعيتان الأخيرتان تتحدثان عن إنارة الشوارع ، والمطبات في الطرق .

---

(١) انظر : بدر شاكر السياب ، أنشودة المطر .- د. ط .- (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، د.ت)، ص ١٧٣ .

(٢) انظر:محمد غنيمي هلال . الأدب المقارن .- د.ط .-(بيروت : دار العودة ،١٩٨٣م)، ص ٢٠٦.

(٣) " عجبت : رباعيات الشعب " ، ١٣٧٩/١١/٢٥ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) " عجبت : رباعيات الشعب " ، ١٣٧٩/١١/٢٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ز - الرثـــاء

ليس للرفاعي في هذا الفن شعر كثير فكل ما أثر عنه في هذا الجانب قصيدتان ومقطوعة . القصيدة الأولى رثى فيها ابنه الذي توفي بعد ولادته مباشرة ، وكان الرفاعي غائباً فلم يره ، وقد تحدث فيها عن هذه الفكرة :

بـني ولـم تمكث لتسمع همستي　　إليـك بـني ! أو لأسمـع "بـابـا"

ولـم تلتـق العينان عـين أبـوة　　مغربـة تشكـو نـوىً ومصابا

وعـين بهـا معنى الصفـاء وليتني　　شهدت بهـا وهـج الصفـاء مذابـا[1]

ثم تحدث عن الحياة التي خلفها الابن ، رغبة عنها ، وبارك هذه النظرة :

تعجلت عنها ما استرحـت هنيهة　　فما جئت إلا قـد نويـت ذهـابا

أأدركت أن الكأس في هذه الدنى　　مكـدرة حـتى أبيـت شـرابا

....

بنفسي ..لقد أحسنت لولا حشاشة　　معذبـة بثت جـوى وعـذابا

أما القصيدة الثانية ، فهي (سبعون)[2] التي رثى فيها نفسه ، وقد كتبها الشاعر وهو يعاني من وطأة المرض ، فجاءت مصورة للأسى الذي يدور في نفسه كما جاءت جالية لنظرة الرفاعي التقويمية لأعماله ، وللحياة بعامة .

ابتدأ القصيدة متحدثاً عن هذه السبعين التي قضاها مستعظماً طولها :

سبعـون يـا للهـول أيـة حقبـة　　طـالت وران على الرحيق الصاب

تتـراكم الأعـوام فـوق رؤوسنـا　　حـتى تئـن مـن الركـام رقـاب

ثم انتقل إلى الحديث عن هذه السبعين وتعامله معها ، فما هي إلا شوكة في دروب الطفولة ، وشيخوخة في الشباب :

سبعـون فـي درب الطفـولة شوكـة　　أمـا الشباب فليـس ثـم شباب

---

(١) (بني) ، ١٣٦٨/٢/٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " سبعون " ، المجلة العربية ، العدد ١٩٥ ، (ربيع الأخر ١٤١٤ هـ) .

الجِـد أغـرانـي برغـم جفافـه ... فظمئت حتى لـو أتيـح شـراب

ولم يكن فيها بانياً، وكل ما نراه من إنجاز فهو - في نظره - سراب قام على حسن الظن :

سبعـون ظـن أحبتي أنـي بهـا ... أعلـي القبـاب ومـا هنـاك قباب

أنـا مـا خدعتهـم ولكـن غرهـم ... حظـي لديهـم والحظـوظ عجـاب

أنا من بنيت على الخيال قواعـدي ... فتصدعـت وانهـارت الأطنـاب

ويصور واقع الحياة وما قامت عليه من اجتماع وافتراق :

سبعـون كـم فيهـا تجمع رفقـتي ... وجـداول الـود الحميم عـذاب

حـتى إذا وشـى الربيـع رياضهـم ... ودنـا القطـاف وطـابت الأعنـاب

سـاق الزمـان السـرب نحو شتاتـه ... فتفرقـوا وكأنهـم أغـراب

ثم ينتقل الرفاعي إلى الحديث عن نفسه فالضعف هي صفته :

إن كنـت كابـرت السنـين فإنهـا ... أقـوى وأعنـف إذ يحـين غـلاب

وزعمـت أنـي لـم أفـارق جدتـي ... فأشـار يسخـر باللسـان حسـاب

والموت يطلبه :

سبعـون قـد وفـد الشـتـاء يزورنـي ... والنـار قـد خمدت وليـس ثقـاب

حنت إلـى عبـق التـراب جوانحـي ... لا غـرو يشـتاق التـراب تـراب

وليست ثقافته في نظره شيئاً فما هو إلا ربع مثقف :

إنـي لـدى التعريف ربـع مثقـف ... صحـب الكتـاب فلـم يخنـه كتـاب

هو في دمي عشق الطفولة والصبـا ... فهـو الهـوى واللحـن والأحبـاب

ومع هذا الأسى ، والإحساس بالإخفاق وعدم القدرة ، يبحث الشاعر عن تعليل لهذه الظواهر المرة المجتمعة في نفسه يتعلل به ما تبقى من حياته إذ لو اجتمعت عليه تلك الصنوف لمات قبل يومه :

يـا لائمي فـي العمر كيـف أضعته ... لا الجـد سـاد ولا الهـوى غـلاب

ما بين بين ، فما صعدت إلى الذرى ... أو كـان لـي فـي القانعين مـآب

ركنت إلى السفح القريب مطامعي والسفح لا يهفو إليه عقاب

ويعيد الشاعر في آخر القصيدة ذكر صعوبات الزمن ، والعقبات التي كانت في طريقه جاعلا منها أسباباً لإخفاقه :

لك أن تلوم فما جحدت مسيرتي قامت على الدرب الطويل صعاب

إني أخذت من الليالي صفوها نزراً وقلت النزر منك رضاب

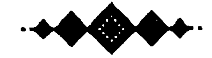
أما المقطوعة فهي التي رثى بها (أحمد بن محمد جمال) وقد كان الشاعر يشهد ارتحال أصحابه عن هذه الحياة واحداً تلو الآخر ، فأحس بدنو أجله فناداهم بهذه الرباعية :

تقاطر صحبي يبحرون إلى الغيب فما بالكم خلفتموني ياصحبي

وكان وثيق العهد بيني وبينكم تواصل هذا الحب في البعد والقرب

وبالأمس شد الرحل أحمد تاركاً شذاه عبير المسك والصندل الرطب

رويدكم .. إني على الإثر قادم فشأنكم شأني، ودربكم دربي[1]



(١) " رويدكم " ، جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/١٢/١٩ هـ) .



الفصل الخامس

شعره: دراسة فنية

أولاً : المضمون

١ - الأفكار.

٢ - التجربة الشعرية .

ثانيًا: الشكل

١ - بناء القصيدة .

٢ - الأسلوب .

٣ - الصور الشعرية .

٤ - الموسيقى .



الدِّراسَةُ الفَنِّيَّة

أولاً : المضمون

١ - الأفكار

يتناول الحديث عن الأفكار عند الرفاعي في شعره عدة جوانب هي : الأصالة والمعاصرة ، والسطحية والعمق ، وتكرار المعاني ، والوضوح ، والتأثر بغيره .

والأصالة حين تقابل بالمعاصرة تعني ثبات الشاعر أو المفكر على القيم الفكرية ، والثقافية لأمته والانطلاق منها .

وتعد هذه السمة من أظهر السمات الفكرية عند الرفاعي الذي لم يكن خارجاً في شعره عن مقومات أمته الثقافية بجانبيها العقدي واللغوي . فأما في الجانب العقدي فيظهر ذلك جليًا في شعره كله سواء الذاتي أو غيره ؛ إذ نجد فيه "الروح الإسلامية النقية التي عمرت بها نفسه طوال حياته"[١].

ومظاهر الأصالة لا تتوقف على الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء الذي وردت شواهده من قبل ، ولا على الربط بين مظاهر الكون ومبدعها كقوله عن الطبيعة في ألمانيا :

إنها آية من الله جلت ۝ أن تضاهى بصبغة الإنسان[٢]

ولكنها تنطلق في ذلك كله من النظرة إلى الحياة عامة ، تلك النظرة القائمة على التوازن بين جانبي الخير والشر في الحياة والتوازن بين الأمل واليأس ، فليست قائمة على الأمل وحده الذي يجعلها تتفاءل وتحسن الظن فيما لا يحسن الظن به ، ولا

---

(١) " من المكتبة السعودية : ديوان ظلال ولا أغصان " ، ص ١٣ ، مخطوط من المؤلف .

(٢) قصيدة (ياصديقي) ، شعبان ١٤٠٢ هـ ، مخطوط .

هي قائمة على اليأس الذي ليس بسبيل المؤمنين ﴿ ...إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾[1].

وتتجلى هذه النظرة أكثر ما تتجلى في خطابه لساعة اليأس بقوله :

يـا سـاعـة لليـأس يشـ ـرق فـي دياجيهـا مضـائـي
لا .. لـن أذل وأستكيـ ـن ولـن تنـالي مـن بنـائـي[2]

وفي خطابه لصحبه محذراً إياهم من القنوط :

لا تقنطـوا
إن كأسـي فـي قرارتهـا
بعض الصبابـة
كانـت ملأهـا كأسـي
خلـو الصبابـة
أحسوها مروقة
هذي الصبابـة
قـد طابت بهـا نفسـي[3]

"ويعد هذا الموقف التوازني ظاهرة واضحة في ديوانه"[4]، بل في شعره كله وأما في الجانب اللغوي فقد ظهرت في حرصه على التزام الفصحى في شعره ، وبدعوته للعناية بالعربية ومنافحته عنها ، التي تمثلت بالعمل على الرفع من شأن اللغة العربية، حين دعا إلى اتخاذها الوسيلة السليمة والطريق الوحيد للوصول إلى تعلم القرآن :

لا قـرآن بغـير حـرف مبـين عـربي يأتـي شـديد العمـاد[5]

وقد جمع إلى هذه الأصالة المعاصرة ، وذلك بأن عاش عصره بكل ما فيه ، فلم

---

(١) سورة يوسف ، الآية :٨٧ .
(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨ .
(٤) الرفاعي أديباً ، ص ١٧٢.
(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٦٨ .

يكن بعيداً عن أحداث عصره سواء المحلية أو العالمية ؛ إذ نجد صدى ذلك كله في شعره .

ومما ظهرت فيه هذه الأحداث قصيدة (من يوميات مئذنة مكية)[1] التي كانت عن أحداث الحرم عام ١٤٠٠ هـ ، وكقصيدة (حقد)[2] التي تحدث فيها عن الاستعمار بعامة وقصيدة (ياعيد)[3] التي خص فيها فلسطين والجزائر .

كما لم يكن بعيداً عن الساحة الأدبية ، وما يجد فيها من مذاهب أدبية وفكرية جديدة ، ويظهر هذا واضحاً بتأثره بالاتجاه الإبداعي (الرومانسي) الذي شاع في العالم العربي في أواسط القرن الهجري الماضي كما في كثير من الموضوعات التي تحدث عنها كالهيام بالطبيعة ، والحديث عن نزعات النفس ، ووجداناتها ، والمتأمل لعنوانات قصائد الرفاعي يجد ذلك من نحو (صبارة) و(فراشة) ، و(ناي الراعي) ، و(مع الأغصان) ، و(انتظار). وقد ذكر بعض الكتاب أنه "لا يمكن فصله (الرفاعي) عن كبارشعراء الوجدان في العالم العربي"[4] .

وهذا الجمع بين الأصالة والمعاصرة سمة ينفرد بها الشعراء الواعون الذين يدركون قيمة فنهم ، ويملكون توجيهه وجهة سليمة ، تمكنه من أداء رسالته التي حملها .

وتتسم أغلب أفكار الرفاعي بالعمق الذي تستمده من الموضوعات الكبيرة التي ناقشها ، كقضايا الطموح والمجد ، وقضايا الأمة الإسلامية ، والبناء والتطور .

كما تستمده أيضاً من نظرته إلى الحياة والأحياء تلك النظرة التي لا تقوم على الاكتفاء بالعرض والمظهر الخارجي للأشياء ، وإنما تسعى لإدراك حقيقتها والعناية بجوهرها .

يتجلى هذا الأمر في خطابه لأمانيه الصعبة المنال ؛ إذ يعلن عدم قبوله لكل

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .

(٢) قصيدة " حقد " : مجلة حراء ، (١٣٧٨/٧/١٢ هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٧٢ .

(٤) جريد بن سليم الثبيتي . " عبدالعزيز الرفاعي شاعر الوجدان والفضيلة " : مجلة الفيصل ، العدد : ٥٠٢ ، (رجب ١٤١٤ هـ) .

منهج يسلك في سبيل تحقيق هذه الأماني ، كما يعلن فيه رفضه للطلاء الكاذب الذي يغري بعض قصار النظر :

يـا أمانـي إذا طـال النــوى ومضـى العمر وقـد عـز اللقـاء

لا تخـالي أن روحـاً ناقـداً يرتضي الزيـف ويغـريه الطـلاء

ليس مـن عـاش بقلب مثـل من عـاش لا قلـب لـه أو لا ضيـاء

مثلـي العليـا هـي السلـوى إذا عـز فـي الدنيا على الحر العـزاء[1]

كما يظهر هذا الموقف في نظراته التي يعلنها في سائر الموضوعات كنظرته للقضايا الإسلامية التي لن تحل إلا بالرجوع إلى الإسلام كما يقول :

يجمـع المشرقين ديـن حنيـف لـم يـزل بيننـا المـلاذ المـآلا

لـو لـزمنا صـرا طـ ـه لاستقما وجعلنـاه للعـدى زلـزالا[2]

وكنظرته لتكريم أصحابه له حيث لم يتوقف على ظاهر التكريم له ، ولكنه نفذ بحسن بصيرته إلى حقيقة التكريم المتمثلة بالنقد والتقويم والمناصحة:

أكرمـوني فقومونـي بنقـد أنـا أشـتاق أسمـع النقـادا[3]

ولا تتوقف هذه النظرة العميقة على الموضوعات الكبيرة ، ولكنها تبدو في نظرته إلى ما يمكن أن يكون أمراً تافهاً ولكنه يحوله بتدبره وتأمله إلى أمر عميق بالغ القيمة كما في نظرته إلى العازف الأعمى المتجول في قصيدته (الموسيقي المتجول)[4] وكما في نظرته نحو شجرة الصبارة في قصيدته (صبارة)[5] ونظرته نحو الطبيعة بمظاهرها المختلفة في قصيدة (فراشة)[6] التي رأى فيها أن ارتفاع الجبال إيماء بالشموخ والشمم ، وأن انبساط السهول إيحاء بالتواضع .

وقد يكرر الرفاعي بعض الأفكار تكراراً ظاهراً كما في فكرة ضياع الكبد، أو الفؤاد ، التي ترددت أكثر من مرة بدلالة متقاربة في قوله :

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٤) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨ هـ).

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٨ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٥١ .

ليس من عاش بقلب مثل من عاش لا قلب له أو لا ضياء[1]

وقوله :

فناشدوا الله من آوى له كبداً ضلت ليرعى حمى الأخلاق والذمم[2]

وقوله :

إنني هاهنا أضعت فؤادي فارجعوه .. وهل طلبت المحالا[3]

وكصفات الأغنية أو القطرة[7] التي تكررت في قصيدتين ، فجاءت الأغنية والقطرة التي هما في الحقيقة شيء واحد ، جاءتا بصفات متقاربة فهما نغمة العصفور ، وحوراء ، وشهد ، ونغمة الينبوع ، أو حبة الندى .

وكما في فكرة عجزه عن حمل المشاعر التي حمله أصحابه إياها ، التي جاءت في قصيدة (كلمة .. إلى الجزائر) في قوله :

حملوني الهوى ، وما ظننت ضميري

حاملاً كل ما حوته الضمائر[4]

وأعادها في قصيدة (تحية تونس) في قوله :

حملتني الرياض باقات حب خفت أن لا أطيقهن احتمالا[5]

ولا يعتمد الرفاعي المذاهب التي ترى الغموض منهجاً لها ؛ ولذا جاء شعره واضحاً ، مبيناً عن الفكر الذي يحمله ، "ولا يقصد بهذا الوضوح الأداء اللغوي المبتذل ، وإنما هو الوضوح البياني الصافي الذي تعرفه الخاصة ولا تدركه العامة"[6] ؛ ولذا قد نجد عنده بعض أمثلة الغموض البياني الجميل كالغموض الذي تنشئه التورية في قوله :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٢ ، ١٤٢ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٨٤ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٨٨ .

(٦) الرفاعي أديباً ، ص ١٩٠ بتصرف يسير .

أضلعي .. ملؤها التحايا العواطر   من بلاد تكن خير "المشاعر"[1]

فلفظة "المشاعر" تحمل معنيين أحدهما المشاعر المقدسة في مكة والمدينة، والأخرى المشاعر الوجدانية .

وقوله :

بدوي .. يبني الحضارة حرفاً   راض عصيانه .. فلا ائتناسا[2]

فلفظه (بدوي) تحمل معنيين الأول البدوي المقابل للحضري ، والثاني (بدوي) اسم المخاطب .

وقد يسعى الرفاعي أحياناً لعدم إظهار الفكرة التي يتحدث عنها إظهاراً كاملاً فيعمد إلى تكثيف الصُّور ، أو إلى تغيير الضمائر ، فتأتي الفكرة مشوشة كما في قوله:

هما غصنان أضاف الصبا   جمالاً جديدا لحسنيهما

فراح لجرحيهما شاكياً   وفي قلبه حب جر حيهما

فيا عجباً من جريح العيون   يرق ويهفو لعينيهما

أحاكا الشباك ، وصادا بها   أسير الشباك الفتى الشاعرا

وهذا صنيع صريع الغصون   يقبل قيديه والآسرا[3]

فالغصون في هذه الأبيات رمز للحبيبة التي صادته وقد جاءت مجموعة ومثناة ، ثم ترك الرمز واستخدم العيون مجموعة ومثناة وكأنه صرح بالحبيبة ، ثم جعل تلك العيون مسندة لضمير الاثنين ، ثم جاء الفعل مسنداً إلى ضمير التثنية الذي لا يعلم أعائد على الغصنين أم على العينين وكقوله أيضاً :

يا جدولاً .. من السنا والألق

تجمعي بين يدي .. وافترقي

ياباقة تأرجحت من عبق

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٣ .

(٢) (بدوي يبني الحضارة) ، مجلة المنهل ، (رجب وشعبان ١٣٧٩ هـ) .

(٣) " شاعر وغصنان " : جريدة البلاد السعودية ، (١٠/١٢/١٣٧٠هـ) .

هــذي الربــا .. معــارج للألــــق

يقــول منهـا ما ارتقى ومالم يرتـــق

على يـدي ترقرقــي .. تدفقــــي

تأرجحــي علــى الشــذا وانطلقـــي

ياباقــة تأرجحــت مــن عبــق

تلملمــت مــن الســنا ..والشفــق

* * *

....

هــذي الربــا .. معــارج للألــق

وتؤمــئ السهــول بــي احــترق

يقــول منهـا ما ارتقى وما لم يرتـــق

على شفا مصرعه .. سنلتـقي سنلتقي[1]

فالفكرة العامة في هذه القصيدة التي اجتزئ منها مقاطع غير واضحة ؛ إذ البداية حديث عن الجدول ، ثم استخدم ضمير التأنيث تاركاً خطابه الأول ، ثم انتقل إلى نداء الباقة المكونة من السنا ، ثم انتقل إلى الحديث عن الربا والسهول ، ثم إلى هذا المتحدث الذي لم يذكره ، والذي على شفا مصرعه سيلتقي دون ذكر له .

وقد يستطيع القارئ بعد التأمل أن يجمع أشلاء صورة أبان الشاعر عن بعض أجزائها ، ولكنها تظل ذات أجزاء ناقصة قد لا تنكشف إلا بالحدس . على أن هذا النوع من الغموض لا يكاد يخرج عن هذين النموذجين .

وقد نجد في أفكار الرفاعي صدى لتأثره بغيره ، وتقليده لهم ، ويتضح هذا التأثر في ثلاث قصائد هي (كومو[2]، و(انتظار)[3]، و(وداع)[4].

---

(١) " جدول " : مخطوط ، (صفر١٣٨١ هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٤ .

(٣) " انتظار " : البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٧/٢ هـ) .

(٤) " وداع " ١٣٦٩/١١/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

فإذا تجاوزنا قصيدة (كومو) التي نص الرفاعي فيها أنه تأثر بعلي محمود طه في قصيدته (بحيرة كومو)[1]، واقتبس منها ، إلى قصيدته (انتظار) ، و(وداع) اللتين تأثر فيهما بقصيدة (انتظار)[2] للشاعر نفسه .

وذلك أن قصيدة علي محمود طه (انتظار) تتكون من ثلاثة عناصر هي: الانتظار الذي شغل الجزء الأول من القصيدة، واللقاء الجزء الثاني من القصيدة، والوداع الذي جاء في الجزء الثالث من القصيدة .

أما الرفاعي فقد قسم الفكرة إلى قصيدتين تحدث في إحداهما عن الجزء الأول (الانتظار) وفي الأخرى عن الجزء الثالث (الوداع) أما الجزء الثاني وهو اللقاء فيظهر أنه تجنب ذكره ، والحديث عنه مراعاة للبيئة المحافظة التي لا تقبل هذه الأفكار أو لعله انقياد لواقع ذاتي ولرغبته في استثمار أجزاء الفكرة فقسمها بهذه الصورة .

وقد لا يتضح هذا التأثر إلا إذا لاحظنا هذا التوافق بين القصائد الثلاث من ناحية ، وقراءة الرفاعي شعر علي محمود طه وإعجابه به من ناحية ثانية .

ولا يعني هذا التأثر أنه قد قلد تلك القصائد فجاء بالمعاني والأفكار التي فيها ، ذلك أن الشاعر لم يتجاوز في هذه القصائد استيحاء أساس الفكرة فقط ، ثم تحدث عنها من جوانب أخرى . وهذا حكم عام في كل هذه القصائد الثلاث ، لا تستثنى منه قصيدة (كومو) التي نص الرفاعي أنه عارضها ؛ إذ لا نجد بين القصيدتين توافقاً في الأفكار والصور إلا في بيت واحد حوره الرفاعي ، فهو عند علي محمود طه :

لا تقل أخصب الثرى فهنا أورق الحجر
ها هنا يشعر الجماد ويوحي لمن شعر[3]

---

(١) علي محمود طه ، ديوان طه .- د.ط .- (بيروت : دار العودة ١٩٨٢ م) ، ص ١٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٥ .

وقد حور الرفاعي هذين البيتين بقوله :

خاطـــر الشـــعر منحـــم   خاشـــع الطـــرف منبهـــر
فاطلـــب الشـــعر قـمـــة   قمـــة الشـــعر فـــي الحجـــر[1]

والفرق بين الأبيات أن الجماد في الأولى يشعر أما في الأخرى فإن أجمل الشعر في الجماد (الحجر). وكذلك الحال في سائر القصائد ، فالثانية والثالثة (انتظار) و(وداع) لا تتفقان مع قصيدة طه إلا في أصل الفكرة ، وإلا فقد طول الرفاعي الموضوعين وتجنب الأفكار الموجودة في تلك القصيدة .

٢ - التجوبة الشعرية

يتسم كثير من الشعراء برهافة الحس ، وشفافة الروح ، مما جعل نفسياتهم مرآة صافية لما يمرون به من أحداث ، وتجارب ، واستجابة لهذه التجارب الشعورية ينطلقون معبرين عن تلك العواطف التي اختلجت في نفوسهم بتجارب شعرية مصطبغة بتلك الصبغة . فالتجربة الشعرية هي "الصورة الكاملة النفسية ، أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينم عن شعوره وإحساسه"[2]، ويكاد يكون ظهور الشعور شرطاً مهماً في الشعر ، يكسبه الحياة والاستمرار .

وقد مر الشاعر عبدالعزيز الرفاعي في حياته الطويلة بكثير من التجارب الشعورية التي نتج عنها تجارب شعرية ، تظهر فيها عاطفة الشاعر وإحساسه، من ذلك قوله :

أنـا مـن أنـا ؟ يا ومضـة الشوق الملـح .. علـى عيوني
مـن ذا أثـارك ، بعـد مـا نامـت علـى يـأس جفونـــي

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٦ .

(٢) محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث .- د.ط .- (القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع)، ص ٣٦٣ .

عـودي ، فمـا عـاد الهـوى رطباً ، كما كانت سنيني
لـف الضباب صبابتـي ، يمضي إلـى درب اليقـين[1]

وإذا كانت التجربة الشعرية صدى للشعورية فإن هذا يعني أنه لا يمكن حدها بنوع معين ، فقد تكون باكية حزينة كما في قصيدة (سبعون) التي كان يحس فيها بنهايته ، ودنو ارتحاله عن الدنيا ، يقول فيها[2] :

سبعون قـد وفـد الشتاء يزورنـي   والنـار قـد خمـدت وليـس ثقـاب
حنـت إلـى عبـق الـتراب جوانحـي   لا غـرو يشـتاق الـتراب تـراب
فـي يقظتي أغفـو وقد يجفو الكرى   جفـني فيحلـم بالمنـام طـلاب

وقد تكون دينية تتحرك لما يعطل من شعائر دين الله ، وما يصاب به حرم الله من منع إقامة الصلاة والطواف[3] :

ويحـين أوان الظهـر
ما ارتفـع أذان ... !
والعصـر يحـينْ
ما ارتفـع أذان ..!
فـوق سماء البيـت
ويطل على كتف قبيس
شفـق شاحب .. !
تتجـمع غيمـاتْ
وتوصوص نجماتْ
تسا ءل فـي رعـبْ !
مـا الخطـبْ ؟[4]

(١) " لا عودة " : ١٠/١٠/١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .
(٣) كتبت هذه القصيدة على إثر حادثة الحرم سنة ١٤٠٠ هـ .
(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ١٠٤ .

وقد تكون مشاعره إنسانية إسلامية تثور لما يصيب الإخوة المسلمين من تشريد وقتل كما في بعض قصائده التي يتحدث فيها عن الجزائر ، وفلسطين :

ياعيد .. لا

إن المسرة لاتلامس

أي قيد من شعوري

مادام خلاني وأهلي

في فلسطين السليبة والجزائر

لا يعرفون العيد إلا وهم عابر[1]

أو إنسانية عامة كقوله حين رأى طفلة في ألمانيا باكية والناس حولها مبتهجون فقال متأثراً بذلك الموقف:

أنت حزنى هنا ؟ لماذا لماذا ؟   كل هذا الأسى هنا .. كل هذا

يضحك الناس هاهنا والروابي   والمروج الخضراء طابت ملاذا

فاضحكي تضحك السماء وتخفي   دمعها .. والهموم تجري لواذا[2]

وتأتي التجربة الشعرية معبرة عن ذاتيته فتنضح بما يحس من لوعة الأسى ، ومرارة الحرمان ، دون أن تصل إلى حد الأثرة والأنانية :

تمر مواكب النعمى   وأشهد فرحة الركب

وماحظي سوى ماشا   هدت عيناى عن كثب

وأسأل نفسي الحيرى   ترى يانفس ماذنبي؟[3]

وهي تجارب إيمانية تصدر عن نفس آيبة رضية :

آب من ذنبه إليك فأوب   فتقبله في رحابك الفسيح يارب

يا بديع الصنيع ما يصنع العاجز   إن لفه من الليل غيهب

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٢) "إلى مجهولة " : جريدة الندوة ، (١٣٨٣/٧/٢٤ هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤ .

عنـدما تطفـئ الشمـوس سيبقـى   نـورك الخـالـد اللطيـف المحـبب[1]

وعواطف الرفاعي التي تنضح بها تجاربه سامية تتجه نحو معالي الأمـور ، والصفات الحميدة ، وتبتعد عن الصغائر والدنايا ، يقول مصوراً همته العالية نحو العلا والمجد :

أمـا عـن الحلم فـي أفياء مارسمت   لـه الخيالات عـن مجد وعن قـمم
فقـد أصـاخ لـداع فـي قرارتـه   أن الحيـاة حيـاة العلـم والقلـم
فـراح صـوب مناديـه علـى قلـل   مـن الغيـوم ، وآفـاق من السـدم[2]

ويقول مخاطباً الفتنة التي طرقت بابه ، وهو العفيف الكريم :

ما كـان أحـراك ألا تعبـثي بهـوى   عـف وقلـب نقـي غـير مرتـاب
مـا بـين جنـبي خفـاق أكرمـه   مـن الهبوط إلـى أغـوار أو شـاب
يـاكبريائي ترى هـل أنـت ساحرتي   حـتى رضيتـك منفـى دون أحبابي
رضيـت فيـك حيـاتي في ترفعها   وقد منحتـك إكبـارى وإعجـابـي[3]

ويشكل شعر المناسبات والإخوانيات جزءاً كبيراً من شعره ، وعد هذا الشعر خالياً من التجربة الشعورية أمر فيه مبالغة[4]؛ ذلك أنهـا لون من التـجـارب الاجتماعية "التي يستقي الأديب عناصرها من مجتمعه ، وبيئته المحلية أو من المجتمع الإنساني"[5] ، ولكن العاطفة التي تملي شعر الإخوانيات والمناسبات تختلف عن العاطفة التي تملي الشعر الذاتي ، فقد تكون المحبة والأخوة ، والتهنئة ، أو التعزية ونحوها كما قد يكون الإحساس بضمير الجماعة هو ما يدفعه إلى المشاركة بالمناسبات الوطنية والرسمية ، وهي بلا شك عاطفة لا تماثل العاطفة الذاتية عند

---

(١) (آب) : جريدة الرياض ، (١٤١٤/٥/١٩ هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٩ .

(٣) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٤/٤ هـ) .

(٤) انظر : النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٦٤ .

(٥) الدكتور محمد الصادق عفيفي . النقد التطبيقي والموازنات ، (مصر: مؤسسة الخانجي ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨ م) ، ص ٧٥ .

كثير من الشعراء . ومما جاء من هذا اللون صادقاً قصيدة (قطرة) التي حيا فيها محمدحسن فقي[1] في يوم تكريمه فيقول :

أيا شاعر الوجدان ، شعرك غابة ... من الورد لا تنفك تزهو بأكمام

ولكن رأيت الورد يشرق بالندى ... وتعلو ضياء الفجر كدرة إظلام

أرى نغمة الأحزان فيه شجية ... ومن خلفها ، تحدو بها نفس لوام

كفى ياجراح القلب ، كفي وارفقي ... فإنك جزت الحد فيضاً بآلام

رأيت الليلي عادة تدمل الجوى ... فمالك لا تشفيك كرة أعوام[2]

ولا تتوقف التجارب الاجتماعية عنده على شعر المناسبات والإخوانيات ، فنجد لديه الشعر الذي يصور بعض الجوانب السلبية في المجتمع سواء المحلي أو العالمي كما في قصيدته (الفريسة تصيد) ، والرباعيات .

والحديث السالف عن التجارب الشعرية ، لا يعني أن شعر الرفاعي كله نابع من تجارب شعورية صادقة ، وأنه مليء بالعواطف الحارة بل إن شأنه في ذلك شأن غيره من الشعراء ، فهناك الشعر الواهن الذي تبدو فيه مسحة التكلف ، ويضعف فيه أثر العاطفة ، يستوى في ذلك شعره الوجداني وغيره فمن الوجداني قوله في قصيدة بعنوان (شفة غليظة) :

من لاز ورد ، وردة ... مجدولة من نشوة

حرف تحد جامح ... رضعت فيه شقوتي

وأرضعتني حلمة ... لون ولذع الجمرة

يقول لي وشاتها ... في خمرها منيتي

أحبب بها منية ... من خمرها وسكرتي[3]

---

(١) محمد حسن فقي (١٣٣٢ هـ -) شاعر . كاتب . من مواليد مكة المكرمة . تولى تحرير جريدة البلاد مرتين . تقلد عدداً من المناصب الحكومية . من آثاره : فيلسوف (مقالات) ، (انظر: معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١١٩) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٤ .

(٣) " مجلة الأديب ، ج ١٠ ، س ٩ ، (شوال ١٣٦٨ هـ ، اكتوبر ١٩٥٠ م) .

ومن غير الوجداني قوله في قصيدة بعنوان (تحية جازان) :

رسالة الشعر ، ألحـــانٌ منغمـــة — على الشفاة .. إذا انسابت أليكته

رقـت أناشيدكـم .. رقت حناجركم — فمـا أرق الصبا فيهـا .. ودوكتـه

هــذا السنوسي مـن آيات فنكمـو — شحرور جازانكم .. جازان أيكتـه[1]

وموضوعات التجربة الشعرية ليس لها حدود ، فلا تختص بالموضوعات ذات القيمة الكبيرة ، فإذا استلهم الشاعر موضوعاً حقيراً أو منظراً عاديًا ثم أضفى عليه من فكره وروحه ما يجعله كبيراً عظيماً ، فهذا مبلغ من الإبداع قد لا يصل إليه كثير من الشعراء ، كما فعل ابن الرومي في منظر الخباز[2] أو في وصف المغنية (وحيد)[3] .

وقد استطاع الرفاعي التقاط بعض المناظر العادية والاستفادة منها بصنع تجربة شعرية جيدة ، وأضفى عليها من أخيلته ما رفعها عن مستواها العادي كما في وصفه للعازف المتجول ، ووصفه للفراشة .

والحق أن كثيراً من شعر الرفاعي ، والوجداني منه بخاصة يوحي بصدق العاطفة وأنه ناتج عن تجربة شعورية ، بيد أن التجربة الشعرية لم تستطع في كثير من الأحيان أن تصور تلك التجربة الشعورية ، وأن تجلوها للعيان حق الجلاء كما كان يحس بها ، و"ليس المهم أن يعاني الشاعر تجربة عميقة ، وإنما المهم أن يوفق في تجسيدها ، ونقلها من غموض الشعور الذي لا شكل له ولا حدود ، إلى أشكال وحدود تضع القارئ في أجواء شبيهة بالأجواء التي عاناها"[4] .

---

(١) مجلة المنهل ، (المحرم وصفر ١٤٠٢هـ) .

(٢) ابن الرومي : ديوان .- الطبعة الأولى ؛ شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا .- (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٦٥ .

(٤) إيليا الحاوي : في النقد الأدبي ، ٥ أجزاء .- الطبعة الثانية .- (بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٦ م) ، ج ٥ ص ٩١ .

ثانياً : الشكل

١ - بناء القصيدة

تعد قضية بناء القصيدة العربية من أهم القضايا التي ناقشها النقد الأدبي في القديم والحديث . والحديث عنها يشمل المطلع ، والخاتمة ، والوحدة ، والطول والأشكال الشعرية .

أ - المطلع

المطلع في القصيدة أول ما يقابل القارئ فينبغي أن يكون متوافقاً مع الغرض الذي أنشئت القصيدة من أجله ، كما ينبغي أن يكون خالياً من العيوب اللغوية[١].

وقد جاءت أكثر المطالع عند الرفاعي مناسبة ، متوافقة مع الغرض الذي كتبت القصيدة من أجله ، كقوله :

سألت القلب عن دنياه ما دنياك يا قلبي[٢]

فهو في هذه القصيدة يجأر بالشكوى إلى الله من حالته التي يعيش فيها ، وقد جاء هذا المطلع يبين عن هذه النأمة الحزينة .

ومثله قوله :

المبدعون .. وكيف لي أن أبدعا قطفوا الروائع لم أجد لي مطلعا[٣]

فالذي يسمع هذا المطلع يدرك بداءة أن القصيدة في المدح .

وكذلك قوله :

لا تفزعي بعد هذا اليوم محرابي يافتنة طرقت بعد النوى بابي[٤]

---

(١) انظر : بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، الدكتور يوسف بكار .- الطبعة الثانية .- (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر ، ١٩٨٢ م) ، ص ٢٠٧ - ٢١٠.

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣ .

(٣) السلام عليك ، ص ١٣ .

(٤) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤ هـ) .

فهذا المطلع يشير إلى أن القصيدة في الشكوى من الهجر .

ويؤكد حرص الرفاعي على المطلع ، قلة المطالع المعيبة عنده ، وهي عيوب ترجع في أغلبها إلى الخطأ الصياغي ، أو اللغوي ، كقوله :

أنا أهواه كل يوم وأهوى   كل يوم بأن يزيد هيامي[1]

فالتكرار في هذا البيت أوهنه مع أنه مناسب للغرض الأصلي للقصيدة .

ومثل ذلك أيضاً قوله :

شاعراً كنت من قديم الزمان   تتغنى بالورد والشهد والغزلان[2]

فقد زاد الشاعر في الشطر الثاني لفظة (الشهد) التي أخلت بالوزن .

ومما يظهر فيه الخطأ اللغوي قوله :

أحباي في نفسي من الشعر غنوة   يجيش بها صدري وتأبى على فمي[3]

فقد استخدم لفظة (غنوة) استخداماً عاميًا كما في لهجة بعض الأقاليم .

ويرى ابن رشيق أن الخطأ في المطلع ناشئ "من غفلة في الطبع وغلظ ، أو من استغراق في الصنعة"[4]. وليس ذلك بالضرورة فقد ينشأ ضعف المطلع عن عوامل نفسية أوهنت بداية الشاعر .

وملاءمة المطالع للأغراض التي أنشئت القصائد من أجلها لا يعني أنها قد ارتقت في الحسن حتى أصبحت حكماً تردد وأمثالاً يستشهد بها كما في بعض مطالع أبي تمام والمتنبي ، وإنما يعني أنها خلت من عيوب المطالع ، وتوافقت مع سائر أبيات القصيدة ، وبشرت بالغرض الذي وضعت القصيدة لأجله .

ولا نعدم عند الرفاعي ما يعده حازم القرطاجني في أحسن المطالع حيث يأتي البيت الثاني مناسباً للأول "فيتناصر بذلك حسن المبدأ"[5] كقوله يصف حاله وهو

---

(١) (أنا أهواه) ، ١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " إلى الشاعر الفقيه " ، جريدة الندوة ، (١٤٠٥/١/٢١ هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٢ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٥) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : د . ط ؛ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة . (دار الكتب الشرقية ، د . ت) ، ص ٣٠٧ .

ينتظر صاحبته التي ضربت له موعداً ولم تف :

لجـأت لنافـذتي أرقـب ... يداعبـني أمـل خلـب

أقـول انطـوى وقـت ميعـاده ... ومـارف هـل سـاعتي تكـذب[1]

وقوله :

نهلت فكان البحر مصدرك الهامي ... فهل لـي منك اليوم مصدر إلهـام؟

ولسـت أجـاري البحر مادمت نـده ... وتمتاز رغم العمـق بالمنبر السـامي[2]

ولا يشكل المطلع عند الرفـاعي في الغـالب وحدة مـتكاملة ، وإنما نجده مـرتبطاً بأبيـات بعـده تكمل مـعناه ، وقـد يكون هذا الارتبـاط بالعطف ، أو بالمتـعلق أو بغيرهما ، كما في قوله :

هنـاك .. هنـاك علـى الرابيـة ... علـى مقلـة الزمـن الغافيـة

على سندس من وشاح الهضيب ... رمتـه علـى منكـب زاهيـة

علـى مقـرب من حفـافي الغـدير ... وفـي مسمع مـن جـوى الساقيـة

يـذوب الحنـين بأحشائهـا ... فترسـل أناتهـا وانيـة[3]

وأغلب المطالع عند الرفـاعي خبرية حيث بلغت المطالع الخبرية ستة وسبعين مطلعـاً؛ في حين بلغت المطالع الإنشائيـة تسـعـة وعشـرين مطلعـاً مـا بين قـصيـدة ومقطوعة . وقد جاءت أكثر المطالع الإنشائية في الإخوانيات حيث بلغ عدد المطالع الإنشائية فيها ثلاثة عشر مطلعاً . والنداء هو الأسلوب الإنشائي الأظهر في المطالع حيث بلغ هذا الأسلوب سبعة عشر مطلعاً .

ويظهر أن ضعف التجربة الشعورية في كثير من شعر الإخوانيات يجعل الشاعر يفزع لخبرته بصناعة الشعر ، فيجعل النداء طريقه للدخول إلـى القصيدة . ولا يفهم من هذا عـدم وجـود مطالع إنشـائيـة جيـدة عند الرفـاعي ، فـهناك بعض المطالع الإنشائيـة التي تمثل الزفرة في أول الحديث التي ينفث من خلالها الشاعـر ما يعتمل

---

(1) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ،(٢٧/ ١٠/١٣٦٨ هـ) .

(2) ظلال ولا أغصان . ص ١٤٢ .

(3) " مع الأغصان " : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨ هـ / تموز ١٩٤٨م) .

في صدره كقوله :

لا تفزعــي بعد هذا اليوم محرابي   يافتنـة طرقـت بعـد النـوى بابـــي[1]

(فلا) الناهية في الشطر الأول ، و(يا) النداء في الشطر الثاني بما فيها من مد وسيلة لإخراج النفس المحتبس في الصدر .

ومثل ذلك : الأمر في قوله :

ارم طـوق النجــاة يــارب إنـــي   فــي خضـم ولا أجيـد السـباحـة[2]

ب - الخاتمــــة

عني النقاد القدماء بالخاتمة عناية كبيرة ، قاربت عنايتهم بالمقدمة ؛ وذلك " أنها آخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حفظت من بين سائر الكلام لقرب العهد بهـا" [3] و" إذا كان أول الشعر مفتاحـاً لـه وجب أن يكـون الآخر قفلاً عليه"[4].

ومن سائر حديث القدماء عن الخاتمة "يتضح بجلاء أنهم كانوا يرون أن تحديد القصيدة بيد الشاعر نفسه"[5] ، وقد يكون تحديد النهاية في الخطبة ، أو المقالة أمراً ظاهراً ، لكنه غير ظاهر في الشعر الذي ينتهي بانتهاء التجربة الشعورية .

وعند النظر في الخواتم التي ختم بها الرفاعي قصائده لا نجده يتقيد بنوع خاص من الختام ، فقد تكون نهاية القصيدة كجزء من القصيدة ليس فيها مايدل على أنها خاتمة إلا موقعها كقصيدة (قطرة[6]، و(تحية)[7]، و(سعي بالود)[8]. ولعل ما ساعده على ذلك هو طبيعة نظام الشطرين الذي "تقدم الوقفة الشعرية للشاعر { فيه }

---

(١) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، ١٣٦٨/٧/٤ هـ).

(٢) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ،١٤١٣/١١/١٣ هـ) .

(٣) يحيى العلوي اليمني . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .- (الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م) ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج ١ ، ص ٢٣٩ .

(٥) بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، ص ٢١٣ .

(٦) انظر : ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٢ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

(٨) انظر : ١٤٠٠/١٢/١٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

مساعدة كبيرة ، لأنها هي في ذاتها وقفة ، فلا يبقى على الشاعر إلا أن يختم المعنى ، وهنا تستطيع أية عبارة جهورية قاطعة أن تؤدي المهمة"[١].

وقد تكون خاتمة القصيدة فكرة مناسبة لختام الغرض الذي تحدثت عنه القصيدة وإن كانت فكرة قائمة بذاتها كخاتمة قصيدة (ليلة عمر) التي تحدث فيها عن أصدقائه الذين احتفلوا به ، فقد ختمها بالتوجيهات العامة في الصديق والصداقة وفيما ينبغي أن تقوم عليه علائق المثقفين منهم :

أجدر النـاس بالمحبة نـاس عشقوا الحـــرف صفحــة ومـــــــدادا[٢]

ومثلها - أيضاً قصيدة (إن الهوى بهواء مكة يأسر)[٣] فقد كانت القصيدة مجالاً للذكريات في الصبا والشباب التي أدالها الزمان ، وكان الختام بالحديث إلى ذلك الزمان .

وقد تكون الخاتمة تلخيصاً لموضوع القصيدة كما في قصيدته (تساؤل) التي تساءل فيها عن مصير العبقرية ، والشاعر الذي أتعب نفسه بالجد والبحث ثم نسيه المجتمع وكأن شيئاً لم يكن ، فقد ختمها بقوله :

فهـل يذكر الزهر ؟ هـل يذكـر الـ بـدر ؟ ياخيبـة الشـــاعر المهمـل
جفتـــه الحيـــاة وعفـــت عليـــه ســنون العصـــور ولـــم تســـأل[٤]

وكقصيدة (كبد ضائعة) التي تحدث فيها عن معاناته في الحصول على أمانيه وختمها بقوله :

يـا مـن رأى كبداً ضاعـت بمهمهة جـدت وأدركها يـأس علـى سـأم
أمـــارة أنهـا رغـم السهام بهـا طـابت أريجاً بما ضمت من الضرم[٥]

---

(١) نازك الملائكة . قضايا الشعر المعاصر .- الطبعة الثامنة .- (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م)، ص ٤٤ .
(٢) انظر : ظلال ولا أغصان ، ص ١١٤ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٤١ ، وانظر : ص ٨٢ .

وقد يجعل الختام لوناً من ألوان التكرار فيكرر أحد مقاطع القصيدة ويجعله في الختام أمارة على أن القصيدة قد انتهت . ويغلب هذا في قصائد الشطر الواحد التي "كأنها لفرط تدفقها ، لا تريد أن تنتهي .. وعليه أن يستمر في تغذيتها وإطالتها رغم انتهائه مما أراد أن يقول"[1]واستشعار الشاعر صعوبة التوقف يجعله يلجأ إلى تكرار جزء من القصيدة ، وكأنه "نوع من التنويم يخدر به الشاعر حواس القارئ موحياً إليه أن القصيدة قد انتهت"[2]، وقد لجأ الرفاعي في أغلب قصائد الشطر الواحد إلى هذه الخواتم كما في قصيدته (جميلة)[3] التي ختمها بجملة (فالثأر لن يضاع) التي تكررت خمس مرات .

وكقصيدته (ياعيد)[4] التي ختمها بمقطع كامل أعيد بنفسه دون تغيير، وكان قد كرر متناثراً في أجزاء القصيدة ، وهو قوله :

ياعيـــد
والأطفـال ترفـل فـي الحريـــر
فــي موطـني
فــي كــل شـبر منـه
فـــي وطـني الكـبير
وأصيخ
للطـبل المـدوي والهـــــدير .

وقد يختم الرفاعي القصيدة بما يناسب العنوان كما في قصيدة (السلام عليك) التي ختمها بقوله :

رد الســلام فـإن وهبــت زيــادة ... فــلأنت أهــل أن تزيـد وتُشفعـا[5]

(١) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٦ .
(٣) جريدة عرفات ، (١٣٧٧/٨/١٣ هـ) .
(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٧٣ ، وانظر : ص ٩٣ .
(٥) السلام عليك ، ص ٢٠ .

وقد يقول قائل إن الشاعر وضع عنوان القصيدة بما يلائم الختام وليس العكس .

ومع أن القدماء قد كرهوا ختام القصائد بالدعاء إلا إذا كانت في مديح الملوك لأنهم يحبون ذلك ، نجد الرفاعي قد ختم ثلاثاً من قصائده بالدعاء هي قصيدة (دعاء[1]) التي يشكو فيها الأسى والحرمان ، وقصيدة (ضراعة)[2] التي كتبها وهو يصارع المرض ، ويرجو الشفاء ، وقصيدة (سبعون)[3] التي رثى فيها نفسه ، وختمها بالدعاء لأصحابه .

وظاهر مقدار التوفيق الذي أحرزه الرفاعي بهذه الخواتم . فمع أنها خارجة عما قرره النقد القديم ، إلا أنها جاءت مناسبة لغرض القصيدة ، وهذا يجعلها داخلة في النوع الثاني من الخواتم التي تتناسب فيه الخاتمة مع القصيدة وهي فكرة قائمة بذاتها .

جـ - الوحدة

يبتدئ الرفاعي بالغرض الذي أنشأ القصيدة لأجله مباشرة دون تقديم أو تمهيد ، وهذا عام في شعره لا يحتاج إلى مثال . وهو لا يزحم موضوع القصيدة بموضوع آخر وإنما نجده ملتزماً بالوحدة الموضوعية التي تجعل القصيدة ذات موضوع واحد ، من ذلك مثلاً قصيدته (سبعون[4]، وقصيدته (ظمآن)[5] ، وقصيدته (تحية)[6].

ولا نكاد نجد ما يخالف هذا الحكم إلا في قصيدتين إحداهما (تحية تونس)[7]، التي ابتدأها بمقدمة بلغت ثمانية أبيات بدأها بقوله :

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .

(٣) المجلة العربية ، (ربيع الآخر١٤١٤هـ) .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ١٣٩٨/١١/٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٧ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

شعرتان اثنتان في اللمة السو   داء قد جرتا عليّ الوبالا
قالتا تهمسان لليل سراً   نحن ركب الصباح حط الرحالا

ولم يخلص إلى الموضوع الذي أنشأ القصيدة من أجله إلا بعد خمسة عشر بيتاً من القصيدة حيث قال :

حملتني الرياض باقات حب   خفت أن لا أطيقهن احتمالا
جئت أهدي إليكم من جناها   بعض أشواقها تحن احتفالاً

والثانية قصيدة (آخن)[1] التي تناولت موضوعين أحدهما وصف الطبيعة في (آخن) ، واستغرق تسعة أبيات ، والثاني ثناء على أصدقاء له هناك ، وجاء في خمسة أبيات .

أما الوحدة العضوية التي تكون فيها القصيدة كالبنية الحية ، فلا يطالب بها في الشعر الغنائي "ولا تكون إلا في فنون الأدب الموضوعي كفن المسرحية، وفن القصة والأقصوصة ، وأما في شعر القصائد فلا ينبغي أن يطالب بها إلا في الشعر الموضوعي ذي الطابع الواقعي الذي تنبني القصيدة فيه"[2] على الحدث كالشعر القصصي الذي ظهرت فيه الوحدة العضوية عند الرفاعي كما في قصيدة (الفريسة تصيد)[3] التي تمثل لوناً من ألوان الشعر القصصي ، يقول عن وصف الحادثة وسرد وقائعها مصوراً الشخصية البطلة قبل بداية الأحداث :

بكى من أجلها قلبي   ولكن ما بكى القدر
أحاط بها فطوحها   لموج الليل يعتكر
وألقاها لمهوى القاع   يطويها فتنحدر
وخلى لحمها القتا   ن ينهش بضه وغر
إذا ما الليل آواها   تيقظ عندها وطر

---

(١) د . ت ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) الدكتور محمد مندور . النقد والنقاد المعاصرون .-(بيروت : دار القلم للطباعة والنشر)،ص٩١ .
(٣) ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

وهامـــت فـــي مجاهلـــه عســـى يصطادهـــا نمــــر

ويكمل الرفاعي باقي أحداث القصة بعد خروجها إلى الطريق والتقائها بمن كان يبحث عنها :

رأى أشـــواقها حـــيرى (وعنـــد جهينـــة الخـــبر)

فهـــدّى مـــن شكيمتـــه وهـــش الثغـــر والبصـــر

وقالـــت عينهـــا ياليـــل قـــال : الليـــل ينتظـــر

ولا تقف القصة عند هذا الحد ولكنها تتطور حتى تبلغ ذروتها . وقد تستطيع في هذه القصيدة أن تتلمس أركان القصة المعروفة كالبداية والحبكة والتنوير .

د - الطول والأشكال الشعرية

يذهب بعض النقاد في القديم والحديث إلى الربط بين منزلة الشاعر وقدرته على الإطالة في القصائد ، كابن رشيق الذي يرى "أن المطيل أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد"[1].

وأما في الحديث فنجد الناقد الإنجليزي ريد يقول : " لا يخطر على بالي اسم أي شاعر يمكن أن يوصف بالعظمة وآثاره مقطوعات قصيرة فقط"[2].

وعلى الرغم من أن القدرة على الإطالة في القصائد ليست دلالة حتمية على تفوق الشاعر فإنه لا يمكن إغفال أن الإطالة مع الإجادة مقياس من مقاييس تصنيف الشعراء ، ودليل على الغزارة ، وقوة الطبع ، والموهبة . وإن كان الاعتبار الأول لإحكام البناء ، وإجادة الصنعة الشعرية .

ولم يكن الرفاعي يحرص على الإطالة في قصائده ؛ إذ نجد أن أطول قصيدة من قصائده ذات الشطرين هي قصيدة (السلام عليك) البالغة اثنين وأربعين بيتاً. وأما

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(٢) Read H. : Collected Essay in Literary Criticism . P. ٥٧

نقلاً عن الدكتور يوسف بكار . بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، ص ٢٥٩ .

أغلب قصائده فتتراوح من ١٠ - ٢٠ بيتاً حيث بلغ عدد القصائد التي في هذا العدد تسعاً وأربعين قصيدة . وأما ما بين ٢٣ - ٤٢ فلا نجد سوى ١٢ قصيدة .

وتشكل المقطعات الشعرية ظاهرة كبيرة عنده إذ بلغت ما بين ٣ - ٩ أبيات ستاً وأربعين مقطعة ، منها سبع عشرة رباعية .

وليس هناك حد واحد متفق عليه بين المقطعة والقصيدة . فبينما يرى ابن جني أن "يسمي ما كان على ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر قطعة ، فأما ما زاد على ذلك فإنما تسميه العرب قصيدة"[1] ، يرى الفراء أن ما "بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيداً"[2]، ولعل الرأي الوسط ما نقله ابن رشيق في العمدة حيث قال : "وقيل إذا بلغت سبعة أبيات فهي قصيدة .. ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد"[3] .

وإذا كان التقسيم إلى مقطعة وقصيدة نظر إلى الاتجاه الكمي بالدرجة الأولى ، فهل يعني هذا أنه لا فرق بينهما سوى العدد فقط ، وليس هناك فرق آخر في بناء المقطعة الذي بنيت عليه ؟.

يذهب بعض النقاد إلى عدم الفرق بين المقطعة والقصيدة سوى الكم ، فالشاعر " المطول إن شاء جرد من قصيدته قطعة جيدة"[4] كما يقول ابن رشيق ولكن إذا كانت الحال هذه فلم يعدل الشاعر المقتدر صاحب المطولات إلى المقطعات الشعرية لا سيما" أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد" كما يقول ابن رشيق .

الذي يظهر أن عدول الشاعر إلى المقطعات ، إنما هو عدول من فن إلى فن. فالمقطعات فن خاص من الشعر يختلف عن القصائد ، إذ المقطعة تحوي تجربة

---

(١) ابن منظور . لسان العرب .- (بيروت : دار صادر) ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ مادة : قصد .

(٢) أبوبكر الباقلاني . إعجاز القرآن .- الطبعة الأولى .- (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م) ، ص ٢٦٤ .

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٨٨ .

قصيرة مكثفة ، لا تتناول الأفكار إلا بلمح يسير ، وتترك التفصيل للقصيدة ، إنها بمثابة الإشراقة اليسيرة التي تكشف عن زاوية من الفكرة التي تتحدث عنها . والفرق بينها وبين القصيدة كالفرق بين القصة القصيرة ، والرواية وبين الخاطرة والمقالة وهي "شبيهة بالأقصوصة القصيرة التي تميل إلى الإيحاء، والتكثيف ، وتنأى عن التفصيل، والتحليل ، والسرد ، والتقرير"[1]؛ ولذا نجد شعراء يصنعون دواوين كاملة من الرباعيات ، أو التساعيات ، ولو ضم هذا الشاعر بعض الرباعيات المتوافقات في الوزن والقافية إلى بعض لما خرج بقصيدة ولكنه يخرج بمجموعة رباعيات .

ويؤيد هذا شيوع الرباعيات في العصر الحديث مع أنها لاتتوافق في شكلها مع الرباعيات عن الأقدمين ؛ إذ إن الرباعية القديمة "تتكون من أربعة أشطر تتحد القافية في الأشطر الأول والثاني والرابع ، أما الثالث فقد يستقل بقافيته ، وقد يتحد مع الأشطر الأخرى فيها"[2] وإنما هي مقاربة للرباعية في الشعر الإنجليزي " المكونة من أربعة أبيات تتفق في قافية واحدة أو اثنتين، كما تتحد في وزن واحد أو اثنين"[3] فقد يكون شيوع الرباعيات في العصر الحديث لوناً من تأثر المعاصرين بالغربيين .

كما قد يؤيد هذا ما نجده في الأدب الأوربي من بعض الفنون الشعرية التي تختلف عن سائر الشعر ، كالسونت التي تتراوح أبياتها بين ١٢ - ١٧ بيتاً وكانت خاصة بالشعر الوجداني[4].

ولعل اتجاه الرفاعي نحو المقطعات كان لهذا السبب فهو يريد أن ينشئ ، أبياتاً

---

(١) الدكتور مسعد بن عيد العطوي . المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام .- الطبعة الأولى.- (الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م) ، ص ٥٨ .

(٢) (مجدي وهبة ، كامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب .- الطبعة الثانية .- (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤ م) ، حرف الراء ، ص ١٧٤ .

(٣) المصدرنفسه .

(٤) انظر : المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

تحكي تجربة شعورية في نفسه في أبيات مكثفة ، ولهذا نجد أنه كتب عدداً من الرباعيات في آخر حياته .

على أننا لا نستطيع أن ننفي عنه عدم القدرة على الإطالة لا سيما إذا رأيناه يطيل في الشعر التفعيلي ذي الشطر الواحد ؛ إذ بلغت قصيدة (من يوميات مئذنة مكية) خمسة وأربعين ومائة سطر . كما بلغت قصيدة (يا عيد) سطراً ومائة . وكأنه يجنح إلى الشعر التفعيلي عند الرغبة في الإطالة حتى يتخلص من قيد الوزن والقافية اللذين يضيق بهما بعض الشعراء لكونهما يتطلبان حصيلة لغوية وافرة . وقد يكون الأمر كذلك عند الرفاعي خاصة إذا كان لا يرى فرقاً بين اللونين إلا في الشكل فقط ، وتحويله قصيدة (ضراعة)[1] من قصيدة ذات شطرين إلى قصيدة تفعيلية ذات شطر واحد يؤيد هذا المذهب . إضافة إلى أنه يظهر في سائر شعر الرفاعي التفعيلي هذا الأمر. بينما يرى نقاد آخرون أن الفرق لا يتوقف على الشكل وإنما يتجاوزه إلى المضمون ، فهو نتاج ظروف اجتماعية وفنية معقدة أنتجت هذا الشكل ، فتغير الشكل نابع عن تغير المضمون[2].

وليس هناك سمات واضحة خاصة بالقصيدة التفعيلية ذات الشطر الواحد يمكن الاحتكام عليها ، إلا أن هذا النوع ضعيف عند الرفاعي ، ويظهر أنه لا يحسن الضوابط التي ينبغي أن ينظم عليه بها ، فكثير من الأشطر تأتي على غير وزن أو وزنها مضطرب كقوله :

الورقة أمامي بيضـــاء

....

الصفحة بيضاء .. ليس بها حرف واحد

---

(١) نشرت قصيدة ضراعة في أول الأمر في مجلة المنهل العدد ٤٧٨ ، س ٥٦ ، مج ٥١ ، رجب ١٤١٠هـ ، بشطرين ثم أعيد نشرها في (ظلال ولا أغصان) ص ١٦ مقطعة .

(٢) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، ص ٥٤ ومابعدها ، والدكتور عبدالله بن محمد الغذامي . الصوت القديم الجديد .- الطبعة الثانية .-(الرياض :دار الأرض ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م) ، ص ٤٧ وما بعدها .

ومن الخير تظل الصفحة بيضـاء ..

لا نقطـة حبر زرقاء

لا نقطة حبر سوداء

فوزن هذه الأشطر الخمسة مضطرب ؛ إذ نجد الشطر الأول مكوناً من سبب خفيف ثم سببين ثقيلين ثم وتد مجموع . بمعنى أن فيه ستة متحركات متوالية ، وهذا أمر لا وجود له في الشعر العربي الذي يقوم على تناسق الحركات والسكنات . وقد جاء على نحو هذا المقطع كثير من أجزاء القصيدة .

ومثل هذه القصيدة (من يوميات مئذنة مكية) التي يصعب على القارئ أن ينظمها في وزن كقوله :

هذا اليوم ثلاثاء

اليوم الأول لمحرم

من عام هجري بازغ

لختام القرن الرابع

بعد العشر

فالشطر الأول في هذه القطعة غير مستقيم وزناً ، والشطر الذي يليه اضطربت فيه الحركات والسواكن فجاء على زنة متفاعل (مضمرة ، مقطوعة)[1] ، فاعلن ، متفاعل .

ولا يتضح الأساس الذي يقسم الرفاعي عليه القصيدة إلى أشطر ؛ إذ لا يظهر داع موسيقية كبيرة ، ولا معنوية تدعو إلى هذا التقسيم ، ففي قصيدته (من يوميات مئذنة مكية) يقول :

لم أتوسم فيه الخير

من أين يجيء الخير ..؟

(١) الإضمار هو تسكين الثاني المتحرك . والقطع هو حذف آخر الوتد المجموع وتسكين ما قبله . انظر : الدكتور أحمد محمد الرصد ، العروض والقوافي .- الطبعة الثانية .- (القاهرة : دار الطباعة المحمدية . ١٤١٠ هـ /١٩٨٩ م) ، ص ٢٦ ، ٣٣ .

في رجل يتأبط

أدوات الموت ..؟ !

ففصل المفعول به (أدوات الموت) عن فعلها وقسم الجملة قسمين دون كبير فائدة في المعنى ولا في الموسيقى ، ولو كانت :

من أين يجيء الخير .. ؟

في رجل يتأبط أدوات الموت..؟ ! .

لكان أولى . أو لو أعاد كلمة يتأبط مع (أدوات الموت).

وتتضح عدم الدقة في التقسيم حين نجده يفصل التفعيلة الواحدة في شطرين ، فيأتي بعضها في كلمة في شطر ، والباقي في كلمة في شطر يليه فيقع بما تسميه نازك الملائكة (التدوير)[1] كما في قوله :

يا عيد

في قلبي ..

وفي أغوار نفسي

في الحشاشة من ضمير

لوعة حرى

تمزقني

وتغتال البقية من سروري[2]

فهذه القصيدة جاءت على تفعيلة بحر الكامل ، ونجد كل شطر ملتحماً بالشطر الذي يليه في بعض أجزاء التفعيلة . فالتفعيلة الأولى (متفاعلن) يقابلها (ياعيد في) والتفعيلة الثانية يقابلها (قلبي وفي) وهكذا في سائر القطع و"استخدام الأوزان العربية المقررة بهذه الطريقة يخل خللاً بارزاً بإيقاعها ، ويؤثر أثراً مخلاً

(١) انظر : قضايا الشعر المعاصر ، ص ١٨٠ ، وقد أدخلت هذا اللون من التدوير (تدوير التفعيلة) ضمن حديثها عن (تدوير الكلمة) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٧٢ .

بالنغم العام في البيت عندما يتضارب الإيقاع في بداية البيت وفي نهايته ، وذلك بسبب إضافة إيقاع مفاجئ في أول البيت وبتر الإيقاع في آخره ، فيضطرب ذهن القارئ ويتصادم ذلك مع ما كانت الأنغام تحدثه في نفسه ، ولن يدرك القارئ السر إلا بإعادة القصيدة المرة تلو الأخرى ، ليصل إلى إدراك ما حدث . وإذا وصل إلى ذلك فإنه سيعالج الموقف بالربط بين أجزاء التفعيلات في قراءته لها ليقيم الإيقاع فيها . وليس في ذلك ميزة فنية - إذ لوكتبت كما هو معروف عنها لكان ذلك أجدى وأضمن لتأثير القصيدة على القارئ . ويعتمد في الربط بين الأبيات وتحقيق اتحادها على المعنى ؛ إذ ليس كالمعنى وموسيقى الأفكار رباط مأمون بين الأبيات لبناء الوحدة الكاملة فيها وذلك باستخدام التضمين"[1].

ويعود هذا الاضطراب إلى الحرية في الشعر التفعيلي في تحديد عدد تفعيلات الشطر ، حتى أصبح لامقياس لطوله وقصره إلا ذوق الشاعر ، وأصبح هناك خلاف في تحديد طوله فنازك الملائكة - ترى أن الشعر الحر " شعر ذو شطر واحد"[2] و"ينبغي أن ينتهي كل شطر فيه بقافية (أو على الأقل بفاصلة تشعر بوجود قافية)" [3] على حين يرى الدكتور محمد حماسة عبداللطيف أن الشطر أو " البيت «كما يسميه» في القصيدة الحرة هو مجموعة التفعيلات التي تنتهي بقافية أياً ما كان عدد التفعيلات ، وأياً ما كان نوع القافية ، وسواء أكتب على سطر واحد أم على عدة أسطر"[4] وعلى قوله فكل ما نقل في الفقرة السابقة من قصيدة (ياعيد) هو بيت واحد ، وقد فاته في هذا القول النظر في أمرين :

الأول : أن كثيراً من الشعراء يقفي شطراته بقواف مطلقة تصلح لأن تكون قافية كما تصلح أن توصل بما بعدها وتكون بيتاً كماسماه .

---

(١) الصوت القديم الجديد ، ص ٦٧ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٧٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٤) الدكتور محمد حماسة عبداللطيف . الجملة في الشعر العربي .- الطبعة الأولى .-(القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م) ، ص ١٦٦ .

الثاني : هذا اللون الذي يظهر عند الرفاعي بحيث يقسم التفعيلة الواحدة جزءين وتكون بداية الجزء الثاني مبتورة غير موسقة ، ما الحل فيه ، إذ أن الوقف على الجزء الأول مناسب لأن يكون قافية ، ولكن البداية في الثاني غير مناسبة مما يجعل القارئ مضطراً للوصل ، وهنا لن تسلم له قاعدته التي أقام .

وبالإضافة إلى الشكلين السابقين يظهر عنده الرباعيات ، كما في قصيدة (موكب الحسن)[1] التي تتكون من ثماني رباعيات كتب أربعاً منها على شكل القصيد ، في كل سطر شطران ، وكتب الأربع الأخرى في كل سطر شطراً واحداً ، وقد جاءت الأشطر الأربعة متفقة في حرف الروي ، ومثلها أيضاً قصيدة (ربى المثناة)[2] وقد كتبها على شكل القصائد في كل سطر شطران متقابلان ، ولم يأت على هذا النوع سوى هاتين القصيدتين ، بالإضافة إلى قصيدة أخرى جاءت على شكل اختلط فيها المربع بالمخمس جاء في أولها أربعة شطر هي : [3]

فاتـــن المســـيال ياحلــو التثــني
مـــا الـــذي أغـــراك أن تـزورّ عـني
وأنـــا الشـــاعر مازلـت أغـــــني
لهـــواك البكـــر فـــي أعـذب لحـن

ثم أعاد الشطر الأول في آخر المخمس وبعدها أنشأ فقرة جديدة ، الأبيات الثلاثة الأولى منها جديدة وأعاد معها الشطر الثاني من الفقرة الأولى، مع الشطر الأول فجاءت :

الأصيـــل الحلـــو قـــد ذوب تبـره
والريـــاض الحـــو بالأزهـــار نضـره
وعلـــى المســـيال تســـآل وحـــيره

---

(١) مخطوط ، مؤرخ في ١٣٦٨/٤/٢٠ هـ ، في دار الرفاعي .
(٢) مخطوط ، مؤرخ في ١٣٦٣ هـ ، في دار الرفاعي .
(٣) مخطوط ، مؤرخ في ١٣٦٨/٩/١٥ هـ ، في دار الرفاعي .

مـــا الـــذي أغـــراك أن تزور عـــني
فاتـــن المســـــيال ياحلـــــو التثـــني

وفي الفقرة الثالثة أعاد الشطر الثالث من الفقرة الأولى رابعاً لها مع الشطر الأول وفي الرابعة أعاد الشطر الرابع بتغيير يسير فيه مع الشطر الأول .

وظاهر من هذا التقسيم أن هذه القصيدة اختلط فيها المربع الذي يقوم على تكرار الرابع بالمخمس الذي يقوم على تكرار الخامس ، وقد لا يعد هذا الشكل من الأشكال الشعرية بقدر ما يعد لوناً من ألوان التكرار .

٢ - الأسلوب

اختلف مفهوم الأسلوب في العصر الحديث ، وتعدد حتى بلغ حداً يصعب معه الفهم الدقيق لهذا المصطلح[١]. "وقد أدى هذا إلى أن يقوم كثير من الباحثين في مقدمة كتبهم لعلم الأسلوب بعرض مجموعة من التعريفات تصل في بعض الأحيان إلى نيف وثلاثين تعريفاً"[٢] .

وقد يكون من أقدم التعريفات مفهوم شارل بالي الذي "يتمثل في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفياً على المستمع أو القارئ"[٣]، فكأنه يجعل مفهوم الأسلوب يرتكز على جانبين الأول اللغة ، والثاني التأثير العاطفي على المتلقي .

ويعادل هذا المفهوم اللغة التي "تكشف في كل مظاهرها وجهاً فكرياً ووجهاً عاطفياً ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري ، وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها"[٤].

---

(١) انظر : أحمد محمد المعتوق ." مفهوم الأسلوب دراسة نظرية نقدية " ، مجلة التوباد ، العدد ١٥ ، (ذو الحجة ١٤١٣ هـ) .

(٢) الدكتور صلاح فضل . علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، (القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢ م) ، ص ٨٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) Charles bally : traite de stylistiaue Francaise - Paris 91 p.12 .
نقلاً عن : عبدالسلام المسدي . الأسلوبية والأسلوب .- الطبعة الثالثة .- (الدار العربية للكتاب ، د.ت) ، ص ٤٠ .

ويكاد يفهم مما تقدم أن دراسة الأسلوب ستقوم على دراسة عناصر اللغة التي تتمثل بالألفاظ والتراكيب ، وأثرها في توصيل الرسالة التي حملها إياها الشاعر على النحو التالي :

أ - الألفاظ

تتسم الألفاظ عند الرفاعي بالسهولة ، والوضوح ، والبعد عن الغرابة ، والابتذال . فقد كان يسعى لانتقاء ألفاظه من لغة الشعر العربي الحديث التي اعتمدت الوضوح والواقعية . والاطلاع السريع على شيء من شعره يثبت هذا .

وقد يجد المتتبع لشعره خروجاً على هذا الحكم العام في بعض ألفاظه كما في لفظة (غنوة) في قوله :

أحباي في نفسي من الشعر غنوة   يجيش بها صدري وتأبى على فمي[1]

فهي من الغنى كقولهم "لي عنه غنوة أي غنى"[2] ، والشاعر يقصد (أغنية) لأن الشعر من الغناء ، ولأن العنوان جاء على الصحيح ، وكلفظة (دوكة) في قوله :

رقت أناشيدكم .. رقت حناجركم   فما أرق الصبا فيها .. ودوكته[3]

وهي تعني دق الشيء وسحقه ، وصلاءة الطيب ، والاختلاط[4].

وهذه المعاني غير مناسبة لسياق البيت ، وأقربها صلاءة الطيب التي قد تكون ذات رائحة طيبة تناسب الصبا ، مع البعد في ذلك .

وكلفظة (غريض)، ولفظة (القتان)، في قوله :

الينابيع شعره ما تغيض   يتزاحمن تالد وغريض[5]

وقوله :

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٢ .

(٢) لسان العرب : مادة غناء ، ج١٥ ، ص ١٣٨ .

(٣) تحية جازان " : مجلة المنهل ، (المحرم وصفر ١٤٠٢هـ) .

(٤) لسان العرب : مادة دوك ، ج ١٠ ، ص ٤٣٠.

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٧ .

وخلـــــى لحمهـــا القــــتا ن ينهـــش بضـــه وغـــــر[1]

فهاتان اللفظتان غريبتان يحتاج القارئ إلى الرجوع إلى المعجم لإدراك معناهما، فلفظة (غريض) بمعنى جديد، وهي تستخدم للحم الطري ، ونقلت للحن الجديد[2] ولم يتبين معناها إلا حين قابلها (بتالد) ، ومثلها لفظة (القتان) المشتقة من القتين بمعنى"القليلة الطعم من النساء النحيفة"[3].

وكلفظه (مقفنوا) و(يأرموا) ، في قوله :

مقفــــوا الآمــــن مــــن أوطاننا

يأرمـــــــوا أشـــــــلاءنـــــا[4]

فاللفظة الأولى ليست موجودة في المعجمات العربية ، والثانية بمعنى أفنوا أو عضوا على كما في اللسان[5]، وهما لفظتان غريبتان .

ومثل ذلك لفظة (الديدان) المبتذلة في قوله :

فالغراب الخسيس ينعب في القصـ ـــر همـه أن يعيـــش للديـــدان[6]

وقد يميل الرفاعي عن المستوى الأدبي العام في بعض أشعاره فترد عنده بعض ألفاظ غير أدبية ، مما يردده العامة في أحاديثهم ، وذلك مراعاة للموضوع الذي كتب فيه كالإخوانيات التي تعتمد على المباسطة ، والدعابة ، أو كالأغراض الاجتماعية التي تتجه في خطابها نحو رجل الشارع فيلزم منها أن تكون واضحة ، تناقش موضوعاته بلا ترفع ، وبألفاظه ذاتها .

يظهر الأول في قصيدته (ياسيدي) التي يرد فيها لفظة (كفر) و(طقم) وذلك في قوله :

---

(١) " الفريسة تصيد " ، ١٤١١/٨/٢٤ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) انظر : لسان العرب ، مادة غرض ، ج ٧ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٣) المصدر نفسه ، مادة دوك ، ج١٠ ، ص ٤٣٠.

(٤) " حقد " : مجلة حراء ، (١٣٧٨/٧/١٢ هـ) .

(٥) انظر : لسان العرب ، مادة أرم ، ج ١٢ ، ص ١٣ - ١٤ .

(٦) " وصدى عتاب " : جريدة عرفات ، (١٣٧٨/٥/٤ هـ) .

يـــا ســيدي واللـــه يجـــزي مـــن شكـــر
سيـارتـــي انشـــق بهـــا اليـــوم كفـــر
فـــإن تفضلـــت بـــــه (طقمـــاً) أغـــر
فأنـــت أهـــل الفضـــل والفضـــل أثـــر[1]

وفي قصيدته (في غمرة الثراء) حيث ورد فيها ألفاظ (العمائر ، القصور، الصيرف ، العقار) ، يقول الرفاعي :

إن كـــان شغـــل النـــاس فـــي هـــذا الزمان هـو الدراهم والعمـائر
والأرض يستهمـــون فيهـــا والعقـار وكـل مـا تجـني المتاجـر
فهنـاك فـــي وســـط الزحـــام مـــن الألـــى قـــوم نـــوادر
شغلـــوا بصـــيرفة العلـــوم وفـــي العلـــوم لهـــم مـــآثر[2]

أما النوع الآخر فيظهر في رباعياته الأربع (عجبت) التي تتحدث عن بعض الملاحظات المدنية ، ومن تلك الألفاظ (مطبات ، إشارة مرور ، ملفات ، مجاري ، الحواري) ، يقول الرفاعي في إحداها :

عجبت إلـى الشـوارع في الحواري مطبـات .. ملفـات .. مجـاري
ظـلام دامـس لا نـور فيـه سوى نـور يوصـوص فـوق داري[3]

وقد يعد هذا الميل لوناً من ألوان مراعاة مقتضى الحال .

وسلك الرفاعي أسلوباً واحداً بوجه عام في أغلب قصائده . وهذا لا يمنع أن يكون للموضوع الذي يعالجه تأثير على ألفاظه ؛ ذلك أننا نجد بعض الألفاظ ترد في غرض دون آخر ، كما نجد ألفاظاً أخرى شائعة في شعره .

ويكاد يكون المصدر الأول لهذه الألفاظ هو محور الطبيعة الصامتة والمتحركة من نحو : الليل ، والنهار ، الغصن ، البلبل ، البحر ، الأصيل ، الزهر ، الجدول ،

---

(١) (ياسيدي) ، ١٣٧٥/٥/١٦ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) " في غمرة الثراء " ، ١٤٠١/٦/٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٣) (عجبت) ، ١٣٧٩/١١/٢٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

الخمر . وقد كانت هذه الألفاظ أداة من أدوات التصوير عنده سواء في الوصف أو في غيره ، وهي صدى للاتجاه الإبداعي (الرومانسي) الذي يعنى بالطبيعة والحلم والهيام بهما .

أما الألفاظ التي تكثر في غرض دون آخر فتلك التي تظهر في الإخوانيات دون الوجدانيات أو في الوجدانيات دون الإخوانيات ، فمثال الألفاظ التي تكثر في الإخوانيات (الزيارة ، العتاب ، الود ، النبل ، الخلق ، مروءة ، ذكر الهدية) ، وهي مما يتداوله الأصدقاء فيما بينهم وقد تدور في أحاديثهم . ومثال الألفاظ التي تكثر في الوجدانيات (الهجر ، الوجد ، الفؤاد ، الهوى ، الشوق ، الوجنتين ، أغراك ، الأمل ، الألم ، الموعد) ، وهي مما يكثر في الحديث الذي يتصل بالوجدان كالشكوى والحب .

أما الألفاظ التي تدل على النضال ، والحرب والنهضة ، والتي تكثر في دواوين الشعر الحديث[1]، فلا تظهر عنده إلا بقلة كما في رباعياته الأربع التي أشير إليها سلفاً وكما في شعر المناسبات نحو قصيدته (كلمة .. إلى الجزائر)[2] و(تحية تونس[3]. وقد يستفاد من هذا أن الرفاعي في شعره كان منكفئاً على ذاته ، وأنه قد جعل الشعر غناءً ذاتياً يبث فيه شكواه ونجواه بعيداً عن الجانب الإصلاحي في الشعر ، وبعيداً عن المجتمع بهمومه ، وآماله ، وآلامه ، وهذا ما تؤيده موضوعات شعره التي تم عرضها فيما سبق . وهذا خلاف ما عليه نثره .

وقد يقحم الرفاعي بعض الألفاظ التي لا تضيف معنى في حشو البيت أو في قافيته ، وهو ما سماه البلاغيون القدماء بالحشو،[4] وهي سمة ظاهرة عنده وكانت سبباً في ضعف بعض شعره . ومن ذلك لفظة (محضاً) في قوله :

بارك الله في عطائك محضاً　　　لعباد تريد رب العباد[5]

---

(١) انظر : الدكتور عبدالله الحامد . لغة النص الأدبي ، مخطوط لدى الباحث .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) انظر : بغية الإيضاح بتلخيص المفتاح ، ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٧٠ .

فليس في قوله (محضاً) فائدة إلا تكميل البيت ، ومثل ذلك قوله :

يجمع المشرقين دين حنيف لم يزل بيننا الملاذ المآلا[1]

فقد اكتمل المعنى عند لفظة (الملاذ) فجاء بـ (المآلا) إكمالاً للقافية ، وكذلك قوله :

فآب عندك سهلاً ميسراً محبوبا[2]

فلفظة (ميسر) هي (سهل) .

وربما قلبت هذه اللفظة المعنى المراد كما في قوله :

عظة لو تمر بالحجر الصلـ ـد مراراً لفجر الأرض ثائر[3]

فلفظة (مراراً) أفادت إضعاف أثر الموعظة في الحجر ، وهذا مالا يريده الشاعر . وإنما يريد المبالغة في وصف أثر الموعظة التي نحن عنها غافلون ، ولعله أراد مروراً فيفيد اللفظ معنى جديداً .

ويقل ورود الألفاظ العامية حتى لا نكاد نجد سوى ألفاظ قليلة كقوله :

مجلس الأمن "يالدانا لدانا" قد كفانا لأنه قد أدانا[4]

وإنما أراد بإيراد " يالدانا لدانا " هجاء مجلس الأمن الذي لا يؤدي خدمة ولا يقوم بمهمة ، فلا دلالة في أرض الواقع فهو مماثل لهذه اللفظة .

ومثلها الألفاظ الأجنبية ، وأكثر ما جاءت الأجنبية أعلاماً كما في لفظة (بدوان) التي جاءت في قوله :

قد قلت للمجد ، والأيام ألوان من ذا حليفك ؟ قال : الملك بدوان[5]

وكلفظة (الإيفل) في قوله :

موكب للجمال يسري فلما وصل (الإيفل) استراح الساري[6]

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

(٤) (مجلس الأمن) : جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/١٢/٢٦ هـ) .

(٥) (قد قلت للمجد) ، ١٤٠٦/٣/٢١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) " آخن " . في ١٤٠٨هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ولفظة (التاكسي) في قوله :

عجبت لسائق التاكسي يشكو ... مزاحمة الغريب ومنه نشكو[1]

وتعد ظاهرة التكرار من أكبر الظواهر الأسلوبية عند الرفاعي ، إذ تنتشر في أغلب قصائده ، ويأتي التكرار عنده على نوعين : تكرار في الألفاظ وتكرار في التراكيب .

والتكرار في الألفاظ - أيضاً - نوع تتكرر الألفاظ في أماكن مختلفة من القصيدة على غير نظام سابق كقوله :

أنا أهواه كل يوم وأهوى ... كل يوم بأن يزيد هيامي[2]

وقوله :

إن من يبتني النفوس لبان ... لم تطاوله في البناء الأيادي

عبقري يبني بكل فؤاد ... عبقريًا يأتي زكي الفؤاد

والذي يبتني الصروح مشيد ... إنما يبتني النفوس الهادي

وبناء الصروح سهل لبان ... وبناء النفوس صعب القياد[3]

ففي هذين الشاهدين نجد الألفاظ شبه المكررة منتشرة لا تقوم على نظام محدد . أما النوع الآخر فهو ما يكون للألفاظ المكررة أماكن محددة تتردد فيها ، وقد يكون المكرر حرفاً كما في قوله :

صرت بعد المشيب تغزل نسجاً ... مخمليًّا لكن لغير الحسان

للزمان الحرون للناس للعيش ... وللمشكلات ، والأحزان[4]

فتكرار الحرف "نوع دقيق «من التكرار» يكثر استعماله في شعرنا الحديث"[5]، يجدد المعنى الذى جيء بالحرف لأجله ، فيكون سبباً في يقظة القارئ وارتباطه

---

(١) (عجبت) : ١٣٧٩/١١/٢٥ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) (أنا أهواه) ، في ١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٦٩ .

(٤) " تحية إلى الشاعر الفقيه " ، جريدة الندوة ، (١٤٠٥/١/٢١هـ) .

(٥) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٧٣ .

بالصورة التي في القصيدة .

كما قد يكون كلمة بحيث تأتي في أول البيت فيستخدمها لإظهار مافي نفسه كقوله :

وكـم قـد سباه دلال الحـديث ... وريـق ألفاظـه السـاحرة

وكـم قـد تصبتـه سخريـة ... توقعهـا نغمـة سـاخرة

وكـم أوحـت الشعـر إيمـاءة ... تـزوده قـوة شـاعـرة

وكـم حبـب الوجـد زوراتـه ... إذا الهجـر أمسى بـلا آخـرة[1]

وقوله :

وفيها رفيف الزهر صحواً وناعساً ... وفيها معاني الزهر للعطر تنتمي

وفيها اصطفاق الموج يحنو لشاطئ ... ندي على أحضانه النضر يرتمي

وفيها هدير الموج يدفق صاخباً ... وفيها رؤى الأشباح آفاق عيلم

* * *

بها هجعة الصحراء عطشى تشوقها ... منى القطر أو طيف السحاب المخيم[2]

ثم يكرر الشاعر الجار والمجرور (بها) بعد هذا البيت خمس مرات .

وكقوله :

هـو فـي صحوتي أنيس يقيني ... وهـو طيـف محبب فـي منامي

وهـو فـي نشـوتي صبابة صحـو ... وهـو في غيبـة المنى أحلامـي[3]

وقد يكون تكرار الضمير هنا تلذذاً بذكر المحبوب . والتكرار في أساسه يقوم على أن الشاعر يعيد الضرب على الألفاظ ذات الارتباط الشديد بعاطفته ، ولإحساسه بأن هذه الألفاظ تظهر ما يعتلج في نفسه من مشاعر ، وتكرارها وسيلة لإشاعة تلك المشاعر في سائر جسد النص فهو بمثابة نقل الأجزاء الملتهبة لإشعال

---

(١) " صورة " ، ١٣٦١ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٣ ، وانظر : ص ٥١ ، ١٤٢ .

(٣) (أنا أهواه) ، في ١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

باقي النص . فهذه الألفاظ ذات اتصال وثيق بما يدور في نفس الشاعر ؛ ولذا قال ابن رشيق "أولى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء ، لمكان الفجيعة وشدة القرحة"[١] .

ولا يظهر من أغلب النماذج السالفة أن التكرار جاء لهذه المعاني بل إنه في كثير من الأحوال ليصدق عليه قول نازك عن التكرار عند بعض الشعراء ، إذ تقول : "إن طائفة من الشعراء تضيق بهم سبل التعبير فيلجأون إلى التكرار، التماساً لموسيقى يحسبون أنه يضيفها ، أو تشبهاً بشاعر كبير ، أو ملأً لفراغ"[٢].

فالرغبة في ملء الفراغ الذي أحدثه برود مشاعره عند إنشاء العمل الأدبي ، دفعته إلى هذا التكرار سعياً منه لبث عاطفة هامدة .

على أن هذا التكرار ليس في الضعف سواء ، فما جاء في الوجدانيات لإثارة العاطفة أقل ضعفاً مما جاء في شعر المناسبات لملء فراغ الموسيقى .

وهذا الحكم العام ليس ضربة لازب على التكرار عند الرفاعي . إذ لا نعدم نماذج جيدة من التكرار أضفت على النص حيوية ، ودلت على ما يعانيه هو من أسى ، وما تعنيه تلك الألفاظ المكررة في حياته ووجدانه .

فمن أمثال التكرار الجيد في الحروف ، تكرار (الكاف) في قوله :

تركتني كالزهر مشتاقة ... أوراقه للطل عند الصباح

كالبلبل الغريد ضل السرى ... للروض حتى مل حلو الصداح

كالنبعة الولهى على شاطئ ... يحلم بالنبع وكأس قراح[٣]

ومثلها كذلك تكرار (لا) النافية في قوله :

تهمتك ياساعتي بالضلال ... وما إن ضللت ولا العقرب[٤]

ومن أمثال التكرار الجيد في الكلمات قوله :

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج٢ ، ص ٧٦ .

(٢) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٦٥ .

(٣) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) " انتظار " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٧/٢هـ) .

جراحـــي نازفـــات مـــا تطيـــب   فمـــاذا فـــي جـــراحي يـــاطبيـــب
أجرحـــي غـــير جـــرح الناس أعمـــى   أصـــم فـــلا يـــرى أو يستجيـــب[1]

ومثل ذلك أيضاً تكرار لفظة (ظمآن)في قصيدة (ظمآن)[2] حيث تكررت اثنتي عشرة مرة ، ولفظة (سبعون) في قصيدة (سبعون)[3] حيث تكررت ثماني مرات ، تحمل في كل مرة إشراقاً متجدداً ، ومعاني كثيرة ليست في التي قبلها .

وقد يرد اللفظ معرفاً أو منكراً فيفيد دلالة أخرى إلى دلالته الأصلية ، فمثال ما جاء فيه الاسم معرفاً قوله :

أنـت الطبيـب فكيـف ضـل سبيلي   عـن نهجـك الأسـنى وتاه دليلـي[4]

فلفظة (الطبيب) معرفة بأل العهديّة التي تفيد جعله سبحانه الطبيب العالم بأدواء المرضى وأدويتهم . كما أن تعريف الطرفين قد يفيد الحصر بأنه هو وحده الطبيب دون سواه .

ومثل ذلك قوله :

وأنـــا العاشـــق مازلـــت أغـــني[5]

وقوله :

أنـت الثريـا بـل مجـرات المـدى   قـد فقتهـن جميعهـن المطلعـا[6]

فتعريف الطرفين مع تقديم المسند إليه أفاد قصر المسند على المسند إليه دون سواه .

ومثال ما جاء الاسم معرفاً بغير الألف واللام قوله :

خـاض مـا خـاض في خضم المعاني   وجلاهـا فمـا عـراهـا غمـوض[7]

---

(1) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٨ .
(2) " ظمآن " : مخطوط ، ١٣٩٨/١١/٩ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(3) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .
(4) (أنت الطبيب) ، في ١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(5) " فاتن المسيال " : ١٣٦٨/٩/١٥ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(6) السلام عليك ، ص ١٤ .
(7) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٩ .

فالاسم الموصول يفيد الإبهام لما خاضه ، وهو إبهام يدل على الكثرة والتنوع .

ومثال ما جاءت الألفاظ فيه منكرة فأفادت معاني جديدة قوله :

فامدد إليّ بفيض حلمك سلماً ولكل من ضل الطريق مثيلي[1]

فلفظة (سلماً) جاءت نكرة لإفادة العموم ، أي سلم دون وصف أو تقييد .

وقوله :

ويزرعون بدوراً في غياهبنا لو لا مصابيحهم من كان جلاها[2]

فلفظة (بدور) جاءت جمعاً نكرة لإفادة التكثير . ومثل ذلك لفظة (قدرة) في قوله :

تمنيت لو أن لي قدرة تشف لي الدرب لا يحجب[3]

فقد جاء التنكير هنا للتعظيم ، وإلا فأي قدرة هذه التي ستشف له الدرب وتكشف عن الحجب .

وقد يأتي اللفظ معرفاً مرة ، ومنكراً أخرى ، كما في قوله :

وغاب بأفقهم قمرٌ ليشرق عندها القمر[4]

ويظهر هذا اللون بكثرة في قصيدة (سبعون)[5] من نحو لفظة (الشباب) في قوله :

سبعون في درب الطفولة شوكة أما الشباب فليس ثم شباب

ولفظة (القباب) في قوله :

سبعون ظن أحبتي أني بها أعلي القباب وما هناك قباب

ولفظة (السراب) في قوله :

حقاً رفعت على السراب دعائمي لا عجب أن ذابت وظل سراب

ولفظة (تراب) في قوله :

---

(١) (أنا الطبيب) :١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) (هم يجمعون) : جريدة المدينة ،(١٤١٣/١/١٥هـ) .

(٣) " انتظار " : البلاد السعودية ،(١٣٧٠/٧/٢هـ . وانظر : " ابذر غيرها " ،١٣٩٩/٧/٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) " الفريسة تصيد" : ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٥) المجلة العربية ،(ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

حنَّتْ إلى عبق التراب جوانحي لا غرو يشتاق التراب تراب

ولا يخفى أن هذه الألفاظ التي جاءت مرة منكرة ، وأخرى معرفة ، كانت تحمل في كل مرة دلالة خاصة وشى بها سياق البيت . فاللفظة المعرفة عرفت بأل التي قد تفيد العهد أوتفيد الجنس ، وهي بهذا أو ذاك قيد للشباب ، والقباب ، والتراب ، والسراب ، وقد يكون قيداً يفيد التعظيم مقارنة بمكانة الشاعر الأدبية والاجتماعية ، ثم يأتي التنكير ليطلق هذه الألفاظ من قيودها العرفية واللغويّة ليدخلها حيز العموم أي شباب أكان ضعيفاً أم قوياً ، وكذلك القباب ، وقد جاءتا في سياق النفي ، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم[1].

أما لفظة (السراب) فمع أن (السراب) سواء عرِّف أو نكر لا يخرج عن كونه خداعاً وكذباً إلا أن الشاعر لم يرض به إلا منكراً ليبالغ في السراب الذي بقي .

وقصيدة سبعون بصفة خاصة يكثر فيها التنكير حتى بلغت القوافي المنكرة في القصيدة سبعاً وعشرين قافية من ثلاث وثلاثين قافية . ولعل هذا التنكير صدى لشعور الرفاعي العائم ، الذي يبتعد عن المحدد المحصور ، ويجنح إلى العام المطلق الذي يكون فيه التنفيس أكثر وأيسر .

والضمير الغائب هو الأكثر شيوعاً عنده في جميع الأغراض ، إلا في الوجدانيات التي يكثر فيها الحديث عن الذات ، فقد تفوق فيها ضمير المتكلم فجاء بنسبة ٤٦,٤٪ في حين لم تصل نسبة ضمير الغيبة ٢٧,١٪ .

وهذا التفوق لضمير الغائب لا يعني نفي اختلاف نسبة الضمائر من قصيدة إلى أخرى إستجابة للموقف الشعري الذي أنتج القصيدة فقد يشيع ضمير المخاطب في بعض القصائد للدلالة على "الحضور والتمثل في ذهن المتكلم"[2] كما في قصيدته (السلام عليك) التي يقول فيها :

---

(١) انظر : عبدالقادر بن بدران الدمشقي . المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل .- الطبعة الثالثة .- (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، ص ٢٣٩ .

(٢) ناصر بن سعد الرشيد ." لامية أمية بن أبي الصلت وعاطفة الأبوة": كتاب علامات ، جدة ، ج ٢ ، مج ١ ، (جمادي الآخرة ١٤١٢ هـ) ، ص ٤٨ .

وحججــت للقدس الشريف تؤمــه بــل أنــت كنـت به الإمام الجامعا[1]
هذي القداسات الثـلاث جمعتها وامتـزت حين أضفـت قدساً رابعاً

وقد بلغت نسبة ضمير المخاطب فيها ٣٩,١٪ بين الضمائر في حين جاءت نسبة ضمير الغيبة ٤٠ ٪ .

ونتيجة لشيوع ضمير الغيبة جاءت أغلب الأفعال عنده مسندة إليه ، إلا في قصيدة (سبعون)[2] التي كثر فيها إسناد الفعل إلى الاسم الظاهر .

والمتأمل لهذه الأسماء الظاهرة يجدها إما نكرة ، أو معرفة (بأل) ، ولم يأت معرفاً بالإضافة إلا خمسة ألفاظ أضيفت إلى (ياء) المتكلم وهي : (أحبتي ، حظي رفقتي ، جوانحي ، مطامعي) والاسم المنكر والمعرف بأل يفيدان استقلال المعرف بخلاف الاسم المضاف الذي يفيد إنتماء الاسم المعرف إلى غيره .

وقد كان الرفاعي ساعة كتابة القصيدة مريضاً متبرماً من الحياة ، ينظر إلى نفسه ، ومسيرته نظرة تقويمية يدل عليها قوله :

إنــي لــدى التعــريف ربــع مثّقف صحــب الكتــاب فلـم يخنه كتاب

ونتج عن هذا التقويم الإحساس الشديد بالإخفاق كما في قوله :

أنا ما خدعتهـم .. ولكــن غرهـــم حظــي لديهـم والحظـــوظ عجــاب
أنا من بنيـت علـى الخيـال قواعدي فتصـــدعت وانهـــارت الأطنـــاب

فاجتمع عليه المرض ، والملل من الحياة ، والإحساس بالإخفاق فكان يريد أن يخلد إلى الراحة ، ويلقي عن كاهله هذه المتاعب خاصة الإحساس بالإخفاق، ويرميها على غيره ليحمله المسئولية ، فألقى بالفعل على غيره ليتخلص من مسئولية حمله ، وماينم عنه من زيادة الأسى والحزن ؛ ولذا جاء الفعل مسنداً إلى ظاهرٍ غير مضاف إلى أحد .

وأما في الألفاظ الخمسة الباقية فإنها وإن جاءت مضافة فهي تتواءم مع هذه

---

(١) السلام عليك ، ص ١٩ .
(٢) المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

النظرة العامة وتؤيدها ، فلفظتا (أحبتي ، ورفقتي) تمثل كياناً آخر قائماً بذاته يختلف عن الرفاعي ، ولفظة (حظي) وهي وإن أضافها إلى نفسه إنها تفيد نفي الخداع ، والتنصل من تبعة مسئولية حفاوة الناس به ، تلك الحفاوة التي لا يستحقها - في رأيه - فجاءت مسندة إلى (الحظ) الذي هو خارج عن إرادة الجميع ، فأفادت المعنى الذي أفاده عدم إضافة الأسماء الأخرى .أما اللفظة الرابعة فهي لفظة (جوانحي) وهي التي حنت إلى عبق التراب ، وهي تدل على مقدار رغبة الشاعر في الراحة والخلود إليها ، وتتوافق مع شعور القصيدة العام .

وجاءت اللفظة الخامسة (مطامعي) على صيغة منتهى الجموع ، لتظهر مبلغ الأسى والحزن على أن هذه الأمور اليسيرة التي وقف عندها هي (مطامعه) التي تفيد الكثرة وليست (أطماعه) فالمطامع هي منتهى طلابه .

وهي تسهم في تبرئة الرفاعي والتخفيف من حمل مسئولية الإخفاق ؛ إذ أن مطامعه ركنت إلى السفح القريب ، فلم تكن عالية فأخفقت ، ولكنها كانت في الصورة التي أراد ، وأما أنها كانت دانية قريبة ، كالسفح ، فهذا أمر آخر يعود لطبيعة الشاعر ، والجبلة التي جُبل عليها ، وهي ليست بطبيعة العقاب الذي لا ينظر إلا إلى أعالي الجبال .

هذه الفكرة تكاد تتلخص في بيتين جاءا في القصيدة متباعدين أولهما قوله :

أنا ما خدعتهم .. ولكن غرهم حظي لديهم والحظوظ عجاب

فالجملة الأولى من البيت تظهر حجم الرغبة التي في قلب الرفاعي للهرب من التهمة التي تقابله بها نفسه .

وثانيهما قوله :

لك أن تلوم فما جحدت مسيرتي قامت على الدرب الطويل صعاب

إني أخذت من الليالي صفوها نزراً وقلت النزر منك رضاب

فحين يعترف في الشطر الأول بمسيرته ، لا يلبث في الشطر الثاني وما بعده أن يخلي مسئوليته من المسيرة ويحملها الليالي التي لم تعطه إلا النزر اليسير .

والفعل الماضي هو الأظهر من بين أزمنة الفعل عند الرفاعي ؛ وذلك لأن الماضي

له تأثير على وجدانه وفكره حال كتابة قصائده إلا في الإخوانيات حيث نجد الفعل المضارع هو الأظهر . وقد يكون ذلك لأن الشاعر يفكر في تعامله مع أصدقائه انطلاقاً من الحاضر إلى المستقبل بعيداً عن الماضي . وتفوق الزمن الماضي عند الشاعر يخالف ماذهب إليه أحد النقاد من أن الزمن الحاضر يزيد على الزمن الماضي "في معظم النصوص الأدبية التي هي من جنس الشعر"[1].

وقد يأتي الرفاعي بالأفعال متتابعة ،متلاحقة كما في قوله في قصيدة (جدول) :

على يدي ترقرقي تدفقي

تجمعي بين يدي وافترقي

تعلقي بخافقي تعلقي والتصقي

واحتجبي مع الدلال وارفقي [2]

وليس هذا التتابع في الوصف أو القص ، حتي يكون أداة للتصوير ، وقد يفيد التعلق والشوق إلى هذه الأشياء . ولا تشكل صيغ الزوائد في ظهورها ظاهرة عامة وإن كانت تظهر في بعض الأحيان فتساعد هذه الزيادة في إظهار المعنى الذي تحمله كما في قوله :

ما بين جنبي خفاق أكرمه ... عن الهبوط إلى أغوارأوشاب

كم ذا أهدهد آلامي وأوهمها ... أني الصبور على وجدي وأتعابي[3]

وقوله :

تترامى الأمواج من كل صوب ... لجة فوق لجة منداحة[4]

وقوله :

والفجر في لحني رقيق السنا ... رقرقته حلواً طليقاً مباح

---

(١) عبدالملك مرتاض . بنية الخطاب الشعري .- الطبعة الأولى .- (بيروت : دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦ م) ، ص ٤٠ .

(٢) " جدول " : صفر ١٣٨١هـ . مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ،(١٣٦٨/٧/٤هـ) .

(٤) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١١/١٣هـ) .

كانــت لــي الأغصــان مياســـة أرقّصهــا رقـص الغواني الصــباح[1]

وليس هذا التوافق بين الألفاظ والمعاني المرادة منها مصادفة ، ولكنه يدل على أن الرفاعي يختار الألفاظ المعبرة كل التعبير عما في نفسه ، وذلك كما في قوله :

لقـــد أشفـــق محـــروم بـــأن يلقـــاك يـــارب
فتبـــدو لهفـــة الحرمـــان فـــي جناتـــك الغلـــب[2]

فقد عدل الشاعر في البيت الثاني عن لفظة (تمحو) إلى (تبدو) قاصداً "أن يقول للباري سبحانه وتعالى متفائلاً بدخول الجنة : إن حرماني سيبدو حين أدنو فامح عني ذلك السغب بإنعامك وكرمك"[3].

وكذلك في قوله :

وطفقـــت استهـــدي النجـــوم ولا نجـــوم علـــى ســـمائـــي[4]

حيث استخدم بدلاً من الفعل (بدأ) الفعل (طفق) "الذي في دلالته معاني الرهبة والوجل والخوف والإسراع"[5] وهي معانٍ يمتلئ بها شعور التائه في الليل البهيم .

وقد تظهر عنده (ما) الزائدة كما في قوله :

إذا مـــا جـــد جـــد الشـــوق رد جماحـــــه القـــــدر[6]

وقوله :

ليـــس فـــي وسعهـم وفـاؤك شكراً إنمـــا تنطـــق الوجـــوه الســـرورا[7]

وأكثر ماتأتي (ما) الزائدة مقترنة بـ (إذا) وبـ (إن) في قوله :

---

(١) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ وانظر : " سبعون " ، المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) . وظلال ولا أغصان ، ص ١٣ ، والسلام عليك ، ص ١٥ ، ١٧ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٥ .

(٣) " من المكتبة السعودية : ديوان ظلال ولا أغصان " ، مخطوط ، ص ٦ .

(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٥ .

(٥) الرفاعي أديباً ، ص ١٧٠ .

(٦) " الفريسة تصيد " ١٤١١/٨/٢٤، هـ مخطوط في دار الرفاعي .

(٧) " كلمة حب " ، مخطوط ، ١٤١٣/٣/١١هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

تهمتك ياساعتي بالضلال   ومـا إن ضللت ولا العقرب[١]

ومع تعذر التماس المعنى من الزيادة في كل مثال فإن النحويين[٢] قد ذكروا أن زيادة الحروف تفيد فيما تفيده التوكيد . كما ذكر ضياء الدين ابن الأثير أن "الأولى أن تحمل تلك اللفظة على معنى"[٣].

ب - التراكيب

(١) التقديم والتأخير

للتقديم والتأخير قيمة كبيرة في البلاغة ، وأثر كبير على المعنى المراد ؛ ولذا قال عبد القاهر "هو باب كثير الفوائد ، جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية"[٤].

ويعد التقديم والتأخير عند الرفاعي من الظواهر الأسلوبية البينة . وقد جاء على ثلاثة أنواع :

أ - تقديم المسند إليه .

ب - تقديم المسند .

جـ - تقديم المتعلقات .

فمثال تقديم المسند إليه قوله متحدثاً عن نفسه :

أنا من بنيت على الخيال قواعدي   فتصدعت وانهارت الأطناب[٥]

---

(١) " انتظار " ، جريدة البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٧/٢هـ) .

(٢) انظر : عمرو بن بشر (سيبويه) ، الكتاب .- الطبعة الثالثة .- (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م) ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ . وابن هشام ، مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب ، د . ط .- (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م) ، ج١ ، ص ٣٤ . وجلال الدين السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو .- الطبعة الأولى .- (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤ م) ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٣) ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .- الطبعة الثانية .-(الرياض : دارالرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م) ، ج٣، ص ١٨ .

(٤) عبدالقاهر الجرجاني :، دلائل الإعجاز.- د .ط .- (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م)، ص ٨٣ .

(٥) " سبعون " المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ).

وقوله :

أنت الثريا بل مجرات المدى ... قد فقتهن جميعهن المطلعا[1]

وقوله :

أنت الطبيب فكيف ضل سبيلي ... عن نهجك الأسنى وتاه دليلي[2]

وقوله :

المبدعون وكيف لي أن أبدعا ... قطفوا الروائع لم أجد لي مطلعا[3]

ففي هذه الشواهد نجده قدم المسند إليه وهي (أنا ، أنت ، أنت ، المبدعون)

أما تقديم المسند فيظهر في قوله :

فلك الشعر فائقاً بالمعاني ... ثرة من معين نفسٍ عصامي[4]

وقوله :

سبعون في درب الطفولة شوكة ... أما الشباب فليس ثم شباب[5]

وقوله :

شاعراً كنت من قديم الزمان ... تتغنى بالورود والشهد والغزلان[6]

فقد قدم الشاعر في هذه الأبيات المسند وأخر المسند إليه وهو (لك ، ثمَّ، شاعراً).

وأغلب ما ظهر التقديم والتأخير عنده في المتعلقات كالظرف والجار والمجرور ، والمفعول به ، ومن ذلك قوله :

قبل أن تصدق المنى بالبشائر ... حملتني إليك حلو الخواطر[7]

---

(١) السلام عليك ، ص ١٤ .

(٢) (أنت الطبيب) ، ١٤٠٨ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) السلام عليك ، ص ١٣ . وانظر : " كلمة حب " : ١٤١٣/٣/١١هـ مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) (يا عصاماً) ، ١٤٠٠/٩/٦هـ ، مخطوط في دار الرفاعي؛ وانظر : غضبة"، جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤هـ) ؛ و(عدت للشعر) ،١٣٩٠/٥/٣٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٥) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

(٦) " تحية إلى الشاعر الفقيه " : جريدة الندوة ، (١٤٠٥/١/٢١هـ) .

(٧) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٢ .

فأصل تركيب البيت حملتني حلو الخواطر إليك قبل أن تصدق المنى بالبشائر .

وكذلك قوله :

تشـع بـنور الهـوى ناظـريـه[1] وتهـوى الهـوى نظـرة عابـرة[2]

وقوله :

سألـت وبـح لـدي السـؤال عـن موعـدي ما الـذي أقعـدك[3]

فالأصل في هذين البيتين هو : يشع ناظراه بنور الهوى ، وما الذي أقعدك عن موعدي .

ومثل ما سبق قوله :

وعلى الشاطئ مـن تـلك المجـالي قامـت الفتنـة فـي حضـن الرمـال[4]

وتختلف المعاني التي يأتي لأجلها التقديم والتأخير باختلاف السياق ، وباختلاف المقدم ، فقد يكون التقديم لتخصيص المقدم بالحكم حين يكون المقدم المسند إليه كما في قوله السابق :

أنـت الثريـا بـل مجـرات المـدى

إذ يريد أن يخص الممدوح صلى الله عليه وسلم بأنه الثريا ، وينفيها عمن سواه .

وكذلك قوله :

أنا مـن أحالك فـي الدنـى أنشـودة ستظل فـي الأسحار سلوى الحائـر[5]

فهو يثبت لنفسه إحالتها أنشودة ، وينفي صنع ذلك عن غيره . وقد يكون من التخصيص قوله :

أنـا مـا خدعتهـم ولكـن غرهـم حظـي لديهـم ، والحظـوظ عجـاب[6]

---

(١) كذا في الأصل والصواب : ناظراه .

(٢) " صورة " ، مع ١٣٦١هـ - ١٣٦٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، (٢٧/١٠/١٣٦٨هـ) .

(٤) " موكب الحسن " : ٢٠/٤/١٣٦٨هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٥) " دنيا شاعر " ، مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨هـ / تموز ١٩٤٨ م) .

(٦) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

فعند الحمل على التخصيص يكون المعنى أن ينفي عن نفسه الخداع ، ويثبته لغيره ، ففيه تعريض بالذين يعتمدون في شهرتهم على أساليب ليست موضوعية .

وقد يفهم من تقديم المسند إليه التشويق في قوله :

الناس إن مدحوا استطاروا فرحة   والمادح المصنوع ليس الصانعا[1]

وياتي تقديم المسند للتخصيص كما في قوله :

لك في كياني ذرة أدنو بها   إن لم أجد طبعاً رجوت تطبعا[2]

فقد قدم الشاعر المسند (لك) وأخر المسند إليه (ذرة) لتخصيص الممدوح بهذه الذرة دون سواه .

ويتضح معنى الاختصاص في تقديم المسند في قوله :

في فمي من عبير ذكرك عطر   وبقلبي من عطر ذكرك راحة[3]

فالمسند في الشطرين (في فمي) و(بقلبي) تقدم لتخصيص العطر على الفم في الأولى ، وعلى القلب في الثانية .

وحين تقدم المتعلقات يكون للاختصاص كقوله :

وتعبر في طريق الليل   أسراب الهوى العذب[4]

فالمتعلق هو (في طريق) مقدم على الفاعل (أسراب) وذلك لتخصيص الليل بعبور أسراب الهوى دون النهار .

وقد يكون للإشارة إلى الاهتمام بالمتعلق كقوله :

ويسري من عبير الفتـ   ـنة الفواح ما يصبي وما يسبي[5]

فقدم الجار والمجرور (من عبير الفتنة) للإشارة إلى أنها أهم ما يسبي مما يصبي .

وقد يفيد تقديم المتعلق تبكيت المتكلم كقوله :

---

(١) السلام عليك ، ص ١٦ .

(٢) السلام عليك ، ص ٢٠ .

(٣) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١١/١٣هـ) .

(٤) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ،(شعبان ١٣٨٨هـ) .

(٥) المصدر نفسه .

وزعمت أنـي لـم أفـارق جـدتي فأشـار يسخر باللسـان حسـاب[1]

فتقديم (باللسان)أتى تبكيتاً لنفسه التي زعمت أنه ما زال شاباً جديداً .

والمعاني التي يرد لها التقديم والتأخير كثيرة لا حد لها ، وتقوم على الاجتهاد والتلمس . وقد أكثر الرفاعي من التقديم والتأخير خاصة في قصيدته (سبعون) التي يكاد لا يخلو فيها بيت من تقديم أو تأخير ، ولا عبرة فيمن يرى أن هذا التقديم والتأخير لأجل استقامة الوزن وإقامة العروض . يقول الإمام عبدالقاهر الجرجاني في الرد على هؤلاء : "واعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتآخيره قسمين ، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب ، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه ؛ ذاك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل أخرى . فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخر فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيئ وكل حال"[2].

(٢) الإنشـــاء

هو ما "لا يحتمل الصدق والكذب لذاته"[3] كمايقرر أصحاب البلاغة ، وينقسم إلى قسمين : إنشاء طلبي وآخر غير طلبي . فالإنشاء الطلبي هو الاستفهام ، والأمر ، والنداء والنهي ، والتمني .

وقد ظهرت هذه الأساليب عند الرفاعي بنسب مختلفة ، أظهرها الاستفهام ، ثم الأمر ، ثم النداء .

---

(١) " سبعون " : المجلة العربية ،(ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) عبدالعزيز عتيق: علم المعاني .- د.ط .-(بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٥ هـ ،١٩٨٥م)، ص ٧٤ .

(أ) الاستفهام

حين يعمد الشاعر إلى الاستفهام فإنه يستنهض المتلقي للمشاركة ، ويطلب أن يقيم حواراً بينهما ؛ إذ أن أصل الاستفهام طلب الفهم ، بمعنى أن الشاعر أو المتحدث لا يكتفي بما عنده ، وإنما يطلب ما عند الآخرين ، فهو في حيرة ، وطلب فهم ، ومعرفة .

وقد أكثر الرفاعي من الاستفهام حتى فاق الأساليب الإنشائية كلها ، فبلغت نسبته ٤٤,٩٪ ولا تكاد تخلو قصيدة منه ، وقد يبني بعض قصائده على الاستفهام كما في قصيدة (كانت جميلة)[١] وقصيدة (بدوي يبني الحضارة)[٢] .

ولما كان الاستفهام ينبئ عن الحاجة إلى المعرفة ، وطلب الفهم ، كان من أولى ما يظهر فيه القصائد الوجدانية التي تنبض بتجربة حية والتي يكون فيها المحب متردداً من حقيقة منزلته عند محبوبه وما ينبغي عليه أن يفعل تجاهه . وقد يكون فيها الشاعر هائماً يحتاج إلى دليل ومرشد ، وقد كان الأمر كذلك عنده إذ فاق استخدامه للاستفهام في الوجدانيات غيره من الموضوعات .

وقد استخدم الرفاعي أغلب أدوات الاستفهام ، وكانت (ما) التي لغير العاقل أكثر الأدوات تردداً عنده ، في حين نجد أن (من) التي للعاقل أقل الأدوات تكراراً عنده ، ومعنى (ما) "أي شئ"[٣] ، فهي نكرة عامة .

فهل كان الرفاعي حين أكثر من استخدامها يسأل عن الأمر المجهول غير العاقل فيريد أن يكتنه حقيقة هذا المجهول ، ويستعين بالمتلقي عساه أن يعينه على ذلك ، يقول الرفاعي مستفهماً بـ (ما) :

وما الاسم بعد انطفاء الشمو ... ع طواها الردى مرهف المنجل
وما المجد بعد فناء النفوس ... إذا ضاق عمر عن المأمل؟[٤]

---

(١) مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ) .
(٢) مجلة المنهل ، (رجب وشعبان ١٣٩٧هـ) .
(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ج ١ ، ص ٢٨٩ .
(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٦ .

ففي هذا التساؤل الإنكاري الذي استخدم فيه (ما) يريد أن ينكر أي قيمة للاسم سواء كان عاقلاً أو غير عاقل ، ويريد أن ينكر قيمة المجد ، وأنها لا تساوي شيئاً مهما كان .

ومثل ذلك في قوله :

سألت القلب عن دنياه ... ما دنياك يا قلبي[1]

وهذا الميل عن استخدام (من) لا يعني أنها لا تتناسب في بعض المقامات، ولكنها أخص ،والشاعر لا يستفهم إلا لأجل أن يؤكد شكواه من كل شيء ، ولكل شيء ، و(ما) تعني " أي شيء " والعاقل يدخل فيه ضمناً .

وكثيراً ما يدخل الرفاعي عليها (ذا) مثل قوله :

أنت حزني هنا لماذا لماذا ... كل هذا الأسى هنا كل هذا[2]

وقوله :

جراحي نازفات ما تطيب ... فماذا في جراحي يا طبيب[3]

وعلى الرغم من أن(الهمزة) هي الأداة الوحيدة التي يسأل بها عن كل شيء ، وهي التي تحل محل أدوات الاستفهام جميعها ، على الرغم من ذلك فقد كان حضورها بالمرتبة الثانية بعد (ما) ، وكان أكثر استفهامه بها عن الفعل كقوله :

أرأيت كيف يفتح النوار ... وتنم عن أرج بها الأزهار

أرأيت إن فرش الأشعة بالربى ... فجر وإن عم البطاح نضار[4]

وقوله :

أترى الماء عندها ... أخضر اللون ينهمر[5]

وقوله :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

(٢) " إلى مجهولة " : جريدة الندوة ، (١٣٨٣/٧/٢٤هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٨ .

(٤) " أنور العطار " : جريدة الإربعاء ،(١٤١٦/١/٣٠هـ) .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٥ .

أتريـــدون أن نعيـــش صفـــــاءً ليس يشكو إلـى الليـالي النفـادا[1]

وهذا يعني أن الرفاعي لا يشك في الفاعل بمقدار ما يشك في الحدث الذي يعني التجدد والتغير ، أما الذات وهي الفاعل ، فإنها ثابتة .

وقد جاءت الهمزة في أغلب ماجاءت للتصديق الذي يعني أن الشاعر لديه موقف محدد يريد من الآخرين إقراره ، بخلاف التصور الذي يعني أن الشاعر بحاجة إلى من يوضح تصوره . ولعل هذا ما يعلل لنا كثرة ظهور الهمزة التي تفيد التصديق في الإخوانيات بخلاف (ما) التي كان حضورها في الوجدانيات أكثر . وذلك لأن الرفاعي مع إخوته يملك التصور ويريد من يقره أما في الوجدانيات فلا يملك شيئاً فهو في حيز النكرة العامة (أي شيء) .

ولأن الرفاعي يميل نحو التصديق في استفهاماته فقد أكثر من استخدام الأداة الخاصة به وهي (هل) حتى جاءت في المرتبة الثالثة عنده .

ويتعدد غرض الرفاعي من الاستفهام فقد يكون سعياً منه للخروج عن التقريريّة والمباشرة كما في قصيدة (من يوميات مئذنة مكية)[2] وقصيدة (يا عيد)[3] الطويلتين اللتين لم يرد فيهما أن يظل ينشئ الجملة الخبرية متتابعة فلجأ إلى الإنشاء بضروبه وخاصة الاستفهام ، حتى يخفف من حدة التقريرية والرتابة المملة في القصيدتين ، لا سيما وأن " أغلب الشعر الحر يرتكز إلى تفعيلة واحدة وذلك يسبب فيه رتابة مملة تحتم عليه أن يبذل جهداً متعباً في تنويع اللغة وتوزيع مراكز الثقل فيها"[4].

وقد يجيب الرفاعي على التساؤل الذي يطرحه مع أنه واضح الجواب كما في قوله :

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١١٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٢ .
(٤) قضايا الشعر المعاصر و ص ٤٨ بتصرف يسير .

أم تراهـم قـد يشمتـون بهـا الآ ن وهـل يشمـت المحبـون؟.كـلا[1]

وقد يجيب على السؤال خشية ألا يؤتى بالجواب المراد كقوله :

مشيت .. فطـال علـيّ الطـريق وعـدت علـى خيبتـي واصبـا
لمـاذا .. لأن الحيـاة الغشـوم تجامـل مـن أهلهـا اللاعبـا[2]

والأكثر هو ترك الجواب ليظل الاستفهام مفتوحاً تدخل تحته كل المعاني التي تتوارد في ذهن المتلقي استجابة لذلك المثير ، وبحسب قوته وقدرته على لفت الانتباه . ومما جاء فيه الاستفهام محملاً بالمعاني العميقة قوله :

ظمـآن
والظـل الظليـل وخفـق أجنحـة السـحاب
فوقـي .. ، وتحـت سنابكـي يعلـو العبـاب
وفمـي علـى كـأس بهـا شـرق الشـراب
أهو السـراب . ؟ وليس في أرضـي السـراب !؟[3]

وقوله :

مـن ذا أثـارك بعـدمـا نامـت علـى يـأسٍ جفونـي
عـودي فمـا عـاد الهـوى رطـباً ، كمـا كـانت سنينـي[4]

(ب) الأمـــر

يأتي ظهورالأمر عند الرفاعي في المرتبة الثانية بعد الاستفهام ، وقد بلغت نسبة ظهوره ٢٤,٦٪ . "وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء أو الإلزام"[5] ويخرج عن

---

(١) " كانت جميلة : مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ) .

(٢) (سلي واعجبي) ، ١٣٦٧/٦/٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " ظمآن " ، ١٣٩٨/١١/٩هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ وانظر : " غضبة " جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤هـ) ؛ و" الموسيقي المتجول " ، مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨هـ) .

(٤) " لا عودة .. ، ١٤٠٨/١٠/١٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٥) علم المعاني ، ص ٨١ .

هذا المعنى إلى معاني أخرى ، كالدعاء في قول الرفاعي :

لقـــد أشـــفق محـــروم بـــأن يلقـــاك يـــا ربـــي
فهيئـــه إلـــى نعمـــاك وامســـح لهفـــة الســـغب[1]

وقوله :

واس الجراح
فما للبائسين سوى يديك
أرجوهما ..
كي يرفعا بؤسي[2]

وقد يكون للالتماس "وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظراء ، المتساوين قدرا ومنزلة"[3] ، كما في قوله :

فاقتـل اليـأس يـا صـديقي وبـدد ظلمـة اليـأس بالنشـيد المـردد[4]

وقوله :

يا سراج القريض، لا يسكت البلـ ـبل الحبيس في الأغصـان
ارسـل اللحـن وامـلأ الجـو غنـاءً عذباً يهز سمع الزمـان[5]

وقد يكون للنصح والإشفاق كقوله :

ولـى زمانـك فاسـأل عـن بقيتـه لـو فـي بقيتـه شـيء مـن الرمـق
واحرص على ما تبقى من صبابتـه وضـع بقايـاه بـين الجفـن والحـدق
وإن ظننت بأن العمـر راجعـة أيامـه القهقـرى فاسـأل عـن الحمـق
إن تشرق الشمس تدلف نحو مغربها فاشفق على الشمس إن مالت إلى الشفق[6]

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٣) عبدالعزيز عتيق ، ص ٨٤ .
(٤) (عدت للشعر) ، مخطوط ، مصدر سابق .
(٥) " وصدى عتاب " : جريدة عرفات ، مخطوط ، مصدر سابق .
(٦) " شفق " : (صفر ١٤١٣هـ) .

وقد يكون الخطاب في هذه الأبيات من باب (التجريد) حيث ينتزع الشاعر من نفسه شخصاً آخر يكلمه، فيكون معنى الأمر هنا التقريع والتوبيخ ، فالشاعر يقرع نفسه على ما فات من عمره ، وهو لم يتداركه ، ثم يوصيها بالحرص على ما تبقى إمعاناً في ذلك التقريع .

ومثال ما جاء فيه الأمر للتهكم قوله :

زغـــردي يـا مـزارع القتـل والغصـ ـب وردي للهـاربين الأمانـــا[1]

والمعاني التي يخرج إليها الأمر معان كثيرة ، تختلف باختلاف شعور الشاعر ، وهدفه من الأمر . والفرق بين بعضها دقيق لا يكاد يبين كالفرق بين الإباحة والندب وقد تتداخل هذه المعاني فيما بينها بحسب ما يحمل عليه البيت كما في الشاهد السابق وكما في خطاب الشاعر لصاحبته من مثل قول الرفاعي :

إليـك خلـي فـؤادي فـي سكينته لا تزعجيـه بـآلام وأوصـــاب

كفـي الجـراح الـتي مازال عاصفها يعيث في قلبي الواهي على ما بي

لا ترقـبي عهدنا من بعـد ضيعته وابكيه ما شئت دمعاً غير كذاب[2]

وكقوله :

مـــن ذا أثـــارك بعـــد مـــا نامـت علـى يـأس جفـــوني

عـــودي فمـــا عـــاد الهـوى رطبـاً كمـــا كـــانت سنيـــني

عـــودي ولكـــن لـــن أعـــود (فقـد برئـت مـــن الجنـــون)[3]

فالأمر في هذه الأبيات يمكن أن يحمل على حقيقته فيكون الشاعر يريد حقيقة ردها ، وقد يحمل على التقريع والتوبيخ لما فعلته به من قبل ، وقد يحمل على الالتماس بأن يكون الشاعر مع سخطه عليها لا يستطيع أن يأمرها وإنما يلتمس منها التماساً لأنها لا تزال مسيطرة على مشاعره ووجدانه ، وما يقوم به من عتاب هو ساعة ثورة العقل عند مجيئها إليه ، وليس في قرارة نفسه ردها .

---

(١) (مجلس الأمن) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١٢/٢٦هـ) .

(٢) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ،(١٣٦٨/٧/٤هـ).

(٣) " لا عودة " : ١٤٠٨/١٠/١٠هـ . مخطوط في دار الرفاعي .

واستعمل الرفاعي أدوات الأمر الأربع : فعل الأمر ، واسم فعله ، والمصدر، والمضارع المقترن بلام الأمر . وأقلها استخداماً آخرها فلم يرد عنده سوى مرة واحدة .

ويكثر الأمر عنده في الوجدانيات حتى بلغت نسبته ٤٣,٢ ٪ ثم يأتي بعد ذلك الإخوانيات بنسبة ٣٢,٩٪ ، فهل يعني كثرة الأمر في الوجدانيات أن الرفاعي صارم مع نفسه ، ووجدانه ، فيحملها بالعزائم ، وتقل هذه الصرامة في تعامله مع إخوانه ؟ !

يتأكد هذا الملمح حين نجد أن كثيراً من هذه الأفعال التي في الوجدانيات إنما هي موجهة لنفسه كما في مقطعة (شفق) السالفة الذكر ، ومقطعة (سلي واعجبي) ، وقصيدة (صبارة) التي يوجه الحديث فيها إلى صبارة لا يرى بها في الحقيقة إلا نفسه ، في حين نجد الأمر في الإخوانيات جاء للالتماس في أغلبه .

جـ - النـــــداء

ويأتي النداء عند الرفاعي في الدرجة الثالثة من حيث كثرة الظهور بعد الاستفهام والأمر . وللنداء حروف مخصوصة لم يستخدم منها سوى حرفين هما الياء وأيا ، بالإضافة إلى ما جاء المنادى فيه محذوف الأداة . ويتضح من هذا أنه لم يفرق في استعماله لأدوات النداء بين ما يستعمل للقريب أو للبعيد بدليل عدم ورود أي من أدوات نداء القريب وهي (الهمزة وأي) .

وقد نلاحظ أنه يحذف حرف النداء حين يكون المنادى قريباً إلى قلبه ، فكأنه يحس بأن أداة النداء تتسبب في إبعاد المنادى عنه فيحذفها ، كندائه لابنه بقوله :

بـني تعجلت الذهاب فإن أقل   أصبت فقد كان الصواب مصابا[1]

وكقوله :

أيها المرجل العجيب الذي بين أضلعي

---

(١) "بني" : ١٣٧٦/٢/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

تخمـد النـار بالسنين فما بالها معي[1]

ويكثر الرفاعي من نداء ما لا يعقل كأن ينادي الورد :

وقـال هنـا يستلان المقام أيا ورد فانـشر بـه الأعينا[2]

أو ينادي ربا المثناة :

يا ربا المثناة يدعوني إليك خضـرة نضـراء تكسو واديك[3]

أو ينادي الأغصان :

يا غصون الربـا إذا مـر شادٍ وأمال الجناح في الروض مهلا[4]

أو ينادي الليل :

ياليل إن طلت بي، في الفجر تسلية يـا فـرط رقتها، يا فجـر، يانـد[5]

ولا يكتفي بنداء مظاهر الطبيعة، وإنما ينادي ما سواها كأن ينـادي الفتنة :

لا تفزعي بعد هذا اليوم محرابي يا فتنة طرقت بعد النوى بابي[6]

أو ينادي نسمة العطر :

سأرسلها يا نسمة العطر رفرفي أليس رسول الحب رفرف أنسام؟[7]

* * *

أما الأسلوبان الباقيان وهما النهي ، والتمني فقد ظهرا بنسب قليلة خاصة التمني . وفي النهي نماذج جيدة ذات معانٍ تتصل بشعور الرفاعي كما في قصيدة (غضبة) التي مر أكثرها في النداء ، والأمر .

---

(١) " الجمر " : ١٤١٣/٣/١٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " عنابة " : مجلة الإذاعة والتلفزة .- تونس :(١٣٩٠هـ) .

(٣) " ربا المثناة " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) " كانت جميلة " : مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ) .

(٥) " حلوة الوطفين " : مع ١٤٠٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤هـ) .

(٧) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٣ .

٣ - التكـــرار

لا يقتصر التكرار عند الرفاعي على الألفاظ ، وإنما يتجاوزها إلى تكرار التراكيب ، الجمل ، العبارات ، حيث تتكرر العبارة الواحدة في أكثر من موضع ، ولفظة العبارة أعم من الجملة ؛ إذ تقتصر الجملة على الجملة النحوية اسمية كانت أم فعلية . أما العبارة فهي ما جاوزت اللفظة ولو لم تكن جملة تامة ، فقد تكون مضافاً ومضافاً إليه ، وقد تكون شبه جملة .

ويظهر تكرار التراكيب عند الرفاعي على نوعين : تكرار غير منظم ، تتكرر فيه العبارات بلا ضابط كما في قوله :

وسبيل الرشاد أن تجمع الحسنـ ـيين يا حبذا سبيل الرشاد

وسبيل الرشاد مجمع علم جُمع الفضل كله في النادي[1]

ومثل قوله :

خفقاتها خفق النسيم وجرسها جرس القبل[2]

والتكرار الآخر وهو تكرار منظم ، تأتي فيه العبارات المكررة في مكان محدد ، بأن تكون العبارة المكررة في أول كل بيت ، وذلك مثل قوله :

ما كنت أحسب أن يطول تدلهي في مقلتيك وأن تذوب محاجري

أو أن يظل الشوق يلهب أضلعي والضمة البيضاء شغلة خاطري

أو أن تظل خواطري محمومة تلك الثمالة من طلاك الساحر

أو أن تظل خواطري مسحورة تهفو لبرد من حنانك غامر

أو أن تظل الذكريات خوالداً فيها أريج من صباك العاطر[3]

وكقوله :

كيف بالله عاشقوها أطاقوا غيبة الحسن يوم غاب وولى؟

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٦٨ .

(٢) " وشوشة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٩/١٢/٢٧هـ) .

(٣) " دنيا شاعر " : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨هـ / تموز ١٩٤٩م) .

أتراها في مجدها رحمتهم ... ورعت معجباً بها يتملى؟
أم تراها قد أشبعتهم جفاء ... وملالاً .. وكبرياء .. ودلا ؟
أم تراهم قد يشمتون بها الآ ... ن .. وهل يشمت المحبون؟ كلا؟
أم تراها لو يرجع الحسن يوماً ... أبدلتهم من الملالة وصلا؟[1]

وقد يكون التكرار في إعادة جملة شعرية ، يحس الشاعر أنها تشكل دفقاً شعورياً متميزاً فيعيدها بعد كل مقطع من مقاطع القصيدة .

وترى نازك الملائكة "أن هذا اللون من التكرار لا ينجح في القصائد التي تقدم فكرة عامة لا يمكن تقطيعها ، لأن البيت المكرر يقوم بما يشبه عمل النقطة في ختام عبارة تم معناها[2]"، كما في قصيدة الرفاعي (فاتن المسيال)[3] التي تكونت من أربعة مقاطع تكررت فيها جملة (فاتن المسيال ياحلو التثني) أربع مرات ، مرة بعد كل مقطع .

ويظهر هذا اللون من التكرار في قصائده التفعيلية مثل قصيدة (يا عيد)[4] التي تكررت فيها عبارة (يا عيد) خمس عشرة مرة ، كما تكررت فيها جملة (والأطفال ترفل في الحرير) ثلاث مرات ، وكقصيدة (جميلة)[5] التي تكررت فيها جملة (فالثأر لن يضاع) خمس مرات .

والأصل في التكرار أن يكون للعبارة المكررة دلالة خاصة ، واتصال بنفسية الشاعر ، ولكن هذا الأمر لا يظهر عند الرفاعي كثيراً ؛ إذ لم نجد التكرار في أغلب الشواهد السابقة ذا قيمة دلالية ، أو نفسية ، إلا ما قد يلمح في قصيدة (يا عيد) ، وقصيدة (دنيا شاعر) وهو ملمح خافت[6].

---

(١) " كانت جميلة " : مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ) .
(٢) قضايا الشعر المعاصر ، ص ٢٦٨ .
(٣) ١٣٦٣/٩/١٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٤) انظر : ظلال ولا أغصان ، ص ٧٢ .
(٥) جريدة عرفات ،(١٣٧٧/٨/١٣هـ) .
(٦) انظر : شواهد على تكرار التراكيب بأنواعه : " انتظرني غداً " فيما قبل ١٣٧٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي؛ وظلال ولا أغصان ص ٤٣ ، ٤٤ ، و"عودة"، البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٢/٢٠هـ ، و"بني" : ١٣٧٦/٢/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ و"عدت للشعر" ، ١٣٩٠/٥/٣هـ .

(٤) الروابـــط

لا يتم حسن الكلام حتى تكون أجزاؤه متآخية ، مترابطة فيما بينها ، يأخذ بعضها بأطراف بعض . وقد تنبه القدماء إلى ذلك وعابوا الصور التي رأوها متنافرة غير متآخية حتى عد بعضهم البلاغة معرفة الفصل والوصل . وللربط بين أجزاء الكلام أدوات كثيرة ، يقوم استخدامها على تتبع المعاني التي تنطق بها كل أداة ويراد أن تبنى العلائق بين الجمل على أساسها.

وأظهر هذه الأدوات استخداماً عند الرفاعي رابطان هما :

١ - العطف وأدواته .

٢ - الشرط .

- العطــــف

يعد العطف من أكثر الروابط استخداماً في اللغة العربية ، وذلك لما لأدواته من التعدد ، والتنوع في العمل والمعنى .

وقد أكثر الرفاعي من استخدام أدوات العطف في شعره ، وإن لم تكن في هذا الاستخدام سواء ؛ إذ نجده أكثر من حرفين من أدواته هما الواو ، والفاء ، وأهمل باقي الأدوات فلم تظهر عنده إلا قليلاً .

ويعد حرف الواو أكثر أدوات العطف استخداماً في العربية[1] ، ودوراناً على الألسنة ؛ ولذا جاء عند الرفاعي في المرتبة الأولى في الاستخدام ، ويفصل بينه وبين الفاء مراحل كثيرة .

ولعل ذلك عائد إلى معنى (الواو) الذي هو مطلق التشريك ، فكان من الممكن أن يستخدم في مواضع كثيرة ، على أن هذه الصفة جعلت استخدامه دقيقاً "لا يأتي

---

(١) بلغت النسبة المئوية لاستخدام الواو بين سائر أدوات العطف ١, ٨٥٪ . انظر محمد علي الخولي : التراكيب الشائعة في اللغة العربية .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار العلوم ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م)، ص ١٥٩ .

لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص والأقوام الذين طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من ذوق الكلام هم بها أفراد"[1].

وتأتي الواو الرابطة عند الرفاعي على نوعين : الأول رابطة بين المفردات ، سواء كانت بين لفظين مفردين ، أو بين ألفاظ عدة .

فمثال الأول قوله :

وبالأمس شد الرحل أحمد تاركاً   شذاه عبير المسك والصندل الرطب[2]

وقوله :

إلى بهجة الشعر والشاعر
إلى شعلة القلب والخاطر
إلى متعة الروح والناظر[3]

ومثال الثاني قوله :

ما سلوت الرياض والغصن والدوح ولازاكي العطور ولا الورد
ما سلوت النجوم ، والبدر ، والليل، ولا سامر اللحون ، ولا السهد
ما سلوت الدموع ، والطيف ، والوعد ، ولا ماطل الوصال ولا الصد[4]

وقوله :

يا ربا المثناة يدعوني إليك   خضرة نضراء تكسو واديك
والعصافير التي حامت عليك   والأزاهير التي في جانبيك[5]

وقد يجمع بين العطف وتركه في بيت واحد كقوله :

صرت بعد المشيب تغزل نسجاً   مخمليًّا لكن لغير الحسان
للزمان الحرون للناس للعيـ   ـش وللمشكلات والأحزان[6]

---

(1) دلائل الإعجاز ، ص ١٧٠ .
(2) " رويدكم " : جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/١٢/١٩هـ) .
(3) " الإهداء " : ١٣٦٣/٢/٢٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(4) (عدت للشعر) : ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(5) " ربا المثناة " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دارالرفاعي .
(6) " تحية إلى الشاعر الفقيه " : جريدة الندوة ، (١٤٠٥/١/٢١هـ) .

والتناسب بين الألفاظ المتعاطفة شرط لازم للعطف ، فـ "ليس مجرد الاشتراك في الحكم مما يصحح ذلك أو يسد مسد المناسبة ، وإنما لابد أن يكون قران الألفاظ ونسقها ماضياً على طريقة القوم وحسهم بتناسق المعاني وملاءمة دلالتها"[1].

وقد جاء أغلب التعاطف متصفاً بهذه الصفة كما مر في الشواهد السالفة : حيث عطف الصندل الرطب على عبير المسك ، وعطف الشاعر على الشعر ، والخاطر على القلب ، والناظر على الروح ، وكلها متناسبة ، ومثل هذا القول في الأبيات التي عطف فيها مفردات متعددة .

ومما جاء على غير الغالب بأن عطف فيه مفردات على ما لا يناسبها قوله :

رؤى حالم مرت بأعطاف كاعب وسحر على ثغر وفتنة معصم[2]

فقد عطف لفظة (سحر) ، ولفظة (فتنة) دون أن يظهر على أي شيء عطفها ، فإن كان عطفها على (أعطاف) التي قبلها يكون الكلام (رؤى حالم مرت بسحر على ثغر) ، وإن كان عطفها على (حالم) فالكلام (رؤى سحر على ثغر) والمعنى في الحالتين غير ظاهر .

وقد يؤدي تتابع المعطوفات إلى ضعف الأسلوب الشعري من مثل بعض النماذج التي سلفت وكقوله :

لم يعد للحون معنى ، ولا للهو مغنى ، ولا للنسيب هند ولا دعد[3]

وقوله :

عدت بي للصبا رفيقاً وللعهد غريضاً ، وللدهر أمرد[4]

وقد تتابع النعوت المفردة عند الرفاعي ، فتأتي حيناً بالواو وحيناً آخر بلا واو ، فمن مجيئها بلا واو قوله في وصف كتاب :

---

(١) محمد محمود أبوموسى : دلالات التراكيب دراسة بلاغية .- الطبعة الثانية .- (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م) ،ص ٢٧٤ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٥ .

(٣) (عدت للشعر) ، ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دارالرفاعي .

(٤) المصدر نفسه .

أهديتـــــني كتابـــــــاً رأيتـــــه عجابـــــاً
رأيتـــــه جمـــــالاً مسلســــلاً منســـابـــاً
شممـــت فيـــه عطـــراً مشعشعـــــاً مطابـــا[1]

وقوله :

إلـــى غصـني الأســـمر الناضـر
إلـــى الأملـــد الفـــاتن القاهـر
إلـــى نـــوره الزاهـــر الباهـر
إلـــى الملـــك النـــازه الطاهـر[2]

وجاء العطف وتركه مجتمعين في قوله :

هشـــام نفحـــة عطـــر مـــن أنـــور العطـــار
ودفقـــه مـــن ضيـــاء تـــزري بضـــوء النهـــار
وشعلـــة مـــن ذكـــاء أعـــني ذكـــاء الحـــيار[3]
ينســـاب كالمـــاء لطفـــاً أو كالنســـيم الجـــار

* * *

أرومـــة مـــن كـــرام سبيكـــة مـــن نضـــار
بشاشـــة فـــي المحيـــا كمـــا تبـــش الـــدراري[4]

وقد ذكر يحيى العلوي[5] أن الأكثر في الصفات عدم عطف بعضها على بعض إلا إذا كانت متضادة المعاني ، إلا أن بعض الباحثين يرى أن "ليس من الوفاء للأدب أن نقول إنها جاءت من غير واو لأنه الأكثر"[6]. على أن موقعها الإعرابي

---

(١) " تحية " ، ١٣٦٧/١١/٢٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) " الإهداء " ، ١٣٦٣/٢/٢٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٣) يظهر أن أصلها الحيارى ولكن لضرورة الشعر حذف الألف وكسر حركة الراء .
(٤) (هشام نفحة عطر) ، ١٣٨٥/٢/١٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٥) انظر : الطراز ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ .
(٦) دلالات التراكيب ، ص ٢٨٣ .

في شواهد الأخير [illegible] [illegible] وعطف بين الأخيرين في مثل هذا الموضع وتركه جائز(1) .

أما النوع الثاني فهي الرابطة بين الجمل ، وقد أفرد لها البلاغيون باباً كاملاً سموه باب (الفصل والوصل) ، والفصل يعني ترك الواو بين الجمل ، والوصل إبقاء الواو .

وقد جاء استخدام الرفاعي (للواو) على النوعين معاً ، يبقيها تارة ، ويحذفها أخرى ، ومما جاءت الجمل بينها (الواو) قوله :

ولــو زرت أعــددت مــن خافقـي	وساداً مــدى الدهـر لـن يزهــدك
ومــن ســاعدي ســنداً حانيـــاً	إذا ســكرت شفـتي أسنـــدك
وحــولت أحــناي فــي رقـــة	حنانــاً يــذوب لكـي يرقــدك
وكنت .. كسـوت الطريق السعيد	شهيد الــورود لكــي تشهـــدك
وذوبــت قلــبي فـــي قبلـــة	وفديتــك العمــر إن أسعـــدك[2]

فالوصل بين الجمل (أعددت ، وحولت ، وذوبت) ، ولم تكن جملة (ذوبت) معطوفة على التي قبلها (وكنت) لأنها مناسبة (لأعددت) و(حولت) في الزمن والحدث ، أما (وكنت كسوت الطريق) فهي وصف لما وقع لا لما سيقع .

ومثل الشاهد السابق قوله :

هــم يجمعــون الـثريا مــن منابتهـا	ويقطفــون مــن الأحــلام أحلاهــا
ويــملأون ســلال الدهـــر تجربـــة	من حر أعمارهم .. ما كان أغلاها
ويزرعــون بــدوراً فــي غياهبنـــا	لــو لا مصابيحهم من كــان جلاهــا[3]

والوصل بين هذه الجمل يختلف عما سبق لأنها ذات محل من الإعراب فهي أخبار ، ولذا فإبقاء الواو إشارة من الشاعر أن هؤلاء الأقوام قد جمعوا بين هذه

---

(1) انظر : محمد العبدالعزيز النجار . ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، جزآن .- د.ط .-(بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ج1 ، ص ٢٣٣ .

(2) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، (٢٧/ ١٠/١٣٦٨هـ) .

(3) (هم يجمعون) ، جريدة المدينة ، (١٤١٣/١/٥هـ) .

الأعمال في آن وهي الزراعة ، والقطاف ، والجمع ، وملء السلال ، وهو عمل كبير يقوم به أقوام متفرقون وعلى مراحل ومع ذلك قام به هؤلاء وحدهم .

وقد يصل الرفاعي بين الجمل فيكون الوصل مناسباً كما في قوله :

هـو فـي صحـوتي أنيـس يقيني ... وهـو طيـف محـبب فـي منامي
وهـو فـي نشـوتي صبابة صحـو ... وهـو فـي غيبـة المنى أحلامـي[١]

فـقـد توافـقت هذه الجمل في الخبـرية ، وليس للفصل داع ، فكان الوصل هو المناسب ؛ أو قد يقال إن المقصود بالواو الاستئناف فكأنه يبدأ حالة جديدة على كل واحدة فكل جملة وحدة خاصة قائمة بذاتها ، وقد يقال إن هذه الواو للعطف وهي تفيد أن المحبوب يجمع بين هذه الصفات مجتمعة ، والفصل بين هذه الجمل له وجه حيث إن هذه الجمل بعضها بدل من بعض أو توكيد له ؛ ولذا فالعلاقة التي بينها (كمال اتصال) الذي يجب فيه ترك الواو .

ومما فصل الرفاعي فيه فكان الفصل مناسباً قوله :

القوافـي حتـى الأبيّـات منهـا ... طيعـات ، جناحهـن خفيـض[٢]

ويقوم الفصل والوصل على تلمس النكات ، والفوائد ؛ ولذا فقد يختلف فيه الرأي من قارىء إلى آخر .

وقد يربط الرفاعي بين الجمل المتباعدة التي لا مناسبة بينها في السياق ، فلا تنفعها (الواو) قرباً ، كأن يدعوه الاستطراد إلى إدخال بعض الأبيات الخارجة عن المعنى العام للقصيدة ، والمتنافرة مع الأبيات الأخرى ، فيربطها بالواو رغبة منه في التقريب كقوله :

وبنـاء الصـروح سهـل لبـان ... وبنـاء النفـوس صعـب القيـاد
ولكـم رام للسـمـاء صعـوداً ... مثـل فـرعون ، جاهل أو عـاد[٣]

---

(١) (أنا أهواه) ، ١٣٨٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .

فالحديث في الأبيات التي قبل عن البناء سواء البناء العمراني أو الثقافي، وقرر فيه أن الأول أسهل من الثاني ، ثم انتقل فجاءة إلى الحديث عن الصعود إلى السماء والرغبة في ذلك وعن فرعون . ولا يظهر أن هناك مناسبة بين المعنيين إلا إذ كان يعد العمران والتطور الحضاري من الاطلاع على السماء والتحدي ؟ وما أظنه كذلك . ولعل الذي ساق الشاعر إلى هذا هو لفظة (الصروح) التي ذكرته بقوله تعالى : ﴿ وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب ۝ أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى ... الآية ﴾ [١] .

العاطف الثاني الذي استخدمه الرفاعي في شعره هو (الفاء) ، ولا يقاس بالواو في كثرة انتشاره ، وإن كان قد تفوق عليه في بعض القصائد كقصيدة (جراح)[٢]، وقصيدة (تائه)[٣] .

وأغلب المعاني التي أفادها حرف (الفاء) في جمل الرفاعي هي السببية ، إلا في أبيات قليلة ، أفاد فيها الترتيب ، والتعقيب ؛ وذلك لأن الفاء بين الجمل تفيد السببية في الغالب[٤] .

ولا يستثنى من هذا الحكم القصائد ذات الصبغة القصصية التي تعتمد على الزمن ، والحدث ؛ بل إننا نجد أن (الواو) أظهر فيها من (الفاء) . مثل قصيدة (انتظار)[٥] التي لم ترد فيها (الفاء) ، وقصيدة (الفريسة تصيد)[٦] التي كان حظ (الفاء) فيها في أربعة وثلاثين بيتاً خمس مرات .

ومما جاءت الفاء فيه للسببية قوله :

---

(١) سورة غافر ، الآيتان ٣٦ - ٣٧ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٤) انظر : عبدالغني الدقر . معجم القواعد العربية في النحو والتصريف .- الطبعة الأولى .- (دمشق : دار القلم ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦ م) ، ص ٣٢١ .

(٥) جريدة البلاد السعودية ،(١٣٧٠/٧/٢ هـ) .

(٦) ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

فإذا ما طلعت من خدرها ردت الريح كيحموم الحريق
فإذا الرائد ظمآن الحشا لاهث الأنفاس كالشلو الغريق[1]

وقوله :

لكم أزرع آمالي فما أجني سوى جدبي[2]

وقوله :

أجرحي غير جرح الناس أعمى أصم فلا يرى أو يستجيب[3]

وأما الترتيب ففي قوله :

أنا من بنيت على الخيال قواعدي فتصدعت وانهارت الأطناب[4]

فإفادة الفاء هنا التعقيب ظاهر ؛ وذلك إشارة على سرعة التصدع ، والسقوط ، ومثله قوله :

ساق الزمان السرب نحو شتاته فتفرقوا وكأنهم أغراب[5]

واستخدام (الفاء) في هذين الشاهدين استخدام موفق لأنها تصور سرعة التصدع والانهيار في البناء كما تصور سرعة أثر الزمان في تفرقهم تلك السرعة التي تفيدها دلالة (الفاء) على التعقيب .

- الشـرط

هو النوع الآخر من الروابط التي استخدمها الرفاعي ، وقد جاء للربط بين الجمل سواء في البيت الواحد أو الأبيات المتعددة .

والمتتبع لشعره يجده يغلب استخدام أدوات الشرط غير الجازمة حيث بلغت نسبتها ٦٧,٧٪ بينما لم تصل نسبة الأدوات الجازمة سوى ٣٢,٣٪ كما يجده قد

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ ، والقرص ٢٦، ٣٧ .
(٤) " سبعون " ، المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .
(٥) االمصدر نفسه ، وانظر : " الفريسة تصيد " ، ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

استخدم أغلب أدوات الشرط ولكن بنسب متفاوتة ، يوضحها الجدول التالي :

الجدول رقم (٥) يوضح نسب استخدام أدوات الشرط للربط بين الجمل .

الأداة	نسبة التكرار
إذا	٤٢,١٪
إن	٢٨,٩٪
لو	١٠,٥٪
البقية (ثماني أدوات)	١٨,٥٪

وليس من المصادفة أن تتقدم هذه الأدوات الثلاث على غيرها في الظهور ؛ ذلك أن هذه الأدوات تختص ببعض المعاني التي جعلت البلاغيين يفردونها بالحديث عن أدوات الشرط الأخرى .

وتشترك (إذا) و(إن) بأن الأصل في فعليهما أن يكون مضارعاً ؛ ذلك أنهما دالتان على الاستقبال ، إلا أن الرفاعي ترك هذا الأصل فجاء فعل هاتين الأداتين ماضياً في أكثر استخدامه لهما .

وقد ذكر البلاغيون أن العدول عن المضارع إلى الماضي إنما يكون "لإنزال غير الحاصل منزلة الحاصل"[1]. وقد يصعب حمل أكثر الشواهد عند الرفاعي على هذا ؛ خاصة في الأفعال التي هي حاصلة دون إنزال لأنها قد وقعت ، وكان حديثه وصفاً لها كما في قوله :

---

(١) بغية الإيضاح ،ج ١ ، ص ١٩٤. ويرى الزمخشري أن (إن) إذا دخلت على الماضي أخلصته للمستقبل (ابن يعيش : شرح المفصل . ١٠ أجزاء .- د.ط .-(بيروت : عالم الكتب ، د.ت) ، ج ٨، ص ١٥٦).

إذا ارتـوى مـــن رشـــأ | رد الصـدى لـــي رشـــأ
إذا انتهــــى لغايـــة | لغايـــة يبتـــدئ[1]

وقوله :

إذا مـا الصمـت لـف الليـ | ـل فـي شـيء مـن الرعـب
وطـاف النـوم بالسـما | ر يغلـق ناعـس الهـدب
أجـرر خيبـتي والعـو | د حـيران الأسـى جنبـي[2]

ويحتمل أن يكون المراد بهذا الفعل المستقبل وجيء به في الماضي للدلالة على الجزم بوقوعه ، ولكن هذا إذا لم يكن يصور مشهداً وقع .

ومن أمثلة ورود فعل (إن) وشرطها في الزمن الماضي قوله :

تراني دون هـذا الصـخر حسـاً | وعهـدي إن دعـا حسـن ألبـي[3]

وتختلف (إذا) عن (إن) في الاستخدام إذ أن (إذا) في المتيقن أو الراجح حصوله ، أما (إن) ففي المشكوك وقوعه . فهل كان الرفاعي واعياً بهذه المعاني عند المراوحة في استعمال هاتين الأداتين .

استعمل الرفاعي (إذا) كثيراً فجاءت في مواقعها الصحيحة في بعض الأبيات كما في قوله :

إذا اقـترنت عزائـم عبقـري | بـرأي مفكـر نجـح القـران[4]

فالشرط هنا وهو (الاقتران) واضح ظاهر من خلال تكريم المثقفين في الحفل الذي حضره الشاعر وأنشأ قصيدته لأجله وهو يرغب أن يقع ، ولذا كان استخدامه (إذا) في مكانه الصحيح .

وإلى جوار هذا الاستخدام الصحيح استخدام آخر (لإذا) يظهر أنه مخالف للصواب كما في قوله :

---

(١) (بي ظمأ) ،١٣٨٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٢) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨هـ) .
(٣) " أيتكلم الصخر " : جريدة الجزيرة ، (١٨/٢/١٤١٠ هـ) .
(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ١٠٨ .

وكم حُبب الهجر زوراته إذا الهجر أمسى بلا آخرة

فاستخدام (إذا) في هذا البيت خطأ ولو كان هو المتوقع لأن الهجر من المحبوب عند الشعراء أكثر من الوصل ؛ إلا أن الشاعر لا يحب هذا الهجر فكان الأنسب أن يستخدم (إن) للتفاؤل بعدم حصول الهجر ، والتقليل من وقوعه .

ومثل ذلك قوله :

وما المجد بعد فناء النفوس إذا ضاق عمر عن المأمل

ففي هذا البيت استخدم (إذا) مع المتقين حصوله ؛ لأن العمر يضيق دائماً عن الآمال ، ولكن كان يجب على الشاعر أن يطمح في الحصول على آماله وألا يقصر عنها عمره فيستخدم(إن) للدلالة على عدم تيقنه في عدم إدراك الآمال وللإشارة إلى طموحه الكبير ، وهمته العالية .

وقد اجتمع الاستخدامان الصحيح والمخالف في قوله :

فإذا تدفق خاطري فبفضله وإذا تحجر لن أكف تطلعي

فاستخدامه لـ (إذا) في الشطر الأول مناسب ، لأنه يريد أن يتدفق خاطره ... الشطر الأخير جاءت (إذا) مع التحجر والجمود وهو أمر معيب لا يرضاه ... فكان الواجب أن يستخدم (إن) رغبة في عدم حصوله .

أما استخدام الرفاعي لـ (إن) فقد جاء في أغلبه استخداماً غير موفق يستخدمها مع ما يتيقن حدوثه مع عدم ظهور نكتة في هذا كقوله :

فإنك إن سمعت بذكر شخص جبوري فدونكه الأريب

فاستخدم (إن) التي تفيد الأمر المشكوك فيه مع أن المناسب أن يستخدم ... لأنه يمدح ، واليقين بأنه سيسمع عنه أبلغ في المديح من الشك في ذلك .

وكذلك قوله :

---

(١) صورة " : مخطوط ، مع ٦١ - ١٣٦٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٦ .

(٣) السلام عليك ، ص ١٥ .

(٤) (سعي بالود) ، ١٤٠٠/١٢/١٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

أرأيـت إن فـرش الأشعـة بالريـا فجـر وإن عـم البطـاح نضـار[1]

فكان الأحسن أن يستخدم هنا (إذا) لأن فرش الأشعة ، وعموم النضار أمر متيقن في حصوله فيكون محله (إذا) .

ومما جاء فيها استخدام الرفاعي (إن) موفقاً قوله :

إن تشرق الشمس تدلف نحو مغربها فاشفق على الشمس إن مالت إلى الشفق[2]

فإنه وإن كان إشراق الشمس أمراً متيقناً فيه ، والموقع هنا لـ (إذا) فإن إحلال (إن) هنا محل (إذا) بليغ ، لأنه إنزال العالم بالشيء منزلة الجاهل لأنه لم يعمل بمقتضاه ، وهذا الإنسان لم يستفد من عمره حق الفائدة ، فكأنه لا يعلم أن العمر ينتهي ، وأن الشروق يعقبه الغروب فعامله معاملة الجاهل لعدم علمه بذلك ، إمعاناً في اللوم والتقريع .

أما الأداة الثالثة من أدوات الشرط فهي (لو) وهي للشرط في الماضي فـ "يلزم كون جملتيها فعليتين وكون الفعل ماضياً"[3]، وقد جاء أكثر استعمال الرفاعي لها على الأصل ، كقوله :

يجمـع المشـرقين ديـن حنيـف لـم يـزل بيننـا المـلاذ المـآلا

لـو لزمنـا صـراطه لاستقمنا وجعلـناه للعـدى زلـزالا[4]

وقوله :

---

(١) " أنور العطار " : جريدة الأربعاء ، (١٤١٦/١/٣٠هـ) .

(٢) " شفق " : صفر ١٤١٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) بغية الإيضاح ، ج١، ص ١٩٨ . وقد اعتمد في القول السابق على الخطيب القزويني . ويخالف ابن هشام هذا الرأي إذ يرى أن (لو) تدخل على الفعل المضارع وأنها تفيد حدوث الأفعال في المستقبل ويكون حالها حال(إن و إذا) ولاحاجة لتأويل الشواهد التي وردت على هذا النوع ، مستشهداً بقول الشاعر:

ولـو تلتقـي أصداؤنـا بعـد موتنـا ومـن دون رمسـينا مـن الأرض سـبسب

لظـل صـدى صـوتي وإن كنت رمة لصـوت صـدى ليلى يهش ويطـرب

(انظر : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ٢٦١ .)

(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٦١ .

إذا هجر الحسان وعفن شيبي ... فكيف تصد ألحان حسان

فلو أبقت على التذكار شيئاً ... يعاودني إذا جد الرهان[1]

ومما جاء على غير الأصل بأن كان فعلها مضارعاً قوله :

ما عرفت الحب من قبل فلمّا

وحّدت أشواقنا القلبين ضمّا

وارتوى لو يرتوي المدنف لَثْمَا[2]

وقوله :

عظة لو تمر بالحجر الصلـ ... ـد مراراً لفجر الأرض ثائر[3]

ولعل استخدامه للفعل المضارع جاء رغبة في إفادة استمرار حكم قوة العظة حتى في وقت المتحدث أو ما بعده .

وأما في الشاهد قبل الأخير فقد تكون لاستحضار صورة الالتقاء ، وكأنه حاضر في الذهن ، أو لتصوير شدة الهيام والعطش بأن استحالة الارتواء ليست خاصةً في ساعة الحديث ، ولكنها في المستقبل أيضاً .

وقد أدى هذا الإكثار من التشريك بين الجمل سواء بالعطف ، أو الشرط أو غيرها كالنعت والتكرار ، إلى طول الجملة عند الرفاعي حتى لتأتي الأبيات الستة مترابطة فيما بينها بأحد الروابط السابقة ، وما هي في حقيقتها إلا جملة واحدة طوت في داخلها جملاً عدة .

فمن مجيء واو العطف رابطاً قوله :

طربت لنايك خلب الأحلام ... وتراقصت نشوى على الأنغام

وتمثلت رؤيا السعادة حلوة ... بعثت لشدوك حلوة الإلهام

وتمايلت أغصان روضك غضة ... في لين عطف واتساق قوام

---

(1) ظلال ولا أغصان ، ص ١٠٧ .

(2) " موكب الحسن " . ١٣٦٨/٤/٢٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(3) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٥ .

وتلاعبت نسم الربيع لطيفة نقلت غناءك في الفضا المترامي
وتطلع الزهر الزكي ببسمة فانعم بطلعة زهرك البسام[1]

ومثال مجيء الشرط رابطاً قوله :

إن كان شغل الناس في هذا الزمان هو الدراهم والعمائر
والأرض يستهمون فيها والعقار وكل ما تجني المتاجر
فهناك في وسط الزحا م من الألى قوم نوادر
شغلوا بصيرفة العلو م وفي العلوم لهم مآثر[2]

ففي هذا الشاهد نجد الأبيات مترابطة تكون جملة واحدة طويلة . فجملة (الأرض) وما بعدها معطوفة على جملة خبر (كان) وجملة (يستهمون) مفسرة لا محل لها من الإعراب ، وجملة (هناك في وسط الزحام) واقعة في جواب شرط (إن) وجملة (شغلوا بصيرفة العلوم) نعت للفظة (قوم نوادر) فهذه الجملة بعضها يأخذ بطرف بعض وشدها الشرط من أول بيت إلى أخره .

أما ما جاء فيه النعت رابطاً فقوله :

بغصن من الخلد رفافة معاني الخلود على عطفه
سقاه الجمال ، طلا نبعه فمالت به الخمر من لطفه
تمايس ثملان في رقصة يبث الغدير جوى لهفه
تعانقه النسم العابرات وترجع والشوق في عنفه[3]

فالنعت في هذا الشاهد ربط الأبيات الأربعة فيما بينها .

ومجيء التكرار رابطاً لا يضاهي هذه الروابط الثلاثة السالفة ، وإن كان يظهر عنده بوضوح كما مر من قبل ، وذلك نحو :

أرأيت كيف يفتح النوار وتنم عن أرج بها الأزهار

---

(1) " ناي الراعي " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(2) (سعي بالود) ١٤٠٠/١٢/١٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(3) مع الأغصان : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٧٨هـ ، تموز١٩٤٩هـ) .

أرأيت إن فرش الأشعة بالربا فجر وإن عم البطاح نضار
أرأيت إن ضم الندامى كأسهم لذاً به صفو الرحيق يدار[1]

لا يعني هذا أن الجمل القصيرة لا تأتي عند الرفاعي ، ولكنها أقل من الطويلة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

وتصامت .. ما أصدق سمعي أتراني .. وليس غيري المنادى
صدقوني .. فما أصدق حتى ناظري .. أن يكون غش وزادا[2]

فهذان البيتان مكونان من أكثر من جملة ليس بينها رابط ، فالأول مشتمل على ثلاث جمل ، والثاني مشتمل على جملتين بينهما (فاء) السببية ؛ بل إننا لنجد بين جملة (أتراني) وما قبلها (كمال انقطاع) لاختلافهما خبراً وإنشاء ، ومثل ذلك قوله :

بنانك ماهر .. أدري ولكن بنان الدهر أمهر إذ يصيب[3]

وقد يتكون البيت من أكثر من جملة ، ولكنها جمل أقحمها الشاعر لإكمال الوزن ، كقوله :

ضل من يحسب البناء صروحاً شامخات تأتي عليها العوادي[4]

فجملة (تأتي عليها العوادي) تتميم ليس منها فائدة وكقوله :

لم يعد في الغصون غصن حفي مائس فوق روضه يتأود[5]

فجملة (يتأود) بمعنى مائس جيء بها لتتميم الوزن .

٣ - الصورة الشعرية

لم تعد الصورة الفنية نوعاً من تحلية الأدب ، وبخاصة الشعر أو سبيلاً لإيراد

---

(١) أنور العطار : جريدة الأربعاء ،(١٤١٦/١/٣٠هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٩ . وانظر : (عدت للشعر) ،١٣٩٠/٥/٣١هـ ، مخطوط في دار الرفاعي؛ و(هم يجمعون) ، جريدة المدينة ، (١٤١٣/١/٥هـ ، وظلال ولا أغصان ، ص ٥٩ - ٧١ .

(٥) (عدت للشعر) ، ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

المعنى الواحد بصور مختلفة ، وإنما أصبحت هي المادة الأصلية التي تتحكم في المعنى وتؤثر فيه ، وقد عدها بعضهم "المركز البؤري للبناء الشعري كله"[1]، "فدراستها وتحليل عناصرها وعلاقاتها ربما كانت من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخلفية للنصوص الأدبية التي كونتها عقلية أصحابها ورؤيتهم للكون والإنسان والحياة"[2] .

وهذا التغيير في وظيفة الصورة صدى للتغير في نظرية الخيال الشعري التي بلغت "ذروتها عند كل من الشعراء والمفكرين الرومانطيقيين . فقد آمن هؤلاء أن كل صد لهذه القوة الخالقة قتل للقوة الحيوية في الإنسان ، وأن الشعر لا يكون في أقوى حالاته إلا إذا أرخى لهذه القوة الزمام"[3]، والتي تقوم في حقيقتها على إظهار علاقة الخيال بعملية الإبداع الأدبي . وفي ذلك يرى كيتس "أن الخيال قوة قادرة على الكشف والارتياد عن طريق الخلق والحس والجمال كما أنها قادرة على بلوغ الحقيقة القصوى"[4].

وتشكل الصورة الفنية عنصراً مهماً من العناصر الشعرية عند الرفاعي ؛ إذ من الممكن أن يقال : إن الرفاعي اتخذ الصورة أداته المفضلة للتعبير ، كما يمكن أن يقال : إنه يكاد لا يخلو بيت في شعره من نوع من أنواع الصورة ، التي جاءت على النحو التالي :

---

(١) االدكتور عبدالقادر الرباعي . الصورة الفنية في النقد الشعري .- الطبعة الأولى .- (الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ١٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨ ، وانظر : الدكتور ساسين عساف . الصورة الشعرية .- د.ط .- (دار مارون عبود، ١٩٨٥ م) ، ص ٦٠ .

(٣) الدكتور إحسان عباس . فن االشعر : الفنون الأدبية ، ٣ .- الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الثقافة ، د.ت) ، ص ١٤٧ .

(٤) الدكتور محمد زكي العشماوي .، قضايا النقد الأدبي بين القديم والجديد .- د.ط .- (بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ٦٢ . قد يفهم من هذا أنه يستطيع إدراك الأمور الغيبية ، وأنه يمكن الإنسان مما لا يستطيع الإطلاع عليه ، وهي بهذا تجعل العقل والخيال هو الحكم في كل شيء ، ومقدم على النقل ، وهذا هو ما جاءت به بعض المدارس الفكرية في القديم والحديث كالمعتزلة التي تقدم العقل على النقل . ومعلوم أن هذا مخالف للمنهج الصحيح الذي سار عليه علماؤنا السلف منذ القديم وحتى عصرنا الحاضر .

١ - الصــــورة الكلية

هي التي تتألف من عدة صور جزئية تتكون منها صورة كاملة ، فهي شبيهة "بلوحة تضم داخلها صوراً صغيرة لا تستقل بنفسها ، ولكنها تكون جزئيات هذه اللوحة الكبرى وتتحد داخلها اتحاداً عضوياً"[١] لو سقط منها جزء أخل باللوحة ، وهذا النوع من التصوير أمارة على قوة الخيال وسعته ، والخيال فيها خيال تركيبي يضم أشتات الصور فيؤلف لوحة متكاملة الأطر فيها الشيء الكبير والحقير التافه الذي لا تكتمل الصورة إلا به .

ومن أظهر القصائد التي فيها هذا اللون من الصور، قصيدته (الفريسة تصيد[٢] التي صور بها بائعات الهوى اللاتي يجبن الطرقات بحثاً عمن يقع في حبائلهن ، فنجده ينقل حركاتها في الشوارع والطرقات حتى تجد ضالتها .

يبتدئ اللوحة بتصوير مشاعره تجاه تلك المرأة ، وتصوير حالها التي تعيش فيها :

بكــى مــن أجلهـــا قلــبي	ولكـــن مـــا بكـــى القــدر
أحـــاط بهـــا فطوّحهـــا	لمـــوج الليـــــل يعتكـــر
وألقاهـــــا لمهـــوى القـــاع	يطويهـــــــا فتنحـــدر

ثم ينتقل بعد تصوير الشخصية البطلة إلى بداية الحدث :

إذا مـــا الليـــــل آواهـــا	تيقـــــظ عندهـــا وطـــر
وهامــــت فـــــي مجاهلــه	عســـى يصطادهـــا نمــر
ومـــس الليـــــــل أردا	ن النســيم الرطــب .. ينتشــر
يلـــف غلالـــــة الظلمـــــاء	لكــــن .. ســيره عطــر

وبعد تصوير الشخصية الأولى في القصة ينتقل إلى الشخصية الثانية ، وهي (النمر) فيرسم حركاته بدقة ، حتى يحس المتلقي بالخلجات التي تعتمل في نفسه ،

---

(١) الدكتور صلاح عبدالحافظ : الصنعة الفنية في شعر المتنبي .- الطبعة الأولى .- (مصر : دار المعارف ، ١٩٨٣) ، ص ١٧٤ .

(٢) ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

كما يصور الإشارات التي يتواصل الطرفان من خلالها غير تارك حركة الثغر والبصر .

ومقـــود صــــاحبي المـــرا ح يدعـــــــوه .. فيأتمـــر
تلـــف ملامـــح الطـــرقا ت عـــــين .. كلهـــا نظـــر
رأى أشواقهـــــا حيـــــرى (وعــــند جهينــــــة الخــبر)
فهـــدّى مــــن شكيمتـــــه وهـــش الثغـــر والبصـــر
وقالـــت عينهـــا : ياليـــل قـــال : الليـــل ينتظـــر

ثم ينتقل بعد هذا الجزء إلى نقل ما تبقى من صورة اللقاء المعهود ، وإن كان لا يتم بكل وقائعه تاركاً ذلك للقارئ .

ويتضح في هذه الصورة براعة الرفاعي في نقل المشهد ، فيفتتحه بالسرد القصصي الذي تتابع فيه الأحداث رابطاً بينها بالفاء - أحياناً - التي تدل على الترتيب ، والتعقيب تصويراً لسرعة سقوطها ، كما تظهر براعته في قدرته على استخدام إمكانات اللغة في نقل المشهد كما في قوله :

تلـــف ملامـــح الطرقـــا ت عـــين .. كلهـــا نظـــر

فجعل هذا الذي يلف الطرقات كله عيناً لأنها الجزء الظاهر منه في هذا الموقف ومثل هذه أيضاً - صورة الرائد في قصيدته (تائه)[1] الذي يسعى في صحراء قاحلة من غير هاد أو دليل جعله ذلك يظن الليل لا صباح بعده :

رام جـــوب البيد مـــن غير رفيق رائـــد ضيـــع أعـــلام الطـــريق
كلمـــا طـــال بـــه إســـراؤه ظـــن ليـل البيـد مـن غـير شـروق

وإذا ما جاء الفرج ، وطلعت الشمس فإذا الأمر يزداد سوءاً فالهواء يعود سموماً تقتل الرائد ظمأ ، والماء يستحيل أحلاماً وسراباً :

فـإذا مـا طلعـت مـــن خدرهـــا ردت الريـــح كيحمـوم الحـــريق
فـإذا الرائـد ظمـــآن الحشـــا لاهـث الأنفـاس كالشلـو الغـريق

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٢ .

كلما مـــرت علـى أحلامـــه صـــور المـاء على نبـــع رقيـــق
ورأى فـــي الأفـــق أطيـاف المنى يستحـــث السير في خطـــو طليـق
فـإذا المــاء ســراب كـــاذب خـــادع كالحلـــم إلا مـــن بـــريق

وقد خص الرفاعي في تصوير هذا الرائد ، صورته في الصحراء ، وحالته النفسية مكتفياً بها عن صورته الحسية ؛ وذلك لأن هذه الصورة بأبعادها المتعددة هي التي استولت على وجدان الرفاعي ، وهي ما يستحق أن يلتفت إليه في هذا المشهد ، كما أنها مناسبة لفترة الريادة التي أنشأ الرفاعي بها هذه القصيدة والتي تكاد طبيعتها تقترب من صورة البيئة الصحراوية التي يعيش فيها الشاعر .

وألوان المجاز ظاهرة في هذه الصورة كالاستعارة في قوله (طلعت من خدرها) ، والتشبيه في قوله : "كيحموم الحريق"[١].

٢ - الصــورة العامــة

وهي مجموعة الصور التي تصور شيئاً واحداً ، ولاتعطي صورة كلية متكاملة بحيث تشكل أجزاؤها المختلفة جزءاً واحداً ، فهي يمكن أن يزال منها بعض الأجزاء دون أن تتأثر الصورة . كما في قصيدة الرفاعي الـتي بعنوان (وشوشة)[٢] حيث يصف همسات صوت صاحبته بأنها كخفق النسيم ، ولها نغمات الناي ، وبها دلال صاحبتها وحنانها :

همســـات صـــوتك عذبـــة فـــي مسمعي لما تـــزل
خفقاتهـــا خفـــق النســيم وجرســـها جـــرس القبـــل
ولهـــا .. لبحتهـــا صـــدى الـ علـــو البهيـــج مـــن الأمـــل
رناتهـــا نغمـــات نـــا ي زفهـــا شـــاد جـــزل
ولهـــا دلالـــك تـــارة تهفـــو وفـــي أخـــرى تـــدل

---

(١) انظر : مثل هذه الصورة في " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨هـ)، وصورة الطبيعة في (يا صديقي) ، شعبان ١٤٠٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٩/٢/٢٧هـ) .

وبهـــا حنـــانك آه لـــو ظـل الحنـــان ومـــا أفـــل

ثم يشبه وقعها في سمعه بالعطر ، وريح الفل ، والفجر الأنيق :

تناســـب فـــي ســـمعي بهـــا عطـــر يضـــوع وريـــح فـــل

وبهـــا مـــن الفجـــر الأنيـــق طـــــراوة وســـــنا وطـــــل

وتراقصـــت فـــي مســـمعي نشـــوى تـــزف إلـــى ثمـــل

فهذه الصورة العامة التي تصور الهمسات لا تجتمع متضافرة لتشكل لوحة واحدة كاملة ، ولكنها تظل منفردة في ظل موصوف واحد ، ولو أزيل بعضها لما اختلت صورة الموصوف .

ومثلها أيضاً قصيدة (مع الأغصان) التي يصور فيها الغصن بعدة صفات ، فهو من الخلد والجمال سقاه بطلا نبعة ، ويتمايس ثملان يحدث الغدير عن أشجانه ، والنسيم يعانقه فلا يمل :

بغصـــن مـــن الخلـــد رفافـــة معـــاني الخلـــود علـــى عطفـــه

ســـقاه الجمـــال ، طـــلا نبعـــه فمالـــت بـــه الخمـــر مـــن لطفـــه

تمايـــس ثمـــلان فـــي رقصـــة يبـــث الغـــدير جـــوى لهفـــه

تعانقـــه النســـم العـــابرات وترجـــع والشـــوق فـــي عنفـــه

ويـــــرح بالطـــل تحنانـــــه فـــذاب علـــى الزهـــر ، مـــن رجفـــه[1]

فهذا الشاهد يصور الغصن ولكنه لا يشكل لوحة واحدة متكاملة وإنما لكل جزئية منها خصوصيتها التي تجعلها صورة قائمة بذاتها .

ويظهر هذا اللون من التصوير في قصيدة (قطرة)[2] التي حيا بها محمد حسن فقي في الندوة التي أكرمه بها أحمد زكي يماني[3] .

---

(١) مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨هـ ، تموز ١٩٤٩هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٢ .

(٣) أحمد زكي يماني ، (١٣٤٩ هـ -) ، من مواليد مكة المكرمة . تولى وزارة البترول ٢٥ سنة . أنشأ مؤسسة الفرقان في لندن . من أعماله : الشريعة الخالدة ومشكلات العصر ، (انظر : معجم الكتاب والمؤلفين ، ص ١٥٠) .

٣ - الصورة التمثيلية

وهي التي تصور مشهداً أو حادثة حركية . "وتحقق مع ذلك شرط الاستحضار الحسي البارز لثراء تفاصيلها ودقة تركيبها"[١].

ومن هذا النوع عند الرفاعي قوله يصور مشهد تحريك اللسان سخرية بالمشار إليه وهو مما يفعله الصبيان :

إن كنت كابرت السنين فإنها ... أقوى وأعنف إذ يحين غلاب

وزعمت أني لم أفارق جدتي ... فأشار يسخر باللسان حساب[٢]

وقوله يصور الطبيعة الجميلة في مدينة (آخن) الألمانية حيث يرسم الربيع لوحة فراشها مخمل موشى بالأزهار والأشجار يقفن صفاً ، والقنوات تألقن على السفح ، فموكب الجمال يقف عند جبل آيفل : .

جئتها والربيع يرسم فيها ... لوحة فذة الرؤى والإطار

فرش المخمل النضير بساطاً ... ثم وشى البساط بالأزهار

قال للدوح هاهنا قفن صفاً ... في حفافي هذا اللجين الجاري

وعلى السفح والقنالُ تألقن ... أو تعلقت في ذيول البراري

موكب للجمال يسري فلما ... وصل (الآيفل) استراح الساري[٣]

ومثل ذلك أيضاً قوله يصف صاحبته التي وعدته للقيا ، ويسجل الموقف الذي تم فيه الموعد :

قال لي ، وهو يعبر الدرب أمامي على حذر

وبهمس كأنه خفق حفيف النسيم للزهر

وبعينيه حلو إيماءة ، أنا أعنيك بالخبر

انتظرني غدا

(١) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص ٢٧٠ .

(٢) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

(٣) " آخن " : مخطوط ، ١٤٠٨هـ ، يوجد في دار الرفاعي .

قالهــا عابـــراً مســـرع الخطــو مائســـا
وثــنى جيــده .. وكــأن لــم يقــل هامســا
انتظرنــي غــدا[1]

وعلى الرغم من اعتماد هذا اللون من الصور على الحقيقة فإنه لا يكاد يخلو من عنصر المجاز بأنواعه المختلفة ؛ إذ أن الشعر في لغته يعتمد على المجاز ومجافاة الحقيقة . وقديماً قيل أصدق الشعر أكذبه ؛ ولذا فإن هذا النوع من الصور التي يقل فيها المجاز يكثر في الأدب الملحمي والقصصي[2] دون الغنائي.

ومما جاء من هذا اللون ممتزجاً بالصور المجازية قوله :

ارم طــوق النجــاة يــارب إنــي ... فــي خضــم .. ولا أجيــد السباحة
تترامــى الأمــواج مــن كــل فــج ... لجــة فــوق لجــة منداحــة[3]

وأما إذا حصرنا هذا النوع من الصور في الحقيقة فقط وأخرجنا المجاز فظهوره عند الرفاعي يقل جداً .

٤ - الصورة المكثفة

وهي التي تجتمع فيها صور متعددة متشابكة تعطي معاني كثيفة متتابعة . وتظهر الصورة المكثفة عند الرفاعي بكثرة ، فلا يأتي - في الغالب- بالصورة إلا وهي محملة صورة أخرى تدعمها وتعمقها ، من ذلك قوله :

ســبعون قــد وفــد الشــتاء يزورنــي ... والنــار قــد خمــدت وليــس ثقــاب[4]

فحين شبه نهايته بالشتاء لم يترك الصورة حتى أتمها بالنار التي تطلب في الشتاء ثم بانتفاء الثقاب .

---

(١) " انتظرني غداً " ، فيما قبل ١٣٧٥هـ ، وانظر قصيدة " ظمآن " ، ١٣٩٨/١١/٩هـ ، مخطوط في دارالرفاعي .

(٢) انظر : الدكتور عبدالله الحامد ، الصورة الأدبية ، مخطوط ، مصور لدى المؤلف .

(٣) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١١/١٣هـ) .

(٤) " سبعون " : المجلة العربية ، مصدر سابق .

وقوله :

إنـي لـدى التعـريف ربـع مثقـف ... صحب الكتـاب فلـم يخنـه كتـاب
هو في دمي عشق الطفولة والصبا ... فهـو الهوى، واللحن ، والأحبـاب[1]

إذ شبه الكتاب بثلاثة أشياء متتابعة ، ولم يكتف بواحد منها ، مع أنه يؤدي المعنى .

وقوله في تصوير جهد العلماء الذين يتعبون في تحصيل العلم والمعرفة :

هـم يجمعـون الثريـا مـن منابتهـا ... ويقتطفـون مـن الأحـلام أحـلاها
ويمـلأون سـلال الدهـر تجربـة ... مـن حر أعمارهم ما كان أغلاها
ويزرعـون بـدوراً فـي غياهبنـا ... لو لا مصابيحهم من كـان جلاهـا[2]

فلم يكتف بأن جعلهم يجمعون ويقطفون ويزرعون حتى جعل لهم سلالاً ، لتتم الصورة ، زراعة ، فقطافاً ، فجمعاً في السلال .

٥ - الصورة المفردة

هي التي لا تحوي سوى صورة واحدة وهي في الغالب من علم البيان ، وذلك قوله :

قـد رضعـت الهـوى بمكـة طفـلاً ... فـي حمـى المسـجد الحرام حـلالا[3]

ففي قوله (رضعت) استعارة تخييلية ، وكذلك قوله :

أيـن مـا أيـن أنتـحي ... أيّ جناتـي المقـر؟
نطـق الحسـن نفسـه ... (تلـك كومـو مـدى النظـر)[4]

فإسناد النطق إلى الحسن صورة مفردة .

وقوله :

أمـا الجمـال فكالـورود نقيـة ... أردانـه .. بـل كالـورود معطـر[5]

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) (هم يجمعون) : جريدة المدينة ، (١٤١٣/١/٥هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

وقوله :

ويبـــذل مــن صداقتـــه صفـــاءً ويأســر فـــي محبتـــه القلـــوبا[1]

فهذه الأبيات كلها صور مفردة ، ولا تحوي صوراً أخرى . فالبيت الأول فيه الهوى يرضع ، وفي الثاني الحسن ينطق ، وفي الثالث إنسان يشبه الورد ، وفي الرابع أسر المحبة القلوب .

وهذ النوع من الصور قليل عند الرفاعي فهو لا يترك الصورة حتى يتمها ويكثفها .

وهذه الأنواع السابقة هي أظهر أنواع الصورة عنده ، ولا يعني هذا ألا يكون هناك بعض الأنواع النادرة الوقوع كالصورة الذهنية غير العقلية[2]، التي لا تقع إلا بالذهن ، فهذا النوع لم يرد عنده إلا مرة أو مرتين فأغلب صوره تعتمد على العقلية والمنطقية ، والتقارب بين طرفي الصورة .

ومثال الصورة الذهنية قوله :

أحدو الصباح

وأرفو من أشعته عمري

وأعــرف أنـــه يمســـي

الليل مركبـة عنـــدي

يواكبها حلم الصـباح

وطلعة الشمس

والليـل ..

مزرعة للـورد

موسمها

في مهرجان الهـــوى

---

(١) (سعي بالورد) مخطوط ، ١٤٠٠/١٢/١٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) انظر : الصورة الشعرية ، ص ٦٨ .

أو زفـة العـرس[1]

فـهـذه الصـورة صـورة الصبـاح المحدو ، والشـعـاع المخـيط ، ومركـبة الليل التي يواكبها حلم الصباح ، ثم الليل الذي هو مزرعة للورد ، وموسمها مهرجان الهوى ، هذه الصـور المختلفـة تشكل صـورة لا يمكن حضـورها إلا في الذهن ، ولا يمكن أن تكون في الواقع .

ومن ذلك أيضاً قوله :

هـذه ليـلة مـن العمـر بيضـا ء ازدهـى ليلهـا وألقـى السوادا

فالعشـيات قـد تضمخـن بالـور د فجاءت أفوافـه تتنـادى

وزكـا زهرهـا وقد جـاء صفـواً خلـع الشـوك جانبـاً والقتـادا[2]

الليل أبيض مزده ، والعشيات مضمخات بالورد ، والأفواف تتنادى ، والزهر جاء خلواً من الشوك . إن هذه الصورة التي لا رصيد لها من المنطق الواقعي ، ولا من الطبيعة يؤلفها خيال الشاعر المبتكر في ذهنه وحده .

وهذه الصور مع عدم منطقيتها فإنها لا تصل بعدم العقلانية تلك الصور الرمزية والسريالية الموغلة في الغمـوض ، المتأبيـة على الفـهم ، والإدراك . فـهي توحي بالمعنى ، ويمكن معـرفـة مـا تنطق به الصـورة ، فـهي تنضـوي تحت لواء الصـورة الإبداعية[3] المتوسطة بين الصورة الاتباعية التي تعتمد على النقل ، والمحاكاة ، والترابط المنطقي بين طرفي الصورة [4]. والصورة الرمـزية والسرياليـة التي "ترفض قوانين العقل وضوابطه وتعاكس ما هـو عادي ومألوف"[5].

على أننا لا نستطيع أن نلغي ما بين هذه الصور جميعاً من تداخل ، خاصة في الأنواع الخمسة الأولى ؛ إذ لا تخلو الصورة الكلية من صورة تمثيلية فيما بينها ،

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٨ .

(٣) انظر : الصورة الشعرية ، ص ٨٩ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٢ وما بعدها .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .

كما لا تخلو الصورة العامة من صور مكثفة ، كما أن الصورة المكثفة تتكون من صور مفردة مترابطة إذا جزئت ذهب جمالها . فبين هذه الصور جميعاً عموم وخصوص من بعض الوجوه ؛ لأن الصورة المفردة لا تكون مكثفة ، ولو اجتمعت مالم تكن تصويراً لأمر واحد ، ومالم تكن مترابطة فيما بينها . وهذا التداخل بين أنواع الصور أمر طبيعي لا يمنع من الوقوف عند كل واحدة على حدة ما دامت ستعطينا معنى جديداً . وفي البلاغة العربية تتداخل الاستعارة المكنية ، والتبعية حتى قال بعض البلاغيين "كل استعارة تبعية تجئ قرينتها إستعارة مكنية"[1]، ومع ذلك لم يلغوا إحدى الاستعارتين مكتفين بإحداهما ، وإنما ذكروهما معاً .

وبما أن الحواس الخمس هي السبيل للإدراك والتواصل فلا عجب أن جاءت الصور الحسية أغلب الصور. وأكثر هذه الحواس ظهوراً هي البصر ؛ ولعل بعض الباحثين على حق "حين يقرر أن النموذج البصري هو الأكثر شيوعاً للصورة ، وأن كثيراً من الصور التي قد تبدو غير حسية لا يزال لها في الواقع ارتباطات بصرية ضعيفة ملتصقة بها"[2].

فمن الصور البصرية قوله يصف حاله مع الذكريات القاسية :

حالت لياليه بقيا روضة ذهبت ... مع الربيع وروح الروض لم يرم[3]

إذ شبه الليل بالروضة التي ذهبت مع ذهاب الربيع .

ومنه قوله أيضاً يصور الأغنية التي في نفسه :

تميل مع الأغصان في ميسانها ... وتسري مع الألحان في كل منغم

لها رقة الأنسام في كل خفقة ... وفيها جوى الأنداء تهفو لبرعم

وفيها رفيف الزهر صحواً وناعساً ... وفيها معاني الزهر للعطر تنتمي[4]

---

(١) الدكتور فضل حسن عباس : البلاغة وفنونها وأفنانها ، جزآن .- الطبعة الأولى .- (الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .

(٢) الدكتور محمد حسن عبدالله : الصورة والبناء الشعري .- د.ط .- (مصر : دار المعارف ، د.ت)، ص٣٠ .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٢ .

وقوله مصوراً الصباح الذي أتى عليه وهو في انتظار صاحبته :

إذا افـتر ثغـر الصباح الجميل   تطلعـت للصـبح أن يوفـدك

ولمـا مشـى فـي النهـار الأصيل   حسـبت علـى تـبره مقصـدك[1]

وتلي الصورة البصرية السمعية في الكثرة ، ومن شواهدها قوله في وصف صوت صاحبته :

همسـات صوتـك عذبـة   فـي مسمعـي لمـا تـزل

خفقاتهـا خفـق النسـيم   وجرسهـا جـرس القبـل[2]

وقوله أيضاً :

علـى مقـرب من حفافـي الغديـر   وفـي مسمع مـن جوى السـانية

يـذوب الحنـين بأحشـائها   فترسـل أناتهـا وانيـة[3]

وكقوله في وصف أثر ناي الراعي :

والـورق تسـترق اللحـون شجيـة   والبلبـل الصـيداح فـي أحـلام

أبدعـت فنـك فاستساغ بديعـه   وشـدا يـردد لحـنك المتسـامي[4]

وقد تجتمع الصورة البصرية والسمعية في بيت واحد كقوله :

بهـا نغمـة الينبـوع يجري بروحـه   حنيناً إلى الأعشاب يشكو ويحتمي[5]

وترد عند الرفاعي الصور الشمية والذوقية بنسب متقاربة ، فمن أمثال الشمية قوله يصور أثر إحدى قصائده :

مـا كنـت أحسـب أن مسراها شذى   يسـري علـى درب العبـير معطـر[6]

وقوله في تصوير أثر ذكر الله في نفسه :

---

(١) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، (٢٧/١٠/١٣٦٨هـ) .

(٢) " وشوشة " : جريدة البلاد السعودية ، (٢٧/١٢/١٣٦٩هـ) .

(٣) " مع الأغصان " : مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨ هـ / تموز ١٩٤٩هـ) .

(٤) " ناي الراعي " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٣ ، وانظر " وشوشة " : البلاد السعودية ، المصدر السابق ، " وانتظار" : جريدة البلاد السعودية ، (٢٧/١٢/١٣٦٩هـ) .

(٦) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣٦ .

فـي فمي مـن عبير ذكـرك عطر　　　وبقلبي مـن عطـر ذكـرك راحـة[1]

ومن أمثال الصور الذوقية قوله :

والذكـريات رؤى الماضي بروعته　　　عادت وفي كأسها صاب من الألم

يحبهـا .. وهـو يخشى من مرارتها　　　فيها العـلاج ، ومنها سورة السقم

يحسـو الحبـاب فيغـريه بنشـوته　　　كأنـه رقـة تنسـاب فـي نغـم

وفـي قرارتهـا كـدراء يجـرعها　　　فاعجب له ، ما ثنتـه نكسة الطعم[2]

فهذه الأبيات الأربع تزخر بالصور الذوقية علاوة على الإطار العام الذي يربط بين هذه الصور جميعا .

صنعة الصـورة

استخدم الرفاعي في صناعة الصورة أنماطاً عدة من التعبير اللغوي ، فاستخدم الحقيقة والنقل المباشر ، الذي تعتمد عليه الصورة التمثيلية ، كما في الشواهد السابقة وفي قوله :

ولقـد يخطـئ الدليـل ويكبـو　　　مثلمـا تعـثر الحصـاة الجـوادا

مـرة عنـدمـا تخـيرت شخصي　　　فتعجبـت أن أكـون المـرادا

وتصاممـت مـا أصـدق سمعـي　　　أتراني ، وليـس غـيري المـنادى

صدقـوني فمـا أصـدق حـتى　　　ناظـري أن يكـون غـش وزادا[3]

وقوله :

أنا مـن بنيت على الخيال قواعدي　　　فتصـدعت وانهـارت الأطنـاب

حقـاً رفعت على السراب دعائمي　　　لا عجـب أن ذابـت وظـل سراب[4]

واعتمد على فنون علم البيان فجاء التشبيه عنده بأنواعه كالتشبيه المرسل الذي

---

(١) (ارم طوق النجاة) : جريدة المدينة ، (١٣/١١/١٤١٣هـ) .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(٤) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ)

تبقى فيه أداة التشبيه كقوله :

أحس لها كالشهد نكهة قبلة ... تغرد من صهباء أعذب مبسم

وكقوله :

يعطي كما يعطي السنا ، آثاره ... جلى ، وتأسر قومه الآثار

أو التشبيه البليغ الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه كما في قوله :

وياويحهم وهموا فالخلود ... سراب يخادع قلب الخلي

وقوله :

رفاتها نغمات ناي ... زفها شاد جزل

خفقاتها خفق النسيم ... وجرسها جرس القبل

وقد يكون التشبيه تمثيلياً كقوله :

تركتني كالزهر مشتاقة ... أوراقه للطل عند الصباح

كالبلبل الغريد ضل السرى ... للروض حتى مل حلو الصداح

وكقوله في وصف أسلوب أنور العطار :

أسلوبه الخمر التي لا كأسها ... نزف ولا روادها أشرار

ويقل عنده التشبيه الضمني ، ومن ذلك قوله :

وجاء النابغون وجاء عجزي ... فهل يجري إذا ظلع الحصان

وقوله :

ركنت إلى السفح القريب مطامعي ... والسفح لا يهفو إليه عقاب

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٤٥

(٢) " أنور العطار " : جريدة الأربعاء ، (١٤١٦/١/٣٠هـ).

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٥ .

(٤) " وشوشة " ،جريدة البلاد السعودية ،(١٣٦٩/١٢/٢٧هـ) .

(٥) " وداع " ، ١٣٦٩/١١/٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) " أنور العطار " : جريدة الأربعاء ، (١٤١٦/١/٣٠هـ) .

(٧) ظلال ولا أغصان ، ص ١٠٨ .

(٨) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

وقوله :

أشرقت من هنا البواكير منـ ـه فارقب البدر إن رأيت الهلالا[1]

ولا يشكل التشبيه جانباً كبيراً في صور الرفاعي ، ولعل ذلك راجع إلى أنه يميل إلى التكثيف وذلك ما لا يتوافر في التشبيه ، على أن من النقاد المحدثين من لا يرى عد " التشبيه صورة إلا إذا عبر عن خواص محددة محسوسة تؤدي إلى تعديل رؤية الأشياء ... وذلك لأن التشبيه الذي يرد فيه وجه الشبه أو الأداة يكاد يكون لوناً من المقارنة بين شيئين واقعيين لا تؤدي إلى استحضارهما مجسدين في خيال المتكلم أو السامع الذي نزع إلى الاكتفاء بالاعتماد على نقطة الالتقاء المذكورة محتفظاً بالكينونة المستقلة للأشياء في الخارج دون أن يؤلف منها واقعاً متمثلاً جديداً"[2].

وكما استخدم التشبيه استخدم أيضاً المجاز بنوعيه المرسل والعقلي . فمن أمثلة المجاز المرسل قوله :

وقد غص بالمعجبين الطريق عيون ، وأفئدة تجوب[3]

ففي قوله : (عيون ، وأفئدة) مجاز فالطريق امتلأ بالناس الذين عبر عنهم بالعيون والأفئدة وهي جزء منهم فهو مجاز مرسل علاقته الجزئية . ومثل ذلك أيضاً قوله :

حنت إلى عبق التراب جوانحي لا غرو يشتاق التراب تراب[4]

فقد جعل نفسه تراباً ، وهذا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان وما يكون فأصل الإنسان تراب ، وسيعود تراباً .

ومن المجاز العقلي قوله :

إذا افتر ثغر الصباح الجميل تطلعت للصبح أن يوفدك[5]

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٩٠ .

(٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص ٢٧٠ .

(٣) " انتظار " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٧/٢هـ) .

(٤) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

(٥) " موعد العيد " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/١٠/٢٧هـ) .

ففي إسناد الإيفاد للصبح مجاز عقلي علاقته الزمانية ، وفي قوله :

فلا تنسه إن جفاك الحبيب وأسهدك الوجد لا أسهدك [1]

مجاز عقلي علاقته السببية لأنه أسند السهد إلى الوجد وإنما هو سبب فيه .

وقوله :

وأسرع فتية لاهون لا يثنيهم حذر[2]

فإسناد الفعل (يثني) إلى (حذر) مجاز عقلي علاقته السببية .

والمجاز العقلي الذي يقوم على التجوز في الإسناد أكثر عند الرفاعي من المجاز المرسل ، فهل يعني هذا أنه ينأى عن المجاز اللغوي . لا يمكن أن يقال هذا لا سيما أنه أكثر من الاستعارة وهي لون من المجاز اللغوي حتى إن أكثر صوره إنما هي استعارات وقد لا تجد بيتاً يخلو من استعارة .

والاستعارة الغالبة هي الاستعارة المكنية أما الاستعارة التصريحية فقليلة الوجود ومن الاستعارة التصريحية قوله يصف قلبه :

أيها المرجل العجيب الذي بين أضلعي

تخمد النار بالسنين فما بالها معي[3]

ففي البيت الأول شبه قلبه بالمرجل وحذف المشبه وأبقى المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه .

ومن أمثلة الاستعارة المكنية قوله :

وهبتك عند احتدام الغرام فؤاداً يضج بأشواقه[4]

وقوله :

تتكسر الأحلام في شطآنه فيفيض بالعذب النمير سحاب[5]

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) " الفريسة تصيد " :١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي.

(٣) " الجمر " : ١٤١٣/٣/١٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) (وهبتك) : ١٣٦٦هـ ، مخطو في دار الرفاعي .

(٥) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

والاستعارة المكنية أبلغ ، وأكثر تأثيراً في النفس ، وأجمل تصويراً ؛ ذلك لأن العمل الإبداعي فيها أدق منه في الاستعارة التصريحية"[1]، فليس فيها ذكر للمشبه به ، وإنما فيها إدعاء بأن المشبه على حاله ولكنه حوى شيئاً من صفة المشبه به وهذا أبلغ في التصوير من المباشرة في حذف المشبه وإحلال المشبه به ، والاستعارة المكنية تحوي شيئاً من الغموض المحمود الذي يدعو القارئ إلى التأمل الذي يعقبه الفهم فهو أبلغ من الاستعارة التي تقدم نفسها سهلة واضحة لا يقف عندها القارئ .

ومن أنماط الصورة المجازية عنده الكناية ، ولكنها نوع قليل ؛ إذ لا نجد عنده إلا أمثلة يسيرة عليها يكني بها عن قلبه كقوله :

واهـــتز فــــي جنبـــــــي خفـــاق يـــدق أضالعـــي[2]

وقوله :

مــا بـــين جنـبي خفــاق أكرمـه عـن الهبـوط إلى أغـوار أو شـاب[3]

وقوله :

همـــا غصــنان أضــاف الصبا جمـــالاً جـــديداً لحسنيهمـــا
أصـــابا علـى غـــرة شـــاعراً وراشـا الصمــيم بسهميهمــــا[4]

ومما يدخل تحت الاستعارة ما يسمى التشخيص ، وهو إعطاء ما لا يعقل صفة الإنسان فيخاطبه أو يجعله مخاطباً . فمن التشخيص عند الرفاعي قوله يتحدث إلى ومضة الشوق التي ألحت عليه :

أنـــا مـــن أنـــا يا ومضة الشـوق الملح على عيونـي
مـــن ذا أثـارك ، بعد مـا نامـت علـى يـأس جفونـي
عـودي ، فما عاد الهـوى رطبـاً ، كمـا كانت سنيـني[5]

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ، ج١ ، ص ١٧٦ .
(٢) " ظمآن " : ١٣٩٨/١١/٩هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٣) " غضبة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٦٨/٧/٤هـ) .
(٤) " شاعر وغصنان " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٧٠/١٢/١٠هـ) .
(٥) " لا عودة " : ١٤٠٨/١٠/١٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ومثلها أيضاً قوله مخاطباً قلبه :

سألت القلب عن دنيا ه ما دنياك ياقلبي[1]

وقوله يخاطب ساعة اليأس التي تلح عليه ، وتكاد تأخذ بمجامع لبه :

يا ساعة لليأس يشـ ـرق في دياجيها مضائي

لا .. لا .. لن أذل وأستكيـ ـن ولن تنالي من بنائي[2]

ولا يكاد يخرج التشخيص في مجمله عن الاستعارة إذ عماده تشبيه المشخص بإنسان ، وحذف المشبه به فهو لون من الاستعارة المكنية .

ومن الأدوات التي عمل الرفاعي صوره منها التجريد وهو أن ينتزع من نفسه أو من مخاطبه إنساناً آخر يخاطبه كقوله :

يكرم فيك الشعر والنثر قمة يقصر عن أمدائها شوط إلهامي[3]

وكقوله يخاطب نفسه :

ولى زمانك فاسأل عن بقيته لو في بقيته شيء من الرمق[4]

ويعد اللون من أوضح الأشياء التي تتوقف عندها الباصرة ، فاستخدامه يثري الفن ويعمق الفكرة . وقد استخدم الرفاعي الألوان فجاء عنده أربعة منها هي : الأبيض ، والأسود ، والأخضر ، والأحمر ، وأقلها وروداً الأحمر .

فمن ورود اللون الأبيض قوله :

ولياليك مشرقات على الثغـ ـر كما هن في الرياض البيض[5]

وقوله :

أو أن يظل الشوق يلهب أضلعي والضمة البيضاء شغلة خاطري[6]

---

(1) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣ .

(2) المصدرنفسه ، ص ٢٦ .

(3) المصدرنفسه ، ص ١٤٦ .

(4) " شفق " : صفر ١٤١٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(5) ظلال ولا أغصان ، ص ١٥٠ .

(6) " دنيا شاعر " : مجلة الأديب (رمضان ١٣٦٨هـ / تموز ١٩٤٦م).

ومن اللون الأخضر قوله :

وسـراجنا العطـار مـا زالـت لـه | تـلك المـروءة والوفـاء الأخضـر[1]

وقوله :

والريـاض الخضر بالأزهـار نضـره

....

والروابـي الخضر قد ألقت وشاحا[2]

وقوله :

أتــرى المـــاء عندهـــا | أخضـــر اللـــون ينهمـــر[3]

وقوله :

وإذا بحثـت عـن الجـديـب | عـن الظليـل مـن الأمـان

وعـن الحنـان .. الـــثر | عـن خضـر المرابـع والمغـانـي[4]

ويبدو أن اللون الأخضر عنده يعني النماء والخصب ، والعطاء . فالوفاء الأخضر والرياض شديدة الخضرة ، والروابي مثلها ، والحنان معادل خضرة المرابع ، وخضرة المغاني .

ومما جاء فيه اللون الأسود قوله :

ذاك ظـن والظـن غـير اليقـين الحـق ، والظـن كالشـك أسـود[5]

ويظهر اللون الأحمر في قوله :

حـرف لهيـب أحمـر | عـروقه مـن خمـرة[6]

وأغلب ما يأتي اللونان الأبيض والأسود عنده مقترنين ، فيشكلان معاً صورة ضدية مثيرة "والألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٢٤ .

(٢) " فاتن المسيال " : ١٣٦٨/٩/١٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٠ .

(٥) (عدت للشعر): ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) " شفة غليظة " : مجلة الأديب ، (شوال ١٣٦٩هـ / أكتوبر ١٩٥٠م) .

المتقاربة"[1]، فالأسود مع الأبيض مجتمعين أحسن من أحدهما مع غيره .

ومن مجيئهما مقترنين عند الرفاعي قوله يصف الليلة التي أكرم فيها عند خوجة :

هــذه ليلـــة مـــن العمـر بيضـا ء ازدهـى ليلهـا وألقى السـوادا[2]

فالليلة بيضاء ، والليل ملقٍ السواد . ومثل ذلك قوله :

شـعرتان اثنتـان فـي اللمة السـو داء قـد جـرتا علـيَّ الوبـالا
قالتـا تهمسـان لليـل سـراً نحـن ركب الصباح حـط الرحـالا
قـل لمـن بيـّض الليالـي وعـوداً مثقـلات ألقـى إليهـا الحبـالا
أسـفر الفجـر أيهـا العاشـق الليـ ـل فهـلا نفيـت عنـك الضـلالا[3]

فاللمة السوداء وهي شعرة ، وقد بيض الليالي وعوداً ، وهذه الأبيات كما تحوي ألواناً مباشرة : هي الأبيض والأسود ، فإنها تحوي ألواناً أخرى غير مباشرة تعني السواد والبياض - فالليل والليالي تعني الأسود ، والصباح والفجر يعني الأبيض .

ومما جاء فيه الأسود والأبيض غير مباشرين قوله :

جمـع الـود بينهـم بالعشـيا ت ولا ينقـص النهـار الـودادا[4]

وقوله :

أنـا من قبـل قـد عشقت الصباحـا مثلمـا يعشـق المحـب المـلاحا
وتجنبـت عتمـة الليـل .. إلا أن يغـر الدجـى إذا البـدر لاحـا
إنمـا ضيـع المـلامح عنـدي عندمـا خالـط الظـلام الصباحـا!![5]

وكمـا جـاء الأبيض والأسود ، غـيـر مـبـاشرين مـقـترنين ، فـقـد جـاء ا -أيضاً-منفردين ، فجاء الأسود في قوله :

معـي عـودي أجـوب الليـ ـل مـلّ الليـل مـن جويـي

....

(١) الصورة الأدبية ، مخطوط ، ص ٤١ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٤ .

(٥) (أنا من قبل): جريدة المدينة ، (١٤١٤/٢/٧هـ) .

وتعبر في طريق الليل أسراب الهوى العذب

....

إذا ما الصمت ، لف الليل في شيء من الرعب

....

وكم في الليل أمثالي وكم في الليل ياربي!![1]

ومن مجيء الأبيض غير مباشر قوله :

قال للدوح هنا تقفن صفّاً في حفافي هذا اللجين الجاري [2]

واللجين أبيض ، وقوله :

إلى شعلة القلب والخاطر

إلى نوره الزاهر الباهر[3]

فالنور والزاهر من اللون الأبيض غير المباشر .

ومما يظهر في صنعة الصورة ، الرمز الذي جاء عند الرفاعي بنوعيه ، الكلي الذي تكون فيه القصيدة كلها رامزة إلى أمر معين ، كما في قصيدته (الموسيقي المتجول)[4] التي رمز فيها إلى المبدع بعامة ، وكالقصائد الغزلية التي قد يرمز بها إلى آماله وآمانيه . فإذا تجاوزنا هذا اللون إلى الرموز الجزئية التي تشكل جزئية من آليات الصورة فسنجد لديه بعض الرموز التي تعد لوناً من استلهام التراث ، والاستفادة منه . وتكاد تنحصر هذه الرموز ببعض الأعلام المشهورة في التراث الإسلامي والعربي كاستخدامه نبيّ الله أيوب رمزاً للصبر ، واستفادته من قصته ، يقول الرفاعي :

يا رافع البأس

عن أيوب معجزة

---

(١) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ،(شعبان ١٣٨٨هـ) .

(٢) " آخن " :١٤٠٨هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) الإهداء : ١٣٦٣/٢/٢٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) مجلة العرب ، المصدر السابق .

هـــلا رفعت

بفضل منـك

عـن بأســـي؟

ولسـت أيوب ..

لكــن مــن ضراعتـه

عندي أفانين

مـن جهـــر

ومن همس

وليس لي صبره

أو لي مكانتـه

لكنني مثلـــه

ماملـت لليـأس[1]

ففي هذه الأبيات نجد الشاعر اتخذ قصة (أيوب) طريقاً لبث شكواه ، فرمز به لما في نفسه من الأسى والحزن .

ومثل ذلك (معبد) ، و(الغريض) ، و(زرياب) الذين رمز بهم الشاعر إلى الغناء أو الشعر في قوله :

وتغـــرد ما دام فـي الـروض زهـر وتغـن مــا دام للحـــن "معبـــــد"[2]

وفي قوله :

وترنـم فـــإن شـــدوك لحــــــن يتشهـــاه معبـــد والغريـــــض[3]

وفي قوله :

وخـلت مـن الأنـس الليـالي بعدهم ومضــــى فحطـم عـوده زريـاب[4]

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٩ .

(٢) (عدت للشعر): ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٩ .

(٤) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

وعمر رمز للفتى الخليع الذي يطارد النساء ، ويتعرض لهن في قوله :

ولفّـــت مـــــن حبائلهـــا لتلقـــف مارمـــى عمـــــر[١]

والخليل عند الرفاعي رمز لاستقامة الشعر على سنن العرب في قوله :

وإذا صاحـــب الخليل فخـــلٌ يصطفيـــه ، فيستقيم العـــروض[٢]

وقد نجد عنده بعض الألفاظ التي تفيد معاني مكثفة كدلالة الماء على الحياة مثلاً فتضيف إلى دلالتها اللغوية دلالة أخرى إيحائية ، ولكنها لا تجاوز ذلك لأن تكون رمزاً اصطلاحيًا تعارف عليه النقاد كدلالة التفاحة على اللذة ونحوها .

ولا نجد عند الرفاعي شيئاً من استخدام الأساطير الوثنية ، والرموز اليونانية التي طغت في الشعر الحديث ، إلا رمزاً واحداً في قوله :

نشـــاوى نحـــن يـــا باخـــو س لكـــن مـــا بنـــا ســكـــر[٣]

فباخوس أو باكوس إله الخمرة عند اليونان[٤]. ولعل هذا التجافي عن الرموز الوثنية ناتج عن التزام الرفاعي ؛ فرموزه إسلامية عربية تنبثق من التراث الإسلامي ، وتتوافق مع التصور الإسلامي الصحيح .

والطباق من الأدوات التي شاركت في صناعة الصورة وتكوينها ، عند الرفاعي ولكنه بنسبة قليلة ، وقد عده القدماء في باب البديع ، ولكنه يتجاوز ذلك ليدل على المعاني المتقابلة في شعر الشاعر ، ومن ثم في تفكيره .

ومن أمثلة الطباق قوله :

قـــد رضعت الهوى بمكـــة طفـــلاً فـــي حمى المسجد الحـــرام حـــلالا[٥]

وقوله :

عـــن أب نابـــغ وليس عجيبـــاً عندمـــا يتبـــع الطريـــف التـــلادا[٦]

---

(١) " الفريسة .. تصيد " : ١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤٨ . وانظر :" تحية جازان " : مجلة المنهل ، (المحرم وصفر ١٤٠٢هـ) .

(٣) " الفريسة تصيد " :١٤١١/٨/٢٤هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) انظر : الدكتور علي عبدالواحد وافي : الأدب اليوناني القديم .- د.ط .- (مصر، دار نهضة مصر، د.ت)، ص ١٦ .

(٥) ظلال لاأغصان ، ص ٨٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١١٥ .

وقوله :

الينابيع شعره - ما تغيض يتزاحمن تالد وغريض[1]

وأغلب الطباق عند الرفاعي في الألوان وقد وردالحديث عنها من قبل ، وبعض الثنائيات التي لا تشكل طباقاً بالمفهوم البلاغي المعروف .

مصادر الصورة

حين يقال إن الخيال يقوم على جانبين : أولي تقوم عليه قوة الإدراك ، وثانوي يقوم بتصور الأشياء والربط بينها بشكل لا يكون في الواقع ؛ فإن هذا لا يعني أن الخيال يأتي بمشاهد جديدة لم ترد في ذهن المنشئ من قبل ؛ فإن المادة الأصلية لهذه الصور المركبة مستمدة من الواقع .

وعلى هذا فمهما يقال عن قوة الخيال فإن ذلك لا يعني الإيجاد من العدم بقدر ما تعني القدرة على تغيير التركيبات والنسب ، خاصة في الخيال الثانوي الذي "يفتت ، ويشتت لكي يعيد الخلق ، ويوحد من أجل بلوغ المثال الأعلى"[2] .

وعلى هذا فالصور الشعرية صدى لكل التجارب والمعارف التي مر بها الشاعر في فترات حياته ، كما " أن صلة الشاعر بما حوته الكتب .. والرسوم ، ليست أقل قوة من صلته المباشرة بالعالم الخارجي ، وقد تكون أكثر نفاذا ؛ ذلك أنه يتبصر من خلالها فيما اختاره الفنيون ونظموه تنظيماً دالاً ، فاستحال استحالة خيالية إلى وسائط ملائمة كاللغة ؟" [3] .

وقد مر الرفاعي بتجارب شعرية ، وثقافية ، وحياتية كثيرة أضفت على صوره تنوعاً وجودة زادا من صعوبة تحديد مصادرها. ولعل أظهر هذه المصادر هو الإنسان ، العنصر الفاعل الأول في هذه الحياة ، وقد استقى الشاعر من

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

(٢) الدكتور أحمد كمال زكي : النقد الأدبي أصوله واتجاهاته .- د.ط .- (بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م) ، ص ١٢٦ .

(٣) مصطفى ناصف : الصورة الأدبية .- د.ط .- (بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت)، ص ٣١ .

مشاعر الإنسان ، وأعضائه وسلوكه كثيراً من صوره .

فالشباب يبتسم كما يبتسم الإنسان كما في قوله :

تبسم في وجنتيه الشبا ب ورفت عليه المنى الزاهره[1]

وأوراق الزهر تشتاق كما يشتاق المحبون :

تركتني كالزهر مشتاقة أوراقه للطل عند الصباح[2]

والربيع يرسم ، ويفرش ، ويتكلم :

جئتها والربيع يرسم فيها لوحة فذة الرؤى والإطار

فرش المخمل النضير بساطاً ثم وشى البساط بالأزهار

قال للدوح ها هنا قفن صفاً في حفافي هذا اللجين الجاري[3]

والغرام طفل يطل :

والآن قد عاد الغرا م يطل طفلاً من عيونك[4]

يلي هذا المصدر عنده في الكثرة مصدر الطبيعة في جانبيها الساكن والمتحرك ، فأما الساكن فهو أجزاء الطبيعة الصامتة كالشجر ، والحجر ، والليل ، والنهار ، والبحار ، ونحوها ، وقد كثر هذا النوع عند الرفاعي كثرة ظاهرة ؛ وذلك لكثرة حديثه عن الطبيعة واستخدامه مفردات الطبيعة لتصوير ما في نفسه فحين يعجبه اجتماع صحبه يشبههم بالنجم وبالمجرات المجتمعة :

أنجم من سمائها تتنادى مشرقات تسدي إلينا السدادا

كالمجرات يأتلقن جميعاً كالمجرات يأتلقن فرادى[5]

وحين يرى مشاركة الشعراء بشعرهم يشبه ذلك الشعر بالبحر الذي لا يستطيع خوضه :

---

(١) " صورة " ، مع ١٣٦١هـ - ١٣٦٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " آخن " : ١٤٠٨هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) " عودة " : جريدة البلاد السعودية ، (١٣٧٠/٢/٢٠هـ) .

(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٤ .

إنـي أعيـذك أن تظـن كمثلهـم ... سفني على خوض القريض ستجسر
مالـي وللبحر العميـق ، خضمـه ... مـن قال إنـي فـي الخضـم سأبحـر[1]

أما الجانب المتحرك من الطبيعة فهو الحي من حيوان وطير . ويختلف هذا النوع من الطبيعة عن النوع الأول في كثرته ؛ إذ لا يشاركه في كثرة الظهور ، وقد يكون (البلبل) أكثر ما ورد عنده كما في قوله :

كالبلبـل الصداح ضـل السـرى ... للـروض حتى مـلّ حلـو الصـداح[2]

وكقوله :

مالـه بلبـل الريـاض الـذي غنى ... زمـاناً يعـاف صـوغ الأغـانـي[3]

وإضافة إلى (البلبل) فقد ورد عنده الثعلب ، والأفعى ، والذئب ، والغراب ، والعصفور . وترتبط كل واحدة من هذه الألفاظ بمعان محددة فالذئب صورة للإنسان الخائن ، والغراب مقابل للبلبل الغريد ، والثعلب للمكر .

ويقول الرفاعي جامعاً بين أكثر هذه الأسماء في أبيات متقاربة :

إلا الغـراب فقـد يطـل عليـك مشـؤوم اللسـان
لا سامـراً إلا عـواء الـذئب فـي صـم القنـان
والثعلـب الخـداع يزحـف حـاذراً كالأفعـوان[4]

أما ثالث المصادر فهو مصدر الثقافة ، ويكاد ينحصر عنده في التراث العربي حيث يورد بعض الأسماء النابعة من الثقافة العربية التراثية الأصيلة ، والتي كقوله :

كأنمـا مهـر ليلـى عنـد قيس كما ... قصيـدة ، تتمناهـا مليكتـه[5]

فقـد جعـل قصـة الحـب المعروفـة الـتي بـين قيـس وليلـى وسـيلة لبيـان

---

(1) المصدرنفسه ، ص ١٣٧ .
(2) " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(3) " وصدى عتاب " : جريدة عرفات ، (١٣٧٨/٥/٤هـ) .
(4) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٩ . وانظر : " لا تأس " : مجلة الحج ، (ربيع الآخر ١٣٧٠هـ ؛ و" ناي الراعي " ، ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي؛ و" تحية جازان " ، مجلة المنهل ، (المحرم وصفر ١٤٠٢هـ) .
(5) " تحية جازان " ، مجلة المنهل ، (المحرم وصفر ١٤٠٢هـ) .

قيمة الشعر عند أهل جازان .

وقد مرت شواهد على استفادة الرفاعي من التراث في الصور ، أكثرها في الرمز .

دلالة الصورة

سبق القول بأن وظيفة الصورة تتمثل في أنها البناء الحقيقي للقصيدة ، وأن الدراسة المتأنية للصورة من أفضل الوسائل للكشف عن المعاني الخلفية للنص؛ فإذا استخدم الشاعر اللون فإن "اللون نفسه يتحول إلى" دال "دلالة ثانية ذات طبيعة وجدانية"[١].

وإذا تتبعنا مفردات الصور الشعرية عند الرفاعي نجد فيها مفردات عدة ذات دلالات مختلفة نحو : الخريف ، الشتاء ، الربيع ، الإشراق ، الغروب ، الليل ، النهار . وهي مفردات كثيرة تشكل في أغلبها معاني متقابلة يمكن أن نسميها ثنائية الحياة والموت .

فهذه الثنائية تظهر في كثير من الصور الشعرية عنده .

ومثال ذلك قوله :

وشمس شبابي المحرو	م قد مالت إلى الغرب
أحس بقسوة الهجرا	ن تذرو ناضر الحب[٢]

فالشمس تميل إلى الغروب ، وناضر الحب تذروه قسوة الهجران .

وتتضح هذه الثنائية كثيراً في قوله :

صاح لا تطعم الورود لظى النار	ودع عنك حسنها ياوقود
وإذا صوحت فدونك فابذر	غيرها وانتظر ليورق عود
هكذا نحن إن تولى رعيل	جد من بعده رعيل جديد
وحصاد الأيام نحن دواليـ	ـك على رغمنا يتم الحصيد[٣]

(١) الدكتور صلاح فضل نظرية : البنائية في النقد الأدبي .- د.ط .- (القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م) ،ص ٣٥٩ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤ .

(٣) " ابذر غيرها " : ١٣٩٩/٧/٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

فإذا ماتت الورود يجب سرعة البذر ، وحياة الناس قائمة على الموت والحياة ، فإذا زال رعيل ظهر من بعده رعيل آخر ، فالربيع عنده رمز الحياة ؛ يقابله الخريف الذي يشي بالجفاف والهلاك :

أو كيـــف يخذلــــني الربيـــــع ؟ وكيف يمعن في التنائـي؟
وتظلــــني شـــمس الخــــــريف وبرده ، وكلاهما جم البلاء[1]

والماء رمز الحياة يقابله السراب رمز الخداع والكذب .

كلمـــا مـــرت علـــى أحلامـــه صـــور المـــاء علـى نبـع رقيـق
ورأى فـــي الأفـــق أطيـاف المنى يستحـث السير في خطـو طليـق
فــإذا المـــاء ســـراب كـــاذب خـــادع كالحلـم إلا مـــن بريـــق[2]

وفي ظل هذه الثنائية يكتسب اللونان الأبيض والأسود ، وما اشتق منهما دلالات ضدية تتمثل في مجيء الأبيض رمزاً للموت ، حين يكون معادلاً للشيب ، ويكون رمزاً للحياة حين يكون معادلاً للنهار؛ وكذلك الحال في الأسود إذ يكون رمز الحياة حين يكون معادلاً للشباب ، ويكون رمزاً للموت حين يكون معادلاً لليل .

نجد هذا التناوب في الدلالات في الشاهدين التاليين :

أنـا من قبل قـد عشقت الصباحـا مثلمـــا يعشـــق المحـب الملاحـا
وتجنبـت عتمة الليـل إلا أن يفـر الدجـــى إذا البــــدر لاحـــا
الســنا صاحبي ومزهـــر ليلـي وشعـــاري جعلتـــه المصـــباحا
إنمـــا ضيـــع الملامـــح عنـــدي عندما خالط الظـلام الصـباحـا[3]

فهو هنا يعلن عشق الصباح ، وهروبه من الليل ، الذي يشكل في الأول كل ما يعنيه من معاني الإشراق والظهور والحياة ، ويشكل الثاني الظلام والضياع والنهاية أما في الشاهد الثاني فتنعكس الصورة ، ويصبح الأسود

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .

(٣) (أنا من قبل) : جريدة المدينة ،(١٤١٤/٢/٧هـ) .

هو الحياة أما البياض فشعار النهاية :

شعرتان اثنتان في اللمة السو داء قد جرتا عليّ الوبالا

قالتا تهمسان لليل سراً نحن ركب الصباح حط الرحالا

قل لمن بيض الليالي وعوداً مثقلات ألقى إليها الحبالا

أسفر الفجر أيها العاشق الليـ ـل فهلا نفيت عنك الضلالا

ضرب الشيب موعداً أزليًّا عند فوديك والليالي حبالا

قالتا لي : عهد النسب تولى وأطل المشيب يضفي الجلالا[1]

ويتنبه الشاعر لهذه المفارقة ، التي يحملها اللونان فيقول :

وليا فالحياة درب ممل قد مشى الليل في رباه وجاسا

عجبي .. فالدجى أمارة يأس كيف ليل الشباب ينفي الياسا

والبياض المثير .. يلتهم الآما ل .. كلما جلل المشيب الراسا

إنه خدعة السراب فدعني قد كفاني من السراب التباسا[2]

وتظل هذه الثنائية تلح على الشاعر منذ أوائل حياته الشعرية في الستينات كما في قصيدته (دعاء)[3] و(تائه)[4] إلى أواخر قصائده حيث يقول فيها :

حتى إذا وشى الربيع رياضهم ودنا القطاف وطابت الأعناب

ساق الزمان السرب نحو شتاته فتفرقوا وكأنهم أغراب[5]

وإلى جانب هذه الثنائية ، وتلك الألفاظ ، نجد الرفاعي كثيراً ما يصور مظاهر التقطها بحسه الفنان ، ونقلها في شعره وهي ذات علاقة وطيدة بالشاعر والأفكار التي تعتمل في نفسه كصورة العازف المتردد بين الدروب يغني للناس ما يشاؤون من اللحون ، التي التقطها الرفاعي وجعلها صورة للفنان أو المبدع أياً كان ، الذي

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٦ .

(٢) (بدوي يبني الحضارة) : مجلة المنهل ، (رجب وشعبان ١٣٩٧هـ) .

(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٥) " سبعون " : المجلة العربية ، (ربيع الآخر ١٤١٤هـ) .

يجتهد ويعمل وما يحصله من ذلك قليل بينما يستفيد من جهده وجهاده سواه .
وقد لا تكون صورة واقعية شاهدها الرفاعي وقد تكون ، فالمهم أنه عالجها بحس الفنان المبتكر ، ونظر إليها نظرة أخرى غير ما يراها الآخرون ، لا سيما وأننا نرى فكرة ضياع جهد الفنان في الحياة تلاحقه وتلح عليه في أكثر من قصيدة ؛ إذ يضاف إلى هذه القصيدة قصيدة (تساؤل)[1] التي طفحت بالقلق الذي يساور المبدع على نتيجة إبداعه ، وما يجنيه . وكذلك قصيدة (فراشة)[2] التي تحدث فيها عن إقدام الفراشة على النور حتى يحرقها ، وكأنها صورة أخرى له حيث يتجه إلى النور الذي هو العلم والعمل والعطاء والإبداع إلى أن يقضي هذا العطاء على حياته .

ومثل هذا أيضاً يقال في قصيدته (صبارة)[3] التي منحها الرفاعي الحياة وجعلها تسمع وتستفيد من المواعظ والنصائح . وما الصبارة في الحقيقة التي تخيل أنها تعيش مأساته (في الحقيقة) إلا هو. فهوالصبورالذي يقول عن نفسه "كان عندي من الصبر أنواع وشكول .."[4].

وهذه الصور مجتمعة تدل على ما يعيشه الرفاعي من هموم ، ومشاعر تشغل ذهن كثير من المبدعين لا سيما في أوائل حيواتهم ، وهي تدل - أيضاً - على أن هذه الصورة التي أثارها الخيال نابعة من عاطفة الشاعر فهي نتاج علاقة حميمة بين الخيال والعاطفة ، و"العاطفة بدون صورة عمياء ، والصورة بدون عاطفة فارغة"[5].

كما تكتسب بعض الألفاظ دلالة خاصة ، وذلك لكثرة مجيئها دالة على بعض المعاني ، كلفظة الغصن ، التي وردت مفردة ومثناة (الغصنان) ، ومجموعة (أغصان)، و(غصون)، وجميعها تعادل الجمال ، والحسن . وربما كانت هذه الدلالة منبثقة من تشبيه القد الجميل بالغصن . وتظهر هذه الدلالة

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١ .
(٣) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٨ .
(٤) " أنا .. والجائزة " ، مجلة المنهل ،مج ٥٣ ، العدد ٤٩٠ ، (صفر ١٤١٢هـ) .
(٥) النقد الأدبي بين القديم والحديث . ص ٧٨ .

في كثير من صوره التي يستخدم فيها هذه اللفظة كقوله :

أيا شاعراً فتنته الغصون ... وألهمت النفس أشعارها
فأرسلها نغمة حلوة ... تشوق الليالي وسمارها

. . . .

هما غصنان أضاف الصبا ... جمالاً جديداً لحسنيهما
أصابا على غرة شاعراً ... وراشا الصميم بسهميهما[1]

وقد ترددت لفظة (الغصن) وجموعها في هذه القصيدة سبع مرات .

ويقول في قصيدة أخرى :

ذكريات ما أحيلاها وأحلى ... غصن مال وتمر قد تدلى[2]

ويقول أيضاً :

إلى غصني الأسمر الناضر
إلى بهجة الشعر والشاعر[3]

كما قد يؤيد هذا عنوان الديوان الذي يجعل الشعر ظلالاً للأغصان ، وهذا مما يؤكد هذه الدلالة الخاصة بهذه اللفظة عند الشاعر .

أما اللفظة الأخرى ذات الدلالة الخاصة فهي : (الطير ، المغني ، البلبل) ، وقد يكون هذا اللفظ مكملاً لسابقه فالطير المغني مع الغصن في صورة واحدة ، كما أن الغناء والجمال كثيراً ما يجتمعان في شخص واحد .

وقد جاءت لفظة الطير تشير إلى هذا المعنى كثيراً كقوله :

ماله بلبل الرياض الذي غنـ ... ـى زماناً يعاف صوغ الأغاني

---

(١) " شاعر وغصنان " : جريدة البلاد السعودية ، (١٠/١٠/١٣٧٠هـ) .

(٢) " ربا المثناة " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " الإهداء " : ١٣٦٣/٢/٢٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ وانظر : " مع الأغصان " ، مجلة الأديب، (رمضان ١٣٦٨هـ / تموز ١٩٤٨م) ؛ و"وداع " ، ١٣٦٩/١١/٢٠هـ ؛" كانت جميلة " ، مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ) ؛ " ابذر غيرها " ، ١٣٩٩/٧/٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ و"ناي الراعي " : ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

مالـه ..؟ لحنه من الطـل أنـدى إن مشى الطـل في ربيـع الحنـان[1]

ويقول أيضاً :

وارقصي ياغصون .. واشد يابلبل أستـــاذك العتيـــد مغـــرد[2]

وقد يكون مما يلفت الانتباه أن عدداً من القصائد التي يرد فيها ذكر (الغصن) يأتي تبعاً له البلبل[3].

٤ - الموسيقى

ينقسم الحديث عن الموسيقى إلى قسمين :

أ - الموسيقى الخارجية .

ب - الموسيقى الداخلية .

وتعد الموسيقى الخارجية ، المتمثلة في الوزن والقافية أظهر خصائص الشعر وأهم ما يميزه عن النثر . حتى عده بعضهم حد الشعر إذ قال : "إنه قول موزون مقفى يدل على معنى"[4]، وعلى الرغم من تخفف الأشكال الشعرية المستحدثة من التزام وزن واحد وقافية واحدة ، فإنها لا زالت تعد الوزن والقافية من دعائمها الأولى التي تقوم عليها . وقيمة الوزن والقافية لا تقتصر على الشكل الخارجي إنما تتعداه إلى المضمون ليكون لهما أثر واضح على مشاعر المتلقي ، وعواطفه . فهي رمز تحمل رسالة خاصة إلى القارئ . وأما ما يسمى بالقصيدة النثرية فإن حاجة عنوانها إلى النثر يبعدها عن الشعر .

والحديث عن هذه الموسيقى يتناول الوزن والقافية .

---

(١) " وصدى عتاب " : جريدة عرفات ، (١٣٧٨/٥/٤هـ) .

(٢) (عدت للشعر) :١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) انظر : " وداع " : ١٣٦٩/١١/٢هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ و" ناي الراعي " ، ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛ و كانت جميلة "، مجلة المنهل ، (رجب ١٣٨٦هـ ؛ و" مع الأغصان "، مجلة الأديب ، (رمضان ١٣٦٨هـ / تموز ١٩٤٨م).

(٤) نقد الشعر ، ص ٦٤ .

نظم الرفاعي الشعر في أحد عشر وزناً . هي البحور التي أكثر العرب من استعمالها ، ولم يهمل إلا خمسة بحور هي : المنسرح ، والمقتضب ، والمضارع، والمديد ، والمتدارك . وهي بحور قل النظم عليها حتى أهمل الخليل المتدارك لقلته ، وأنكر الأخفش المقتضب والمضارع[1]، ثم إنها من دوائر عروضية فيها ما يغني عن هذه البحور .

ومن خلال تتبع قصائد الرفاعي نجده استخدم الأوزان على النحوالتالي :

الجدول رقم (٦) يوضح استخدام الرفاعي للأوزان في شعره

البحـــر	عدد التكرار	النسـبة
الخفيـف	٣٠	٢٦,٩
الكامـل	١٦	١٥,٣
الوافـــر	١٢	١١,٥
المتقـارب	١٢	١١,٥
البسـيط	١٠	٩,٦
الطـويل	٧	٦,٧
الرمـــل	٥	٤,٨
الرجـــز	٥	٤,٨
المجـتث	٥	٤,٨
الهـــزج	١	
السريـع	١	

ويتضح من هذا الجدول أن الرفاعي أكثر من النظم على بحر الخفيف حتى أخذ أكثر من ربع القصائد ، وهو ما لم يظهر عند كثير من الشعراء في القديم والحديث ، كما يظهر أن بحر الطويل الذي كان أثيراً عند القدماء تتأخر مرتبته كما هي الحال

---

(١) انظر :الدكتور إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر .- د.ط.- (بيروت : دار القلم ، د.ت) ، ص ٢٠٧ .

عند غيره من المتأخرين[1]، ويتلو بحر الخفيف بحر الكامل الذي تكرر النظم عليه بنسبة ١٥,٣ بالمائة ، ثم يأتي بعد ذلك المتقارب ، والوافر ، والبسيط بنسب متقاربة في الاستخدام .

ومن خلال الربط بين الموضوعات والأوزان نجد أن الرفاعي استخدم دائرة المشتبه (الخفيف ، والمجتث) غالباً في الإخوانيات حيث جاء منها على الخفيف ١٣مقطوعة وقصيدة قصيرة من ٢٨ قصيدة ، كما جاء من بحر المجتث أربع مقطوعات إخوانية من خمس مقطوعات . كما نجد أن أغلب ما نظمه على دائرة المؤتلف (الكامل والوافر) من الوجدانيات حيث بلغت سبع عشرة مقطوعة وقصيدة من أصل ثمان وعشرين . وهذا التوافق في الميل نحو تفعيلات دائرة المشتبه في موضوع ونحو دائرة المؤتلف في آخر . ليس أمراً مصادفاً ؛ ذلك أن دائرة المشتبه التي تتكون من سبعة حروف ، ثلاثة منها سواكن ، تساعد الشعراء في نظم الشعر حتى لو لم يكن ثمة شعور نفسي كثيف كما في الإخوانيات . ولعل هذه السهولة هي التي دفعت الشعراء إلى الارتجال في هذا الوزن كما في معلقة الحارث بن حلزة التي يقال إنه ارتجلها في مجلس عمرو بن هند[2]، وكما في كثير من الشعر الذي يرتجل في المجالس .

أما دائرة المؤتلف التي تتكون تفعيلاتها من خمس متحركات وساكنين ، فهي دائرة ثقيلة تحتاج إلى دفق شعوري عالٍ ، ونفس متوثبة ، قلقة تتناسب مع الحركات المتتابعة الكثيرة ، وهذا ما يظهر في الوجدانيات .

ومع أن العلاقة بين الموضوع والوزن ليست علاقة حتمية عند جميع الشعراء فإن هذا لا يعني ترك تلمسها عند أولئك الشعراء الذين يمكن أن نجد لهذه العلاقة صدى في أشعارهم . وأمر آخر جدير بالانتباه ، أن أغلب نظم الرفاعي على الخفيف جاء مقطعات وقصائد قصاراً ، ولم يأت منه قصائد طوال إلا أربع ، بينما نجد

---

(١) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٢١٢ ، وما بعدها .

(٢) انظر : ابن الأنباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ذخائر العرب ، ٣٥ .- الطبعة الرابعة ؛ تحقيق عبدالسلام هارون ، (مصر: دار المعارف ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٣٢٠

الطوال من بحر الكامل أربع قصائد من ست عشرة قصيدة كما أن المقطعات عنده في هذا البحر لم تتجاوز الأربع ، أما القصائد الأربع فثلاث منها وجدانية تتصل بشعور الرفاعي ، وهي : (سبعون) التي تعد أجود قصائد الرفاعي ، و(السلام عليك) التي يقول عنها الرفاعي إنها دارت حول موضوع "طالما تاقت إليه نفسي ، وتطلعت إليه روحي ، واشتاق إليه وجداني"[1] ، وكان حلماً من أحلامه الحبيبة[2] ، وقصيدة (صبارة) التي يخاطب فيها شجرة رأى أنها تعيش مأساته .

الجدول رقم (٧) يوضح نسبة البحور مع طوال القصائد وقصارها بالنسبة لكل غرض من الأغراض .

البحر	عدد التكرار بالنسبة للموضوع													
عدد القصائد	الإسلاميات		الوجدانيات		الإخوانيات		الوصف		المناسبات		الاجتماعيات		الرثاء	
	ق	م	ق	م	ق	م	ق	م	ق	م	ق	م	ق	م
الخفيف	–	١	٣	٥	٦	٧	٣	١	٣	١	–	–	–	–
الكامل	١	–	٨	٢	٢	٢	١	–	–	–	–	–	١	–
الوافر	–	١	٢	–	–	٢	١	١	١	–	١	٤	–	–
المتقارب	–	–	٥	٢	–	٢	٢	١	–	–	–	–	–	–
البسيط	–	–	٣	٣	–	٢	١	–	–	١	–	–	–	–
الطويل	–	–	١	٣	١	١	١	–	–	–	–	–	١	١
الرمل	–	–	٢	–	–	–	٢	١	–	–	–	–	–	–
المجتث	–	–	١	–	٣	١	–	–	–	–	–	–	–	–
الرجز	–	–	١	١	١	١	١	–	–	–	–	–	–	–
الهزج	–	–	–	–	–	–	١	–	–	–	–	–	–	–
السريع	–	–	١	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–

(١) السلام عليك ، ص ٥ .

(٢) انظر : المصدر نفسه ، ص ٦ .

ولم يكتف الرفاعي بالقواعد العروضية التي وضعها الخليل وإنما خرج عن الالتزام بها مع من خرج فوجدنا عنده شعر التفعيلة كما مر من قبل .[1]

ولا يخلو شعر الرفاعي من الهنات العروضية التي تفسد الموسيقى الخارجية ، فقد يزيد تفعيلة كما في قوله :

شـاعراً كنـت مـن قـديم الزمـان تتغنى بالـورد والشهـد والغـزلان[2]

فقد جاء هذا البيت على وزن الخفيف (فاعلاتن متفعلن فاعلاتن) ، بزيادة لفظة (الورد) في الشطر الثاني على وزن (مستفع) ، وكقوله أيضاً :

ويسـري مـن عبـير الفتـ ـنة الفواح ما يصبي وما يسـبي[3]

فهذا البيت من بحر الهزج (مفاعلين) مرتين كل شطر ، ولكن الشاعر جاء بثلاث تفعيلات في الشطر الثاني ، ولو حذف (ما يسبي) لاستقام البيت.

ويظهر أكثر من خطأ في قصيدة (بقية)[4] التي جاءت من مجزوء الوافر المرفل :

متفـاعلن متفـاعلـن متفـاعلن متفـاعلاتن

فقد جعل البيت الرابع خمس تفعيلات ، قاسماً التفعيلة الثالثة بين الشطرين ، فيقول :

يـاعمـر مـا صنعت بـك الأيـام والأيـام واسعـة الفضـاء

كما زاد في البيت الخامس حرفاً في التفعيلة الثانية ، فأخل بالوزن :

ضاقـت علـيَّ رحبـاتهـا وانفـض سـامـرهـا إزائـي

ولو جعلها (رحابها) لاستقام البيت .

وجاء البيت السابع على خمس تفعيلات حيث زاد في الشطر الثاني تفعيلة كاملة .

---

(1) انظر : ص ٣٧٥ - ٣٧٦ من هذا الكتاب .

(2) " تحية إلى الشاعر الفقيه " : جريدة الندوة ، (١٤٠٥/١/٢١هـ) .

(3) " الموسيقي المتجول " : مجلة العرب ، (شعبان ١٣٨٨هـ) .

(4) ظلال ولا أغصان ، ص ٢٥ .

وقد ينتقل من بحر إلى آخر كما في قصيدة (ضراعة)[1] التي جاء مطلعها من بحر الكامل :

أنا ما التفت إليك يا أمسي غذّ الشراع وراح لم يرس

ثم تحولت القصيدة إلى بحر البسيط فقال :

أحدو الصباح وأرفو من أشعته عمري وأعرف أنه يمسي

وقد دفعه هذا الاضطراب في الوزن إلى إخراجها في صورة الشعر الحر حين أعاد نشرها في الديون[2].

وللمحللين أن يعدوا هذه الهنات عيوباً عروضية تؤخذ على الشاعر ، ولهم - أيضاً - أن يجعلوها دليلاً على نفسية الشاعر المضطربة ، الجامحة التي لا تنضبط بوزن ولا ضابط ، وهي تزيد حيث لا زيادة ، وتتحول من نظام إلى آخر، وكل هذا إنما هو استجابة للحالة النفسية التي يعيش الشاعر تحت وطأتها ، فهي وسيلة للتعبير ، وأداة للتصوير ، وبهذا تصبح هذه التجاوزات سمة تفوق وبروز .

القافيــــة

عند تتبع شعر الرفاعي نجد أن النسبة العظمى منه جاءت على شعر الشطرين الذي يلتزم حرف روي واحد ، إلا في قصائد يسيرة جاءت على نظام المربعات والمخمسات . وقد نوع الرفاعي في القوافي بين عشرين حرفاً من حروف المعجم على نسب متفاوتة ، على أن قلة التنوع لا تعزى إلى ضعف في الشاعر ولا " إلى ثقل في الأصوات ، أو خفة ، بقدر ما تعزى إلى نسبة ورودها في أواخر كلمات اللغة"[3]. والشعراء المتقدمون "قلما ينظمون بالروي حروف المعجم ، لأن ماروي من شعر امرئ

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٦ .

(٢) وكان قد نشرها على طريقة الشطرين في المنهل ، العدد ٤٧٨ ، س ٥٦، مج ٥١ ، رجب ١٤١٠هـ ، وانظر : بعضاً من هذه الأخطاء في قصيدة " انتظرني غداً "، فيما قبل ١٣٧٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي ؛" شفة غليظة" ،مجلة الأديب ، (شوال ١٣٦٩هـ / أكتوبر ١٩٥٠م)، "ظمآن " ، ١٣٩٦/١١/٩هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) موسيقى الشعر ، ص ٢٧٦ .

القيس لا نعلم فيه شيئاً من الطاء ، ولا الظاء ، ولا الشين ، ولا الخاء ونحو ذلك من حروف المعجم"[٢].

الجدول رقم (٨) يوضح نسبة ظهور حروف المعجم روياً عند الرفاعي

م	الحرف	عدد مرات التكرار	النسبة المئوية	النسبة الكلية
١	الراء	٢٣	١٨.١	٤٤.٨ المجموعة الأولى
٢	الباء	٢١	١٦.٥	
٣	النون	١٣	١٠.٢	
٤	الميم	٩	٧.٨	٢٥.١ المجموعة الثانية
٥	اللام	٩	٧.٨	
٦	الدال	٧	٥.٥١	
٧	القاف	٧	٥.٥١	
٨	الحاء	٥	٣.٩	٢٩.٦ المجموعة الثالثة
٩	الكاف	٥	٣.٩	
١٠	العين	٤	٣.١٤	
١١	السين	٤	٣.١٤	
١٢	التاء	٣	٢.٣	
١٣	الياء	٣	٢.٣	
١٤	الفاء	٣	٢.٣	
١٥	الهاء	٣	٢.٣	
١٦	الذال	١	٠.٧٨	
١٧	الجيم	١	٠.٧٨	
١٨	الضاد	١	٠.٧٨	
١٩	الواو	١	٠.٧٨	
٢٠	الهمزه	١	٠.٧٨	

(١) أبو العلاء المعري : اللزوميات .- د.ط .- (بيروت : مكتبة الهلال ، د.ت)، ج ١، ص ٢٢ .

ويتضح من خلال هذه الإحصائية ما يلي :

١ - أن حروف المعجم تنقسم بالنسبة لمجيئها روياً أربعة أقسام :

أ - ما كثر مجيؤه روياً ، فجاء بنسبة ٤٤,٨ وهو الراء ، والباء ، والنون .

ب - ما توسط مجيؤه روياً ، فجاء بنسبة ٢٥,١ وهو الميم، واللام ، والقاف .

جـ - ما قل مجيؤه روياً، فجاء بنسبة ٢٩,٦ وهو الحاء ، والكاف ، والعين والسين ، والتاء ، والياء ، والفاء ، والهمزة ، والذال ، والجيم ، والضاد والواو .

د - ما لم يأت مطلقاً وهو الثاء ، والخاء ، والزاي ، والشين ، والصاد ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والألف .

٢ - إن انخفاض النسبة في الفئة الثالثة لم يكن بسبب قلة القصائد والمقطعات التي فيه ، وإنما لقلة تكرار كل حرف على حدة .

٣ - إن الحروف التي لم ينظم الرفاعي عليها هي مما تردد بين قلة الشيوع ، وندرته في الشعر العربي ، وأغلبها مما ندر[١].

وقد ينوع الرفاعي في قوافي القصيدة غير سالك سبيلاً واحدة في هذا التنويع . فبينما نجده في قصيدته (موكب الحسن) ، و(ربا المثناة) يتخذ أسلوب الرباعيات طريقة له ، نجده يبني قصيدته (مع الأغصان) على رويين هما الياء ، والفاء في قسمين متساويين . كما نجده يقسم قصيدة (شاعر وغصنان) أربعة أقسام ، لكل قسمين حرف خاص .

ويخالف هذا في قصيدته (عودة) فتأتي الكاف رويًا لثلاثة أبيات فالقاف لبيتين ، فالفاء لثلاثة أبيات ، فالقاف مرة ثانية ، فالنون في بيتين ، وفي قصيدته (فاتن المسيال) التي اختلط فيها المخمس بالمربع .

ولم يغفل الرفاعي في هذا التنويع عما يسببه الانتقال بين الحروف المتعددة من خلل في موسيقى القافية فكان يحرص على جعل الانتقال بين أحرف متقاربة في

---

(١) انظر : موسيقى الشعر ، ص ٢٥٧ .

أصواتها وصفاتها ، فالقاف تلي الكاف في قوله :

وبمـــن أشــــاع الفتنـــة الــــ ــــولهى تــــرف بمعطفيـــــك

إنــــي نسيــت صـــــبابتي تلـــك الدفينـــة والعميقـــــة[1]

وهما حرفان متقاربان مخرجاً وصفة ، فهما مهموسان عند المحدثين[2]، وإذا جعلنا القاف حرفاً مجهوراً مقلقلاً كما هي عند القدماء[3] فسنجده قد أتبع الكاف حرفاً من حروف الهمس وهو (الهاء) ليخفف من جهر القاف .

ويلي الكاف حرف الباء الساكنة ، وهوحرف مجهور قد يكون مهموساً حين يسكن كما هو الحال في القصيدة . وفي باقي القصيدة يعيد الرفاعي حروف الروي السابقة مقدماً القاف المتلوة بهاء الوصل على الكاف .

وكأن الرفاعي حين يوسط القاف بين الكاف والباء يقوم بعملية واعية حيث يريد أن يهون الانتقال من حرف (الكاف) المهموس إلى (الباء) المجهور بهذه الوصلة (القاف المتبوعة بالهاء) حتى لا يفاجئ سمع المتلقي بهذا الانتقال ولو كان مقبولاً للعلل السابقة .

وهذا الأمر ليس خاصاً بقصيدة واحدة ولكننا نجده في أغلب قصائده من مثل (شاعر وغصنان)[4] التي جاء رويها على الراء فالميم فالراء فالميم . والراء والميم حرفان مجهوران . وكذلك قصيدة (ربا المثناة)[5] التي تعدد فيها الروي فبلغ ستة أحرف كلها مجهورة إلا اثنين .

وتأتي القوافي عند الرفاعي مطلقة ومقيدة . والمطلقة هي الغالب عنده ؛ إذ جاءت بنسبة ٨٥ , ٤ ٪ من باقي القوافي كما أنها الغالب في الشعر العربي أجمع .

---

(١) " عودة " : جريدة البلاد السعودية ، (٢٠/٢/١٣٧٠هـ) .

(٢) انظر : علم اللغة العام ، (الأصوات) ، ص ١٠٩ .

(٣) انظر : أبو الفتح عثمان ابن جني : صناعة الإعراب .- جزءان ؛ تحقيق الدكتور حسن هنداوي .- (الطبعة الأولى .- (دمشق : دار القلم ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م) ، ج ١ ، ص ٢٧٧.

(٤) جريدة البلاد السعودية ، (١٠/١٢/١٣٧٠هـ) .

(٥) ١٣٦٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

ولأن في تقييد القافية ما يفقدها الظهور الذي يتمثل في حركات المد الطويلة في أواخر القوافي " فإنه يتخذ معها ما يجعلها أوضح في السمع بالردف ، أو التأسيس ، أو الوصل بالهاء الساكنة أحياناً ، أو باختيار صوت واضح في السمع أحياناً أخرى"[١] . وهذا ما نجده واضحاً عند الرفاعي ، فالقوافي المقيدة قائمة في أغلبها على أكثر من حرف فلا تكتفي بالتزام الروي، وإنما تضم إليه حرفاً أخر يجعلها أقوى في السمع وأظهر في أذن المتلقي .كأن يلتزم فيها حرفين كما في قصيدة (موعد العيد)[٢] التي التزم فيها الدال مع الكاف ، أو أن يجعلها تعتمد على حرف دخيل أو تأسيس كما في مقطوعته (أين نصيبي)[٣] التي جاءت الياء فيها حرفاً دخيلاً أو مقطوعة (ياانذيراً)[٤] التي جاءت فيها الياء حرفاً دخيلاً أيضا ، وكما في قصيدته (كلمة إلى الجزائر)[٥] و(في غمرة الثراء)[٦] التي جاء فيها مع الروي حرف تأسيس . ومما جاء فيه النوعان قصيدته (تائه)[٧] .

وأما إذا جاءت القافية بلا حرف يزيد في ظهورها ، ويعلي من جرسها فيأتي الروي حرفاً مجهوراً ذا وقع ظاهر كما في قصيدته (كومو)[٨] التي جاء رويها (الراء) وهو حرف مجهور. وقصيدته (عدت للشعر)[٩] التي جاء رويها الدال وبهذا يظهر أنه قد اختار لقوافيه أصواتاً ظاهرة ، مما عزز موسيقى القصيدة وأكدها .

ولا نكاد نجد لديه شيئاً من عيوب القافية التي يذكرها العروضيون في القوافي ، كالإقواء مثلاً ، على أن من الباحثين من يرى الإقواء عيباً نحويًا

---

(١) الجملة في الشعر العربي ، ص ١٠٩ .
(٢) جريدة البلاد السعودية ، (١٣٨٦/١٠/٢٧هـ) .
(٣) ١٤١٢/٥/٢٣ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٤) ١٤٠٩/٤/٢ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٥) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٢ .
(٦) ١٤٠١/٦/٧هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .
(٧) ظلال ولا أغصان ، ص ٣٢ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
(٩) ١٣٩٠/٥/٣هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

يؤخذ على الشاعر في لغته ونحوه لا في عروضه وقوافيه[1].

الموسيقى الداخليـــة

يضيف الرفاعي إلى الموسيقى الخارجية الموسيقى الداخلية التي تساعد على تناغم الأبيات ، وتلاحمها . وتتمثل عنده ببعض المحسنات البديعية كالتصريع ورد العجز على الصدر ، والجناس ، والترصيع ، فمثال التصريع قوله :

قبـل أن تصـدق المـنى بالبشـائر حملتـني إليـك حلـو الخواطـر[2]

وقوله أيضاً :

رام جـوب البيـد مـن غير رفيـق رائـد ضيـع أعـلام الطـريق[3]

وأما رد العجز على الصدر وهو لون من التكرار الذي سبق الحديث عنه فيمثله قوله :

سـهرت قبـلي الليـالي فلمـا عـدت للشـوق رحبت بـي الليـالي[4]

وقوله :

وأعـادني بـرح الحنـين لكـل جانحـة الحنـين[5]

وقوله :

قد نسيت الوعـود تعطـى وتنسى واشـتعال الفـؤاد بعـد اشتعـال[6]

ولا يظهر الجناس والترصيع كظهور النوعين السابقين وإن كان الأول أظهر من الثاني ، فمثال الجناس قوله :

---

(١) انظر :الدكتور علي أبو المكارم : الظواهر اللغوية في التراث النحوي : الظواهر التركيبية جزءان .- الطبعة الأولى .- (مصر : القاهرة الحديثة للطباعة ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م) ، ج ص ٤٩ - ٥٣ ، وانظر موسيقى الشعر ، ص ٢٩٠ - ٢٩٢ .

(٢) ظلال ولا أغصان ، ص ٨٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ ، وانظر مثلاً : ص ٥٤ ، ٦٧ ، ١١٤ .

(٤) " يا شوق .. لا " : جريدة البلاد ، (١٤٠٤/٦/١٣هـ) .

(٥) " لا عودة " : ١٤٠٨/١٠/١٠هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٦) " يا شـوق .. لا ، المصدر السابق .

حينما يظمأ الخميس فبشره ... بفيض الحيا أو ابن خميس[1]

وقوله :

ربما يعْذُب العذاب ولكن ... عند غير العشاق ليس بحالي[2]

وكقوله :

جلى عنه الغريب فراح يجلو ... بمرهف سيفه والبغي هلك[3]

ومثال الترصيع :

تمسح العار حينما تضع الغا ... ر وتمحو عن النهار الظلالا[4]

ولا يخفى ما للمدود والتنوين المتوالية في البيت الواحد من أثر في ظهور الموسيقى الداخلية كقوله :

جراحي نازفات ماتطيب ... فماذا في جراحي ياطبيب[5]

ففي هذا البيت ستة عشر حرفاً ساكناً منها اثنا عشرحرف مد ، وهذا ما يعلل جمال الموسيقى فيه ، إضافة إلى ما أحدثه الرفاعي في تفعيلات البيت للموسيقى الداخيلة حيث أدخل (العصب) وهو تسكين الخامس المتحرك[6] كل تفعيلات هذا البيت ؛ فبدلاً من أن يكون في كل تفعيلة ساكنان جعلها ثلاثة ، وكثرة السواكن تجعله مطرباً عند السماع .

ومثال ما جاء به التنوين قوله :

كل نجم ينافس النجم نوراً ... وبهاء وروعة وامتدادا[7]

وقوله أيضاً :

هاهنا لحن وأغصان وحور ... وأغاريد وشدو وطيور

---

(١) ظلال ولا أغصان ، ص ١٤١ .

(٢) " يا شوق .. لا ": جريدة البلاد ، (١٣/٩/١٤٠٤هـ) .

(٣) " عجبت " : ٢٥/١١/١٣٧٩هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٩٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٨ .

(٦) انظر : العروض ، والقوافي ، ص ٢٧ .

(٧) ظلال ولا أغصان ، ص ١١٤ .

وبشاشـــات ونبـــع وزهـــــور   هـــا هنـــا حســن علـى حســن يمـــور[1]

على أن التنوين في حقيقته نون ساكنة ألحقت آخر الكلمة ، فيمكن جمع الأمرين بالقول : إن كثرة السواكن في البيت سواء كانت مداً أو تنويناً أو حرفاً ساكناً - تزيد من الموسيقى الداخلية .

ويظهر عند الرفاعي التماثل بين أجزاء البيت الواحد في الحركات والسكنات ، والوقفات ، فتأتي أجزاء الشطر الأول مماثلة لأجزاء الشطر الثاني وأجزاء البيت الأول مماثلة لأجزاء البيت الثاني كالبيتين السابقين ، وكقوله :

هـــو فـــي صحـــوي أنيـــس يقينـي   وهـــو طيـــف محبـب فـي منامـي

وهـــو فـي نشـــوتي صـــبابة صحـــو   وهـو فـي غيبـة المـنى أحـــلامي[2]

فالتماثل بين الضمائر ، وحروف الجر والمجرورات جعل الموسيقى الداخلية ظاهرة الوقع .

مثله - أيضاً - قوله :

الأصـــيل الحلـــو قـــد ذوب تـــــبره

والريـــاض الحـــــو بالأزهـــار نضــــره[3]

وللتكرار أثر كبير في إثراء الموسيقى الداخلية كما في الشواهد السابقة وكما في قوله :

مضت إلى الزهر تشكو الزهر غلتها   وترتـوي قُبَـلاً من ثغـره النـادي

زهر إلـى الزهـر ما أندى تعاطفه   هز الطيـور فهـــزت كـــل ميـــاد[4]

فتكـرار الـزاي ، والهـاء أثـرى المـوسيقى لهذين البيـتين ، وقد سبق الحديث عـن التكـرار[5].

---

(١) " موكب الحسن " : ١٣٦٨/٤/٢٠هـ مخطوط في دار الرفاعي .

(٢) (أنا أهواه):١٣٨٧ هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٣) " فاتن المسيال " : ١٣٦٨/٩/١٥هـ ، مخطوط في دار الرفاعي .

(٤) ظلال ولا أغصان ، ص ٥٢ .

(٥) انظر ص ٣٨٧ و ٤١٠ من هذا الكتاب .

الخـــاتـــمَة

لقد من الله بالانتهاء من هذا الكتاب الذي أريد به أن يكون خدمة لفكر أمتنا عن طريق خدمة أحد الرجال الذين عملوا بجد وإخلاص في خدمة فكر هذه الأمة .

وقد انتهى الكتاب إلى أن عبدالعزيز الرفاعي أحد رجال قلائل نذروا أنفسهم لهذا العمل الجليل . نشأ بمكة ، وبها تعلم ، وبدأ أول حياته الوظيفية ، ثم انتقل إلى جدة ثم إلى الرياض حتى تقاعد عن العمل .

وفي أول نزوله الرياض أقام ندوته الأسبوعية التي ظلت أكثر من ثلاثين سنة يؤمها مشاهير الأدباء والعلماء والمثقفين .

وكان الرفاعي رحمه الله غزير الإنتاج كتب المقالة في وقت مبكر ، وظل يكتبها إلى أن توفي دون انقطاع ، وكانت عنايته في أول حياته بالمقال الأدبي ثم الاجتماعي ، وفي آخر حياته اهتم بالمقال العلمي ؛ بالإضافة إلى أنواع المقالات الأخرى الدينية ، والسياسية والسيرة الذاتية ، والوصفية .

وفي العقد الخامس من عمره بدأ رحمه الله بجمع بعض مقالاته فيما يصلح أن يكون كتباً وأصدرها ، إضافة إلى ثلاثة كتب لم ينشرها مقالات وهي : (كعب بن مالك) و(أم عمارة) ، و (من عبدالحميد الكاتب إلى الكتاب والموظفين) .

وكان الالتزام الإسلامي ، والهدف التربوي، والتوثيق ، والاستطراد والالتزام الموضوعي ، وترابط الأفكار ، والذاتية والموضوعية ، والعمق ، والارتباط بالتراث ؛ هي أهم القضايا المعنوية التي برزت في نثره . كما كانت دراسة الألفاظ ، والتراكيب ، والحوار ، والسرد القصصي ، والاقتباس ، والاستشهاد هي أهم القضايا الحسية فيه .

ويضاف إلى هذا الإنتاج في النثر إنتاج آخر في الشعر بدأ الرفاعي في نشره في

أوائل حياته الأدبية ؛ إلا أنه لم يهتم بجمع شعره في ديوان يضم جميع شتاته إلا م كان من (ظلال ولا أغصان) ، و(السلام عليك).

أما ماعدا ذلك فقد ظل في مصدرين هما الصحف والمجلات ، والمخطوطات .

وكانت موضوعات هذا الشعر سبعة هي : الإسلاميات ، والوجدانيات والإخوانيات ، والمناسبات ، والوصف ، والاجتماعيات ، والرثاء .

اتسمت أفكاره بالجمع بين الأصالة والمعاصرة ، والعمق ، وبالتكرار في بعض القصائد ، وبالوضوح .

وجاءت القصيدة ملتزمة بالوحدة الموضوعية - في الغالب - ومتسمة بمناسبة المطلع لموضوع القصيدة . وكانت قصائده متوسطة الطول عدا قصائد يسيرة ، كما كانت الرباعيات شكلاً أثيراً عنده أكثر من النظم فيه ، وقد ضم إلى الشعر ذي الشطرين الشعر التفعيلي .

وكانت الألفاظ متسمة بالوضوح ، والقصر ، والبعد عن العامي أو المبتذل . وكان الإنشاء ، والتكرار، والروابط هي أكثر الأساليب ظهوراً عنده .

ولم يكن الرفاعي يميل في شعره إلى التقريرية ؛ فظهرت الصور الشعرية بكثرة وتعددت أنوعها . فجاءت الصور الكلية ، والعامة ، والتمثيلية ، والمكثفة ، والمفردة ، واستخدم في صنعتها كثيراً من الأدوات كالحقيقة والمجاز، واللون ، والرمز ، والطباق . وكانت ذات دلالة خاصة ؛ فهي ذات اتصال وثيق بنفسية الشاعر وعاطفته .

وقد ضافرت هذه الصورة موسيقى متناسبة مع الموضوع في بعض القصائد ؛ سواء في الوزن أو في نوع الحروف والحركات في القصيدة .

وقد انتهى الكتاب إلى أن الرفاعي ثر الإنتاج كتب في ميادين كثيرة ، أدبية ، واجتماعية ، ودينية . ابتدأت كتابته أول حياته عامة ، وقاربت في آخر حياته التخصص في التراجم ، والتاريخ .

وتوصل المؤلف - فيما توصل إليه - إلى أن أول مقال للرفاعي هو (نفوس

كريمة)[1] وليس (العرجي)[2] كما ذكر الرفاعي .

كما أثبت أن جل كتبه كانت مقالات ومحاضرات أخرجها في كتب .

إضافة إلى أن الرفاعي كاتب يملك الأداة الفنية الراقية لا سيما فيما كتبه في آخر حياته في المحطات واليوميات .

وكان رحمه الله شاعراً محسناً ، يؤثر كتمان شعره وإخفاءه ، حتى عده بعضهم من شعراء الواحدة .

وإذا كان هناك اقتراحات فهي دعوة آل الرفاعي للعمل على نشر نتاجه شعراً ونثراً ، مجموعاً أو مسلسلاً كما كان ينوي رحمه الله ؛ وذلك لإعطاء الدارسين فرصة النظر فيه وتقويمه ، والمحاورة مع ما جاء في هذا الكتاب لتبين ما إذا كان فاته شيء من ذلك أم أنه وفى الرفاعي وتراثه حقه .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



---

(١) انظر : ص ١٢٥ من هذا الكتاب .

(٢) المصدر نفسه .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً :

١ - القرآن الكريم

ثانياً : المخطوطات

٢ - الحامد ، عبدالله . الصورة الأدبية . مصور لدى الباحث .

٣ - ________ . لغة النص الأدبي . مصور لدى الباحث .

٤ - ________ . مضمون النص الأدبي . مصور لدى الباحث.

٥ - ابن حسين ، محمد بن سعد . من المكتبة السعودية : ديوان ظلال ولا أغصان . حديث إذاعي مصور لدى الباحث .

٦ - الرفاعي ، عبدالعزيز أحمد . مجموعة مقالات مخطوطة في دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .

٧ - ________ . ابن المولى . مخطوط في دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .

٨ - ________ . نوادر المخطوطات الأدبية في خزانة البغدادي . مخطوط في دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع .

ثالثاً : الكتب

٩ - ابن الأثير ، ضياء الدين . المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .- ط .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٠ - أحمد شوقي . ديوان الشوقيات ، ٤ أجزاء .- ط ١٠ .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١١ - إسماعيل ، عزالدين . الأدب وفنونه دراسة ونقد .- د.ط .- القاهرة : دار الفكر العربي ، د.ت .

١٢ - الأصفهاني ، أبو الفرج . الأغاني ؛ شرحه وكتب هوامشه عبدأ علي مهنا وسمير جابر .- ط ١ .- دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .
١٣ - الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . جائزة الملك فيصل في خمس سنوات .- ط١ .- الرياض : ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
١٤ - امرئ القيس بن حجر . ديوان امرئ القيس - ذخائر العرب ٢٤ ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٤ .- القاهرة : دار المعارف ، د.ت .
١٥ - أمين ، أحمد. النقد الأدبي.- ط٥.- مصر : مكتبة النهضة المصرية ،١٩٨٣م .
١٦ - أمين ، بكري شيخ . الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية .- ط٥ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م .
١٧ - ———— . مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني .- ط٤ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦م .
١٨ - ابن الأنباري . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ذخائر العرب ، ٣٥ ؛ تحقيق عبدالسلام هارون .- ط٤ .- مصر: دار المعارف ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
١٩ - أنيس ، إبراهيم . موسيقى الشعر .- د. ط .- بيروت : دار القلم . د.ت .
٢٠ - الباقلاني ، أبوبكر . إعجاز القرآن .- ط١.- بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
٢١ - بروكلمان ، كارل . تاريخ الأدب العربي،٦ أجزاء؛ ترجمة عدد من الباحثين .- ط٥ .- القاهرة : دار المعارف ، د.ت .
٢٢ - بشر ، كمال . علم اللغة العام - علم الأصوات . د.ط .- مصر : دارالمعارف ، ١٩٨٦م .
٢٣ - البغدادي ، عبدالقادر بن عمر . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، ١٣جزءاً.- د.ط ؛ تحقيق عبدالسلام هارون .- القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
٢٤ - بكار ، يوسف حسن . بناء القصيدة في النقد الحديث .- ط٢ .- بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر . ١٩٨٢م .
٢٥ - التنوجي ، محمد . المعجم المفصل في الأدب - الخزانة اللغوية ، ٧ أجزاء .- ط١ .- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٢٦ - ابن جبير . رحلة ابن جبير ، د.ط .- دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م .

٢٧ - الجرجاني ، عبدالقاهر . دلائل الإعجاز ، د.ط .- بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
٢٨ - ابن جعفر، قدامة . نقد الشعر.- د.ط.- بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت .
٢٩ - الجهيمان ، عبدالكريم . الأمثال الشعبية في قلب الجزيرة العربية ، ٨ أجزاء .- ط٣ .- الرياض : دار الأشبال العرب ، ١٤٠٠ هـ .
٣٠ - ابن جني ، أبو الفتح . سر صناعة الإعراب ، جزءان ؛ تحقيق حسن هنداوي .- ط١ .- دمشق : دار القلم ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .
٣١ - الحارثي ، محمد بن مرسي . الرفاعي أديباً - كتاب النادي الأدبي الثقافي ، ٩٣ .- ط١ .- جدة : نادي جدة الأدبي الثقافي ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
٣٢ - الحازمي ، منصور . في البحث عن الواقع .- ط١ .- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ /١٩٨٤م .
٣٣ - الحامد ، عبدالله . الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) .- ط١ .- المدينة : منشورات نادي المدينة الأدبي ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م .
٣٤ - الحاوي ، إيليا. فن الوصف .- ط٢.- بيروت : دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م .
٣٥ - ———— . في النقد الأدبي ، ٥ أجزاء .- ط٢ .- بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٦م .
٣٦ - حسن . محمد محمد . المتنبي و القرامطة ، المكتبة الصغيرة ٣٤ .- ط١.- بيروت : دار الجيل ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
٣٧ - ———— . الهجاء والهجاؤون في الجاهلية .- ط٣ .- بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٠م .
٣٨ - حسين ، مصطفى . أدباء سعوديون : ترجمات شاملة لسبعة وعشرين أديباً ، دراسات أدبية ٣ .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م .
٣٩ - الحلبي ، علي بن برهان الدين . إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون .- ط١.- مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م .
٤٠ - أبو حمدة ، محمد . فن الكتابة والتعبير .- ط٢.- الأردن : مكتبة الأقصى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٤١ - الحموي ، ياقوت . معجم البلدان ، ٥ أجزاء . د.ط .- بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٤٢ - الحميدان ، حميد . بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي . - ط٢.- المغرب : المركز الثقافي العربي ، ١٩٩٣م .
٤٣ - ابن حنبل ، أحمد . المسند ؛ إعداد محمد إبراهيم سمارة ، علي حسن الطويل وسمير حسين غازي .- ط ١.- بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
٤٤ - خراز ، محمد سراج . ديوان غناء وشجن ، المكتبة الصغيرة ،٢٢ .- ط١ .- الرياض : مطبعة اليمامة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
٤٥ - الخولي ،محمد بن علي . التراكيب الشائعة في اللغة العربية .- ط١.- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٤٦ - الدائرة للإعلام . معجم الكتاب والمؤلفين .- ط٢ .- الرياض : الدائرة للإعلام المحدودة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٤٧ - الدسوقي ، عمر . في الأدب الحديث ، د.ط.- دار الفكر العربي ، د.ت .
٤٨ - الدقر ، عبدالغني . معجم القواعد العربية في النحو والصرف .- ط١ .- دمشق : دار القلم ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٤٩ - الدمشقي ، أبوعبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري . تحفة الدهر في عجائب البر والبحر ، السلسلة الجغرافية ، ٧ أجزاء .- ط ١ .- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .
٥٠ - الدمشقي ، عبدالقادر بدران . المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل .- ط٣ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٥١ - أبو ذكرى ، السيد مرسي . العمل الأدبي بين الإبداع والأداء . د.ط.- مصر : دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٧م .
٥٢ - ـــــــــ . المقال وتطوره في الأدب المعاصر .- د.ط.- الإسكندرية : دار المعارف ، ١٩٨٢م .
٥٣ - الرباعي ، عبدالقادر . الصورة الفنية في النقد الشعري .- ط١ .- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
٥٤ - الردادي ، عايض بن بنية . ندوة الرفاعي .- ط١ .- الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٥٥ - الرصد ، أحمد بن محمد . العروض والقوافي .- ط٢.- القاهرة : دار الطباعة المحمدية ، ١٤١٠هـ .

٥٦ - الرفاعي ، عبدالعزيز أحمد. أرطأة بن سهية ، المكتبة الصغيرة .- ط١.- جدة : مطابع الروضة ، ١٣٩٩هـ /١٩٧٨م .

٥٧ - ________ . أم عمارة الصحابية الباسلة .- ط ١ .- الرياض : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، ١٣٩٢هـ .

٥٨ - ________ .أم عمارة الصحابية الباسلة ، المكتبة الصغيرة ٦ .- ط٥.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٥٩ - ________ . توثيق الارتباط بالتراث ، المكتبة الصغيرة .- ط٦.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٨هـ .

٦٠ - ________ . ابن جبير في الحرمين .- ط١ .- جدة : بنك الرياض ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٦١ - ________ . جبل طارق والعرب ، المكتبة الصغيرة ، ٢ .- ط٣.- الرياض : مؤسسة مكة للطباعة والإعلام ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

٦٢ - ________ . الحج في الأدب العربي ، المكتبة الصغيرة ،٦١.- ط٢.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

٦٣ - ________ . خمسة أيام في ماليزيا ، المكتبة الصغيرة ، ٣.- ط٣.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٦٤ - ________ . خولة بنت الأزور البطلة الأسطورة ، المكتبة الصغيرة ، ٢٤.- الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ،١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٦٥ - ________ . ديوان السلام عليك - من ديواني ، ٢ .- ط١.- الرياض: دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م .

٦٦ - ________ . ديوان ظلال ولا أغصان ، السلسلة الشعرية ، ٨ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

٦٧ - ________ . رحلتي مع التأليف - من دفاتري ٣ .- ط١.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٦٨ - ________ . رحلتي مع المكتبات (مكتبات مكة) من دفاتري ٢ .- ط١.- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

٦٩ - ________ . الرسول كأنك تراه - حديث أم معبد ، من دفاتري ، ١ .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٧٠ - ________ . زيد الخير .- جدة : مؤسسة تهامة ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٧١ - ________ . خارجة بن فليح المللي - شعراء مغمورون - ، ٢ .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٧٢ - ________ عبدالله بن عمر بن أبي صبح المزني - شعراء مغمورون ١ .- ط١ .- الرياض:دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٧٣ - ________ . ضرار بن الأزور الصحابي الفارس - المكتبة الصغيرة ٩١ .- ط٢ .- جدة : مطابع الروضة ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٧٤ - ________ . عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م .

٧٥ - ________ . كعب بن مالك الصحابي الأديب - المكتبة الصغيرة ٤ .- ط٣ .- الرياض : مطبعة المدينة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٧٦ - ________ . كناشة الرفاعي ، من دفاتري ٤ .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٦هـ /١٩٩٥م .

٧٧ - ________ من عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب والموظفين ، المكتبة الصغيرة ٩ .- ط١ .- الرياض : شركة مطابع الجزيرة ، ١٣٩٢هـ /١٩٧١م .

٧٨ - رفيع ، محمد . مكة في القرن الرابع عشر الهجري .-ط١ .- مكة : منشور نادي مكة الثقافي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٧٩ - ابن الرومي . ديوان ابن الرومي ؛ شرح وتحقيق عبدالأمير علي مهنا .- بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٨٠ - الزركلي، خير الدين . الأعلام ، ٨أجزاء .- ط٩.- بيروت: دار العلم للملايين .

٨١ - زكي ، أحمد كمال . النقد الأدبي : أصوله واتجاهاته .- د.ط .- بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٨١م .

٨٢ - زهران ، البدراوي.أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث، مكتبة سلسلة الدراسات الأدبية ، ٨٨.- د.ط .- مصر: دار المعارف، د.ت .

٨٣ - الساسي ، عمر الطيب . الموجز في تاريخ الأدب السعودي - الكتاب الجامعي ٣٢.- ط١ .- جدة : مؤسسة تهامة ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

٨٤ - السباعي ، أحمد . تاريخ مكة .-ط٥ .- وزارة المعارف: المملكة العربية السعودية ، المكتبات المدرسية ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م .
٨٥ - السجستاني ، أبو داود. سنن أبي داود؛ دراسة وفهرسة كمال الحوت .- ط١.- دار الحنابلة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
٨٦ - ابن سعد . الطبقات الكبرى . ٨ أجزاء ، د.ط.- بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر . ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
٨٧ - سعيد ، أمين . تاريخ الدولة السعودية ، د.ط .- دار الكتاب العربي ، د.ت .
٨٨ - السلوم ، حمد بن إبراهيم .التعليم العام في المملكة العربية السعودية .- ط١ .- ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
٨٩ - السهيلي ، أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله . الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، د.ط .- دار الفكر ، د.ت .
٩٠ - السياب ، بدر شاكر . ديوان أنشودة المطر .- د.ط.- بيروت : منشورات مكتبة الحياة ، د.ت .
٩١ - سيبويه ، عمرو بن بشر . الكتاب ؛ تحقيق عبدالسلام هارون .- ط٣.- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .
٩٢ - السيوطي ، جلال الدين . الأشباه والنظائر في النحو.- ط١.- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
٩٣ - الشامخ، محمد بن عبدالرحمن.التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني .- ط٣ .- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
٩٤ - ________ . النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية .- ط٣ .- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
٩٥ - ________ . نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية .- ط١.- الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٩٦ - الشايب ، أحمد . الأسلوب - دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية .- ط٨ .- مصر : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٨م .
٩٧ - شرف ، عبدالعزيز . اللغة الإعلامية .- ط١ .- بيروت : دار الجيل ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .
٩٨ - شلش ، علي ، علامات استفهام - كتاب النادي الأدبي الثقافي ، ٧٩ .- ط١.- جدة : النادي الأدبي الثقافي ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .

٩٩ - الشناوي ، كامل . ديوان لا تكذبي ، د.ط .- القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٩م .

١٠٠- شوقي ضيف . تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الثاني ، ٤ .- ط ٦ .- مصر : دار المعارف ، د.ت .

١٠١- طبانة ، بدوي ، نظرات في أصول الأدب والنقد .- ط ١ .- الرياض : شركة مكتبات عكاظ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١٠٢- الطويل ، عبدالقادر رزق . المقالة في أدب العقاد .- ط١.- القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

١٠٣- العامري ، لبيد بن ربيعة . ديوان لبيد - التراث العربي ؛ تحقيق إحسان عباس .- ط٢ .- الكويت : وزارة الإعلام ، ١٩٨٤م .

١٠٤- عباس ، إحسان . فن الشعر - الفنون الأدبية ،٣ .- ط٢.- بيروت : دار الثقافة، د.ت .

١٠٥- عباس ، فضل حسن . البلاغة فنونها وأفنانها ، جزءان .- ط١ .- الأردن : دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

١٠٦- عبدالحافظ ، صلاح . الصنعة الفنية في شعر المتنبي .- ط١ .- مصر : دار المعارف ، ١٩٨٣م .

١٠٧- عبداللطيف ، محمد حماسة . الجملة في الشعر العربي .- ط١ .- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٠٨- عبدالله ، محمد حسن . الصورة والبناء الشعري . د.ط.- مصر : دار المعارف ، ١٩٨١م .

١٠٩- عتيق ، عبدالعزيز . علم المعاني .د.ط.- بيروت : دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١١٠- العدوي ، إبراهيم . ابن بطوطة في العالم الإسلامي .- ط٣.- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٣م .

١١١- ابن العربي . عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ، ١٣ جزءاً ، د.ط .- دار الكتاب العربي ، د.ت .

١١٢- عساف ، ساسين . الصورة الشعرية ، د.ط .- دار مارون عبود ، ١٩٨٥م .

١١٣- العسقلاني ، ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة أربعة أجزاء ، د.ط .- بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١١٤- ـــــــــــ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٢٨ جزءاً ؛ راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليه : طه عبدالرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري والسيد محمد عبدالمعطي .- د.ط.-القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١١٥- العسكري ، أبوهلال . كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ؛ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم .- ط٢ .- دار الفكر العربي ، د.ت .
١١٦- العشماوي ، محمد زكي . قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، د.ط.- بيروت : دار النهضة العربية ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
١١٧- العشي، عرفات كامل . رجال ونساء أسلموا ، ١٠ حلقات .- ط١.- الكويت : دار القلم ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .
١١٨- العطوي ، مسعد بن عيد . الاتجاهات الفنية في شعر الحروب الصليبية .- ط١.- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .
١١٩- ـــــــــــ . أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية .- ط١.- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
١٢٠- ـــــــــــ . المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام .- ط١.- الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
١٢١- عفيفي ، محمد الصادق . النقد التطبيقي والموازنات .-د.ط.- مصر: مؤسسة الخانجي ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
١٢٢- العليمي ، أبو اليمن عبدالرحمن بن محمد . المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، جزءان ؛ تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد.- ط٢.- بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
١٢٣- العوين ، محمد بن عبدالله . المقالة في الأدب السعودي الحديث ، جزءان .- ، ط.- ١٤١٢هـ /١٩٩٢م.
١٢٤- الغذامي عبدالله . الصوت القديم الجديد .- ط٢ .- الرياض : دار الأرض ، ١٤١٢هـ .
١٢٥- الغزالي ، عصام . ديوان لو نقرأ أحداق الناس ، د.ط.-القاهرة: مطبعة الكيلاني ، د.ت .
١٢٦- فضل ، صلاح . بلاغة الخطاب و علم النص .- الكويت : عالم المعرفة ، ١٦٤ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٤١٣هـ .

١٢٧- ــــــــــ . علم الأسلوب مبادؤه واجراءاته .- القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م .
١٢٨- ــــــــــ . نظرية البنائية في النقد الأدبي .- د.ط.- القاهرة : مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢م .
١٢٩- فقيه ، محمد عبدالقادر . ديوان أطياف من الماضي ، المكتبة الصغيرة ١٤.- ط٢.- الرياض : مطابع اليمامة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
١٣٠- الفوزان ، إبراهيم بن فوزان . الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، ٣أجزاء .- ط١.- الرياض : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٣١- ــــــــــ . إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة .- د.ط.- الرياض : ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
١٣٢- الفيروز أبادي . القاموس المحيط ، ٤ أجزاء . د.ط.- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
١٣٣- قبش، أحمد. تاريخ الشعر العربي الحديث ، د.ط.- بيروت : دار الجيل ، د.ت .
١٣٤- القرطاجني ، حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء ؛ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة .-د.ط.- دار الكتب الشرقية ، د.ت .
١٣٥- القزويني ، الخطيب . بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح ، د.ط؛ تعليق عبدالمتعالي الصعيدي .- القاهرة : ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ومطبعتها ، د.ت .
١٣٦- قطب ، سيد . النقد الأدبي : أصوله ومناهجه .- ط٥.- القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .
١٣٧- القطبي ، عبدالكريم . إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام .- ط ٢ .- ؛ علق عليها أحمد محمد جمال ، وعبدالعزيز الرفاعي ، وعبدالله الجبوري .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .
١٣٨- قنصل ، زكي . ديوان خماسيات من المهجر - أشواك ، السلسلة الشعرية ٩ .- ط١ .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
١٣٩- القيرواني ، ابن رشيق . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .- ط٥.- بيروت : دار الجيل ، ١٤٠١هـ/ ١٩٩١م .
١٤٠- ابن قيم الجوزية . زاد المعاد في هدي خير العباد ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط .- ط٤ .- بيروت والكويت : مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

١٤١- كتبي ، زهير . رجال من مكة المكرمة العاصمة المقدسة .- ط١.- ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١٤٢- ابن كثير . البداية والنهاية ؛ تحقيق محمد أبو ملحم ،وعلي نجيب عطوي ، وعلي عبدالستار .- ط١.- بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

١٤٣- ——— السيرة النبوية ،٤ أجزاء ؛ تحقيق مصطفى عبدالواحد ، د.ط.- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . د.ت .

١٤٤- كفافي ، عطاء . المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث .- ط١.- القاهرة : دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٤٥- كوهن ، جان . بنية اللغة الشعرية ؛ ترجمة محمد الولي ، ومحمد العمري .- ط١.- المغرب : دار تبقال للنشر ، ١٩٨٦م .

١٤٦- اللهيب ، أحمد فوزي ، الحركة الشعرية في زمن المماليك في حلب الشهباء .- ط١.- بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٤٧- مبارك ، زكي . الموازنة بين الشعراء . د.ط.- بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، د.ت .

١٤٨- المتنبي ، ديوان المتنبي ؛ شرح أبي البقاء العكبري ، ٤ أجزاء . د.ط.- بيروت : دار المعرفة ، د.ت .

١٤٩- محمود ، زكي نجيب . جنة العبيط .- ط٣.-القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

١٥٠- مرتاض ، عبدالملك . بنية الخطاب الشعري .- ط١.- بيروت : دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦م .

١٥١- المسدي ، عبدالسلام . الأسلوبية والأسلوب .- ط١.- الدار العربية للكتاب ، د.ت .

١٥٢- المسلم ، أحمد بن سعيد . موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً ١٣٥٠-١٤١٠هـ ، ٣ أجزاء .- ط١.- المدينة : إصدارات نادي المدينة الأدبي، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٥٣- مصلوح ، سعد . في النص الأدبي - دراسة إحصائية ، كتاب النادي الأدبي الثقافي ٦٥.- ط١ .- جدة : النادي الثقافي الأدبي ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

١٥٤- المعري ، أبو العلاء ، اللزوميات ، د.ط .- بيروت : مكتبة الهلال . د.ت .

١٥٥- المفضل الضبي . المفضليات : مجموعات من عيون الشعر ؛ تحقيق أحمد بن محمد شاكر وعبدالسلام هارون .- ط٦.- مصر : دار المعارف ، د.ت .

١٥٦- المقدسي ، أنيس . الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث .- ط٧.- بيروت: دار العلم للملايين ، ١٩٨٢م .
١٥٧- أبوالمكارم ، علي . الظواهر اللغوية في النحو العربي - الظواهر التركيبية ، جزءان .- ط١.- مصر : القاهرة الحديثة للطباعة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م .
١٥٨- الملائكة ، نازك . قضايا الشعر المعاصر ، ٨ .- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٩م .
١٥٩- مندور ، محمد . الأدب وفنونه .- د.ط .- مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .
١٦٠- النقد والنقاد المعاصرون .- د.ط.- بيروت : دار القلم للطباعة والنشر. د. ت .
١٦١- المنذري . مختصر صحيح مسلم ؛ تحقيق ناصر الدين الألباني .- ط٦.- دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
١٦٢- ابن منظور . لسان العرب ، ١٥ جزءاً .د.ط.- بيروت : دار صادر ، د.ت .
١٦٣- أبوموسى ، محمد محمود . دلالات التراكيب - دراسة بلاغية .- ط٢.- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .
١٦٤- ناصف ، مصطفى . الصورة الأدبية .- د.ط.- بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .
١٦٥- النجار ، محمد بن عبدالعزيز . ضياء السالك إلى أوضح المسالك ، ٤أجزاء ، د.ط.- بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .
١٦٦- نجم ، محمد يوسف . فن المقالة - الفنون الأدبية ، ١. د.ط.- دار الثقافة ، د.ط .
١٦٧- الندوي ، أبو الحسن . في مسيرة حياة - ترجمة ذاتية .- ط ١ .- دمشق : دار القلم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
١٦٨- هارون ، عبدالسلام ، قطوف أدبية حول تحقيق التراث .- ط١.- القاهرة : مكتبة السنة السلفية لنشر العلم ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م .
١٦٩- ابن هشام . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب .- د.ط.- بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
١٧٠- هلال ، محمد غنيمي . الأدب المقارن .- د.ط.- بيروت: دارالعودة ، ١٩٨٣م .
١٧١- ــــــــ . النقد الأدبي الحديث .- القاهرة : نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت .

١٧٢- الهويمل ، حسن بن فهد .النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر .- د.ط.- الرياض : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
١٧٣- وافي ، علي عبدالواحد . الأدب اليوناني القديم .د.ط.- القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، د.ت.
١٧٤- وهبة ، مجدي وكامل المهندس . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب .- ط٢.- بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م .
١٧٥- ابن يعيش . شرح المفصل ،١٠ أجزاء ، د.ط.- بيروت : عالم الكتب ، د.ت .
١٧٦- اليمني ، يحيى العلوي . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز .- مكتبة المعارف ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

رابعاً : الجرائد والمجلات :

أ - الجرائد :

١٧٧- جريدة الأربعاء .
١٧٨- جريدة الجزيرة .
١٧٩- جريدة الرياض .
١٨٠- جريدة عرفات .
١٨١- جريدة عكاظ .
١٨٢- جريدة المدينة .
١٨٣- جريدة الندوة .

ب - المجلات :

١٨٤- علامات : كتاب دوري يصدر عن نادي جدة الأدبي.
١٨٥- مجلة الأديب .
١٨٦- مجلة الإذاعة والتلفزة التونسية .
١٨٧- مجلة الأقلام الواعدة [1].
١٨٨- مجلة أهلاً وسهلاً .
١٨٩- مجلة التضامن الإسلامي(الحج).
١٩٠- مجلة التوباد .

---

(١) مجلة أدبية تصدر عن الجمعية الأدبية من طلاب كلية اللغة العربية بالرياض ، بإشراف الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي .

١٩١- مجلة الثقافة السورية .

١٩٢- مجلة حراء .

١٩٣- مجلة الحرس الوطني .

١٩٤- مجلة الدارة .

١٩٥- مجلة الدستور .

١٩٦- مجلة الرائد .

١٩٧- مجلة الرسالة .

١٩٨- مجلة رسالة الخليج .

١٩٩- مجلة عالم الكتب .

٢٠٠- مجلة العرب .

٢٠١- مجلة الفيصل .

٢٠٢- مجلة قافلة الزيت .

٢٠٣- مجلة قريش .

٢٠٤- مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود .

٢٠٥- المجلة العربية .

٢٠٦- مجلة المنهل .

٢٠٧- مجلة اليمامة .

خامساً : الأحاديث الإذاعية ، والمقالات الصحفية :

١ - "الآشي من أوائل الرواد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة، العدد ٤٥٦١ ، (١٤٠٥/٧/٤هـ) .

٢ - "أبا سليمان ستظل باقياً"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٨٤، (١٤٠٩/٤/٢٨هـ) .

٣ - "ابحث عن كلمة .. عن مفتاح"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٦١، (١٤٠٧/٦/٢٥هـ) .

٤ - " ابحثوا عن السيد "جورج"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ١٤٠٨، (١٣٨٣/٤/٢٣هـ) .

٥ - "أبحروا في مواكب العيد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣٨٠، (٢٦/١٠/١٤١٠هـ) .

٦ - "إبراهيم بن خليل العلاف"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ، العدد ١٧٧ ، (ربيع الأول ١٤٠٣هـ) .

٧ - "ابن أبي ربيعة لا يحب القمر"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٣٢٩، (١٠/٧/١٤١٠هـ) .

٨ - "ابن سيرين"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة المنهل ، العدد ٤١٣، (ربيع الأول ١٤٠٥هـ).

٩ - "أبو أيوب الأنصاري"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحرس الوطني ، العدد ١٤ ، (شوال ١٤١٣هـ) .

١٠- "أبو عمار الحلم والأناة"/ أبو عبدالرحمن ابن عقيل . جريدة الجزيرة ، العدد ٧٦٦٠، (٢/٤/١٤١٤هـ) .

١١- "أبو عمار فقيد العلم والأدب"/ أحمد بن خالد البدلي . جريدة الرياض ، العدد ٩٢١١ ، (٢٦/٣/١٤١٤هـ) .

١٢- "اتجاهات الثقافة المحلية"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٧٩/٢/١هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٣- "أحمد حسن الزيات .. صاحب الرسالة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٧٥٣ ، (١٧/٢/١٣٨١هـ) .

١٤- "أحمد حسن الزيات والرسالة"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س٦ ، العدد ٦٠ ، (المحرم ١٤٠٣هـ) .

١٥- "أخي حمزة محمد بوقري"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٥٩٠٩، (١٦/٨/١٤٠٣هـ) .

١٦- "أخي القرشي" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٤٤٢ ، (٢١/٤/١٣٨٥هـ) .

١٧- "أدب وأبو أربعة أسود"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٩٦ ، (٩/٨/١٤٠٥هـ) .

١٨- "الأديب الذي فقدناه .. وحديث الذكريات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٢٦٤، (١/٩/١٤٠٤هـ) .

١٩- "الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ١٦٥ ، (شوال١٤١١هـ) .
٢٠- "الأديب المسلم بين الالتزام والإبداع"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ١٧١ ، (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) .
٢١- "إذا تقاعدت لا تتقاعد"/ عبدالعزيز الرفاعي. ، ١٣٨٦/٦/١٧هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
٢٢- "أرض الشهداء"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة المنهل ، العدد ٣ ، (ربيع الأول ١٣٧١هـ) .
٢٣- "أستاذي النابغة أحمد قنديل"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٤٢٩١ ، (١٣٩٩/٨/٢١هـ) .
٢٤- "الاستطراد"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة الحج ، س٨ ج١ ، (رجب١٣٧٣هـ) .
٢٥- "أشياء رمضانية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٢، (١٤٠٩/٩/١٩هـ) .
٢٦- "أصداء النغم ، مجموعة قصصية لشكيب الأموي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٤٥٦ ، (١٣٧٣/٥/٢٢هـ) .
٢٧- "الإصلاح الاجتماعي"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، العدد١ س٥، (رجب١٣٧٠هـ).
٢٨- "أطفال إخواني حرموني العيد"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة اليمامة ، العدد ٢٢٧ ، (١٣٩٢/٩/٢٧هـ).
٢٩- "افتحوا النوافذ"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣٢، (١٤٠٦/٦/١٠هـ) .
٣٠- "إلى الصديق عبدالله رجب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ٦٠٥٢ ، (١٤٠٣/٣/١٠هـ) .
٣١- "إلى المعلم حسين علي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٣٥٦ ، (١٣٨٣/٢/٢٧هـ) .
٣٢- "إلى الناقدين : النقد رقابة فنية"- عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية، العدد ١٦٦١ ، (١٣٧٤/٢/٧هـ) .
٣٣- "أما بعد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ٦١٧١ ، (١٤٠٣/٨/١٠هـ).

٣٤- "الإمام أحمد والشعر"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة التضامن الإسلامي ، ج٧ ، (المحرم ١٤٠٤هـ) .

٣٥- "أمراض البيئة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ١٧٧ ، (١٣٨٥/١/٢٣هـ) .

٣٦- "أمية ابن أبي الصلت في الموسوعة العربية"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، العدد ٨ ، (صفر ١٣٨٦هـ) .

٣٧- "أمي : أيام حزينة"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ١٧٨، (شعبان ١٤١٣هـ).

٣٨- "أهمية الأستاد الرياضي"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٥/١٠/١٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٣٩- "أنا والجائزة"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة المنهل ، مج ٥٣ العدد ٤٩٠، (صفر ١٤١٢هـ) .

٤٠- "الإنسانية في الحياة العامة"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٦٩/٦/٢٢هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٤١- "إن الغناء زاد الركب"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الرسالة ، مصر ، العدد ٥٦٣ ، (١٣٦٣/٤/٢٤ هـ) .

٤٢- "انفعال ولا انفعال"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٣٩٠ ، (١٣٨٣/٤/٨هـ) .

٤٣- "أنقرة في ١٤١٠/٤/٤هـ"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٩٧ ، (١٤١٠/٥/٢٧هـ) .

٤٤- "إنهم يرطنون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٢٠ ، (١٤٠٦/٣/٢٧هـ).

٤٥- "أنور العطار وتحية من الرياض"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٤٧ ، (١٤٠٥/٦/٢٠هـ) .

٤٦- "أين تقضي شيخوختك"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عرفات ، العدد ١٦، (١٣٧٧/٩/٨ هـ) .

٤٧- "أين المسير والمصير"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٢٥٧٥، (١٤٠٧/٧/٩هـ) .

٤٨- "أين الصحيح"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٢١٣٩ ، (٦/١٠/١٩٨٤ م).

٤٩- "أيهما ملاعب الأسنة"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س٤ ، العدد ٨ ، (المحرم ١٤٠٠م) .

٥٠- "البحث عن معجم"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٨٣ ، (١٣/٥/١٤١٠هـ) .

٥١- "البحث عن موسوعة رمضانية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٤٥ ، (٢١/٩/١٤٠٧هـ) .

٥٢- "البحث عن ناقد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٤١٨ ، (٢٣/٣/١٣٨٥هـ) .

٥٣- "بحر ولا ساحل"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٠٤ ، (٦/٥/١٤٠٥هـ) .

٥٤- "برنامج مرح من أجل السلامة"/ عبدالعزيزالرفاعي . ١٤/١٢/١٣٨٥هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٥٥- "بكت عيني اليسرى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض، العدد ١٧٥١، (١/١/١٣٩١هـ) .

٥٦- "بلادنا المشتى والمصيف"/ عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة ، ملحق رمضان ، ١٤٠٤هـ .

٥٧- " البيض وعبقرية شوقي " /عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٤٨ ، (١٦/٤/١٤٠٨هـ) .

٥٨- "بيع الكتب فن"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة اليمامة ، العدد ٤٧ ، (١٨/١٠/١٣٨٤هـ) .

٥٩- "بين الحين والحين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٦٠٦٢، (٢٦/١/١٤٠٤هـ) .

٦٠- " بين الحين والحين "/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء . (١٦/١/١٤٠٤هـ) .

٦١- "بين شعر شوقي وشعر العقاد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٨٧ ، (١٢/٤/١٣٨٥هـ) .

٦٢- "بين الطب والأدب"/ عبدالعزيز الرفاعي ، المجلة العربية ، العدد ٦ (شعبان ١٣٩٩هـ) .

٦٣- "بين همنجواي والحريقي"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة اليمامة، العدد ٤٠ ، (١٣٨٤/٨/٢١هـ) .

٦٤- "التاريخ الهجري . أين هو من عالمنا الإسلامي"/ عبدالعزيز الرفاعي.مجلة الحج ، س ٦ ج١٠ ، (ربيع الآخر ١٣٧٢هـ) .

٦٥- "تسمية شوارع"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٣٦٧ ، (١٣٨٣/٣/١٠ هـ) .

٦٦- "تطوير مطاعمنا"/ عبدالعزيزالرفاعي. ١٣٨٥/١٠/٥هـ، حديث إذاعي مخطوط .

٦٧- "التعريب حياة" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٦٩٣ ، (١٤٠٨/٩/١٤هـ) .

٦٨- "تعليقات معلقة" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٧٧ ، (١٤٠٧/٣/٢٩هـ) .

٦٩- "تقويم وتهويم" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٥٦ ، (١٤٠٩/٢/٢٩هـ) .

٧٠- "تنظيم الدعوة الإسلامية"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، ج٧ (المحرم ١٣٧٧هـ) .

٧١- "توثيق الارتباط بالتراث" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، (١٣٨٩/٢/٢١هـ) .

٧٢- "ثرثرة ثانية عن أدب العامية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩١١ ، (١٤٠٦/٦/٢٩هـ) .

٧٣- "ثرثرة عن شعر العامية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، ٤٨٩٠ ، (١٤٠٦/٦/٨هـ) .

٧٤- "الثقافة العربية في أزمة"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س٤ العدد ٧ ، (ربيع الأول ١٣٧٠هـ) .

٧٥- "ثلاثون يوماً في الشرق الأقصى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٢٠٥٥ ، (١٣٨٥/٧/١٢هـ) .

٧٦- "ثلاثون يوماً في الشرق الأقصى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٢٠٧٤ ، (١٣٨٥/٨/٦هـ) .

٧٧- "جار وجار: التفسير"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٧٨ ، (١٤٠٥/٤/١٠هـ) .

٧٨- "الجارود صحابي من الخليج" / عبدالعزيز الرفاعي . مجلة رسالة الخليج، (المحرم ١٤٠٣هـ) .
٧٩- "جمعية تعاونية لتيسير المهور"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٤/٣/٢هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
٨٠- "جن جنونه"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٢١٦٠ ، (١٩٨٤/١٠/٢٧م) .
٨١- "جوان عربي- أنابيش تراثيه "/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س ٥ العدد ٥ (شوال ١٤٠١هـ) .
٨٢- "جولة قصيرة في المكتبة الصغيرة" /د.أحمدبن حافظ الحكمي. مجلة اليمامة ، العدد ٤٥٥ ، (١٣٩٧/٧/١هـ) .
٨٣- "الجيل القديم من العمال"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٣٠ ،(١٣٨٤/٨/٢٠هـ) .
٨٤- "الحاج لقب تشريف ومسؤولية"/ عبدالعزيزالرفاعي . ١٣٨٥/١١/٣هـ، حديث إذاعي مخطوط .
٨٥- "حاربوا معليش" / عبدالعزيز الرفاعي.١٣٨٣/٢/٨هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
٨٦- "الحج والدعوة الإسلامية"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٥/١١/٣٠هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
٨٧- " الحج والسيارات الكبيرة"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١٢/٢٣هـ. حديث إذاعي مخطوط .
٨٨- "حراس السلامة"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة اليمامة ، العدد ١١، (١٣٨٤/١/٢٥هـ) .
٨٩- "الحركة الأدبية في المملكة"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة قافلة الزيت ، مج ٢٣ العدد ٧ ، (رجب ١٣٩٥هـ) .
٩٠- "حسين صاحب العصا والحمار"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٣٦ ، (١٤٠٧/١٢/٢٣هـ) .
٩١- "الحقيقة"، عبدالعزيز الرفاعي. جريدة البلاد ، العدد ١٣٤٠، (١٣٨٣/٢/٩هـ) .
٩٢- "حمل لا جمل"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة العرب ، س ١٩، ج٧، ٨ ، (المحرم وصفر ١٤٠٥هـ) .

٩٣- "حكاية أخرى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ١٧٦٥ ، (١٣٩١/١/١٧هـ) .

٩٤- "الحنفاء"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة التضامن الإسلامي ،ج٧ س٢٦، (المحرم ١٣٩٢ هـ) .

٩٥- "حوار مع الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي"/ مجلة أهلاً وسهلاً ، العدد ٥ ، س ٢٦ ، (ذو القعدة والحجة ١٤٠٤ هـ) .

٩٦- "حوار مع عبدالعزيز الرفاعي"/ جريدة المدينة الأسبوعية ، العدد ٦٧٦٦، (١٤٠٦/٢/٤هـ) .

٩٧- "حوار مع عبدالعزيز الرفاعي"/مجلة الدستور، العدد ٧٣٦٨ (١٩٧٩/١٠/٥هـ) .

٩٨- "حول الجامعة الأهلية" / عبدالعزيز الرفاعي . مجلة اليمامة ، العدد ١١، (١٣٨٤/١/٢٥هـ) .

٩٩- "خالتي كدرجان تخترق الحدود"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٩٥، (١٤٠٩/٩/٢٦هـ .

١٠٠- "خسران رشدة"/عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٥٩ ، (١٤٠٩/٩/٢٦هـ) .

١٠١- "الخصومات الأدبية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٣٠ ، (١٣٧٣/٨/٢٠هـ) .

١٠٢- "خلف بن خليفة الأقطع"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة العرب ، العددان ١١،١٢، (الجماديان ١٣٩٥هـ) .

١٠٣- "خطواتنا على الطريق الصحيح"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة، العدد ٥١٣٥ ، (١٤٠٧/٢/١٧هـ) .

١٠٤- "خواء"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة اليمامة ، العدد ٢ ، (١٣٨٨/٢/٢٧هـ) .

١٠٥- "خواطر حول رمضان"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة المنهل ، العدد ٥٠٣، (رمضان ١٤١٣هـ) .

١٠٦- "خواطر منسقة"/ عبدالعزيز الرفاعي.مجلة الحج ، س٨ ج١، (رجب ١٣٧٣هـ) .

١٠٧- "درس"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١٢/٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٠٨- " الدستور الإسلامي والتوجيه"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٣ ، (١٣٨٢/٩/١٨هـ) .

١٠٩- "الدستور في خطب الراشدين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٥٧، (١٣٨٢/١٠/٢٣ هـ) .
١١٠- " الدستور في التاريخ الإسلامي " / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٥٥ ، (١٣٨٢/١٠/٢٠هـ) .
١١١- "الدستور .. الماضي والمستقبل"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٧ ، (١٣٨٢/٩/٢٣هـ) .
١١٢- "الدستور والمستند الروحي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٢٩، (١٣٨٢/٩/١٣ هـ) .
١١٣- "دورات تدريبية للسائقين"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٥/٦/٢٥هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
١١٤- "ديوان مشاعري"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل، العدد ٨٩ ، (ذوالقعدة ١٤٠٤هـ) .
١١٥- "ذكريات الحج"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٣/١٢/٢هـ ، حديث إذاعي مخطوط .
١١٦- "ذكريات"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الدارة ، العدد ٣ ،(ربيع الآخر ١٤٠٠هـ) .
١١٧- "ذكريات عن الركب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء ، (١٤١٣/٦/٨هـ).
١١٨- "ذكريات مع الشاعر فقيه"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ، العدد ١٨٧، (المحرم ١٤١٣هـ) .
١١٩- "ذكريات مكتبة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٢، (١٤٠٩/٢/١٥هـ) .
١٢٠- "ذكرياتي عن ندوة الرفاعي"/ علي العمير . مجلة الفيصل ، الرياض ، العدد ١٩١، (جمادي الأولى ١٤١٣هـ) .
١٢١- "الرجل الذي ماضل وما غوى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠١٧ ، (١٤٠٩/٨/١٣هـ) .
١٢٢- "رحلة إلى الفنادق"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٩٥ ، (١٤٠٦/٩/٢٥هـ) .
١٢٣- "رحلة إلى لبنان"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٦٥٨، (١٣٧٤/٢/٣هـ) .

١٢٤- "رحلتي مع المكتبات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٩٢، (١٤١٠/٢/١١هـ) .

١٢٥- "رحلتي مع المكتبات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٢٧ ، (١٤١٠/٣/١٧هـ) .

١٢٦- "رحلتي مع المكتبات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٦٢ ، (١٤١٠/٤/٢٢هـ) .

١٢٧- "رحلتي مع المكتبات"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة عالم الكتب ، مج١١، العدد ٢٤ ، (شوال ١٤١٠هـ) .

١٢٨- "رسالة إلى لقمان"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٥٨٠١ ، (١٣٩٨/٤/٢٥ هـ) .

١٢٩- "رسالة مهملة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣٣، (١٤٠٦/٢/١١هـ).

١٣٠- "رسائل إلى الراحلين"/عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٦٦٦٥ ، (١٤٠١/٤/١٢هـ) .

١٣١- "رسائل إلى الراحلين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٥٩٠٩ ، (١٤٠٣/٨/١٦هـ) .

١٣٢- "رشدي العظمة . . أستاذي وصديقي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٨٧١٢ ، (١٤١١/٩/٧هـ) .

١٣٣- "الرفاعي ذلك النسيم"/ عائض الردادي . جريدة الجزيرة ، العدد ٧٦٦٨ ، (١٤١٤/٤/١٠هـ) .

١٣٤- "الرفاعي في سجل العمالقة"/ عبدالعزيز صيرفي . جريدة البلاد ، العدد ١٠٦٥ ،(١٤١٤/٣/٢٥هـ).

١٣٥- "ع .. الروزنة" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٧٧ ، (١٤٠٩/٣/٢١هـ) .

١٣٦- "ريشة الخريف"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٣٤ ، (١٤٠٨/٤/٢هـ) .

١٣٧- "زيد الخير ترجمة لا دراسة"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ٦٣، (ربيع الآخر ١٤٠٣هـ) .

١٣٨- "الزيدان .. الأستاذ"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٢٨ ، (١٩/٢/١٤٠٥هـ) .

١٣٩- "السرقات الأدبية"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة اليمامة ، العدد ٣١١، (٣/٦/١٣٩٢هـ) .

١٤٠- "سمك ولا صنارة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة، العدد ٥٧٣٠ ، (٢٢/١٠/١٤٠٨هـ) .

١٤١- "السلام وبعد السلام"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٠٠ ، (٣/١/١٣٨٤هـ) .

١٤٢- "شارع الأشراف"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٤١٨ ، (٢٣/٣/١٣٨٥هـ) .

١٤٣- "الشاعر القروي .. في الرياض"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤١٤ ، (٥/٢/١٤٠٥هـ) .

١٤٤- "الشعور بالمسؤولية الاجتماعية"/ عبدالعزيز الرفاعي . ٢٧/٨/١٣٧٩هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٤٥- "شهادة كنون في طه حسين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٧١، (٢٠/١/١٤١٠هـ) .

١٤٦- "شوارع مكة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣٠٣، (٨/٨/١٤٠٧هـ) .

١٤٧- "الشيخ محمد حافظ"/ عبدالعزيز الرفاعي .المجلة العربية ، العدد ٨١ ، شوال ١٤٠٤هـ .

١٤٨- "شيء يحير"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد١٣٧ ، (٢٩/١١/١٣٨٤هـ) .

١٤٩- "شيء يحير"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد٥٧٣ ، (٣٠/٥/١٣٨٦هـ) .

١٥٠- "شيدو هذا الجسر"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١/٤/١٣٨٤هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٥١- "صانع الدمار"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عرفات ، العدد ٢٦، (٢٧/١٢/١٣٧٧هـ) .

١٥٢- "الصراحة من أخلاقنا التي فقدناها"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج، س٤ العدد ١ ، (رجب ١٣٦٩هـ) .

١٥٣- "صورتان .. وتلفزيون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة ، العدد ٤٢٤ ، (١٣٨٥/٣/٣٠هـ).

١٥٤- "الضياء يشع"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٦٣٣١، (١٤٠٦/٢/٩هـ) .

١٥٥- "طبعة مزيدة من سلامة موسى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٢ ، (١٤٠٧/٢/٢٤هـ) .

١٥٦- "الطريق إلى جيوب الزبائن"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/٢/٢٩هـ، حديث إذاعي مخطوط .

١٥٧- "الطريق إلى محمد أسد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٢٨ ، (١٤٠٩/٢/١ هـ) .

١٥٨- "طريقة المذاكرة"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٣/١/١٦ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٥٩- "الطغري بين أصلها وتاريخها"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية، س ٧ ، العدد ٧٤ ، (ربيع الأول ١٤٠٤هـ) .

١٦٠- "الطلاب والفراغ الكبير"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٦/٩/١٣ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٦١- "ظاهرة الأدب الخفيف"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٠٧ ، (١٤٠٩/١/١٠هـ) .

١٦٢- "العالم يتقدم إلى الوراء"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٧٨، (١٤٠٨/٢/٥هـ) .

١٦٣- "العامل السحري"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/٥/٢٤هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٦٤- "عبدالسلام الساسي الأديب الراوية"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ، س٥، العدد ٧٥ ، (ربيع الأول ١٤٠٢هـ) .

١٦٥- " عتاب بن أسيد" / عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج س ٢ ، العددان ٩ ، ١٠ ، (الربيعان ١٣٩٨هـ) .

١٦٦- "عتاب بن أسيد" / عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س٢ ، العددان ١١ ، ١٢ ، (الجماديان ١٣٩٨هـ) .

١٦٧- "العريف كان أستاذاً" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٥٠ ، (١٤٠٩/١٢/٢٨هـ) .

١٦٨- "عزيزي .. رئيس التحرير" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة المدينة، العدد ٤٣٦ ، (١٣٨٥/٤/١٤هـ) .

١٦٩- "عزيزي المصحح" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ٥٧٨ ، (١٣٨٦/٦/٦هـ) .

١٧٠- "العطار الرائد" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ٩٠٠٥ ، (١٤١١/٨/٢٩هـ) .

١٧١- "علاقة مدغشقر بالعرب والمسلمين" / عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٧٩/٩/٢٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٧٢- "العلم ومشكلات الإنسان المعاصر" / عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س ٣، العدد ٩ ،(ذوالحجة ١٣٩٩هـ) .

١٧٣- "على الشاطىء" / عبدالعزيز الرفاعي.جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٥٤ ، (١٣٨٦/١/١٩ هـ) .

١٧٤- "عمارات سكنية بمنى" / عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١٢/١٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٧٥- "عمر عبدالجبار الشعلة التي انطفأت" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ١٧٨٣ ، (١٣٩١/٢/٨هـ) .

١٧٦- "عندما طبق الدستور الإسلامي" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٢٨ ، ((١٣٨٢/٩/١٢هـ) .

١٧٧- "عندما يرحل الأصدقاء" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠١٦ ، (١٤٠٦/١٠/١٦ هـ) .

١٧٨- "عندما ترحل الكتب" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٤٩ ، (١٤٠٩/٢/٢٢هـ) .

١٧٩- "عن الكتاب أقول أدركوا الكتاب" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٤٩ ، (١٤٠٧/٣/١هـ)

١٨٠- "عن مسيرة السيرة"/ عبدالعزيز الرفاعي. جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢٣٣ ، (١٤٠٧/٥/٢٦هـ) .

١٨١- "العيد كان وصار"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٤٤ ، (١٤٠٦/١١/١٤هـ) .

١٨٢- "الغرانيق عند وعاة المفسرين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠١٣ ، (١٤٠٩/٨/٢٧ هـ) .

١٨٣- "فتافيت امرأة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٢٩ ، (١٤٠٩/١/٢٤هـ) .

١٨٤- "الفرق الدقيق"/ عبدالعزيز الرفاعي . جزيدة الجزيرة ، العدد ٥٤٢٦، (١٤٠٥/٥/٢٨هـ) .

١٨٥- "فزازير صح وفوازير غلط"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨١، (١٤٠٦/٩/١١هـ) .

١٨٦- "فكرة لحاضرهم ومستقبلنا"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢١٣ ، (١٤١٠/٣/٣هـ) .

١٨٧- "فلتكن الخطوة الأولى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٦٤ ، (١٤٠٨/١/٢١هـ) .

١٨٨- "فلنبحث بين الأصداف"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة، العدد ٥٢٢٦ ، (١٤٠٧/٥/١٩هـ) .

١٨٩- "فليتجه العالم الإسلامي إلى القوة"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج، س٤ العدد ٦ ، (صفر ١٣٧٠هـ) .

١٩٠- "فن البيع "/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٦/٤/١٧ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

١٩١- "في الأدب المهجري الجديد"/ عبدالعزيز الرفاعي. المجلة العربية ، العدد ١٨٣ ، (ربيع الآخر ١٤١٣هـ) .

١٩٢- "في صحبة ابن بطوطة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٨١ ، ١٤٠٦/١٢/٢٢هـ) .

١٩٣- "في الظل رغم مشاغلهم"/ عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة ، العدد ٥٢١٩ ، (١٤٠٧/٥/١٢هـ) .

١٩٤- "في ظلال السماء"/ عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة ، العدد ٤٧٩٢ ، (١٤٠٦/٢/٢٨ هـ) .

١٩٥- "في القفص الذهبي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ٥٣٤ ، (١٣٨٦/٤/٢٤هـ) .

١٩٦- "في مجلس عبدالعزيز الرفاعي الأدبي بالرياض"/ عبدالرحمن الأنصاري . جريدة المدينة ، العدد ٤٧٧٨ ، (١٤٠٠/٢/٧هـ) .

١٩٧- "في مرايا نجيب محفوظ"/ عبدالعزيز الرفاعي. جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٥٤ ، (١٤٠٩/٦/٩هـ) .

١٩٨- " في مالقة أبحث عن جسور"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٩٣ ، (١٤٠٧/١/٤هـ) .

١٩٩- "القاضي عياض لعبدالسلام شقور"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة عالم الكتب ، مج ١٢ العدد ٤ ، (ربيع الآخر ١٤١٢هـ) .

٢٠٠- "قبس من القبس"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٣٥ ، (١٤٠٩/٢/٨هـ) .

٢٠١- "قريش والشعر"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة قريش ، العدد ١٩٨ ، (١٣٨٣/٥/٢٠هـ) .

٢٠٢- "قصة كفاح الجزائر في الوجدان العربي"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٧٩/١٠/١٧هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٠٣- "القصة والتربية"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/٣/٢هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٠٤- "قصص سومرست موم"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ٦٢، (ربيع الأول ١٤٠٣هـ) .

٢٠٥- "قطار الحج"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/٣/٢هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٠٦- "قطرات من السحاب الأحمر"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨٩١ ، (١٤٠٩/٤/٥هـ) .

٢٠٧- "قطرة عن السراب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٩٤٧ ، (١٤٠٩/٦/٢هـ) .

٢٠٨- "الكادحون والتطور"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١/١٨هـ ، حديث إذعي مخطوط .

٢٠٩- "كانوا يصطادون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٧٠ ، (١٤٠٧/٣/٢٢هـ) .

٢١٠- "الكتاب هو الحضارة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٢٢ ، (١٤٠٩/١١/٣٠هـ) .

٢١١- "كتاب وقراء وحرامية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ١٤٧ ، (١٣٨٤/١٢/١٧هـ) .

٢١٢- "كتب .. كتب .. كتب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٩٥٠ ، (١٣٨٥/٣/٨هـ) ،

٢١٣- " كتب وصحب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٩٩ ، (١٤٠٨/٢/٢٦هـ) .

٢١٤- "كعب بن مالك الصحابي الأديب"/ أحمد الضبيب . مجلة كلية الآداب ، مج ٢ س٢ ، (١٣٩١ /١٣٩٢ هـ) .

٢١٥- "كل أسبوع"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٥٧٤ ، (١٣٧٣/١/١٧هـ) .

٢١٦- "كل أسبوع"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٠٤ ، (١٣٧٣/١١/٢٢هـ) .

٢١٧- "كلام عن أسمرا"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٧٢٧ ، (١٣٨٤/٥/٣٠ هـ) .

٢١٨- "كلام عن العيد"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٥/٩/١٥هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢١٩- "كلام في الالتزام .. ومتى تصبح الكتابة خانة في الواجبات" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٩٥ ، (١٣٨٥/٤/٢١هـ) .

٢١٢٠- "كلا ليست بسيطة"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٥/٧/٤هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٢١- "كلك ذوق"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ،العدد ١٤٢٧، (١٣٨٣/٥/٢١هـ) .

٢٢٢- "كلمة أخيرة عن أدب العامية"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٩٨٨ ، (١٤٠٦/٩/١٨هـ) .

٢٢٣- "كناشة الشهر"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ٩١ ، (شعبان ١٤٠٥هـ) .

٢٢٤- " كناشة الشهر"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ٩٤ ، (ذو القعدة ١٤٠٥هـ) .

٢٢٥- "كناشة الشهر"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ٩٥،(ذو الحجة ١٤٠٥هـ) .

٢٢٦- "كونوا ماديين ..ولكن"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س٤ العدد ٨ ، (ربيع الآخر ١٣٧٠هـ) .

٢٢٧- "لا تعش في الظلام"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٧٠/١/١٩هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٢٨- "لا .. لا تذيعوا التسعيرة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٦٨٠ ، (١٣٨٤/٤/٤هـ) .

٢٢٩- "لا لهذا المفهوم"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة العدد ٦١٧٨ ، (١٤١٠/١/٢٧هـ) .

٢٣٠- "لا وسطى بين الفصحى والعامية"، عبدالعزيز الرفاعي ، جريدة الجزيرة العدد ٥١٥٦ ، (١٤٠٧/٣/٨هـ) .

٢٣١- "لست وحدي" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦١٦ ، (١٣٧٣/١٢/٧هـ) .

٢٣٢- "لغة العرب بين عجمتين"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة العرب ، س١ ج١ ، (رجب ١٣٨٦هـ) .

٢٣٣- "لقاء مع عبدالعزيز الرفاعي"/ مجلة أقلام واعدة ، العدد٢ ، (الربيعان ١٤٠٥هـ) .

٢٣٤- "لقاء مع عبدالعزيز الرفاعي"/ مجلة قافلة الزيت . مج ٢٩ العدد٧ ، (رجب ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

٢٣٥- "لقاح الثقافة العربية"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الأديب ، ج ٣ ، (مارس ١٩٥٠م) .

٢٣٦- "لقد صوروه"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٩٦٧، (١٣٨٥/٤/٨هـ) .

٢٣٧- "لكي تنشروا الإسلام انشرو العربية"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س٤ العدد ٥ ، (المحرم ١٣٧٠هـ) .

٢٣٨- "لكي لا يميع الشباب"/ عبد العزيز الرفاعي. ١٣٧٩/٥/١٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٣٩- "للذكريات بحر وأمواج"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٤٥٠ ، (١٣٠٨/١/٧ هـ) .

٢٤٠- "اللغة العربية في الصومال"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ٧٣ ، ١٣٨٥/٣/٢٦هـ).

٢٤١- "الله جابك"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء ،(١٤١٣/٩/٣هـ) .

٢٤٢- "لماذا لا نقرأ"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٢٠ ، (١٤٠٦/٣/٢٧هـ) .

٢٤٣- "لنقض على هذه الخرافات"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٧٩/٩/١٣ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٤٤- "ماذا قال الدكتور هيكل"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٢٤ ، (١٤٠٩/٨/٢٠هـ) .

٢٤٥- "ماذا وراءك"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٩٩ ، (١٤١٠/٢/١٨هـ) .

٢٤٦- "ماهي خطتكم لمستقبل فلسطين؟"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س٤ العدد ١٠ ، (جمادى الآخره ١٣٧٠هـ) .

٢٤٧- "مجالس الآباء"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٦/٩/١٣هـ) ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٤٨- "مجمع اللغة العربية في خمسين عاماً"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة عالم الكتب ، مج ، العدد ٣ (ذو القعدة ، ذوالحجة ١٤١٣هـ) .

٢٤٩- "محتال جديد وآخر قديم" / عبدالعزيز الرفاعي جريدة الجزيرة ، العدد ٥٠٦٥ ، (١٤٠٦/١٢/٦هـ) .

٢٥٠- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٢٥ ، (١٤٠٣/١٢/٢٩هـ) .

٢٥١ - "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٣٣ ، (١٤٠٣/٢/٢٤هـ) .

٢٥٢- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٤٠،(١٤٠٣/٣/١هـ) .

٢٥٣- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٧٦٨ ، (١٤٠٣/٣/٢٩هـ) .

٢٥٤- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٨٣٨ ، (١٤٠٣/٦/١٠هـ) .

٢٥٥- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٨٨٧ ، (١٤٠٣/٧/٢٩هـ) .

٢٥٦- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٢٩ ، (١٤٠٣/٩/١١هـ) .

٢٥٧- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٨٣ ، (١٤٠٣/١١/١٧هـ) .

٢٥٨- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٣٩٩٧ ، (١٤٠٣/١٢/١هـ) .

٢٥٩- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٦٧،(١٤٠٤/٢/١٣هـ) .

٢٦٠- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٧٤،(١٤٠٤/٢/٢٠هـ) .

٢٦١- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠٩٥ ، (١٤٠٤/٣/١١هـ) .

٢٦٢- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤١٢٣ ، (١٤٠٤/٤/٩هـ) .

٢٦٣- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤١٣٠ ، (١٤٠٤/٤/١٦هـ) .

٢٦٤- "محطات"/ عبدالعزيز الرفاعي. جريدة الجزيرة ، العدد ٤١٥١ ، (١٤٠٤/٥/٨هـ) .

٢٦٥- "محمد بن مسلمة"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحرس الوطني ، العدد ٢٢ ، (ذو الحجة ١٤٠٤هـ) .

٢٦٦- "محمد عمر توفيق وأيامه في المستشفى"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء، (١٤١٠/٨/١٠هـ) .

٢٦٧- "المرأة وركن المرأة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٣٠٢ ، (١٣٨٢/١٢/٢٢هـ) .

٢٦٨- "مسائل في الصيد"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥٢٧ ، (١٤٠٨/٣/٢٥هـ) .

٢٦٩- "مساكين أهل العشق"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٣١٧ ، (١٤٠٧/٨/٢٢هـ) .

٢٧٠- "المشاكل العائلية"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١/١٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٧١- "مشاهدات من مكة ويوم التروية "/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، العدد ١٧٠ (ربيع الأول ١٤١٢هـ) .

٢٧٢- "مشكلة التطور"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١/٢ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٧٣- "مشوار أدبي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٤٠٤ ، (١٣٨٣/٤/٢٣هـ) .

٢٧٤- "المطاعم في مكة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٣٩٧ ، (١٣٧٣/٢/٢٤هـ) .

٢٧٥- "مع ابن بطوطة إلى طنجة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٨١٤ ، (١٤٠٩/٩/١٧هـ) .

٢٧٦- "مع التحيات للأستاذ الخياط "/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيره ، العدد ٦٠٨٧ ، (١٤٠٩/١٠/٢٢هـ) .

٢٧٧- "مع التحيات للأستاذ الخياط"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٨٧ ، (١٤٠٩/١٠/٢٢هـ) .

٢٧٨- "معجون الحب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٣٥ ، (١٤٠٥/٢/٢٦ هـ) .

٢٧٩- "مع العرجي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ٦٢٥ ، (١٣٦٥/١١/١٦ هـ) .

٢٨٠- "معك"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س٥ العدد ١٠ ، (ربيع الأول ١٤٠٢ هـ) .

٢٨١- "معليش"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ١٨٦٧ ، (١٨/٥/١٣٩١ هـ) .

٢٨٢- "معي"/ عبدالعزيز الرفاعي . المجلة العربية ، س٥ العدد ١٢ ، (جمادي الأولى ١٤٠٢هـ) .

٢٨٣- "من أجل المدرس"/ عبدالعزيز الرفاعي. ١٣٨٥/٧/٢٤ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٨٤- "مغارة علي بابا"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ١٤٧ ، (١٣٨٤/١٢/١٧ هـ) .

٢٨٥- "مقابلة مع عبدالعزيز الرفاعي"/ جريدة الجزيرة .العدد ٣٤٤٢ ، (١٤٠٢/٤/١١هـ) .

٢٨٦- "مقابلة مع عبدالعزيز الرفاعي"/ مجلة الوطن العربي . الكويت ، س٦ العدد ٢٨٧ ، (١٣-١٩أغسطس ١٩٨٢ م) .

٢٨٧- "من آداب المرور"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٣/١/١٣هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٨٨- "من أوراقي الخاصة عن أبو ريشة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء ، (١٤١١/٢/٢هـ) .

٢٨٩- "من معاني الحج"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، س١٣ ج٩ ، (ربيع الأول ١٣٧٢ هـ).

٢٩٠- "من هنا الطريق"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عكاظ ، العدد ١٧٠ ، (١٣٨٥/١/١٦هـ) .

٢٩١- "من هو جارك"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٨٤٨ ، (١٤٠٦/٤/٢٥هـ) .

٢٩٢- "من وحي شجرة"/ عبدالعزيز الرفاعي ، ١٣٨٣/٤/٣ هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٩٣- "مياهنا المعدنية"/ عبدالعزيز الرفاعي . ١٣٨٥/١٠/٥هـ ، حديث إذاعي مخطوط .

٢٩٤- "النار فوق المآذن"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٤٥٦ ، (١٤٠٥/٣/١٨هـ) .

٢٩٥- "الناس المتنحرون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد١٦١٦ ، (١٨/١/١٣٨٤هـ) .

٢٩٦- "الناس والطين"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٣٤ ، (٢٤/٣/١٤١٠هـ) .

٢٩٧- "الناس والكلاب"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٠٧٣ ، (١٠/١٠/١٤٠٩هـ) .

٢٩٨- "النشر الأدبي في المملكة العربية السعودية : من حصاد الكتب"/ عبدالعزيز الرفاعي. مجلة قافلة الزيت ، مج٢٤عدد ١٠ ،(شوال ١٣٩٦ هـ) .

١٩٩- "نحو الإصلاح الإجتماعي"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة عرفات ، العدد ٢٠ ، (٢٤/١٠/١٣٧٧هـ).

٣٠٠- "نظرية الدستور عند ابن خلدون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٧٦ ، (١٥/١١/١٣٨٢هـ) .

٣٠١- "هذا الرجل عرفته"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٦٤ ، (١٣/١/١٤١٠هـ) .

٣٠٢- "هذه هي الحقيقة" / عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥١٨٤، (٧/٤/١٤٠٧هـ) .

٣٠٣- "هل أدلكم على تجارة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٦٨١ ، (٢/٩/١٤٠٨هـ) .

٣٠٤- "هل كان العصر الحجري أحسن حالا"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٩٨٠ ، (١٣/٤/١٣٨٤هـ) .

٣٠٥- "هل من"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد السعودية ، العدد ١٦٧٠، (١٧/٢/١٣٧٤هـ) .

٣٠٦- "هلموا هذه دواوينهم"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٨٥، (٤/٢/١٤١٠هـ).

٣٠٧- "هل يعترف العقاد والآخرون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٣٦١ ، (٣/٣/١٣٨٣هـ) .

٣٠٨- "هوامش"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦١٦٣ ، (١٣/١/١٤١٠هـ) .

٣٠٩- "والبحر خلفكم"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الرياض ، العدد ١٩٣٨ ، (١٢/٨/١٣٩١ هـ) .

٣١٠- "الوداع الشعري"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٤٥٠٤،(١٤٠٥/٥/٦هـ) .

٣١١- "وذيبة المهل"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ٢٠٩١ ، (١٣٨٥/٨/٢٦ هـ .

٣١٢- "وسعوا صدوركم"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٥٥١٣ ، (١٤٠٨/٣/١١هـ .

٣١٣- " وصول العرب إلى سويسرا "/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٧٧٧ ، (١٣٨٤/٧/٢٠ هـ) .

٣١٤- "وفي صحبة زكي مبارك"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الأربعاء ، (١٤٠٨/١١/٢٢هـ) .

٣١٥- "وللحديث شجون"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ، العدد ٨٦ ، (شعبان ١٤٠٤هـ) .

٣١٦- "وللحديث شجون"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ،العدد ٨٩ ، (ذو القعدة ١٤٠٤هـ) .

٣١٧- "وللحديث شجون"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الفيصل ، العدد ٨٥ ، (رجب ١٤٠٤هـ) .

٣١٨- "ولم يقولون"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة الجزيرة ، العدد ٦٢٢٠ ، (١٤١٠/٣/١٠هـ) .

٣١٩- "والنتائج الطيبة"/ عبدالعزيز الرفاعي . جريدة البلاد ، العدد ١٢٣٨ ، (١٣٨٢/٩/٢٤هـ) .

٣٢٠- "يجب ألا ننسى"/ عبدالعزيز الرفاعي . مجلة الحج ، العدد ٩ ، (جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ) .



فهرس الموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة

